ر مخصص للبيع

الفيصل

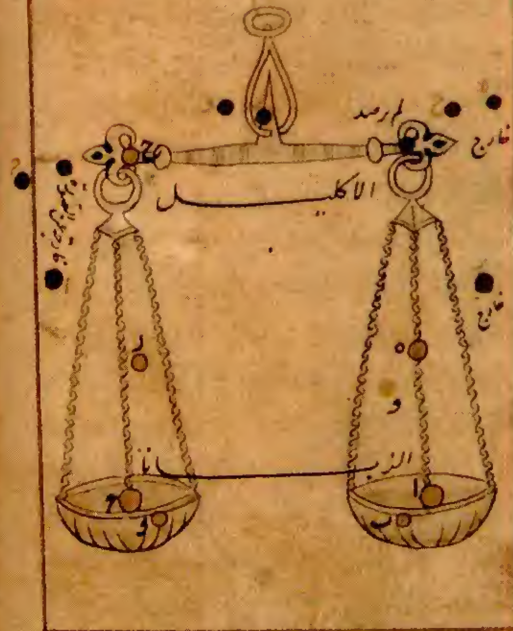
مجلة ثقافية شهرية العدد (١٨٧) - المحرم ١٤١٣هـ (يوليو) ١٩٩٢م

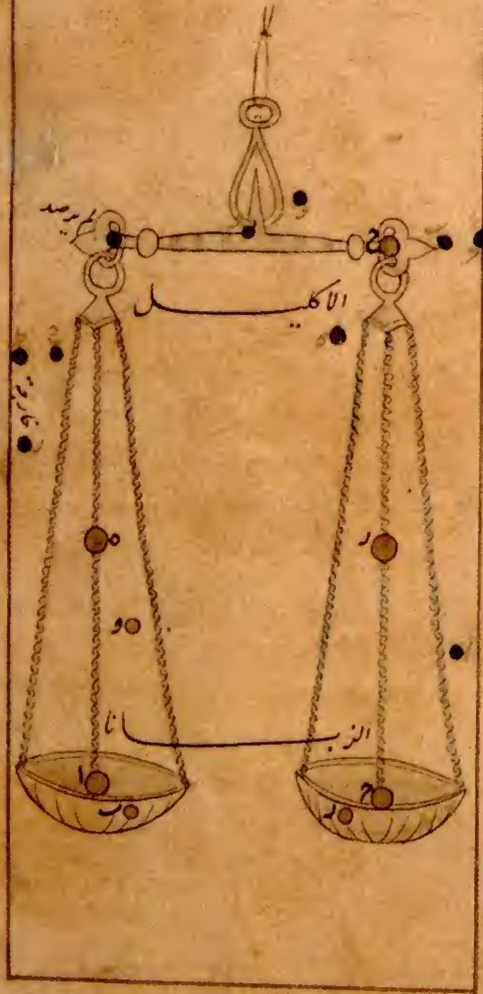
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE. (187) July 1992



مما كسبته أيدي الناس

من الثلثة التى فى الجبهة واحد من هذه الثلثة والاوسط من الثلثة
وهو السادس الخارج عن الصورة هو فى ثلث عشرة درجة واثنين
وخمسين دقيقة من العقرب وعرضه فى الجنوب درجة وثلثون
دقيقة ومن وسط ما بين الزبانين اليه احدى عشر درجة وخمس دقايق
من هذا السادس الى القلب احدى عشرة درجة ونصف درجة
وكل واحد من هذين البعدين قريب من مقدار سير القمر فى
يوم وليلة اذا كان الى بعده الابعد اقرب وهذه صورة الميزان





بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

تصدر عن

دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

PUBLISHED BY

AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (١٨٧) ـ المحرم ١٤١٣هـ ـ السنة (١٦) ـ تموز (يوليو) ١٩٩٢م

إطلالة

أما لهذا الليل أن ينجلي؟!

يبدو أن العالم مشغول هذه الأيام بتجاوزات الإنسان ضد الأرض أكثر من انشغاله بتجاوزات الإنسان ضد الإنسان!!

فقد انتهى منذ أيام أكبر لقاء سياسي شارك فيه أكثر من مائة رئيس دولة وحكومة من أنحاء العالم؛ في اللقاء المعروف بـ(قمة الأرض) ووقّعوا في مدينة ريو دي جانيرو بالبرازيل على وثيقة لمعالجة قضايا تلوث البيئة وحماية الطبيعة من تجاوزات الإنسان!! مع أن هناك تلوثًا أبشع وانتهاكات صارخة لم تمارس منذ الحرب العالمية الثانية؛ تقع هذه الأيام ضد مسلمي البوسنة والهرسك؛ لا لشيء سوى شهادتهم: «بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» فرغم اعتراف معظم دول العالم باستقلال جمهورية البوسنة؛ إلا أن الصربيين يصرون على ممارسة انتهاكاتهم وعدوانهم ضد هؤلاء المسلمين أصحاب التاريخ والحضارة والذين يريدون العيش في سلام، لدرجة أن هذه الدولة ــ البوسنة ــ أصبحت مهددة بالدمار الشامل، حيث قُتل وجُرح أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم بالإضافة إلى حوالى مليون مشرد ولاجئ. . أما المساجد والمدارس الإسلامية والمكتبات التاريخية فأصبحت أنقاضا بسبب هذا العدوان الهمجي الغاشم الذي يشنّه الصربيون لإزالة كل ما يذكّر بالإسلام أو المسلمين!!

لقد أصبح خطر الإبادة الشاملة يهدد أكبر مجموعة من مسلمي أوروبا الأصليين، وهم المسلمون الذين يسميهم مؤرخو العرب بالصقالبة، هؤلاء الذين استجابوا للدعوة الإسلامية ودخلوا فيها طواعية إثر فتح بلادهم على يد القائد المسلم محمد الفاتح عام ٨٦٧هـ (١٤٦٣م) وأصبح أهلها ينشرون الإسلام ويتوسعون في بناء المساجد، لدرجة أن عاصمتهم «سراييفو» أصبحت تُعرف بأنها «مدينة المساجد الأوروبية».

إن العالم كله؛ وليس العالم الإسلامي وحده؛ مطالب بالعمل الفوري والحاسم لوقف هذه المذابح البشرية وإنقاذ الإنسان من ظلم الإنسان.

● نقطة ضوء:

التجاوب الواضح والمشكور من عدد كبير من الإخوة الكرام الكتاب والمفكرين مع المجلة خير عون لنا في رحلتنا المشتركة من أجل كلمة مسؤولة فاعلة.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ملاحظات عامة

- ◻ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ◻ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- ◻ أن يكون مطبوعًا أو مكتوبًا بخط واضح، وبلغة صحيحة وأسلوب سليم.
- ◻ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
- ◻ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- ◻ تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

الفيصل

● المراسلات
مجلـــة «الفيصـل» ص. ب: (٣) الريـاض: ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية.
هـــاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ تلـكـس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ـــ فـاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

● أسعار بيع النسخ في البلاد العربية:
المملكة العربية السعوديـة ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحـدة ٧ دراهم ــ قطـر ٧ ريـالات ـ البحـرين ٦٠٠ فلس ـــ سلطنـة عمان ٦٠٠ بيســة ـــ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهـورية اليمنيـة ٦ ريالات ــ مصر ١٠٠ قـرش ــ السـودان ١٠٠ قـرش ـ المغـرب ٥ دراهـم ـ تـونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

● أسعار الاشتراكات السنوية:
للأفراد ١٥٠ ريالاً سعـوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريـالاً سعـوديًـا تـرسل قيمـة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

● الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد



ص ٦٧ العـالم يحارب وباء المخـدرات الـذي راح ضحيتـه الملايين



ص ٧٨ حقـائق وغـرائب عن الأخطبوط



ص ٨٧ التلوث.. مشكلـة قـديمـة تفجـرت هـذه الأيـام



ص ٩٩ «المخطـوط القـرمـزي» روايـة تحكي تـاريـخ العـرب في الأندلس.



في ذكرى عَلَمٍ مقدسي

بقلم: د. أحمد صدقي الدجاني

العَلَم المقدسي هو إسحق موسى الحسيني الـذي توفاه الله ببيت المقدس يوم الاثنين ٢٦ جمادى الأولى ١٤١١هـ (الموافق ١٧ كـانون أول ــ ديسمبر ١٩٩٠م) عن عمر ينـاهز السادسة والثمانين ؛ حافل بالجهـاد في سبيل الله وبالعطاء العلمي العربي الإسلامي . وقد حثتني دعـوة كريمة تلقيتها للحديث عنه بعد مضي عام على رحيله .

هذه ساعـةُ ذكرى لحظاتُها ممتدة . والـذكرى في لساننا العـربي المبين استحضار ليسَ بالضرورة عن نسيـان ، وهي بالقلبِ واللسـان ، ومن نعم اللهِ على الإنسان حين تـواجهه حقيقـةُ انتقال من يُحِبُّهم من دار الفنـاء إلى دار البقـاء . والذكـرى تُخفف لَـوعـةَ الفِـراق إثـرَ وقوعـه ، وتبعثُ حين نستحضرهـا في النفس الصفـاء . وقد خلق الله الإنسـانَ نزَّاعًـا إلى مشاركـة الآخرين حديثهـم ومن هنا كان «الـرثاء» و«العزاء» لتخفيف المصيبة عن أخيك المسلم.

سمعتُ باسم الدكتور إسحاق موسى الحسيني أولَ مرة ، وأنـا غلامٌ يافع يتلقـى تعليمهُ في ثانـوية العامريـة بيافا قبيلَ النكبة . وعـرفتُ أنه واحدٌ من علماءِ فلسطين وأدباء العـربية وصـاحب **«مذكرات دجاجة»** . وقـد حـاولتُ يـومهـا أن أقـرأ ذلك الكتاب ، فاستوعبتُ منـه ما يستطيع عَالَمُ الصغير أن يستوعبه وهو قليل . ولم ألبث حين أصبحت في سن الحداثة شابًا في أول تفتحـه أن قرأت كتابه عن «الإخـوان المسلمين» كبرى الحركات الإسـلاميـة ، أوائل الخمسينيـات . فشـدتني مـوضـوعيتـه ، وأعجبني منهجـه العملي في المعـالجة واستـوقفني أسلـوبـه السلس الـدقيق في الكتـابـة . و أصبح يسعـدني أن أجد بعض كتـابـاته ، وأنـا مقبل على القراءة في مطلع الشبـاب ، وحين صدر كتـابُه عن **«عروبة بيت المقدس»** أقبلت على قراءته بعد نكسة عام ١٩٦٧م ، حتى كـان ذلك اليوم المبـارك الذي جمعنـا في صيف عـــام سبعين وتسعمائة وألف في القـاهـرة بُعيـد حصـولي على درجـة الـدكتـوراه في التاريخ من جـامعتها ، وكنت أشـارك في ندوة عن العلاقـة بين **«الكيان الصهيـوني وجنوب أفـريقيا»** **وأذكر أنني** حين فرغت من إلقاء بحثي عن قلعتي الاستعمار الاستيطـاني في عـالمنـا ، إذا بشيخ جليل يجلل رأسه شعر أبيضُ غزير، وتشعُّ عيناه الزرقاوان

ذكاءً، ويفيضُ وجهه ضياءً، يبادرني بعد الانتهاء مُحيّيًا. وكم سعدت وشعرت بالعرفان حين عرفت أنه أستاذنا **إسحاق الحسيني**، و قد دعاني يومها لإلقاء محاضرات على طلابه بقسم فلسطين من معهد الدراسات العربية في مطلع السنة الدراسية، فلبيت شاكرًا.

امتدت صُحبتي لأُستاذنا بعد ذلك اليوم المبارك على مدى عقدين من السنين، حظيت خلالها برفقته ساعات وساعات كلما جمعنا بلد واحد، أنهل من علمه الغزير وأشرب من أخلاقه الحسنة، وتعودت ونحن جاران في مصر الجديدة أن نلتقي يوميًا «في مشوار على الأقدام» لساعة يطيب فيها الحوار. **ثم تعودت بعد أن عاد إلى قُدسه الغالية أن أترقّب زيارته السنوية للمشاركة في مؤتمر مجمع اللغة العربية ومؤتمر مجمع البحوث الإسلامية** كي أحظى بالمشوار إياه. وكنا نحرص على هذا المشوار كلما التقينا في رحاب مجمع بحوث الحضارة الإسلامية بعمان. وما أثمن ما تعلمته من أستاذنا في هذه الصحبة، وكم استمتعت بها.

كان **أبو حاتم** حين بدأت صحبتي له في السادسة والستين من عمره، خبر الحياة وبلور أفكاره بشأنها، وقد نهل من أصفى ينابيع العلم ونذر نفسه له. وكم كنتُ أسعد بالتعرف على هذه الأفكار ومناقشتها معه، وبالاستماع إلى حديث الثقافة والأدب والاستمتاع به والتعليق عليه. وكنت آنذاك في الرابعة و الثلاثين أدخل مرحلة جديدة على صعيدي العمل العلمي والعمل العام. وكان أخي الكبير **أبو حاتم** حريصا على متابعة نشاطي على الصعيدين، وأغناني بنظراته الثاقبة. وقد سعدت بعد أن ضمّنا قسم فلسطين بمعهد الدراسات العربية أن أكون إلى جانبه في «**هيئة القدس العلمية**» التي أسسها في القاهرة في أوائل السبعينيات وجمع فيها عددا من الأعلام التقوا على العمل على الصعيد العلمي لتحرير بيت المقدس.

حين أستحضر اليوم أحاديث شيخنا **إسحاق** في ساعات اللقاء، أقف أمام موضوعات

في ذكرى علم مقدسي



استحوذت على اهتمامه، وأذكر من بينها موضوع العناية بتراجم أعلامنا وتعريف قومنا بما خلّفوه من تراث. وكان **أبو حاتم** يستشعر إلحاح الحاجة إلى هذه العناية في عصرنا بخاصة بعد أن تعرض النشءُ لآثار الصدع الذي حدث في ثقافتنا بفعل التسلط الغربي على مناهجنا التربوية إثر تحكم الدول الاستعمارية الغربية بوط[illegible] وما زلت أذكر كم أعطى من جهده لهذا الموضوع في العـ[illegible] الأخيرين من حياته الحافلة بالعطاء. وقد سار في هذا على نهج أسلافه من علماء أمتنا، ومنهم **شمس الدين السخاوي** الذي يقول في فاتحة كتابه «**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**»: «الحمد لله جامع الشتاتِ ورافع من شاء في الحياة بعد الممات.. الذي فضّل بعض خلقه على بعض في العلم والعمل وسائر الدرجات، وجعل لكل زمان رجالاً يُرجع إليهم في النوازل والمهمات، بحيث لا تزال الطائفة قائمة

> ”أكد على التمسك بهويتنا الحضارية العربية والإسلامية ونبذ العنصرية بصورها المختلفة..“

بالأدلة والنظريات فيمكن تيسّر الاجتهاد..» ويتداعى إلى خاطري حديث **أبي حاتم** عن علم من بيت المقدس ألقاه في مجمع اللغة العربية. وقد كان حريصًا على أن يأتي التعريف بهؤلاء «الأعلام» ومنهم **البديري** ردًا علميًا قاطعًا على دعاوى الغاصب الصهيوني الذي ينكر وجود شعب وعمرانٍ في فلسطين عند غزوه لها. كما يتداعى إلى خاطري حديثه عن الصلة التي وجدها قائمة بين **الزبيدي اليمـ[illegible]** أستاذ **الجبرتي** المصري و **المرادي** الدمشقي الشامي [illegible] المقدسي الفلسطيني الشامي. وكا[illegible] **حاتم** حريصًا على إبراز الوشائج القائمة بين مختلف أعلام أمتنا في وطنهم الكبير ممن أسهموا في تشييد صرح حضارتنا العربية الإسلامية. وقد ارتبط شيخنا بعلاقات زمالة أو صداقة مع عدد كبير من **الأعلام** المعاصرين خلال عمله الجامعي في القدس وبيروت والقاهرة والخارج على مدى سنين كثيرة وفي أثناء نشاطه المجمعي الحافل. وأنا أذكر باعتزاز ما رأيته من صور رائعة لهذه العلاقات في أثناء صحبتي له. وهذا جانب يستحق أن يؤرخ له. كما أذكر كم كان تفاعله في مصر إيجابيا قويًا نابعًا من إدراك لمكانة أرض الكنانة في دائرتنا الحضارية وعلاقتها الوثيقة بفلسطين وبيت المقدس وبلاد الشام بعامة. وما أطيب ما أثمره تفاعله هذا أفكارًا ومواقف وصداقات.

كانت عناية شيخنا **إسحاق** بالغة بموضوع المعاصرة التي نبعت عنده من تمثله روح حضارتنا المتفتحة على الناس جميعا بتوجيه من الله رب العالمين الذي خلقهم من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ودعاهم إلى التعاون على البر والتقوى. وقد قامت هذه «المعاصرة» عند **أبي حاتم** على «عقلانية» تحترم العقل الذي أنعم الله به على الإنسان، كما قامت على «أصالة» واعية بالذات عارفة «بالآخرة في جوانب قوته وضعفه واثقةٍ من قدرة الأمة على القيام بدورها في منطقتها وحمل رسالتها الأخلاقية إلى العالم والإسهام في الحضارة الإنسانية. فكان موقفه من التحديات الخارجية التي تواجهنا موقف المستجيب الفاعل، الذي يأبى الوقوع في أسر رد الفعل المنفعل انكماشيا كان أو انغماسيا. وسيرة حياته حافلة بالأمثلة على تفاعله الحيوي مع أفكار عصرنا.

وقد جعلته هذه «المعاصرة» يؤكد على التوجه نحو «العالمية» من خلال التمسك بهوية الحضارة العربية الإسلامية، ويعلن عداءه الشديد «للعنصرية» بصورها المختلفة. وقد استمعت إليه

مرة ونحن نمشي ساعة الصباح في ربى عمان على هامش اجتماع **المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية**، وهو ينشد قول شاعر عربي أندلسي :

اذا كان أصلي من تراب فكلها

بلادي وكل الناس فيها أقاربي

وكم انتشيت يومها بحديثه عن مفهوم الأخوة الإنسانية كما بلوره الإسلام الحنيف . وكان شيخنا **إسحاق** ينطلق من هذا المفهوم في تصديه للاستعلاء العنصري الذي جسّدته الغزوة الصهيونية الاستعمارية الغربية لفلسطين العربية . وقد حدثني في آخر زيارة له إلى القاهرة عن قصيدة نظمها لإحدى حفيداته جاء فيها قوله :

أحببت من خلق الإلهْ أمِن يسار أو يمين

الله ربكِ واحدٌ وعباده متوحدون

قد ضلّ من زعم الإله إلهه لا العالمين

وبدا لي أن شيخنا حريص على أن ينشّأ نشؤنا الجديد على مفهوم الأخوة الإنسانية كما بلوره الإسلام الحنيفي ورفض العنصرية، فخاطبهم من خلال حديثه لحفيدته . وما زلتُ أذكر تأثره وهو ينشد البيت الأخير ثم حديثه عن اتصال أحد رجال سلطات الاحتلال به مستفسرًا عن المقصود من هذا البيت حين نشرت إحدى جرائد القدسْ القصيدة .

كان يستحوذ على اهتمام شيخنا في هذه المرحلة موضوع «النهضة» وما يتصل به من قضايا تعيشها أمتنا، وهو الموضوع الذي عُني به مذ بلغ أشدَّه شأن مفكرينا في عصرنا . ومن بين هذه القضايا تلك التي تتصل بالهوية والانتماء والعروبة والإسلام، وقد عالجها على صعيد الفكر في عدة كتب وبحوث من بينها كتابه «**أزمة الفكر العربي**» الذي صدر عام ١٩٥٤م . ومن بينها أيضا تلك التي تبحث في كيفية «النهوض» والمبادئ التي يجب أن تعتنقها الأمة لتبني مستقبلها، وقد عالجها في كتابه «عودة السفينة» الذي صدر عام ١٩٤٥م ثم في عدد من البحوث . واحتلت قضية مواجهة الاستعمار الغربي على مختلف الأصعدة والعمل من أجل تحرير فلسطين والخلاص من التبعية مكان الصدارة بين هذه القضايا، وأصبحت «القدس» رمزًا لها . س ونذكر كيف رأينا أبا حاتم ينذر نفسه بعد سقوط القدسس الشرقية في حرب عام ١٩٦٧م للتوعية بهذه القضية وتنبيه الغافلين من قومنا إلى الخَطر المحدق بمقدساتنا وحضارتنا، فكتب عن «**عروبة بيت المقدس**» وعرّف بما كتبه أجدادنا عن «**فضائل بيت المقدس**»، **وقاد قسم فلسطين في معهد الدراسات العربية بالقاهرة ليسهم في تخريج مختصين يشاركون في تعبئة طاقات أمتهم، وأسس «هيئة القدس العلمية»** . وشاء الله سبحانه له أن يتوج جهاده لتحرير بيت المقدس وفلسطين ومواجهة الاستعمار الغربي بعمل دؤوب مثمر في القدس نفسها بعد أن عاد إليها فور حصوله على «لم الشمل» . وهذه فترة من حياته امتدت خمسة عشر عامًا تستحق أن يؤرَّخ لها، حفلت بأروع صور المقاومة الفكرية والمواقف الفاعلة والإنجاز الإيجابي . وقد تحمل في سبيل ذلك ما تحمل، وهو

> ”تميزت حياته بحيوية وتنوع وغنى، وحرص على أداء دوره المجمعي لخدمة العربية“



في سن الشيخوخة يواجه عسف المحتل الصهيوني وكان شيخنا إسحاق مدركًا ما تبيّته الصهيونية العنصرية لبيت المقدس في مخططاتها، وداعيًا من ثم إلى إعطاء قضيته أولوية لأن انتصارنا فيها يحسم الصراع . وما زلت أذكر الجملة التي استهل بها واحدة من رسائله الكريمة إليّ تحمل تاريخ ١٧ / ٨ / ١٩٧٨م «**تحيات من كل حجر ناطقٍ في بيت المقدس**» .

تنوع وغنى

يصل بي استحضار أحاديث شيخنا إسحاق في هذه المرحلة إلى استحضار صور من حياته اليومية فيها، فأقف أمام ما تميزت به هذه الحياة من حيوية وتنوّع وغنى . والحق أنني رأيت من خلالها نموذجًا رائعًا لما يمكن أن تكون عليه حياة المرء في شيخوخته، عطاء سخيًا على صُعد عدة في تناغم وتكامل . **وقد استمر شيخنا حريصًا على القيام بدوره المجمعي في عدة «مجامع»، وتحمّل مسؤولية خاصة في تأسيس جامعة القدس وتطويرها**، وتابع تواصله الأدبي مع قُرّائه يُطلّ عليهم بمقطوعات شعرية تنشرها الصحف العربية المقدسية، ويساهم في قضايا شعبه وأمته بالرأي السديد يطرحه بأسلوب رفيع هادئ . وكان من أكثر ما يلفت نظري في هذا النموذج الرائع جانبه الأسري، فما أروع العلاقة التي كانت تجمع بين شيخنا وأهله، وما أعظم العطاء المتبادل بين السيدة المصونة أم حاتم زوجته وأم ولده، وما أجمل استشعارهما نعمة الحياة الأسرية مع الأولاد والأحفاد .

وما زلت أذكر أحاديث أبي حاتم عن الحوار المتصل الذي كان يدور بينه وبني عقيلته حول ما يكتب، وبخاصة في أثناء كتابته «**مذكرات دجاجة**»، كما أذكر سعادته وهو يحدثني عن أحفاده، وحرصه على صلة الرحم . وقد تعمق فهمي من خلال ذلك لمعنى الدعاء القرآني ﴿ربنا

هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ (الفرقان / ٧٤) وتأكدت لي الصلة القائمة بين الراحة الأسرية والعمل الصالح الدائب.

هذه ساعة ذكرى لحظاتها ممتدة. ونهر الزمن يتابع جريانه، بينما تشهد الحياةُ أجيالا من الناس تتعاقب؛ فالموت حق والنفس المطمئنة ترجع إلى ربها راضية مرضية فتدخل في عباده وتدخل جنّته، والحياة ولودٌ وهي أيضًا حق، والإنسان فيها مدعوّ إلى التعمير والمشي في مناكبها في نطاق الاجتماع الإنساني، وحاجته ماسة كي ينهض بالأمانة التي حملها إلى تواصل الأجيال، وسبيله إلى هذا التواصل مع من سبقوه هو الوفاء، بحق الذكرى. **والأمة الحية هي التي تستحضر تراثها فهو في ذاكرتها حيٌّ، وتعتز بما خلّفه لها الأعلام الكرامُ من أبنائها البررة.**

لنضع نصب أعيننا أيضًا استكمال حصر تراث شيخنا **إسحاق**، وجمع كل ما كتبه، ونشر أعماله الكاملة، لتكون متوافرة لطالبيها وبخاصة من أبناء الأجيال الصاعدة. وقد لاحظت وأنا أعود إلى مكتبتي لأراجع ما لديّ منها أنني نجحت بعد جهد في اقتناء أقل من نصف الكتب المنشورة، والبحوث التي قدمها لمجمع اللغة العربية وكم أنا تواق لاقتناء كل ما كتب، ولعل تحركنا لتحقيق هذا العمل يصل بنا إلى أن تتبنى إحدى مؤسساتنا العلمية القيام به، وإنجازه في وقت قريب. ويتداعى إلى الخاطر هنا كيف كان علمنا حريصًا على حصر ما صدر في فلسطين من كتب قبل نكبتها، حين كتب دليل معرض الكتاب الفلسطيني عام ١٩٤٦م، ثم كيف قام بعد عودته لبيت المقدس بإعادة نشر بعض أعمال راحلٍ سبقه هو الأديب إسعاف النشاشيبي رحمهما الله.

مراحل متعددة

لنضع نصب أعيننا أخيرا أن نُوفِّي هذا التراث حقّه من الدراسة العلمية. فنحن هنا أمام تراث علمي ممتدٍ على مدى ستة عقود من السنين، في فترة حافلة بالأحداث الضخمة على صعيدي العالم والوطن الكبير شهدت تحولات كبيرة. وقد تناول صاحبه فيه بالنظر والمعالجة عددًا من الموضوعات الحيوية في عدة ميادين، تضمنها ثلاثة وعشرون

في ذكرى عَلَم مقدسي



كتابًا مطبوعًا وقرابة هذا العدد من البحوث المنشورة. والحق أنني حين عاودت مؤخرًا قراءة بعض هذا التراث وجدت نفسي أمام معلم مُربٍّ وأديب ومؤرخ ومفكر ومجاهد يقرن الفكر بالفعل. ولا يتسع مجال هذا الحديث لضرب أمثلة من أعماله على جوانب شخصيته العلمية هذه، ولعل بعض مؤسساتنا العلمية تبادر إلى عقد ندوات تتناول هذا التراث بنظرة شاملة كوحدة واحدة لعلم واحد، وتركز على كل جانب فيه، عبر مراحل عدة مرّ بها صاحبه، تفاعل في كل منها بفكر منفتح مع حقائق الزمان والمكان وهو يمضي في رحلة الحياة ويتنقل بين عدة بلدان.

وبعد... فالحديث في ساعة الذكرى هذه ذو شجون. وهو يأتي في وقت يموج فيه عالمنا بأحداث ويجيش بتفاعلات، وتعيش أمتنا فيه تحولات بعد

> „ انطلقت كتاباته من انتماء قوي لدينه ووطنه الكبير ولسانه وحضارته “



زلزال أصابها، ويدخل الصراع العربي الصهيوني الممتدُّ فيه مرحلة جديدةً لها خصائصها، فتشتد الحاجة فيه إلى الفكر النيّر لمعالجة قضايا أساسية تواجهنا منذ أن استهدفنا الغربُ بغزوه الاستعماري بغيًا بغير حق وطغيانًا، ومكّن للصهيونية في فلسطين. وطبيعي أن يتميز هذا الفكر في معالجته لهذه القضايا بآراء مفكرينا الذين أعملوا فكرهم فيها. **والحق أننا واجدون الكثير عند إسحق موسى الحسيني المفكّر الذي اتصفت كتاباته عن قضايانا بانطلاقها من انتماء قوي لدينه ووطنه الكبير ولسانه وحضارته، وبإدراك لسنن الحياة وأطوار العمران البشري.** ويكفي أن نشير في هذا المقام إلى كتابه:

«أزمة الفكر العربي» الذي كتبه وهو في الخمسين، وإلى مقال «الإسلام ومشكلات معاصرة» الذي كتبه بالإنجليزية ونشرهُ في مجلة الأزهر في شباط ١٩٧٣، كمثلين على معالجته العلمية التي بحثت في الوجود الغربي وفي أزمة الفكر وأسبابها وطبيعتها ومظاهرها وفي الدين وأمور الحياة، بمنهج علمي يوصل إلى أن الأزمة وقتية ويمكن أن تنتهي إذا ما قمنا نحن بأمور محددة قام بإيضاحها. وشتان بين هذه المعالجة وما نراه عند بعضهم من معالجة للقضية نفسها تتحدث عن «العقل الغربي» وكأنه بدع بين العقول في خلق الله له، وتصفه بالعقم، وتلصق به أسوأ النعوت، ويبلغ بها الأمر أن تقول: بأن هذا العقم على حد زعمها كامن فيه وتحاول جاهدة التماس ما يثبت قولها في تاريخنا فتتعسف في قراءة هذا التاريخ، ماضية وراء مقولات عنصرية ظهرت في أوساط حضارة الغرب تدمغ كل ما عداه بالهمجية والتأخر والعجز وتصنف الأمم على أساس العنصر. **و ما أحوجنا في هذا الوقت إلى حماية أبناء الأمة من انفعالات رد الفعل الانغماسي هذا، وتحصينهم بفكرنا الأصيل الذي يحثّ الإنسان على الفعل وأن يكون فاعلاً مستجيبا للتحديات التي تواجهه. وإنَّ لنا أن نتوقع أن تشهد الأيام القادمة التفاتا أقوى لفكر معلمنا إسحاق موسى الحسيني.**

رحم الله **أبا حاتم**، وجزاه عنّا كل خير وأسكنه فسيح جناته في مقعد صدق، وسدّد خطى أمته في جهادها لتحرير بيت المقدس وفلسطين.

محورية الشك عند طه حسين

بقلم: د. محمد الفاضل


طه حسين

نظم نادي الرياض الأدبي منذ فترة محاضرة بعنوان: (محوريّة الشك عند طه حسين) أعدها وألقاها الدكتور / فضل بن عمار العماري الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود بالرياض، وهو أستاذ سعودي حاصل على الدكتوراه من بريطانيا.

وقد حضر الأستاذ الفاضل في موعده وألقى محاضرته واستغرقت قرابة الساعة أو أقل بقليل، وكانت في صميم الموضوع المعلن، وحرص الدكتور في محاضرته على التأكيد على قضيتين صرّح بأنهما مدار المحاضرة ومصب اهتمامه وغاية ما يريد إيصاله للحاضرين:

الأولى: أن **طه حسين** لم يتأثر فيما كتبه حول الشك في الشعر الجاهلي بما كتبه المستشرق البريطاني (**مرجليوث**) بل إنه لم يطلع على ما كتبه (**مرجليوث**)، والحجة في ذلك ـ كما أكدها بعض المؤيدين من جمهور المحاضرة الذين أتيح لهم التعليق عليها ـ أن **مرجليوث** كتب ما كتبه باللغة الإنجليزية، **وطه حسين** لا يحسنها، وهذه الحجة كما يبدو عليها عدة مداخل وأضعف هذه المداخل يمكن أن يكون أقوى من الحجة نفسها.

الثانية: أن **طه حسين** لم يشك في الشعر الجاهلي برمته؛ وإنما تفضّل علينا ببعض المقطوعات «**لعلقمة الفحل**» و«**الأعشى**» وغيرهما.

هذه زبدة المحاضرة، وهذا هو لبّها الذي حاول المحاضر التأكيد عليه مرارًا، كما حاول المحاضر مرارًا أيضا التأكيد على أن هذا الذي توصّل إليه بعد جهد وطول بحث ـ كما يقول ـ جديد كل الجدة ولم يسبق إليه، بل قال: إن أحدًا لم ينبس ببنت شفة قبلي حول هذه الأفكار والنتائج التي توصلت إليها. ولكي تسلم هذه النتيجة التي توصل إليها عمد إلى تسفيه آراء سابقيه المخالفين له، ووصفها بأنها هراء، مع أنه لم يدعم كلامه بدليل واحد، وقد نوقش في هذه الآراء من قبل المعلقين بعد المحاضرة ـ كما سيأتي ـ وحتى لا نستطرد في كلام قد ينسي بعضه بعضًا أود أن أسلك الحديث في مجموعة نقاط:

١ ـ وصف المحاضر أفكاره التي توصّل إليها ـ بالإضافة إلى الجدة والابتكار ـ بأنها أفكار جريئة ومثيرة، وأنه بسبب ذلك لن يجرؤ على طرح شيء منها في كتابه الذي سيخرجه في هذا الموضوع، وغاية ما يقدر عليه هو أن يطرحها في هذا اللقاء المختصر.


د. منصور الحازمي
زياد الدريس

٢ ـ أكّد الأستاذ الدكتور **منصور الحازمي** ـ وهو شيخ المحاضر كما قال ـ على هذه الجرأة في أفكار تلميذه، وأبدى عجبه ـ ولا أقول إعجابه لأن ذلك لم يظهر لي ـ من جرأة تلميذه على طرح أفكار كان الواحد يتردد عشرات المرات قبل أن يصرح بشيء منها، كما عجب أيضا من شدة ثقة المحاضر بنفسه، وترديده مزهوًا عدة مرات أنه جاء بما لم يسبق إليه، وقد اتفق الدكتور **منصور** مع بعض من سبقه من المعلقين فيما أخذوه على المحاضر من عدم الدقة والموضوعية، والمجازفة في الأحكام دون ذكر الأدلة والحجج والمعايير التي بنى عليها كل ما توصل إليه من نتائج، وأبدى عدم اقتناعه بالحجة التي سيقت لإثبات عدم استفادة **طه حسين** مما كتبه (مرجليوث) وهي عدم معرفة **طه حسين** باللغة الإنجليزية، وقال إن قضية اختلاف اللغة قضية لا نعذر فيها صغار الباحثين من طلابنا، حيث نطلب منهم استكشاف كل ما كتب حول موضوعاتهم ولو كان باللغة الروسية، فكيف باللغة الإنجليزية وهي لغة عالمية مخدومة وكيف **بطه حسين** وهو من هو في قدراته وإمكاناته وصلاته وعلاقاته.

٣ ـ علق الأستاذ **زياد الدريس** تعليقًا في مجموعة نقاط أغلبها يتعلق بالمنهج، وأشار في بداية تعليقه إلى أنه ليس من المتخصصين، وأنه توقع أن يسمع كلامًا أفضل مما سمع وطرحًا أعمق، واستغرب من المحاضر تزكيته لنفسه والثناء على جهده ووصف جهود كل السابقين بأنها هراء مع أنه ـ كما سبقت الإشارة ـ لم يقدم دليلاً واحدًا على ما يقول لا في نفي ما نفاه من جهود غيره، ولا في إثبات ما أثبته لنفسه، وأشار الأستاذ **زياد** إلى أن جمهور الحاضرين ثلاثة أصناف: صنف معجب **بطه حسين** وكل ما عنده ويطمح إلى أن يسمع شيئًا يرضيه ويؤكد ما لديه، وصنف رافض **لطه حسين** بسبب بعض مقولاته غير المقبولة ومنها مسألة الشك ويطمح إلى سماع ما يؤكد صحة توجهه، وصنف محايد جاء وهو خالي الذهن. ويبدو ـ كما يقول الأستاذ **زياد** ـ أن المحاضر من الصنف الأول وأنه جاء محملاً بقناعته بل باقتناعه وأراد أن يسرّب ذلك إلى الحاضرين.

٤ ـ وقعت آراء الأستاذ **زياد** على المحاضر موقعا غير حسن بوصفها أول نقد قوي وصريح يوجه له في تلك الأمسية، وحاول أن يجهضها كلها بجرّة قلم بل بجرّة لسان، حيث استغل أول كلمة قالها الأستاذ **زياد** وهي أنه ليس من المتخصصين، وقد غاب عن المحاضر الكريم أن ملاحظات الأستاذ **زياد** القوية كلها ملاحظات منهجية لا تحتاج إلى تبحّر في تخصص الأدب، وإنما هي من الأمور المدركة من قبل عامة المثقفين.

٥ ـ أتاح لي مدير الندوة الدكتور **نذير العظمة** فرصة التعليق، فأكدت على بعض الملاحظات المنهجية التي عرض لها الأستاذ **زياد**، وخاصة مصادرة أقوال وحجج وكتب السابقين من علماء العربية في أنحاء العالم العربي على مدى ما يقرب من ستين عامًا ووصفها بكلمة واحدة فقط ترددت مرارًا وهي كلمة (هراء) دون تقديم دليل واحد، وقلت للمحاضر ألا تتوقع بأسلوبك هذا أن تجرّئ بعض الحاضرين على أن يعاملك بمنطقك ويصف محاضرتك وأقوالك وآراءك بأنها (هراء)، إن هذا الأسلوب يجرّئ الطلاب والمبتدئين على التطاول على العلماء وانتقاصهم وينمّي الغرور والعظمة ويقتل صفة التواضع وهي من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها طلاب العلم.

إنني آخذ على المحاضر قوله في البداية: «إننا سنناقش قضية الشك عند **طه حسين** بغض النظر عن أفكاره الأخرى التي أخذها عليه علماء الإسلام لما في بعضها من تجاوز». وأعتقد أن هذا مسلك غير علمي ويؤدي إلى نتائج ناقصة، فكيف يتمكن الباحث من دراسة أديب شيوعي أو وجودي مثلاً ويتصور أن فكره لا أثر له في إنتاجه، أظن أن دراسته بمعزل عن فكره واتجاهه ستكون دراسة مختلة أو ناقصة على الأقل، ومن هنا فلا بد لدراسة قضية الشك عند **طه حسين** من معرفة فكر الرجل وولائه وانتمائه وكل آرائه الأخرى؛ لأنها كلها قضايا مترابطة يفسر بعضها بعضا ويؤثر بعضها في بعض.


الرافعي
محمد الخضر حسين
ناصر الدين الأسد
نذير العظمة

وآخذ أيضا على المحاضر قوله: إن الشك عند **طه حسين** ليس مقصودًا لذاته، وإنما هو أسلوب تربوي يقصد منه تدريب طلابه وتنمية ملكة التمحيص والتحقيق والتدقيق عندهم. وعجبت من هذا الكلام لعدة أمور:

أولها: أن هذا ـ لو صحّ ـ أسلوب تربوي سيئ، وثانيها: أن واقع **طه حسين** يناقضه، فشكه شك حقيقي معروف ومشهور ولم ينكره أحد وهو يرقى إلى درجة التشكيك في بعض الأحيان كما سيأتي. وثالثها: أن المحاضر نفسه أثبت هذا في مواضع من محاضرته حين قال: إن **طه حسين** لم يشكك في الشعر الجاهلي كله وإنما أثبت لنا قصيدتين **لعلقمة** وأخرى **للأعشى** ومعها بعض المقطوعات، ومعنى ذلك أن ما أثبته أقل بكثير مما شكك فيه.

ولفت انتباهي محاولة المحاضر التركيز بالقول والعمل على أن النقد الذي وجه **لطه حسين** نقد من غير المتخصصين، وقد أظهر المحاضر كتابين من حقيبته ورفعهما بيده للجمهور وعلق عليهما بصورة تظهر عدم رضاه عنهما، وهما كتابان لكاتبين إسلاميين كما ظهر لي.

وقد تبنّى مدير الندوة الدكتور **نذير العظمة**، هذه الوجهة وتحمس لها، وأكّد في أحد تعقيباته على بعض المعلقين أن الذين نقدوا **طه حسين** كلهم من غير المختصين ولقد عجبت عجبًا شديدًا من حالنا، وتساءلت في حيرة وأسى: كيف تدفع بنا العصبية والحماسة لآرائنا واجتهاداتنا وتوجهاتنا إلى أن نصدر مثل هذه الأحكام المليئة بالمجازفة والبعد عن الموضوعية والدقة والتحقيق، فهل الأساتذة الكبار الذين ردوا على **طه حسين** في هذه القضية من أمثال: **مصطفى صادق الرافعي، وزكي مبارك، ومحمد فريد وجدي، ومحمد لطفي جمعة، ومحمد الخضر حسين، ومحمد الغمراوي، ومحمود شاكر، وناصر الدين الأسد**، وغيرهم وغيرهم من كبار أدباء العربية وأقطابها وأعلامها في مصر وغيرها، هل هؤلاء كلهم غير متخصصين؟! وإذا كان هؤلاء غير متخصصين فلا أدري من المتخصصون؟! هل هم أصحاب مجلة (شعر) و(مواقف) وأعضاء النادي الحداثي، أم هم فرسان الشعر العامي والنبطي من شعرائه ونقاده، ألأنه كتب عن الرجل كاتبان إسلاميان صار جميع نقاده

غير متخصصين؟! سبحان الله، حقا إن الهوى يعمي ويصم.

٦ - أما اختيار **طه حسين** بالذات - مع أن عليه ما عليه مما هو ثابت في كتبه شئنا أم أبينا - واختيار قضية الشك بالذات، مع أنها من أخطر القضايا التي جاءه بسببها الاتهام وتسرب منها إليه النقد اللاذع من معاصريه ومواطنيه وأهله، وليس من غرباء أو متعصبين ضده، مع أني لا أسيء الظن بإدارة النادي أو بالمحاضر الكريم، فإني أعتبر ما حصل تصرفًا عفويًا لم يوفق فيه النادي، ولو أمعن مجلس الإدارة النظر لوجد أن الموضوع غير مناسب لظروف الأمة، وربما فتح باب الظنون، وأعطى مجالاً للأحاديث الجانبية والهمز واللمز وقد سمعت من بعض الناس قبيل إلقاء المحاضرة كلامًا حول عنوانها من أناس ربما كانوا مخطئين، لكنه كلام لا تود إدارة النادي سماعه، ولست والله ممن يرغب في وجوده أو وجود الأسباب التي تتيح له الفرصة. وقد عاب عليّ بعض الحاضرين وصفي **طه حسين** بأنه من رموز العلمانية وقال لي: إن الرجل قد رجع وتاب قبيل وفاته فقلت له: أسأل الله أن يكون قد تاب وأسأله أن يقبل توبته ويتجاوز عنه، ونحن نُسرّ بكثرة التائبين وندعو الله أن يكثر سواد المسلمين ويقلل سواد العلمانيين، لكن قضيتنا مع **طه حسين** ليست قضية شخصية، وإنما قضية فكرية إنها قضية تراث ينشر ويعاد طبعه مرارًا ويقرأه العامة والخاصة ويدرّس في المعاهد والكليات، وهذا التراث كله حي لم يمت بعد، ومادام حيًا وباقيًا كما هو فلا بد من محاكمته ونقده وبيان صحيحه من سقيمه، وغثّه من سمينه، أما الرجل فقد أفضى إلى حكيم عليم خبير عادل. وأما كلمة (العلمانية) فمدلولها واسع جدًا؛ فتصدق على من يرفض الإسلام كله؛ بقرآنه وسنته، وعلى من يرفض شيئًا ولو قليلاً جدًا من القرآن أو صحيح السنة، وهذا الأخير لن نعدم في كتب **طه حسين** شيئًا منه، يقول عنه **الرافعي** رحمه الله في كتابه تحت راية القرآن ص ٢١٣ - بعد حديث طويل - : «رأينا عصبية طه حسين على الإسلام تلبس ثلاثة وجوه: أولها: عقيدته في القرآن وأنه من وضع الذي جاء به لا من وحي ولا تنزيل ولا معجزة. وثانيها: رأيه في النبي ﷺ وأنه رجل



طه حسين أغار على نظرية الشك في الشعر الجاهلي ولم يفترق عن مرجليوث إلا في تسليمه بأن هناك شعرًا جاهليًا . . .

سياسي فلا نبوة ولا رسالة. وثالثها: عمله في توهين أمر الأئمة من الصحابة فمن بعدهم وقياسهم في الإنسانية وأهوائها وشهواتها على قياس من نفسه وطباعه». ويقول عنه الأستاذ **عبد ربه مفتاح** أحد أعضاء اللجنة التي شكلها الأزهر للنظر في كتاب **طه حسين** الذي شكك فيه في الشعر الجاهلي، يقول مخاطبًا **طه حسين** - المرجع السابق ص ٢٤٩ - : «وكيف تزعم أيها الدكتور أن بعض العلماء أثار هذا الأمر - أمر كفرك -، هأنذا أصرح لك، والتبعة في ذلك علي وحدي، بأن العلماء أجمعين وعلى بكرة أبيهم يحكمون عليك بالكفر، وبالكفر الصريح الذي لا تأويل فيه ولا تجوّز، وأتحداك وأطلب منك بإلحاح أو رجاء أن تدلني على واحد منهم - واحد فقط - يحكم عليك بالفسوق والعصيان دون الكفر، أجل إني وأنا من بينهم أتهمك بالكفر وأتحمل تبعة هذا الاتهام وعليك تبرئة نفسك من هذا الاتهام الشائن والمطالبة بما لك من حقوق نحوي».

إن قضية الشك عند **طه حسين** ليست خصومة بينه وبين **الرافعي** وغيره من الأدباء، أو بينه وبين الأزهر ومن فيه من العلماء، وإنما هي - وقتها - **قضية الشعب المصري** كله الذي هب للدفاع عن دينه وبدأ في محاكمة الجامعة التي جرّأت ابنها البكر **طه حسين** على هذا العمل وطبعت كتابه ودعمته، وقد دخلت القضية **مجلس النواب** وحفظت ملفات المجلس بعض المرافعات التي تضمنت قطعًا أدبية نفيسة وخطبًا بليغة وأدلة قوية وبراهين مفحمة وحججًا دامغة، وكلها توحي لك بأن القضية قضية شعبية عارمة هَبّ فيها الشعب كله ممثلاً بنوابه في مجلس النواب. عندما أهين دين

الأمة وانتهكت حرمتها، وليست قضية شخصية مصلحية كما حاول أن يصورها الدكتور **الغذامي**، حينما ذكر في تعليقه على قضية الشك والردود عليها أن الدكتور **زكي مبارك** فُصل من عمله بأمر من **طه حسين**، فقال: والله لأطعمن أولادي من لحم **طه حسين**؛ أي إنني سأسترزق من الكتابة عنه وسبّه وشتمه، وهذا التوجيه من الدكتور **الغذامي** تفسير مادي للأحداث، وصرف للموضوع عن وجهته الأصلية، وهَبْ أن القصة صحت مع **زكي مبارك**



د. الغذامي

زكي مبارك

ودخلت فيها العوامل الشخصية، فهل سيصح مثلها مع كل العلماء الذين ردوا عليه وسبق ذكر بعضهم، أو مع أعضاء مجلس النواب الذين يمثلون قطاعات كبيرة من الشعب وينقلون صوتهم للأمة، لقد رمى الدكتور **الغذامي** بكلمته هذه ومضى ولم يعقّب ولم يعلق عليها بشيء، وربما استقر في روع بعض السامعين شيء منها، وهي بلا شك أقوى وأدهى من دفاع صاحبيه عن طه حسين بأن خصومه من غير المختصين، لكنها مع ذلك لم

تمرّ على كثير من الحاضرين، وقد سمعت عدة تعليقات من كثير منهم عليها بعد المحاضرة.

٧ـ علق الأستاذ الدكتور **ناصر بن سعد** الرشيد على المحاضرة في الختام تعليقًا جيدًا علميًا ـ كعادته ــ، وعرض فيه لمجموعة من القضايا، ومنها: أن المحاضر الكريم ذكر أن **طه حسين** أبقى لنا من ضمن ما أبقاه من القصائد التي لم يشك فيها: سينية الحطيئة وبردة كعب بن زهير، وعجب الدكتور ناصر من هذا الكلام وقال إن هاتين القصيدتين إسلاميتان وليستا جاهليتين، ولا فضل لطه حسين في إثباتهما، ولا قدرة له على نفيهما؛ لأن البردة وغيرها من بعض القصائد الإسلامية الأخرى قد دخلت كتب الحديث والصحاح وخضعت في إثباتها لمعايير نقد الحديث واتصل ثبوتها بالسند، فليس بمقدور إنسان أن ينفيها أو يشك في ثبوتها.

٨ ــ فائدة: أكّد المحاضر في حديثه أن **طه حسين** لم يتأثر **بمرجليوث** ولم يستفد منه ولم يطلع على ما كتبه. وأود إفادة القارئ هنا بشيء مهم، وهو أن هذه المسألة التي حاول المحاضر أن ينفيها على عجل دون أن يقدّم على نفيها أي دليل أو برهان، قد سبقه غيره من الأدباء والعلماء إلى إثباتها بعدة أدلة وبراهين ونصوص قاطعة ومقارنات ظاهرة بين ما كتبه الرجلان وقد عرض لهذه القضية **الدكتور ناصر الدين الأسد** في كتابه **(مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية)** وأفرد فصولا لما كتبه **مرجليوث** وما كتبه **طه حسين**، واستعرض الكتب التي ألفت في المقارنة بينهما والرد على طه حسين، و قال بعد ذلك ص ٤١١: «وقد سعى بعض ناقديه إلى الكشف عما أخذه من **مرجليوث** خاصة فوجدوه شيئًا كثيرًا، حتى لقد ذهب بعضهم ـ **[ويقصد به الخضر حسين]** ـ إلى أن **الدكتور طه** أغار على نظرية الشك في الشعر الجاهلي، ولم يفترق عن **مرجليوث** إلا في تسليمه بأن هناك شعرًا جاهليًا، فأخذ أصل النظرية وأقوى الشُبَه التي استند إليها **مرجليوث** وجعل يقول لك:

إنني شككت في الشعر الجاهلي، ويداعبك بقوله: ألححت في الشك، أو قل ألح علي الشك، والحديث في صدق وأمانة أخير من هذه المداعبة. وقال ناقد آخر ـ **[وهو الأستاذ الغمراوي]** ـ : لقد كتب صاحب الكتاب بحثه ليثبت دعوى جديدة ينسبها هو لنفسه وتنتسب في الحقيقة **لمرجليوث**. ولا سبيل إلى الإطالة بإيراد ما ذكروه ولا بعضه فقد بسطنا رأي **مرجليوث**، وبسطنا رأي **الدكتور طه حسين**، ثم أشرنا في هامش هذه الصفحة إلى المواطن التي ذكر فيها الناقدون ما رأوا أن **الدكتور** أخذه من **مرجليوث**؛ ومن كل ذلك نستطيع أن نستبين أثر **مرجليوث** في كتاب **الدكتور طه حسين** وخاصة في نقطتين أساسيتين لعلهما عماد بحث الدكتور، هما: **الدليل الديني، والدليل اللُّغوي**» انتهى كلام **الدكتور ناصر الدين الأسد**. وقد بلغ عدد المواضع التي سجلها في الهامش مما أثبته **الخضر حسين** وحده من استفادة **طه حسين** من **مرجليوث** ثمانية عشر موضعًا. وينبغي أن يُعلم أن الناس عندما يتحدثون عما كتبه **مرجليوث** حول الشك في الشعر الجاهلي إنما يقصدون بذلك مقالته المشهورة التي نشرها في مجلة **الجمعية الملكية الآسيوية** عدد يوليو من عام ١٩٢٥م والتي تبدأ من ص ٤١٧ وتنتهي في ص ٤٤٩ من هذه المجلة. وينسون أو يتناسون أو يجهلون أن **مرجليوث** عرض لهذه القضية قبل هذه المقالة ثلاث مرات: إحداها: في (معلمة الدين والأخلاق ـ مادة: محمد ـ المجلد الثامن ص ٨٧٤). والثانية: في كتابه (**محمد وظهور الإسلام** ـ طبعة عام ١٩٠٥م ص ٦٠). والثالثة: ما نشره في **مجلة الجمعية الملكية الآسيوية** في عام ١٩١٦م. وهي نفس المجلة التي نشر فيها المقال الأخير، لكنها متقدمة عليها بتسع سنوات تقريبًا. والفرق بين مقالة **مرجليوث** المشهورة وما كتبه قبلها، أنه تحدث في هذه المقالة عن هذه القضية بتوسع كبير، بل خصص المقالة كلها لهذا الغرض، بينما كان حديثه في المرات الثلاث السابقة يجيء عرضًا ومقتضبًا.

لماذا أكد صاحب المحاضرة دون دليل أن طه حسين لم يتأثر بالمستشرقين؟

والذين يتمسكون بالمقالة الأخيرة ويُعرضون عما قبلها يدافعون عن **طه حسين** بأنه لم يكن بإمكانه أن يستفيد منها لأنها صدرت في عام ١٩٢٥م، وكتابه صدر في عام ١٩٢٦ فليس بينهما إلا عام واحد، وهو وقت ــ في نظرهم ـ غير كافٍ للاطلاع على هذه المقالة، لكن الواقع يؤكد أن الرجل بحكم شهرته وموقعه وصلاته قد تصله المجلة خلال أسبوع من صدورها ــ وربما كان مشتركا فيها ـ وتترجم له خلال يومين ويطلع عليها في اليوم العاشر من صدورها، وليس بعد شهر، فكيف بعد سنة، وليس هناك مانع عقلي أو نقلي أو عرفي يمنع من هذا. بل إنني أرى أن قرب تاريخها يصلح دليلاً للإثبات أكثر من صلاحه دليلاً للنفي؛ لأن هذه المقالة وما فيها من أفكار وشؤون وشجون ربما كانت الدافع والمحرك والمنطلق لإخراج هذا الكتاب، فلماذا لم يتقدم عليها بشهر أو يتأخر عنها بسنين، وكيف خرج بهذا التوقيت؟!

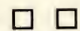
وهذا مجرد استنتاج واحتمال أطرحه في مواجهة الاحتمالات التي يطرحها المدافعون، فإذا أضيف إلى هذا الاحتمال تلك الأدلة السابقة التي أوردها **الدكتور ناصر الدين الأسد** كان أقوى وأرجح وآكد من الاحتمال الذي يطرحه المدافعون ولا يملكون عليه الدليل. والله أعلم.

٩ ـ أخيرًا: أود أن أؤكد على أني إنما كتبت هذه الأسطر رغبة في بيان موقفي وإيضاح الحق الذي أعتقده في هذه القضية الكبيرة المرتبطة بدين الأمة، ولم أقصد من وراء ذلك اتهام أحد أو التشكيك في نية أحد، فردًا كان أو مؤسسة، فلم يدر ـ والله ـ بخلدي شيء من ذلك، ولم أجعل ذلك هدفًا لي في يوم من الأيام، ونحن نتعامل مع الظواهر، وأمر السرائر متروك لعلّام السرائر سبحانه، وأسأل الله لي ولجميع إخوتي وزملائي الهداية والتوفيق وصلاح النية والعمل.

١٠ ــ ختامًا: اطلعت على فقرة قصيرة في العدد (٤٤٠) من (رسالة الجامعة) التي يصدرها قسم الإعلام في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، عنوانها: معاناة يجب أن تنتهي ورأيت أن لها صلة قوية بموضوعنا فاستحسنت إيرادها بالمناسبة، يقول كاتبها: «سألت زميلي المتخرج مرة: لماذا نحن

ملتزمون بدراسة كتاب (**الأيام**) **لطه حسين**؟ ولماذا هذا الكتاب شبه إجباري إن لم يكن إجباريًا في مقرر (١٠٤ عرب)؟ ولماذا لا نحاول دراسة كتاب أفضل منه فنًا ومحتوى؟ فقال لي: ولماذا كل هذا الهجوم على هذا الكتاب الذي يعتبر من أفضل ما كتب في السيرة الذاتية؟ فقلت له: لعدة أسباب. قال: فما هي؟ لكي نتناقش فيها. قلت: أولاً: كتاب الأيام يعتبر من الكتب التي فيها لمز وسخرية من الدين الإسلامي. قال لي: وكيف ذلك؟ قلت له: عندما تقرأ الكتاب تجد أن مؤلفه قد سخر من الريف المصري المحافظ وسخر من مدرس القرآن الكريم، ومن ثم يسخر المؤلف من والديه ويصفهما بالكذب والزيف ومن ثم يسخر من نفسه هو. . . . قاطعني زميلي قائلاً: ولكن هذا كله عبّر عنه المؤلف بتفكير طفل لا يفقه. فقلت: لقد كتب **طه** حسين كتاب الأيام بعد أن بلغ من العمر عتيًا، وحتى لو عبّر عن ذلك بتفكير طفل، فهذا يدل على ما يكنه نحو دينه، لأنه لو كان ملتزمًا بدينه فلن يبلغ الأمر إلى حد الاستهزاء بالدين، **فطه حسين** له مؤلفات عديدة، الغالبية فيها تهجم على الدين وسخرية به مثل كتابه: (الأدب الجاهلي)، ولا ننسى أن أفكار طه حسين هي أفكار فرنسية من السربون وغيره. سكت زميلي برهة، ثم قال: وما الحل يا ترى؟ قلت: يجب على المختصين في قسم اللغة العربية البحث عن كتاب آخر في السيرة الذاتية لا نشك في مؤلفه، الحمد لله الساحة مليئة بالمؤلفين الأفذاذ، وحتى لو لم نجد هذا الكتاب فالواجب علينا مطالبة المسؤولين في قسم اللغة العربية بحذف هذا المقرر لأنه لا يغني ولا يسمن من جوع».

انتهى مقال الطالب، وكلامه الأخير موجه إلى آبائه وأساتذته في قسم اللغة العربية، وهم الأستاذ الدكتور **منصور الحازمي**، والدكتور **فضل العماري** وزملائهم الكرام، ولا شك في أنهم ـ بعون الله ـ آذان صاغية، وقلوب مفتوحة، وأبوّة رحيمة وغيرة متوقدة وأصحاب رسالة ومسؤولية وأمانة عظيمة وثقيلة، نسأل الله لنا ولهم العون على حملها وأدائها على الوجه الأكمل الذي يرضي الله ويحقق سعادة الدارين.



طير الحجارة

شعر: فاضل أبوخيال

حجرٌ يُعَانِقُهُ حَجَرْ ... عَمداً فَيَنْطَلِقُ الشَّرَرْ
بُشْرَى الهَنَا يَا أُمَّتي ... فَالآنَ قَدْ نَطَقَ الحَجَرْ
أرضٌ تُعدُّ صِغَارَهَا ... وكِبَارَهَا حِينَ الخَطَرْ
ويحٌ لهمْ مِن غَرْسِهَا ... والوَيلُ إنْ غَضِبَ الشَجَرْ
صهيونُ يَغلي حِقْدُهَا ... مَا بَانَ مِنْهُ... واسْتَتَرْ
مَاذَا سَتَفْعَلُ بالطُّيُو ... رِ الخُضْرِ أصحابِ السِّيَرْ
إذْ أهْلَكَتْ أعداءَهَا ... فَغَدَوا زُرُوعاً تَحْتَضِرْ
طُيرُ الحِجَارَةِ مُرسَلٌ ... لِلْحَقِّ، إنْ أعْيَا البَشَرْ
فَالعَزمُ مَوصُولٌ بِهِ ... والنَّصْرُ... إذْ عزَّ الظَّفَرْ
كَمْ مِنْ رَصَاصٍ سَاخِنٍ ... عَادَ وَأدْمَاهُ الخَفَرْ
مَا لِلْبُغَاثِ اسْتَنْسَرتْ ... حَتَّى القَسَاوِرَ تَحتَقِرْ
«جالوتُ» رامَ تجبُّراً ... لَمْ يُردِهِ إلاّ الحجرْ
فالرجمُ لِلشَّيطَانِ في الدُّنيا وَفي الأخرى سَقَرْ
يا ذادةً في القُدسِ في الـ ... جَوْلانِ، في أرضِ الغَجَرْ
طِبْتُمْ وَطَابَ جِهادُكمْ ... في سَفْحِكُمْ والمُنْحَدَرْ
زَيْتُونُكُمْ، لَيْمُونُكمْ ... يَحْيَا المَخاضَ المُعْتَكِرْ
دُومُوا عَلَى بَذلِ الدِّما ... كَرمَى لِمَنْ دَمُهُ نَذَرْ
فَمِنْكُمُ الَّذي قَضَى ... وَمِنكُمُ مَنْ يَنْتَظِرْ
عينُ الشَّهيدِ قريرةٌ ... مَادَامَ لِلَّهِ سَهِرْ
وَريحُهُ طيِّبَةٌ ... إذَا مَا حُوسِبَ البَشَرْ
في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ... موطِنُهُ والمُسْتَقَرْ
يا ثورةَ الشَّعْبِ المجوَّ ... عِ والمُكَبَّلِ في الحُجَرْ
يا وثبةَ الرقصِ الرُّ ... جولي الطفوليِّ النَّضِرْ
هذا زمانُ الشدِّ فاشتدي ... وأفني مَنْ غَدَرْ
فالليلُ يَخبو نجمُهُ ... إذ ما الصباحُ قدْ انفَطَرْ

من كنوز التراث الطبي

الرسالة الذهبية

أول كتاب في الطب النبوى

بقلم: د. محمد علي البار

لقد جمعت كتب الحديث مثل الأمهات الست (صحيح البخاري، صحيح مسلم وسنن الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه) وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد وغيرها من المسانيد وكتب الحديث الأخرى، أحاديث كثيرة مروية عن النبي ﷺ في موضوع من مواضيع الصحة والطب.. وقد حرص هؤلاء الأئمة على جمع الأحاديث الواردة عندهم في موضوع الطب وبوّبوا لها تحت عنوان كتاب الطب.

وهذه الأحاديث الشريفة على أهميتها لا تمثل إلا نزرا يسيراً مما ورد عن النبي ﷺ في موضوع الصحة والطب.. ولا يكاد يوجد باب من أبواب علم الحديث إلا وفيه أحاديث متعلقة بالصحة والطب.

فعلى سبيل المثال نجد في **باب الطهارة** موضوع المياه وإزالة النجاسة بالاستنجاء بالماء أو الاستجمار بكل قالع نظيف طاهر، ثم نجد **باب الوضوء** وما فيه من استخدام للسواك وتنظيف للفم ثم تنظيف للأنف والوجه وبقية أعضاء الوضوء. وهكذا إلى الغسل وموجباته وكيفيته.. وكلها من أبواب المحافظة على الصحة.. **ثم باب الصلاة** وما فيها من صلة بين العبد وربه وطمأنينة للنفس وفوائدها العديدة التي لا تحصى بما فيها الصحة النفسية وتوازن الإنسان بين ضغوط الحياة المختلفة وما يعكسه ذلك من تجنب أمراض العصر: القلق والكآبة والأمراض النفس جسمانية مثل ضغط الدم وقرحة الاثني عشر (المعدة) والبول السكري وجلطات القلب.. ثم ما في الصلاة من حركات رياضية لطيفة لها أعظم الفوائد لإصلاح العمود الفقري.

وقل مثل ذلك في كل باب من أبواب كتب الحديث المختلفة.. وكتاب الطب فيها لا يمثل إلا جزءًا يسيراً مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موضوع الصحة والطب.

ولم يكتف العلماء الأجلاء بما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث في الطب والمبثوثة في كتب الحديث المختلفة، ولكنهم أفردوها بكتب خاصة تحت عنوان **الطب النبوي**.

ويعتبر الإمام **علي الرضا**: أول من كتب كتابًا خاصا في موضوع حفظ الصحة استمده من أحاديث رسول الله ﷺ ومن معلومات زمانه ووقته في العلوم الطبية ومن ثقافته الواسعة ومما حفظه عن سلفه من آل بيت النبي ﷺ.

المصنف: هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وابنة خير البرية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وصحبه الميامين.

مولده: ولد الإمام علي الرضا في المدينة المنورة سنة ١٥٣ وبها نشأ وترعرع، وكان معتدل القامة بهي الطلعة ذا وقار يهابه من رآه ويحبه من عرفه. وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والعلم حتى اتفق العلماء على أنه كان أعلم أهل زمانه وأورعهم وأزهدهم. نحسبه كذلك والله حسيبه.

وقد روى الإمام علي الرضا كثيرًا **من الأحاديث** عن أبيه عن جده يرفعها إلى المصطفى ﷺ، وأشهرها قوله ﷺ: «قال الله تعالى: لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن عذابي»

ولهذا الحديث قصة نوردها كما أوردها أهل التاريخ وأهل الحديث، وهي أن الإمام علي الرضا دخل نيسابور (في إيران حاليا) في السنة التي توفي فيها (٢٠٣هـ) بعد أن تمت له البيعة بولاية العهد وكان يسير على بغلة فتعرض له الحافظان الجليلان أبو زرعة الرازي (المتوفى سنة ٢٦٤هـ)

ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما خلائق لا يحصون من طلبة العلم وأهل الحديث، فقالا: أيها السيد الجليل بن السادة الأئمة أستحلفك بالله (إلا ما رويت لنا حديثا عن آبائك عن جدك محمد ﷺ نذكرك به. فاستوقف البغلة وقال: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله عليه وآله وسلم قال: حدثني جبريل قال: سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقول: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي». . وعدوا في ذلك اليوم أهل المحابر الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا.

وقد رُوي هذا الحديث بطرق كثيرة عن الإمام علي الرضا وألفاظ متقاربة منها قوله تبارك اسمه في الحديث القدسي: «إني أنا الله لا إله إلا أنا، من أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي»:

روايته للحديث:

ومن الأحاديث التي رواها الإمام علي الرضا بسنده عن آبائه قوله ﷺ «من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي. ثم قال: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل.

ومن كلام الإمام علي الرضا: «إن الله عزّ وجل أمر بثلاثة، مقرون بها ثلاثة: أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يزكِّ لم تقبل منه صلاته، وأمر بالشكر له وللوالدين فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله عزَّ وجلَّ، وأمر باتقاء الله عزَّ وجلَّ وصلة الرحم فمن لم يصل رَحِمَهُ لم يتّق الله تعالى».

ومن كلامه: الصلاة قربان كل تقي. وقال: أقرب ما يكون العبد من الله سبحانه وتعالى وهو ساجد، وذلك قوله تعالى ﴿**واسجد واقترب**﴾ العلق/ ١٩

وعنه قال: «أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد المولود ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا. ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها. ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا. وقد سلّم الله على يحيى في هذه المواطن وأمّن روعته فقال تعالى: ﴿**وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حيا**﴾. وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه المواطن فقال: و﴿**السلام عليّ يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعث حيا**﴾ مريم/ ٣٣.

وبينما كان علي الرضا في الطواف سأله رجل عن الجواد فقال الرضا: إن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه، والبخيل من بخل بما افترض الله عليه، وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى، وهو الجواد إن منع».

ومن دعائه: اللهم سترت عليَّ ما أعلم فاغفر لي ما تعلم، وكما وسعني حلمك فليسعني عفوك، وكما بدأتني بالإحسان فأتم نعمتك بالغفران وكما أمرتني بمعرفتك فاشفعها بمغفرتك، وكما عرّفتني وحدانيتك فألزمني طاعتك، وكما عصمتني مما لم أكن أعتصم منه إلا بعصمتك، فاغفرلي ما لو شئت عصمتني منه، يا جواد يا كريم، يا ذا الجلال والإكرام.

بتدبير الأغذية تصح الأبدان وتُدفع الأمراض وتكون الحياة طيبة

قصة المأمون مع الإمام علي الرضا

لقد كان الخليفة عبد الله المأمون العباسي عالما أديبا ذكيا وكان يقول: «إني عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع (يعني أخاه الأمين) أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب. **وما أعلم أحدًا أفضل من هذا الرجل (يعني الإمام علي الرضا) على وجه الأرض**».

وأراد المأمون أن يخلع نفسه ويولي الرضا بدلا منه، ولكن الرضا أبى ذلك عليه وأصرّ المأمون أن يوليه العهد فقبل الرضا بعد تردد. . أنفذ المأمون البيعة برغم ما يعلمه من تمرد بني العباس ضده وعدم رضا الوزراء وكثير من الكبراء في الدولة لأن ذلك يخرج الأمر كله من بين العباس إلى أبناء فاطمة. . وقد أدى ذلك إلى ثورة العباسيين ضد المأمون ولكنه أخضعهم، وزوّج المأمون ابنته للإمام علي الرضا وكتب له ولاية العهد وأمر المأمون ابنه العباس أن يقوم بتقدم الناس ويبايع الرضا فبايع وتبعه كبار رجال الدولة.

نصوص من كتاب العهد الذي كتبه المأمون للرضا

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: «ولم يزل أمير المؤمنين منذ انقضت إليه الخلافة وحمل مشاقها واختبر مرارة طعمها ومذاقها مُسهر العينين، مُضنيا لبدنه، مطيلا لفكره فيما فيه عِزّ الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة».

ثم ذكر كيف اجتهد وسعه كله وطاقته جميعا في اختيار أصلح رجل لولاية العهد بعده فلم يجد أصلح في الأمة من الإمام علي الرضا. قال: «وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى واجتهاده في نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعا (أي أبناء العباس وأبناء علي)، علي بن موسى، الرضا، بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما رأى من فضله البارع، وعلمه الذايع، وورعه الظاهر الشايع، وزهده الخالص النافع وتخليته من الدنيا، وتفرده عن الناس. وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه مطبقة، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولما لم نزل نعرفه به من

الفضل يافعا وناشئا، وحدثا وكهلا، فلذلك عقد بالعهد والخلافة من بعده، واثقا بخيرة الله تعالى في ذلك، إذا علم الله تعالى أنه فعله إيثارًا له وللدين، ونظرًا للإسلام، وطلبا للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين». ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعه الكل مطيعين ومسارعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعته على الهوى في ولده وغيره ممن هو أشبك رحما وأقرب قرابة، وسماه الرضا إذ كان رضيا عند الله تعالى وعند الناس. وقد أكثر طاعة الله والنظر لنفسه وللمسلمين والحمد لله رب العالمين. كتب بيده في يوم الإثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين».

وما أروع هذه الوثيقة وما أحقها بالدرس واستخراج ما فيها من العبر.

ولكن الأمر لم يستتب للإمام علي الرضا بل دسّ له أعداؤه السم في قطف من عنب فقضى نحبه بعد عامين من مبايعته بولاية العهد ومات شهيدا عام ٢٠٣هـ بمدينة طوس (مدينة مشهد في إيران اليوم) وقَبَرَهُ المأمون بجانب والده هارون الرشيد.

الرسالة الذهبية

تعد الرسالة الذهبية أول رسالة في الطب وحفظ الصحة كتبها عربي مسلم، فقد كتبها الإمام علي الرضا في حدود سنة ٢٠٠ هـ (٨٠٥م) ولم يسبقه في التأليف في ذلك الموضوع أحدٌ في اللغة العربية»، حسب علمي.

وكان عصر المأمون عصر الترجمة وقد حفل بالعديد من الترجمات الطبية التي قام بها يوحنا بن ماسويه الذي تولى رياسة بيت الحكمة كما قام حنين بن إسحاق بترجمة العديد من الكتب الطبية اليونانية. وكذلك استهرت عائلة بختشوع النصرانية بالطب. وقد ترجم جبريل بن بختشوع بعض كتب الطب اليونانية في عهد الرشيد ثم في عهد المأمون.

قصة تأليف الرسالة الذهبية

وقد أملى علي الرضا رسالته الذهبية عندما طلب منه المأمون العباسي ذلك. وكذلك قصة أوردها محمد بن محمد صالح الشيرازي صاحب كتاب عافية البرية في شرح الرسالة الذهبية كما أوردها غيره. قال:

«كان المأمون ذات يوم في مجلسه في نيسابور (مدينة في إيران اليوم). وفي المجلس أبو الحسن علي الرضا وجماعة من المتطببين والفلاسفة مثل يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختشوع وصالح بن بهلة الهندي وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر فجرى ذكر الطب وما فيه من صلاح الأجسام وقوامها فأغرق المأمون ومن بحضرته في الكلام وتغلغلوا في علم ذلك وكيف ركّب الله تعالى هذا الجسد وجميع ما فيه من هذه الأشياء المتضادة من الطبائع الأربع (البرودة واليبوسة والرطوبة والحرارة)، ومضار الأغذية ومنافعها، وما يلحق الأجسام من مضارها من العلل.. وأبو الحسن (علي الرضا) ساكت لا يتكلم في شيء من ذلك. فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن في هذا الأمر الذي نحن فيه والذي لابد منه من معرفة هذه الأشياء والأغذية النافع منها والضار وتدبير الجسد؟ فقال أبو الحسن: عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام مع ما وقفني عليه من مضى من السلف، مما لا يسع الإنسان جهله ولا يعذر في تركه، فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته».

واضطر المأمون للسفر إلى بلخ (في شمال أفغانستان بالقرب من مدينة مزار شريف). وكتب إليه المأمون يتنجّزه وعده فأملى الإمام علي الرضا رسالته وبعثها إلى المأمون فلما قرأها سُرَّ بها كثيرا وأمر بكتابتها بماء الذهب وكتب بخط يده جوابًا للإمام علي الرضا يشكره فيها ويقرض الرسالة وإليك بعض ما جاء فيها:

> المثقفون والمهتمون بموضوع الطب النبوي غابت عنهم هذه الرسالة وظنوها من التراث..

تقريظ المأمون للرسالة الذهبية

«أما بعد، فإني نظرت في رسالة ابن عمي العلوي الأديب والفاضل الحبيب والمنطقي الطبيب، في إصلاح الأجسام وتدبير الحمّام وتعديل الطعام، فرأيتها في أحسن التمام ووجدتها في أفضل الإنعام، ودرستها متدبرًا، ورددت نظري فيها متفكرا، فكلما أعدت قراءتها والنظر فيها ظهرت لي حكمتها، ولاحت لي فائدتها، وتمكنت من قلبي منفعتها، فوعيتها حفظا، وتدبرتها فهما، إذ رأيتها من أنفس العلائق، وأعظم الذخائر وأنفع الفوائد فأمرت أن تكتب بالذهب لنفاستها وحسن موقعها وعظم نفعها وكثرة بركتها، وسميتها المذهبة، وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم، فتيان الدولة، لأن بتدبير الأغذية تصلح الأبدان وبصحة الأبدان تدفع الأمراض وبدفع الأمراض تكون الحياة وبالحياة تنال الحكمة وبالحكمة تنال الجنة».

واستمر المأمون في مدحها على هذا المنوال العجيب، وذكر أنه عرضها على أهل الحكمة والطب والتأليف وأصحاب الدراية «فكلٌ مدحها وأعلاها ورفع قدرها وأطراها، إنصافا لمصنفها وإذعانا لمؤلفها».

قيمة الرسالة العلمية

١) أنها أول رسالة في حفظ الصحة والطب، بما أشار إليه من أحاديث نبوية يكتبها عربي مسلم حيث كتبها الإمام الرضا سنة ٢٠٠هـ.

٢) تحتوي هذه الرسالة على مبادئ في حفظ الصحة. وهي أول رسالة مستقلة تعالج هذا الموضوع.

٣) أنها تضمنت معلومات الإمام علي الرضا الواسعة في الطب كما هو معروف في عصره كما ضمنها ما توارثه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه

وآله وسلم. مع أنه لم يذكر نصوص الأحاديث بل أشار إليها ضمنا.

وقد قام شراح الرسالة الذهبية، وهم كثير، بتوضيح ما أشار إليه الإمام علي الرضا وأومأ إليه من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

٤) تضمنت هذه الرسالة بالإضافة إلى ما سبق تجارب الإمام علي الرضا الشخصية في هذا المجال.

والغريب حقا أن الإمام علي الرضا استطاع أن يوجز هذه المعلومات الواسعة في الطب والتجارب الشخصية مع ما ورد من آثار نبوية في حدود ١٤ صفحة فقط. وقد شرحها محمد بن محمد صالح الشيرازي في كتابه «عافية البرية» في ٨٣٠ صفحة (لا تزال مخطوطة في العراق في المدرسة الأحمدية بالموصل برقم ٥٩١)

٥) تناولت هذه الرسالة حفظ الصحة وكيفية تدبير الغذاء على مختلف فصول السنة وفي مختلف الأعمار. كما أنها تناولت تدبير الحمام والسكن والهواء والرياضة والنكاح ومقدار الاعتدال في ذلك.

وتحدث عن أهمية استخدام الحجامة والفصد في أوقاتها وعند الحاجة لها. كما تحدث عن أهمية استخدام الأدوية عند الحاجة إليها. وضرر استخدام الدواء بدون حاجة أو الإسراف في استخدامه.

وتحدث عن مراحل عمر الإنسان وما يصلح لكل مرحلة من تدبير الغذاء والرياضة والنوم والنكاح.. وفي أثناء ذلك كان الإمام الرضا يبث معلوماته عن التشريح وعلم وظائف الأعضاء ويستدل بالأحاديث النبوية دون أن يذكر سندها، وفي الغالب يشير إلى معنى من معانيها دون أن يذكر متنها..

ثم يذكر ما ينبغي على الإنسان أن يفعله في السفر والحضر وفي مختلف فصول السنة وشهورها مبتديا بشهر آذار (مارس) ومنتهيا بشهر شباط (فبراير)

مخطوطات ومطبوعات الرسالة الذهبية

لقد ذكر الدكتور ناظم نسيمي في كتابه «الطب النبوي» أن الرسالة الذهبية مفقودة. وكذلك ذكر الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل في رسالته لنيل الماجستير في الحديث النبوي من الجامعة الإسلامية» تحقيق كتاب المنهج السوي والمنهل الردي في الطب النبوي للإمام السيوطي.

والواقع أن الرسالة الذهبية موجودة في كثير من مكتبات العالم وخاصة في العراق وتركيا وإيران ومصر.

وتوجد من المخطوط النسخ التالية في مكتبات تركيا:

١) برواية محمد بن جمهور القمي تلميذ الإمام علي الرضا في مكتبة رئيس الكتاب برقم ١١٦١/ ١٥، بخط نسخ، كتبه أبو عبد الله محمد ابن أحمد المصري الدمياطي الشافعي الأنصاري سنة ٧٨٩هـ.

٢) نسخة بمكتبة شيخ الإسلام أسعد أفندي برقم ١٨٤/ ٢ بخط نسخ، برواية الشيخ محمد بن إبراهيم بن مساعد الأنصاري المعروف بابن الكنفاني. وقد كتب المخطوطة في القرن التاسع الهجري.

٣) نسخة في مكتبة بغدادلي وهبي برقم ١٤٨٥/ ١، كتبت المخطوطة سنة ١٢٢٧هـ.

٤) نسخة بمكتبة على أميري، بالقسم العربي برقم ٢٨٤٣/ ٢ بخط نسخ، كتبت في القرن الحادي عشر.

وتوجد الرسالة الذهبية مترجمة إلى اللغة الفارسية منها نسخة ترجمها أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أبي بكر السلماسي الوراق المتوفى سنة ٦٢٤هـ (١٢٢٦م) وهي نسخة نفيسة جدا لأنها بقلم المترجم وكتبت عام ٦٢٤هـ. وموجودة في مكتبة الفاتح باستانبول برقم ٥٢٩٧/ ٤.

«تضمنت الرسالة تراث البيت النبوي في الطب بالاضافة إلى علوم عصرها..»

وتوجد نسخة أخرى في مكتبة بغدادلي وهبي برقم ١٤٨٨/ ٩ وقد كتبت المخطوطة سنة ١٠٥٨.

وتوجد من المخطوط نسخ في القاهرة وإيران والعراق وفي مكتبات أوربا. وقد طبع الكتاب طبعات عديدة في العراق نذكر منها ما يلي:

١) منشورات ملتقى العصرين، بغداد، مطبعة المعارف سنة ١٩٥٣ في ١٧٠ صفحة. ونشره د. صاحب زيني مع تعليقات محدودة على ضوء الطب الحديث.

٢) نشره مرتضى العسكري في بغداد أيضا سنة ١٩٥٤م.

٣) نشرية المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م. وقدم للكتاب محمد مهدي السيد حسن الخرساني في ٤٨ صفحة. وكانت المطبعة الحيدرية أيضا قد طبعته عام ١٩٦٥م في ١٤٤ صفحة

٤) طبع في طهران عام ١٩٨٧م.

حفظ الصحة

مما تقدم يتبين لنا أن الإمام علي الرضا الذي أملى رسالته في حفظ الصحة حوالى سنة ٢٠٠هـ. هو أول مسلم عربي يكتب رسالة في الطب. وتأتي قيمة الرسالة من أنها أول مؤلف باللغة العربية في الطب. وما سبقه لم يكن إلا ترجمات لكتب اليونان.

وقد ظهرت شخصية الإمام علي الرضا الفذة في هذه الرسالة المختصرة التي ضمنها علمه الواسع بالطب مع تبحره في علم الحديث. ولكنه أوجزها إيجازا بليغًا حيث ضمنها تجاربه الخاصة وما ورثه عن آبائه آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإضافة إلى علوم عصره في الطب.

وبرغم أن هذه الرسالة قد اشتهرت منذ أكثر من ألف عام إلا أن كثيرًا من المثقفين بل المهتمين بموضوع الطب النبوي ظنوها من المفقودات مع أن نسخها موجودة في كثير من المكتبات.

وتحتاج هذه الرسالة إلى أن تنشر وتحقق وتشرح ليستفيد من كنوزها طلبة العلم وطلبة الطب وعامة القراء.

الهلال الآفل

شعر: د. يوسف محيي الدين أبوهلالة - الأردن

لم تعــد في العيـون تحلـو الـربـوعُ	والأحبّـــاء نـــازحٌ أو صريــــعُ
مــرّ حينٌ والعيـــش عــذبٌ رغيــدٌ	وحيـــاتي بها الصّفـــاء يشيـــع
ثــمّ هبّــت نكبــاء جــفّ لها الــور	د وغـــاض الغـــديــر والينبـــوع
هكـــذا طبعهـــا الحيـــاة... هنـــاءٌ	ثـــم عقبـــاه حنظـــل وضريـــع
محنـــة داهمت حيـــاتي فيـــومـــي	مــرعـــبٌ والغـــدُ الخفـــيّ مــريـــع
إن بـــدا الصّبـــح فـــالأســـى لي خليــلٌ	أو سجــا الليـــل فـــالشّجـــى لي ضجيـع
أصـــل الليـــل بـــالنّهـــار وسيّـــا	ن ظـــلام في نـــاظـــري وصـــديـــع
بـــرعـــمٌ رفّ مـــن جفـــاني فلمّـــا	كـــاد يقـــوى قضـــى عليـــه الصّقيـــع
وهـــلالٌ حبـــا بظلمـــاءِ عمـــري	غـــالـــه قبـــل أن يتـــمّ الهزيـــع
إن يكــــن عمـــره قصيرًا فحــــزني	هـــائلٌ بـــاذخ السّماك منيـــع
كيـــف أنســـاك يـــا نجـــيّ حيـــاتي	أو تنســـى خفـــق الفـــؤاد الضلـــوع
منـــذ أودعتـــك البقيـــع حبيبـــي	صـــار أغلى الـــدّيـــار عنـــدي البقيـــع
مثقـــل الخطـــو عـــن ضريحك أمضي	واشتيـــاقـــي إلي لقـــاك نـــزوع
إن بـــدت للعيـــون أثـــوابـــك ارتفعـــ	تُ كـــأني بنـــاب أفعـــى لسيـــعُ
وإذا مـــا رأيـــت رسمـــك جـــافـــا	ني اصطبـــاري وطـــاوعتنـــي الـــدمـــوع
لم أصـــدق أن ســـوف يصبـــح للـــدو	د هـــامًـــا منـــك المحيّـــا الـــوديـــع
وسريـــر كـــالنعـــش في البيـــت أضحـــى	بعـــدمـــا كـــان بـــالـــرُّواء يضـــوع
ودّعـــــت أمـــــك السرور. . وضرٌّ	راعهـــا منـــذ رحلـــت عنهـــا وجـــوع
واستبـــاحـــت ريـــاض آمـــالها الخضـــ	ر شجـــونٌ ولـــوعـــةٌ ولـــوع
لم تصـــدّق «آلاء» أنـــك أبحـــر	ت إلى حيـــث لا يكـــون الـــرّجـــوع



ثـــم رفّـــت مثـــل الحمامـــة منهـــا | شركٌ أمســـــك الجنــــاح شنيــــع
واستطــالــت «أفنـان» منــك غيــابًــا | و«دعــــــاءٌ» بها ألــــحّ النــــزوع
عنــك يســألـــن دائمًا بــاكيــات | يــا أبـانــا متـى أخـونـا يــريــع
عطلـــة الصيـــف آذنـــت بــاقتراب | وإلى أهلـــــه سيمضي الجميــــع
قـــدرٌ أن أعـــود ذا العـــام وحـــدي | بينما أنـــــت في التراب وديــــع
أقبـــل الصّحـــب للعـــزاء وكلّي | ألـــمٌ جامـــحٌ وصبــــرٌ ظليــــع
ويقـــولـــون لي تجمّـــل لـــك الأجـــ | ـــر ومـــا كنـت مـــا رأوا أستطيــع
أُظهـــر الصّبر واللظـــى مِـــلء صـــدري فـــاصطبـــاري هـــو السراب الخدوع
وأواري وجهـــي بكفّـــي ودمعـــي | فـــاضـــحٌ للـــذي كتمـت مـــذيـع
وكـــأني مـــا زلـت في ســاعـة الـدفـــ | ـــن بحلقـــي يُصـــبُّ ســـمٌّ نقيــع

* * * *

كنـــتَ أُنسي والـــدرب وليـــلٌ وشـــوكٌ | وشفيعـــــي لمّا جفـــــاني الشفيــــع
عُـــدْ بـــأنـــدائك الظليلـــة فـــالقيـــ | ـــظ شـديـــدٌ ومـــا سـواك الرّبيـــع ؟
لِمَ أسرعــــــت في الغيـــــاب ولمّا | يمـــلأ النفـــس بَعـــدُ منـــك طلـــوع ؟
كنــت تـأبـــى الهجـــوع في سعـة البيـــ | ـــت أيـرضيــك في اللحـود الهجـــوع ؟
لا شفـــى الله بعـــد مـــؤنسهـــا الـــرّو | ح ولا هـــــادن الجراحَ النجيــــــعُ
إن تنـــاءت بـــك المقـــاديـــر عنّـــي | وبـــك استـــأثـــر القضـــاء المَنيـــع
فـــالعـــزاء الـــذي أفيءُ إليـــه | أنّ حـــادي الحيـــاة حـــادٍ سريـــع

www.ahlaltareekh.com

ملامح «البارانويا» في شخصية المتنبي وشعره

بقلم: سلطان عبدالهادي السهلي

أبو الطيب المتنبي شاعر العربية الذي شغل الدنيا بشعره، لايزال يثير جدلا بين النقاد..
وتجلية لبعض جوانب هذا الشاعر وشعره، تنشر «الفيصل» في هذا العدد دراستين عنه..

عالم المتنبي عالم رحب ومتجدد يغري الأدباء والباحثين بالولوج إليه مرّات ومرّات للتعرّف على صاحبه إنسانا وشاعرا. ولا غرو في ذلك فالمتنبي هو مالئ الدنيا وشاغل الناس. ومن يمعن النظر في سيرته وآثاره يتبين عنصرًا ظاهرًا في سلوكه وفي شعره، ألا وهو إعجابه بذاته وزَهْوُهُ بها، بحيث أصبح ذلك العنصر مظهرًا من مظاهر سلوكه الشخصي وقاسمًا مشتركًا بين معظم قصائده حتى سمي بشاعر نفسه.

لقد تعدى هذا الإعجاب وهذا الزهو حدود الاعتدال وما يتصف به الإنسان السّوي من واقعية في تقدير الذات ليصبح شكلاً من أشكال المرض.
وإذا أردنا الاستعانة بأبحاث علم النفس، هذا العلم الذي جعل من النفس الإنسانية نقطة انطلاقه ومحور أبحاثه فسبر أغوارها وأماط اللّثام عن بعض خباياها وأسرارها لتفسير ذلك العنصر، لأمكننا القول: إن المتنبي كان يعاني من داء البارانويا (PARANOIA) أي الذهان الهذائي.

إن هذه المقالة المشار إلى عنوانها آنفًا تحاول أن تبرز ملامح البارانويا في شخصية المتنبي وشعره، ولذلك، فإنه لزام علينا أن نمهّد لذلك بتعريف القارئ الكريم بطرفي هذه المقالة، حيث سنقوم بتعريف مفهوم **البارانويا**، وتقديم ترجمة مختصرة لحياة هذا الشاعر.

الـ PARANOIA — الذهان الهذائي

«**بارانويا**: لفظ مقتبس من اليونانية، وهو مؤلف من لفظين: أحدهما (بارا) وهو الانحراف، والآخر (نوس) وهو العقل، فمعناه إذن: **انحراف العقل**.. إن المصاب بالذهان الهذائي هو المختال أو الخائل، المفرط في تقدير نفسه، والمتوهم أنه أعظم الناس وأحقهم بالتقدم. ومعنى ذلك أن عقله يبدو سليمًا من حيث قدرته على الاستدلال، غير أنه يبني استدلالاته على اعتقادات وهمية فاسدة. والذهان الهذائي مرادف بالجملة لهذيان العظمة أو جنون العظمة»[1].

ولمزيد من الإيضاح نشير إلى أن الصورة (الإكلينيكية) التي يرسمها الطب النفسي للبارانويا تتسم بأربع سمات مميزة هي:

١ ـ مبالغة المريض في تقدير ذاته، والزهو الذي يستتر أحيانًا خلف تواضع مصطنع، وأحيانًا يتراوح بين الإعجاب بالذات وجنون العظمة.

٢ ـ عدم الثقة بالغير، وهو موقف انفعالي يمهّد لأفكار الاضطهاد ويولّد القلق والرّيبة من الغير.

٣ ـ زيف الحكم، ومصدره تغلب العوامل الانفعالية على المعطيات الموضوعية.

٤ ـ العجز عن التوافق الاجتماعي[2].

المتنبي: حياته وشخصيته

أبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي[3]. **ولد سنة ٣٠٣هـ بالكوفة في محلة يقال لها كندة. فنسب إلى قبيلتها كندة اليمنية المعروفة. وقد نشأ في الكوفة نشأته الأولى حيث أدخله أبوه، الذي كان يقال إنه كان سقاءً فقيرًا، كُتّابًا فيه أولاد أشراف الكوفة فتعلّم ودرس العربية شعرًا ولغة وإعرابًا. وقد كان في هذه الفترة يتردد على البادية التي تركت أثرها في نفسه وجسده، ثم رحل به أبوه إلى الشام** فنشأ وتأدب وتخرّج على بعض علمائها، ثم خرج إلى بادية **السماوة** حيث قبائل بني كلب فأقام بينهم وادّعى النبوة حيث استطاع ببلاغته وشعره وحماسته أن يغوي كثيرًا منهم، حتى فشا أمره فخرج إليه **لؤلؤ أمير حمص** من قبل **الأخشيديين** فقبض عليه وفرّق أصحابه وحبسه نحو سنتين ثم استتابه وأطلقه.

في سنة ٣٣٧هـ اتصل **بسيف الدولة الحمداني** صاحب حلب حيث وجد كل منهما في الآخر ضالته المنشودة، فنشأت بينهما مودة، وظل المتنبي يمدح **سيف الدولة تسع** سنوات ثم وقعت بينهما جفوة خرج بعدها المتنبي قاصدًا **مصر** التي دخلها سنة ٣٤٦هـ فمدح أميرها على أمل أن يحصل منه على ولاية، ولكن مراده لم يتحقق على الرغم من أن **كافورًا** قد وعده أن يبلغه كل ما في نفسه، فخرج منها هاربًا سنة ٣٥٠هـ واتجه إلى **العراق** ثم بلاد **فارس** فمرّ **بأرجان** ومنها إلى **شيراز** قاصدًا أميرها **عضد الدولة البويهي** الذي أنزله خير مقام، وأخيرا قفل إلى **بغداد فالكوفة** التي قتل في طريقه إليها على يد **فاتك الأسدي** وكان ذلك في أواخر **رمضان سنة ٣٥٤هـ**.

أما العوامل التي أثرت في شخصيته فيمكن إيجازها فيما يأتي:

١ ـ وفاة والديه في مقتبل حياته، مما أشعره باليُتم والوحدة صغيرًا.

٢ ـ نشأته الفقيرة، وعمل والده بالسّقاية، مما كان له أبلغ الأثر في نفسه، فقد جلبت له مهنة والده تلك سخرية وهجاء بعض خصومه، كقول أحدهم في هجائه:

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ ـل من الناس بكـرة وعشيّا
عاش حينًا يبيع في الكوفة الما ء وحينًا يبيع ماء المحيّا

٣ ـ تلقيه العلم في كتّاب الكوفة إلى جوار أبناء أشرافها ممن كانوا يفوقونه نسبًا وجاهًا ونفوذًا ومالًا، الأمر الذي ترك أثرًا في نفسيته ظهر في كرهه للناس والحقد عليهم وتحقيره إياهم.

٤ ـ تردده على البادية واكتساب بعض صفات أهلها كالخشونة والشجاعة والفروسية والإباء وغيرها.

٥ ـ الظهور المبكر لعبقريته الشعرية، تلك العبقرية التي كانت وسيلته لتحقيق آماله وطموحاته.

٦ ـ تعرضه للسجن والتعذيب في مقتبل عمره بعد ادعائه النبوة في بادية السّماوة.

٧ ـ الأحوال السياسية والاجتماعية والدينية السائدة في عصره، التي كانت تتسم بالاضطراب وكثرة الثورات والفتن.

٨ ـ اتصاله بسيف الدولة الحمداني، وبقاؤه إلى جواره فترة ليست بالقصيرة وما كان يمثله ذلك الأمير في نظر المتنبي من نموذج للقائد العربي الشجاع الذي نذر حياته للدفاع عن العروبة والإسلام، ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن المتنبي كان يرى ذاته في شخص هذا الأمير العربي.

تملّكه إحساس بالعظمة وكان يسعى لتجسيدها في القيادة والسُلطة وليس في الشعر .. !

ملامح البارانويا في شخصيته وشعره

الحقيقة أننا لن نجد عناءً كبيرًا في تبيّن الملامح، فما أن نتتبع سيرة حياة **المتنبي** ونمعن النظر في شعره حتى نجد أن شاعرنا قد تملكه الإحساس بالعظمة، تلك العظمة التي كان يسعى لتجسيدها في السلطة والقيادة لا في الشعر، لأنه، كما كان يعتقد، لم يخلق لقول الشعر والتكسّب منه بل خلق لما هو أجل وأسمى. وما الشعر في رأيه إلا وسيلة لتحقيق آماله وطموحاته لا غاية في حد ذاته، ولذلك رأيناه يبدي في إحدى المرات تذمّره من قول الشعر لأنه قد يصرفه عن تحقيق ما يصبو إليه حيث قال:

إلى كم ذا التخلّف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد

لقد طبع داء **البارانويا** سواء من خلال إحساس العظمة أو إحساس الاضطهاد شخصية **المتنبي** وشعره بمزيج من صور الزهو والكبرياء والتعالي، والثورة والتمرد والتذمّر والتشاؤم والإحباط والمرارة. وسنحاول بيان ملامح البارانويا المشار إليها آنفًا من خلال المجادلات الآتية:

أولاً: في مجال المبالغة في تقدير الذات:

تظهر مبالغة المتنبي في تقدير ذاته وزهوه بها بل وفي غروره وخيالائه في الملامح الآتية:

(١) **ادعاء النبوة**: إن هذه الحادثة ـ ادعاء النبوة ـ هي أبرز ملامح **البارانويا** لديه، لأنه ما من إنسان سوي يقدم على مثل هذا التصرف، ولكنه المتنبي الذي دفعه إحساسه بالعظمة إلى الرغبة في التمييز والسلطة والنفوذ والقيادة، وهذه الحادثة يترجح أن تكون صحيحة، بل هي صحيحة استنادًا إلى ما عرف عن **المتنبي** من اضطراب وزهو وخيلاء وسعي لا محدود نحو السلطة، واستنادًا أيضًا إلى اعترافه الصريح حينما سُئِل عن ذلك بقوله:

«إن هذا شيء كان في عهد الحداثة»(٤). **وإلى قوله الذي حمل نوعًا من التورية. ولكنه في الوقت ذاته لا ينفي التهمة ـ تهمة ادعاء النبوة ـ فقد كان جوابه حينما سُئل إن كان قد قال إنه نبي؟: «الذي قلته: أنا أحمد النبي»**(٥). (وقد عرفنا أن اسمه: أحمد)

(٢) تشبهه بالأنبياء: وهو الآخر من ملامح **البارانويا** لديه وهو كذلك أمر خطير شأنه في ذلك شأن الأمر الأول. وقد جاء ذلك في قوله:

ما مقامي بأرض نخلة إلاّ كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أرض تداركها اللـ ـه غريب كصالح في ثمود

(٣) **سعيه الدؤوب ورغبته الجامحة في السلطة والنفوذ والقيادة:**

لقد سعى **المتنبي** جاهدًا لإرضاء ذاته المتضخمة الطامحة إلى التميّز والنفوذ والقيادة، ومن أجل ذلك أقدم على ادعاء النبوة ولكنه جُوبِه برفض شديد وسجن وتعذيب. ولذلك طفق يبحث عن مجال آخر يبحث به عظمته ويرضي به ذاته فاتصل **بسيف الدولة** سنوات عديدة على الرغم من أنها أزهى سنوات حياته، إلا أنها انتهت بالفرار لأنها لم تكن تتوافق مع إحساسه بالعظمة فلم يكن خلال هذه السنوات هو الحاكم المتبع ولا القائد الذي يهزم الأعداء ويصنع الانتصارات، بل كان مجرد شخصية ملحقة **بسيف الدولة** وتابعة له تمدحه وتتغنى بانتصاراته لا بانتصاراتها هي. فحصل الفراق ورحل إلى **مصر** يحدوه الأمل في تحقيق حلمه الذي لازمه طوال حياته في الولاية والحكم، وهناك أفصح عن رغبته في ذلك حيث خاطب **كافورًا** بقوله:

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغني منذ حين وتشرب
إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

(٤) **إنشاده للشعر في حضرة الملوك والحكام قاعدًا مخالفًا بذلك عادة الشعراء، وكذلك عدم تقبيل الأرض بين أيديهم.**

(٥) رفع الكلفة بينه وبين الملوك: فقد أشار **الثعالبي** إلى أن **المتنبي** كان يخاطب الملوك مخاطبة الصديق والمحبوب، وهو مذهب تفرّده به رفعًا لنفسه عن درجة الشعراء(٦) كقوله في كافور الإخشيدي:

ومـا شئـت إلاّ أن أدل عـواذلي على أن رأيـي في هـواك صـواب

وقوله في عضد الدولة البويهي :

أروح وقـد ختمت على فـؤادي بحبـك أن يحـلّ بـه سـواكـا

إن إحساس المتنبي بالعظمة ومبالغته في تقدير ذاته وزهوه بها يجعله يقدم على رفع الكلفة بينه وبين الملوك ويخاطبهم مخاطبة الصديق للصديق لأنه كان كما يعتقد واحدًا منهم ويملك مؤهلات الحكم والقيادة وقد عبّر عن ذلك بقوله :

وفـؤادي من الملـوك وإن كـا ن لسـاني يـرى مـن الشعـراء

(٦) مبالغته في مدح ذاته : ويظهر في مواضع كثيرة من شعره كقوله :

أنـا الـذي نظـر الأعمى إلى أدبي وأسمعـت كلمـاتي من بـه صمم

أنـام ملء جفـوني عـن شـواردهـا ويسهـر الخـلق جـراهـا ويختصم

فـالخيل والليل والبيـداء تعـرفني والسيـف والرمح والقـرطـاس والقلم

وقوله :

ومـا أنـا إلا سمهـريّ حملتـه فـزين معـروضـا وراع مسـددا

ومـا الـدهـر إلا من رواة قـلائدي إذا قلت شعـرًا أصبح الـدهـر منشـدًا

وقوله :

إن أكن معجبًـا فعجـب عجيب لم يجد فـوق نفسـه من مـزيـد

أنـا تـرب النـدى وربّ القـوافي وسمـام العـدا وغيظ الحسـود

وقوله :

فـارم بي مـا أردت مني فإني أسـد القلب آدمي الـرُّواء

وفـؤادي من الملـوك وإن كـا ن لسـاني يُـرى من الشعـراء

والشواهد على ذلك من شعره كثيرة جدا .

●● ثانيًا : في مجال عدم الثقة بالغير:

لعل أهم مـا يميز الإنسـان الذي يعـاني من داء (البارانويا) بالإضافة إلى إحساسـه بالعظمـة هو إحساسـه بالاضطهـاد، ذلك الإحساس الـذي ما أن يتملك الإنسان حتى يجعلـه حاقدًا على النـاس ودائم التبرّم والشكوى منهم، وقليل الثقة بهم . ويمكن أن نلمس عدم ثقة المتنبي بالناس من خلال الملامح الآتية :

١ ـ قلة أصدقائه ورفاقه .

٢ ـ تنقله وترحاله المستمرين .

٣ ـ اعتقاده أن الناس من حوله هـم مجموعة من الأعداء والحسّاد . ويظهر ذلك في قوله :

قليل عـائدي سقـم فـؤادي كثير حـاسـدي صعب مـرامي

و قوله :

أزل حسـد الحساد عني بكبتهـم فأنت الـذي صـيرتهم لي حسّـدا

وقوله :

إن كـان سَرَّكُم مـا قـال حـاسـدنـا فما لجـرح إذا أرضـاكم ألم

٤ ـ شعوره باضطهاد الآخرين له . ذاك لأنهم يعرفون قيمته الحقيقية، ولا يقدرونه قدره الذي يستحق، ولذلك فإنه يعيش بينهم كالغريب .

و هكـذا كنت في أهلي وفي وطنـي إن النفيس غـريـب أينما كـانـا

ولذا كان يربأ بنفسه عن الانتساب إلى الناس، فهو ليس منهم و إن عاش بينهم :

ومـا أنَـا منهمُ بالعـيش فيهمْ ولكنْ مَعْـدِنِ الـذهب الـرّغـامُ

٥ ـ وكما يظهر في سلوكه عـدم ثقته بـالغير فإن شعره كـذلك يعبّر تعبيرًا صادقًا عن حذره منهم وعدم الثقة بهم يقول المتنبي :

فلما صـار ود النـاس خبًّـا جـزيت على ابتسـام بـابتسـام

وصرت أشك فيمن أصطفيـه لعلمـي أنـه بعـض الأنـام

ويقول أيضًا :

وكن على حـذر للنـاس تستره ولا يغـرك منهـم ثغـر مبتسم

غـاض الـوفـاء فما تلقاه في عـدة وأعـوز الصـدق في الأخبـار والقسم

●● ثالثًا : في مجال زيف الأحكام .

لم تكن بعض أحكام المتنبي المعبّرة عن ذاته أو أحكـامه على الناس وعلى الحياة أحكـاما دقيقة وصائبـة ومرد ذلك أنها كانت نتـاجًا لإحساسه بـالعظمة ولإحساسه بالاضطهاد، ولـذلك يمكن وصف تلك الأحكام بأنها استجابات وردود أفعال انفعالية نتيجة لوقوعه تحت تأثير داء البارانويا . ومن ملامح زيف الحكم لديه ما يأتي :

١ ـ إن إحساسه بالعظمة جعله يصف نفسه بأوصاف لا يمكن أن تكون مقبولة كقوله :

سيعلم الجمع ممن ضـم مجلسنـا بأنني خير مـن تسعى بـه قـدم

ولأنه خير من تسعى به قدم فإنه فوق مستـوى التشبيه فلا أحد فوقه، ولا أحد مثله . جاء ذلك في قوله :

أمط عنـك تشبيهي بما وكـأنـه فما أحـد فـوقي ولا أحـد مثلي

إحساسه بالاضطهاد جعله يغضب و يُصدر أحكامًا بعضها زائف ..

و نلمح زيف أحكامه سواء على نفسه أو على الناس من أبيات ارتجلها في صباه حيث قال :

أي محـل أرتقـي أي عظيـم أتقـي

وكل مـا قـد خلق الـلـه ومـا لـم يخـلق

محتقـر فـي همتي كشعـرة في مفـرقي

٢ ـ أما إحساسه بالاضطهاد فقد جعله يصب جام غضبه على الناس وعلى الزمان فجاءت بعض أحكامه زائفة، يظهر ذلك في قوله :

أذم إلى هـذا الـزمـان أهيلـه فأعلمهـم فـدم وأحـزمهم وغـد

وفي قوله :

قبحًـا لـوجهك يـا زمـان فإنـه وجـه لـه من كـل قبح بـرقع

ولك أن تعرف مدى حقده على الناس وكرهه لهم ـ وهو من ملامح زيف

أحكامه ـ لك أن تعرف ذلك من هجائه للأموات منهم. فقد قال في عدو له وقد مات واسمه إسحاق بن كيغلغ:

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم: هذا الدواء الذي يشفي من الحمق
إن مات مات بلا فقد ولا أسف أو عاش عاش بلا خلق ولا خلق
مازلت أعرفه قردًا بلا ذنب صفرًا من البأس مملوءًا من النزق

انفعاله السريع جعله يتناقض مع نفسه في أحايين كثيرة ..!

والشواهد من شعره على زيف أحكامه على الناس وعلى الزمان كثيرة.

٣ ـ ومن ملامح زيف أحكامه أيضا تناقضه: فهو في موقف من المواقف يقول شيئًا أو يتخذ رأيًا ثم في لحظة انفعال يناقض نفسه وينسف ما قاله. من ذلك مدحه المتكرر **لكافور الإخشيدي** على أمل أن يوليه **إمارة صيدا** أو غيرها حيث قال:

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملي علـيّ وأكتب
فتى يملأ الأفعال رأيا وحكمة ونادرة أحيان يرضى ويغضب

وقال يمدحه أيضًا:

ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت وكان قليلاً من يقول لها اقدمي
شديد ثبات الطرف والنقع واصل إلى لهوات الفارس المتلثِّم

ثم انقلب كل هذا المدح إلى هجاء مقذع كما في قوله:

من أية الطرق يأتي نحوك الكرم أين المحاجم يا كافور والجلم
جاز الألى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

وقوله أيضًا:

من علّم الأسود المخصي مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم أذنه في يدِ النخاس دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود

وتناقضه وهو شكل من أشكال زيف الحكم لديه يظهر في هجائه **لسيف الدولة** الذي كان قد مدحه كثيرًا، فقد قال:

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدرّ على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن

٤ ـ ولأن زيف الحكم يحدث نتيجة لتغلب العوامل الانفعالية على المعطيات الموضوعية فإن قراره بمواجهة فاتك الأسدي ومن معه والذي كان يتربّص به هو من ملامح زيف الحكم لديه لأن المعطيات الموضوعية كانت تفرض عليه عدم المواجهة استنادًا إلى ميزان القوة الذي لم يكن في صالحه أبدًا مما أدى إلى مقتله ومقتل ابنه **محسّد** ومقتل غلمانه.

●● **رابعًا: العجز عن التوافق الاجتماعي:**

إن التوافق الاجتماعي يتطلب من الفرد أن يكون سلوكه منسجمًا مع غيره من أفراد المجتمع، و أن يحترم القيم والمعايير والعادات والتقاليد السائدة في هذا المجتمع، وأن يتأقلم معها، ويكيف سلوكه وفقها حتى ينال رضاء مجتمعه وقبوله له.

ولقد عجز ا لمتنبي نتيجة لمعاناته من داء **البارانويا** عن التوافق مع مجتمعه لأن إحساسه بالعظمة جعله ينظر إلى مجتمعه **نظرة فوقية متعالية**، أما إحساسه بالاضطهاد فقد جعله متمردًا وناقمًا على مجتمعه وقليل الثقة بأفراده.

ومن ملامح عجزه عن التوافق الاجتماعي: **ادعاء النبوة**، فقد أظهر من خلال هذا التصرف اعتداء على قيم المجتمع وخروجًا على تقاليده، وهذا السلوك ـ التصرف ـ هو شكل من أشكال المغايرة (NONCONFORMITY) الذي عرضه للسجن والتعذيب. ولقد خرج **المتنبي** بعد هذه التجربة أكثر كرهًا لمجتمعه ونقمة عليه وتبرمًا به.

كذلك تعكس آراؤه الواردة في شعره عجزه عن التوافق الاجتماعي، من ذلك ما قاله في المرأة وهي نصف المجتمع:

إذا غدرت حسناء وفّت بعهدها فمن عهدها أن لا يدوم لها عهد

وجملة القول: إن عجز المتنبي عن التوافق مع مجتمعه هو النتيجة الطبيعية لمبالغته في تقدير ذاته وعدم ثقته بالآخرين ثم زيف أحكامه، وهي في مجموعها تشكل الصورة المريضة (الإكلينيكية) التي رسمها الطب النفسي **(للبارانويا)**: الذهان الهذائي.

الخاتمة

ونحن نختم هذه المقالة لا بد من الإشارة إلى أننا نجزم بأن الحكم الذي ادعيناه فيها هو بالضرورة حكم دقيق وصائب، ذاك لأننا نعلم بأننا نطبق مقاييس جديدة أوجدها علم النفس على سيرة وشعر رجل تفصل بيننا وبينه فسحة زمنية تربو على الألف عام، ولكن ليغفر لنا القارئ إن أخطأنا فيما ظهر لنا في سيرته وشعره من ثورة وتمرد وتيه واستعلاء وزهو ثم إحباط وتشاؤم ومرارة وعجز عن التوافق مع نفسه ومع الآخرين كل ذلك شجعنا على اتخاذ الحكم السالف الذكر، ورحم الله **المتنبي** الذي رثاه **أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي بقوله:**

ما رأى الناس ثاني المتنبي أي ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيش وفي كبرياء ذي سلطان
هو في شعره نبي ولكن ظهرت معجزاته في المعاني(٧)

الهوامش

(١) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، جـ١، ص ٥٩٣ ـ ٥٩٤.
(٢) سيجموند فرويد، ثلاث مقالات في نظرية الجنسية، ترجمة سامي محمود علي، ص ١٧٤.
(٣) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، جـ٢، ص ٣٥١.
(٣) أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٢٩٨.
(٥) البديعي الدمشقي، الصبح المنبي عن حقيقة المتنبي، ص ٦٣.
(٦) أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، جـ١، ص ١٣٩.
(٧) جميع الأبيات الواردة في هذه المقالة منقولة عن: شرح ديوان المتنبي الذي وضعه عبد الرحمن البرقوقي.

عبقرية المتنبي

بقلم: أ. د. يوسف خليف

المتنبي شاعـر القرن الرابع غير منازع، استطـاع بموهبته الممتازة وعبقـريته النادرة أن يكـون أهم شاعر ظهر فيـه، وأن يخمل شعراء عصره، ويلقي بهم بعيدا عن مجرى النهر المتدفق الذي انطلق به إلى عالم من الإبداع تراجعت دونه زوارقهم، بل هو - عند كثير من الباحثين - أكبر شاعر أنجبته العربية في تاريخها الأدبي الطويل. ومع ذلك فهناك من يختلفون حوله، ومن نصَّبوا من أنفسهم خصوما له، وجرّدوا من أقلامهم سيوفا شهـروها في وجهه. وهو موقف كان سببا من الأسباب التي دفعت الناقد الكبير القـاضي عبد العزيز الجرجاني إلى تأليف كتابه المشهور في تاريخ النقد العربي «الوساطة بين المتنبي وخصومـه» الذي يكشف اسمه عن موضوعه، فهو محاولة من القاضي الناقد للفصل في تلك القضية النقدية الضخمة التي كثر الجدل حولها بين أنصار المتنبي وخصومه.

وأيًّا ما كـان الرأي في المتنبي فإن شاعرًا من شعراء العـربية على امتداد تاريخها الطويل لم يظفر من اهتمام النقـاد والباحثين، القدماء والمحدثين، بمثل مـا ظفر بـه المتنبي، حتى لتـوشك الدراسـات التي دارت حولـه أن تشكّل مكتبة أدبيـة ونقدية كاملـة. وقد ذكر **العكبري** في مقدمـة شرحه لـديوانـه نقـلا عن بعض شيـوخـه أنه وقف على أكثـر من أربعين شرحـا لـديـوانه، ولكن المسألـة لا تقف عنـد الشروح، فـالـدراسات القـديمـة والحديثة التي دارت حوله لا تكـاد تحصى، وكأنما كان المتنبي يتصوّر حال النـاس حين قـال بيتـه المشهـور الـذي يتحـدث فيـه عـن قصائده، ويصور اعتـزازه الكبير بها، وفخره العـريض بشواردهـا التي تقيم الـدنيا وتقعدها:

أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ

وحقـا لقد شغل المتنبـي الناس بشعـره، كما لم يشغلهم شـاعر آخـر، وقضوا لياليهم ساهرين يختصمون حوله، وهو نائم ملء جفونه عنهم، لا يشغله من أمرهم شيء، **لقد قدّم إليهم مـا يعجزون عن مثله**، وما عليه بعد ذلك أن يختصموا حوله، بل ما عليه حتى لو اشتد الخصام بينهم.

بـدأ هـذا الخلاف حـول المتنبي في حيـاتـه، وتطـاولت ألسنـة بعض معاصريه عليـه وامتد هذا التطاول حتى مسّ أسرتـه وأصله وشخصيته، حتى ليصل الأمـر إلى حد المؤامـرة عليـه والوقيعـة بينه وبين الأمير العـربي الوحيد بين أمراء الدولة الإسلامية الذي أحبّه وأخلص له الحب، **سيف الدولة الحمداني** الذي تراءى له الرمز الخالـد للعروبة الضائعة في عصره. وتتردد في شعره شكوى مريـرة لا نكاد نراها عند أيّ شاعـر آخر من حسد الناس له لا لشيء إلا لتفوقه ونبوغه. ولعل هذا هو الذي دفعه - في رد فعل طبيعي - إلى ذلك الفخـر العريض بشعره وشـاعريته الـذي يصل في أكثر الأحيان إلى درجة الغرور، حتى ليقف أمام سيف الدولة فيقول له في صيغة من التعالي الذي يرتفع صوته حتى يأخذ شكل الأمر الذي لا يُرَدُّ:

وَدَعْ كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنني ... أنـا الطائر المحكِيُّ والآخر الصَّدى

ومضى المتنبي الإنسان، وعـاش المتنبي الشاعـر خالـدا حتى اليوم، واستمر الخلاف حوله لم ينقطع، ومازال النقاد والباحثون يختلفون فيه حتى بعد تلك الأعـوام التي تربـو على ألف عام طواهـا الزمن بعـد رحيله عن الحيـاة. حتى في أوساط المستشرقين لم يهدأ الخلاف حـولـه، فقد اختلفـوا حوله كما اختلف العرب، وترجموا بعض شعره - كما يذكر **جرجي زيدان في «تـاريخ آداب اللغة العـربية»** - إلى اللاتينيـة والفرنسيـة، وقامت حـوله دراسـات كثيرة اختلفت آراؤهـم فيهـا، على نحـو مـا نـرى عنـد **بلاشير وماسينيون وبروكلمان**.

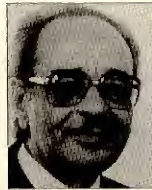
معارك قديمة:

وقد سجّل **القاضي الجرجاني** معركة القدماء حوله في كتابه «**الوساطة**»، عرض حجج الفريقين: أنصاره وخصومه، وحـاول أن يخرج برأي وسط

من كتاب العدد

● د. يوسف خليف

- من مواليد الإسكندرية في مصر.
- ليسانس آداب لغة عـربية من جامعة القـاهـرة عـام ١٩٤٤م، مـاجستير ودكتوراه من الكلية نفسها عام ١٩٥٠م عن (الشعـراء الصعـاليك)، وعـام ١٩٥٦م عن (حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني هـ).
- عمل معيدا بكلية آداب القاهرة ثم مدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا ثم رئيسا لقسم اللغـة العربيـة حتى الآن، وسبق أن عمل أستاذا بجامعـة الكويت ٦٨ - ١٩٧١م، ومقـررا للجنـة الـدراسـات الأدبيـة بالمجلس الأعلى للثقافـة بمصر بين عامي ٧٩ - ١٩٨٢م.
- فـاز بجائزة الملك فيصل العـالميـة في الأدب العربي عام ١٤٠٩هـ.



- مؤلفـاته: (الشعـراء الصعـاليك في العصـر الجاهلي)، (حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن ٢هـ)، (الحب المثالي عند العرب)، (ذو الرمة.. شاعر الحب والصحراء)، (دراسـات في الشعـر في العصر الإسلامي)، (تـاريخ الشعر في العصر العبـاسي)، (دراسـات في القـرآن والحديث)، وديوان (نداء القمم) أشرف على إصدار الجزء الأول مـن (موسوعة الروائع من الأدب العـربي) الذي يغطي العصر الجاهلي وستغطي هذه الموسوعة الفترة مـن العصر الجاهلي حتى العصر الحديث.

بينهما، لأن كلا الفريقين - كما يقول - ظالم للمتنبي أو ظالم للأدب فيه.

ولكن الحقيقة التي يكشف عنها ما بين السطور أنّ **الجرجاني** كان واضح الميل للمتنبي. وكذلك تتردد أصداء هذه المعركة عند **الثعالبي** في **«يتيمة الدهر»**، فهو يرصد الموقف بين خصومه وأنصاره، فيسرد ما أخذه خصومه عليه، وما استحسنه أنصاره له، ولكنه لا يحاول أن يقف حكما بين الفريقين، ولا أن ينصِّب من نفسه قاضيا يَفْصِل في هذه الخصومة، أو يحاول الفصل فيها، كما فعل القاضي الجرجاني.

ووراء **الجرجاني والثعالبي** وأمثالهما من حاولوا تحويل الخلاف حول المتنبي إلى قضية أدبية تتسع لحملات الاتهام وردود الدفاع، فريقان من النقاد: متعصب عليه ومتعصب له، وكتب ورسائل كثيرة ألفها هؤلاء وأولئك، ففي كفة **الاتهام** نرى أمثال **«المنصف للسارق والمسروق من المتنبي»** لابن وكيع، و **«الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى»** للعميدي، و**«الرسالة المُوضِحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره»** للحاتمي، و **«الكشف عن مساوئ المتنبي»** للصاحب بن عبّاد. وفي كفة **الدفاع** نرى أمثال **« الفَسْر»** و**«معاني أبيات المتنبي»** لابن جني رواية المتنبي الكبير، وأهم المعجبين به في عصره، وأكثرهم تعصبا له، وأشدهم إثارة لخصومه الذين شغلوا بالرد عليه من أمثال **ابن فورَّجة** الذي ألف كتابين في هذه الخصومة سمّى أحدهما **«التجنّي على ابن جني»** وسمى الآخر: **«الفتح على أبي الفتح»**، وأبي **حيان التوحيدي** الذي ألف **«الرد على ابن جني في شعر المتنبي»**، والشريف المرتضى الذي ألف **«كتاب تتبع أبيات المعاني للمتنبي التي تكلم عليها ابن جني»**.

وكذلك كان الشأن مع المحدثين: **طه حسين وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني وعبد الوهاب عزام ومحمود محمد شاكر وشوقي ضيف وشفيق جبري وزكي المحاسني وإبراهيم العريض وعبد العزيز بن عبد المحسن التويجري**، وغيرهم كثير في شتى البلاد العربية، لا يكاد يحصيهم العد، **شغلهم المتنبي فقدّموا للمكتبة العربية سيلا لم يتوقف من الدراسات حوله وحول شعره.**

ومع ذلك ففي ظني أن عبقرية المتنبي ما زالت تخفي وراءها أسرارا لم تكشف كل جوانبها حتى اليوم، وما زال البحر يخفي في أعماقه كنوزا من اللؤلؤ والمرجان لم تُعرَف مفاتيح أرصادها حتى الآن، ومازالت هذه الكنوز في حاجة إلى من يغوص وراءها لعلها تكشف له عما تخفيه من أسرارها المسحورة.

أهمية بالغة:

في رأيي أن أهمية المتنبي في تاريخ الشعر العربي ترجع إلى أنه استطاع أن يحرره من قيود الصنعة البديعية والزخارف اللفظية التي كبله بها شعراء مدرسة البديع العباسية التي ازدهرت في القرن السابق له، وبلغت ذروتها عند أبي تمام، وأن يعود به إلى أصالته التي كان عليها في عصوره الأولى حين كان تعبيرا حرا عن نفس صاحبه وعقله، لا تقيّده قيود الصنعة الثقيلة التي تحد حركته، أو سدود الزخرف الصناعيّ التي تعترض تدفُّقه وانطلاقه، وكأنما أحس أن هذا المذهب البديعيّ قد استنفد أغراضه مع أبي تمام، و تجمد من بعده في قوالب ثابتة فقدت حيويتها التي كانت لها في عصر ازدهاره، وأخذت ألوانه الزاهية تفقد بريقها الذي كان يخطف الأبصار من قبل، ومن هنا نشعر دائما في شعره بشيء من الانطلاق يذكرنا بكبار الشعراء القدماء الذين نهضوا بالشعر العربي قبل مدرسة البديع، بل نشعر كأنّه يحلِّق بنا بملء جناحيه القويين في آفاق فسيحة مترامية تمتد أمامنا إلى ما لا نهاية، أو كأنه يحملنا فوق نهر متدفق تتدفّع تياراته الصاخبة في قوة وعنف، وهي تجرف أمامها كل ما يعترض طريقها من سدود أو صخور، لتلقي بها بعيدا عن مجرى النهر، حتى لا يتوقف اندفاعه أو يتعثر تدفقه.

ومن أجل ذلك يتراءى المتنبي في هذه المرحلة من تاريخ الشعر العربي كأنه صاحب «ثورة التحرير» التي حرَّرته من عبودية مدرسة البديع، وهي المدرسة التي تعد امتدادا متطورا لمدرسة «عبيد الشعر» الجاهلية التي يدل اسمها الذي أطلقه عليها **الأصمعيّ** الراوية الكبير على طبيعة عملها الفني، والتي يصفها **الجاحظ** بأنها «استعبدت شعراءها»، أو - بعبارة أخرى - جعلت من شعرائها عبيدا للعمل الفنّي، يَشْقَون ويكدحون ويَنْصَبون ويتحملون في سبيله من الجهد والمشقة والعناء مثلما يتحمل العبيد في أعمالهم التي تفرض عليهم حياةُ العبوديّة القيام بها. فالمتنبي - كما يتراءى لي - هو محرر الشعر العربي في القرن الرابع، الذي خلَّصه من قيود العبودية التي كبَّله بها أصحاب مدرسة البديع في القرن الثالث، وردَّ عليه حريته الطبيعية وانطلاقته الحرة التي بدأ بها رحلته الفنية من فوق رمال الجزيرة العربية الخالدة.

مقومات فنية:

ولكن يبدو أننا يجب أن نقيّد هذا الحكم قليلا، وأن نحدِّد هذا الموقف الفنّي الذي وضعنا فيه **المتنبي** تحديدا أكثر دقة، وأن نضبط زوايا الرؤية التي ننظر إليه منها، فالمتنبي لم يعد بالشعر العربي إلى ما كان عليه في عصوره الأولى تعبيرا فطريا بسيطا يستمد فطريته وبساطته من البيئة التي أنبتته، وإنما أعاد إليه هذه الحرية ولكن في ثياب جديدة نسجتها خيوط عقلية معقدة غزلها من المواد الثقافية المتعددة المصادر التي استوعبها في أعماقه من ثقافات عصره المختلفة، وكأنه النحلة تجمع رحيق الزهر لتخرجه خلقا جديدا، شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس.

لم يكن المتنبي طبعة طبق الأصل من الشعراء القدماء، وإلاّ لفقد شعره طعمه الخاص ومذاقه المتميز الذي لا يخطئه أحد، ولاختفت منه شخصيته القويمة الطاغية التي تطل علينا دائما من وراء أبياته بكل ما نعرفه لها من ملامح مميزة، وقسمات معبرة، وسمات تنفرد بها ولا تتشابه فيها مع غيرها من الشخصيات، وإنما كان المتنبي طبعة جديدة تختلف عن هؤلاء الشعراء في جانب من **أهم الجوانب التي تميزه من بينهم**، وهو

ذلك «**العنصر العقلي**» الذي يشكِّل قاعدة أساسية من القواعد التي يقوم عليها بناؤه الفنّي، ومقوّما من أهم المقوّمات التي يعتمد عليها العمل الفنّي عنده. وهو عنصر أثقل شعره بكثير من الأفكار العقلية التي استمدها مما تعمقه من ثقافات عصره المتعددة، عربية وإسلامية وأجنبية، وأيضا مما اكتسبه من خبرة، **وما نضج في عقله من حكمة**، من خلال تجاربه الشخصية الواسعة التي أكسبته رؤية متميزة للحياة والأحياء. وبقدر ما تخفف **المتنبي** في شعره من أثقال الزينة اللفظية، وبقدر ما حرره من قيود الزخرف البديعيّ، أثقله بالأفكار العقلية البعيدة، والتراكيب التي كان في كثير من الأحيان يحرص على أن يبنيها بناءً منطقيا أرسطيا، **وعقَّده بالصياغة الفلسفية التي تحتاج إلى كثير من الجهد العقلي من أجل النفاذ إلى أغوارها العميقة، والإحاطة بأبعادها البعيدة.**

اطّلاع واسع:

كان المتنبي واسع الاطلاع على ثقافات عصره، شديد الاتصال بها، حتى ليخيل لمن يقرأ شعره أنه لم يكد يترك جانبا من جوانب المعرفة في عصره إلا اتصل به واستغله في شعره. وتفيض أخباره بأحاديث هذا

> لم تقف صلة المتنبي عند الثقافات العقلية، وإنما امتدت لتشمل اللغة والنحو والتراث الأدبي والتاريخي

الحرص على طلب المعرفة، ويذكرون عنه أنه كان يقضي الساعات الطوال من الليل ساهرا في القراءة عاكفا عليها، وأن الكتب لم تكن تفارقه حتى في أسفاره. وأعانته على ذلك ذاكرة قوية يصفونها ــ ربما في شيء من المبالغة، ولكنها بدون شك صدى للواقع وانعكاس للحقيقة ـ بأنها كانت تستطيع حفظ الكتاب من أول قراءة. **و أتاحت له بيئة حلب من ناحية، ثم البيئة المصرية من ناحية أخرى، فرصة ذهبية ليحقق طموحه إلى المعرفة**، فقد كان بلاط **سيف الدولة** مركز الحركة علمية على قدر كبير من الخصب والنشاط، وكانت مجالسه كل ليلة ندوة متصلة للعلماء والأدباء والفلاسفة واللغويين الذي كان يجزل لهم العطاء ليحقق لهم ما يريدونه وما يريده هو أيضا من تفرغ لرسالتهم العلمية، وهو الذي منح **أبا الفرج الأصفهاني** ألف دينار حين أهدى إليه كتابة «**الأغاني**». و كان قصره يضم مكتبة حافلة بالكتب النادرة أشرف عليها في أول الأمر الشاعر **الصَّنَوْبري**، ثم أشرف عليها من بعده الشاعران الراويتان الخالديَّان. **وفي هذه البيئة المواجهة بالنشاط العلمي التقى المتنبي بالفيلسوف العربي الكبير الفارابي، وتوطدت بينهما صداقة وثيقة، مما كان له أكبر الأثر في ثقافة المتنبي الفلسفية**، ولعل الفارابي كان هو الواسطة بين المتنبي و الفلسفة اليونانية.

وكذلك كانت البيئة المصرية، ففي بلاط كافور ندوات تعقد للعلماء والشعراء والمؤرخين، وفي قصور وزرائه ندوات أخرى، لعل أشهرها ندوة الوزير **جعفر بن الفرات** العالم المحدِّث الذائع الصيت الذي وضع مكتبته الزاخرة بشتى الكتب في شتى العلوم تحت تصرف العلماء الذين كانوا يجتمعون إليه. وفي المساجد التي كانت تموج بحلقات العلم والأدب واللغة نشاط علميّ لا يكاد يتوقف. ويذكر بعض المؤرخين أن المتنبي كان يعقد في مسجد منها حلقة أدبية يجتمع إليه فيها أدباء مصر وشعراؤها يكتبون عنه شعره وما يمليه عليهم من شروح له وتعليقات عليه، مما أثار حوله حركة نقدية في مصر كما كان الشأن معه دائما في كل مكان ينزل به.

ولم تقف صلة المتنبي عند الثقافات العقلية، وإنما امتدت لتصل أسبابه بالثقافات اللغوية والنحوية والتراث العربي الأدبي والتاريخي اتصالا وثيقا. ويذكرون عنه أنه كان واسع الاطلاع على كتب اللغة والنحو ودواوين الشعراء، واسع العلم بأسرار اللغة وغريبها ولهجاتها، ومذاهب النحاة واختلافهم وشواهدهم، ومذاهب الشعراء واتجاهاتهم الفنية. وفي شرحه لديوانه الذي سجّله عنه اللغوي الكبير المعاصر له وأحد رواة شعره **ابن جني** ما يدل على هذا العلم الواسع الغزير الذي يتراءى **المتنبي من** خلاله عَلَما من أعلام اللغة، وإماما من أئمة النحو، وراوية من رواة الشعر الكبار، عن فهم دقيق لأسرار التراث، وخبرة واسعة بأخبار العرب وحياة البادية، مما أمده برصيد لغويٍّ وفني ثريّ راح ينفق منه بغير حساب، ويتصرف فيه في ثقة، بل في جرأة، **تصرف البدويّ صاحب اللغة الواثق من سلامة سليقته وأصالة طبعه**، الذي لا يتردد في الرجوع إلى حسّه اللغويّ ـ إذا أشكل عليه أمر ـ وهو واثق من صحته، مطمئن إلى سلامته، لأنها أولا وقبل كل شيء لغته، ولأنه أيضا ابن هذه اللغة التي طُبع عليها، وهو بهذا المنطق الحاسم يدافع عن موقفه في اعتداد بهذه السليقة التي طبع عليها: «إنما أمري على طبعي، وأقول ما يسوّغه لساني». ولعل شيئا من ذلك هو الذي جعل **الصاحب بن عبَّاد ـ** أحد خصومه الألداء ــ يقول عنه في رسالته: «**الكشف عن مساوئ شعر المتنبي**»: «ومن أعظم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة، حتى كأنه وليدُ خِبَاء أو غَـذِيّ لبن، لم يطأ الحَضَر، ولم يعرف المَدَر». ولكن المسألة ليست ـ كما يصورها الصاحب ـ «تفاصحا» مفتعلا، وإنما هي «فصاحة» فطرية، وليست ألفاظا نافرة أو كلمات شاذة، ولكنها تصرف ابن البادية صاحب اللغة في لغته التي هو صاحبها، وحريته في أن يخرجها «من أيّ شِدْقَيه شاء».

ولعل ذلك أيضا هو الذي دفع طائفة من خصومه إلى إثارة قضية «السرقات» من حوله، والمسألة ـ كما أراها في وضعها الحقيقي ــ ليست سرقة، ولكنها ذلك الموروث الشعريّ الضخم الذي استقر في أعماقه، واختزنه في سراديب «اللاشعور» الخفية وكهوفه الغامضة، يتسرّب منها في غفلة من «الحارس» الواقف على أبوابها السحرية متنكرا في ثياب جديدة غريبة، كما تتسرب مكبوتات اللاشعور في صور غير مألوفة، لتتحول إلى

اختزن في أعماقه عالماً متناقضاً غريبًا يجمع بين البداوة والحضارة، ويتداخل فيه الموروث مع الوافد..!

رؤى وأحلام كأنها صادرة من عالم غريب لا عهد للنائم به.

قضايا متناقضة:

لقد استطاع المتنبي أن يختـزن في أعماقه عالما متناقضـا غريبا يجمع بين البداوة والحضارة، ويتـداخل فيه الموروث العربي بأصالته وعراقتـه والوافد الأجنبي بطرافتـه وجِدَّته، وأيضـا بتعقيداتـه الفلسفية وتشكيلاتـه العقلية وأقيسته المنطقية. وبهذا استطاع أن يقـدم قصيدة حضريـة في أفكارهـا، بـدوية في صيـاغتهـا لهذه الأفكار، تقـوم على مـوازنـة بارعـة بين العنصر الأجنبي الوافد والعنصر البدويّ الأصيل، أو ــ بعبارة أخرى ـ بين الفكرة العقلية الجديـدة والصياغـة البدويـة الموروثة، واستطـاع ـ بعـد استئذان أصحاب الكيمياء في استعارة مصطلحـاتهم ـ أن يذيب العنصر العقلي في شعـره، وَيُحوِّله إلى «مـادة منصهـرة» تمتـزج بالعنصر البـدوي، وتسرى في عـروقه، فتخلقـه خلقـا جديـدا، وتبث فيـه حيـاة لم نعهدهـا من قبل في أساليب الشعـراء، وتكسبه طعما غريبـا لم نألفه عنـدهم. ومن هذا المزاج الغـريب الـذي تذوب فيـه «المادة الأوليـة» لتتحـول إلى مادة جـديـدة لها خصائصها الأصلية ولكن ليس لها شكلها الأول، خرج المتنبي على الشعر العربي بقصيـدة جديدة، أهم مـا تمتاز به أنها انعكـاس صادق لهذا المزاج الغـريب بين عقل الحضريّ المثقف الـواسع الثقـافة وأسلـوب البـدوي في أصالته الفطرية وعراقته الموروثة، وهي «القصيدة البدوية الحضرية».

رفع المتنبي شعـار «تحرير الشعـر»، وأعلن «ثـورة التحريـر»، ومضى يطبق مـذهبـه الفني في شعـره، فخـرج على مجتمعـه الأدبي بهذه الصيغـة الجديدة للقصيدة العـربية: **«القصيدة البدويـة الحضرية»** التي وضعت نهايـة لقضيـة الصراع بين القـديم والجديـد، أو الخصـومـة بين مـذهب المحافظين من أصحاب **«عمود الشعر»** ومذهب المجددين من أصحاب **«البديع»**، وهي الخصومة التي شغلت جيل الشعراء الذين سبقوه في القرن الثالث، واستنفدت جهود نقاده المحافظين والمجددين على السواء، وأخذ يلفت إليه الأنظار ـ في شيء من التحدي والعنف والعدوانية ـ **شاعرا يجمع بين الأصالـة والمعاصرة، ويمـزج بين البداوة والحضـارة،** ويقدم للشعر العـربي هذه الصيغـة الجديدة التي حقـق بها هذه المعـادلة بين الطـرفين، والتي حققت له ما كـان يدعو إليه من «تحرير» القصيدة العـربية من قيود البديـع التي أثقلتها بـه مدرسة البـديع العباسيـة في القرن الثـالث، وهي المدرسة التي بـدأ حياتـه الفنية تلميذا بـارعا فيهـا، ولكنه لم يلبث أن تحرر من إسارها إلى عالم فسيح مترامي الآفاق ينطلق فيه حيث يشاء، ويحلِّق في سمائه ملء جناحيه القويين حُرًا طليقا لا تثقله قيود الصنعة الزخرفية، ولا تحد من انطلاقه أغلال البديع.

لقد وجد المتنبي نفسه، وحقق ذاته، واستقل بشخصيته، وخرج ـ بل انطلق ـ يرتاد دروبا جديدة مع قصيدته الجديدة «البدوية الحضرية».

قائمة ببليوجرافية بأهم الدراسات عن المتنبي

أولا ـ عن المصادر القديمة:

ـ ديوان المتنبي بشرح الواحدي (برلين ١٨٦١)

ـ ديوان المتنبي بشرح العكبري (الحلبي ـ القاهرة ١٩٧١م)

ـ ديوان المتنبي تحقيق عبدالوهاب عزام (دار الزهراء ـ بيروت ١٩٧٨م)

ـ زيادات ديوان شعر المتنبي تحقيق عبد العزيز الميمني (السلفية ـ القاهرة ١٩٤٥م)

ــ الثعالبي: يتيمة الدهر (دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٣م)

ــ الجرجاني (القاضي عبدا لعزيز): الوساطة بين المتنبي وخصومه (الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٦م)

ــ ابن جني: الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي (بغداد ١٩٧٣م)

ـ الحاتمي: الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره (دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥م)

ــ الصاحب بن عباد: الكشف عن مساوئ المتنبي (المعارف ــ بغداد ١٩٦٥م)

ـ العميدي: الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى (دار المعارف بمصر ١٩٦١م)

ــ يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (دار المعارف بمصر ١٩٦٣م)

ثانيا ـ من الدراسات الحديثة:

ــ إبراهيم عبد القادر المازني: حصاد الهشيم (القاهرة ١٩٦١م)

ـ إبراهيم العريض: فن أبي الطيب بعد ألف عام (بيروت ١٩٦٢م)

ـ زكي المحاسني: المتنبي (دار المعارف ـ مصر ١٩٦١م)

ــ شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي (دار المعارف ــ مصر ١٩٧٤م)

ــــ شوقي ضيف: عصرا الدول والإمارات: الجزيرة ـ العراق ـ إيران (دار المعارف ـ مصر ١٩٨٠م)

ـ طه حسين: مع المتنبي (دار المعارف ـ مصر)

ـ عباس محمود العقاد: مطالعات في الكتب والحياة (التجارية ـ القاهرة ١٩٢٤م)

ـ عباس محمود العقاد: آراء في الأدب والفنون (الهيئة العامة للكتاب)

ــ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري: في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء (المكتب المصري الحديث ـ القاهرة ١٩٨٢م)

ــ عبد الغني الملاح: المتنبي يسترد أباه (دار التآخي ـ بغداد)

ـ عبد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام (دار المعارف ـ مصر ١٩٥٦م)

ـ محمد عبد الرحمن شعيب: المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث (دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩م)

ـ محمود محمد شاكر: المتنبي (دار المدني ـ جدة، الخانجي ـ مصر ١٩٨٧م)

ـ مصطفى الشكعة: أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين (عالم الكتب ـ بيروت ١٩٨٣م)

ــ النعمان القاضي: كافوريات أبي الطيب (مركز الشرق الأوسط ـ القاهرة ١٩٧٥م).

تأملات.. في الناس

شعر: سعيد حسين القاضي

مَالَ الزمانُ فلم يسمعْ لشكوانا … والحُكْمُ لا ينصف الأحرارَ أحيانا
ياقلب صبراً فما للّوم فائدة … وامرح قليلا فقد أُتخِمتَ أحزانا
أإن رأيت رياحاً بالمنى عصفتْ … تبك الأماني بلحنٍ فاض أشجانا
وإن رأيت آمرأً يزهو بمنقصةٍ … فيه تجلّتْ .. قضيت الليل سهرانا
هل كلفتك الليالي أن تقوِّمها … أو أن تقيم بها للعدل ميزانا .. ؟؟
أما رأيت أناساً ماهم هِمَمٌ … يبغون نيل العلا والمجد « مجانا »
مثل الجراد يريد القفز مرتفعاً … لكنْ قواه وَهَتْ فارتدّ ندمانا
أو كالفراشة تأتي النور مسرعة … كيما تلاقي لدى الأنوار نيرانا .. ؟
أما رأيت أناساً للعلا صعدوا … مثل الفقاقيع تعلو الموج أحيانا
يرميهمُ البحر في حنقٍ ويقذفهم … من بعد أن سببوا للبحر غثْيانا
خفوا فطاروا ولَجُوا في تطاولهم … حتى كساهم غرور الطيش أكفانا .. ؟
أما رأيت أناساً كيف تحسبهم … في صفوة العيش أحباباً وإخوانا
إن يضحك الدهر قالوا أنت سيدنا … وأظهروا الودَّ تقديراً وعرفانا
لكنْ .. إذا مالت الأيام أو عَبَستْ … كانوا عليك ـ مع الأيام ـ أعوانا
يا كم رأيت صنوفاً لَسْتُ أحصرها … وسلْ خبيراً بهم إن شئت برهانا
هوِّنْ عليك فكم في الناس من عجب … ولا تصاحب صغيراً حيثما كانا
قد يألف المرءُ مَن أمسى يشابهه … والحر لا يرتضي الجُهال خلاّنا
تأبى الأسود طعاماً سيئاً عَفِناً … وتجذب الجيفة النكراء غربانا
ولا يؤاخي دنيئاً قطُّ ذو شيمٍ … ولن يصادق ليث الغاب ثعبانا
كم في الرياض زهوراً ريحها عبقٌ … والوحل يفرز أعطانا وديدانا
لا خير في الفن .. بل لا خير في أدب … إن لم يكوِّنْ لدى الإنسان وجدانا
فإن رأيت آمرأً شهماً له قيم … يرعى الجميل .. فقد أبصرت إنسانا

مِن ركائز التضامن الإسلامي

بقلم: أ. د. أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾ (الحجرات/ ١٠). في هذه الآية الشريفة، يقرر الإسلام أخوة الإيمان، وأنها لا تتقيد بعلاقة النسب فإن أخوة النسب تنقسم بمخالفة الدين، ولكن أخوة الدين لاتنقسم بمخالفة النسب. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا**» والتجسس: هو الاستماع لحديث القوم، والتناجش: هو أن تزيد في ثمن السلعة دون رغبة في شرائها لتحريض الغير عليها، وفي رواية أخرى بلفظ مسلم يبين الرسول صلوات الله وسلامه عليه حقوق هذه الأخوة وواجباتها «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».

ومن الواجبات المترتبة على أخوة الإيمان بين المسلمين ما جاء في الآية الشريفة: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾.. فالإصلاح بين كل مسلمين أو طائفتين، واجب تمليه أخوة الإيمان، وقد مهدت الآية الشريفة طريق الإصلاح بالتزام التقوى، حتى لا يحيد المصلحون ولا يحابي بعضهم بعضا، بل يكون العدل رائدهم والتقوى طريقهم وبهذا تتحقق الغاية الكريمة وهي رحمة الله بالمؤمنين دنيا وأخرى ﴿**واتقوا الله لعلكم ترحمون**﴾ ويدعو القرآن الكريم جميع المؤمنين أن يطهروا البيئة الإسلامية من رذائل شتى:

١ - منها الرذائل الظاهرة التي تتعلق بالجوارح كالسخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

٢ - ومنها الرذائل الباطنة التي تتعلق بالمشاعر كالظن.

أما الأولى الظاهرة: فيقول فيها القرآن: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم**﴾ (الحجرات / ١١) فينهى الله تعالى عن سخرية بعض الناس ببعض، فعسى من سخروا منه أن يكون خيرا منهم عند الله تعالى، في عقيدته وفي عمله وفي باطن أمره. فإن مقاييس الخيرية ليست في المظهر ولا في الشكل، ولكنها فقط في التقوى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ (الحجرات / ١٣) وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

وإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم**﴾ نرى أنه ورد في سبب نزولها آراء منها: أنها نزلت في وفد بني تميم عندما استهزؤوا بفقراء الصحابة أمثال عمار وبلال وخباب وابن فهيرة وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم، لما رأوا من رثاثة حالهم..

وقيل: نزلت في سخرية الغني بالفقير، وقيل: في عكرمة بن أبي جهل، فعندما جاء إلى المدينة مسلما كان بعض المسلمين إذا رأوه قالوا ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فنزلت هذه الآية، وقال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر فإذا سبقوه إلى مجلس النبي ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبي ﷺ فلما انصرف النبي ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه فرضي كل رجل منهم بمجلسه وعضوا فيه - أي لزموه - فلا يكاد يوسع أحد لأحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا، فيظل قائما فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبي ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له: تفسح. فقال الرجل: قد وجدت مجلسا فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال: من هذا؟ قالوا: فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، يعيره بها يعني أمّا له في الجاهلية فاستحى الرجل فنزلت. أهـ تفسير القرطبي.

وقد نصت الآية على النساء كذلك وأفردتهن بالذكر في النهي عن السخرية، وذلك لأن السخرية تقع كثيرا منهن، «**فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه**» ولذا نص عليهن في قوله: ﴿**ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن**﴾ وقد جاء في سبب نزولها أن مرأتين من أزواج الرسول ﷺ سخرتا من أم سلمة عندما ربطت خصريها بثوب أبيض وسدلت طرفيها خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنها: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذه سخريتها. وقال أنس وابن زيد: نزلت في نساء النبي ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر وقيل: نزلت في عائشة أشارت بيدها: يا بني إنها لقصيرة تعني صفية بنت حيي رضي الله عنها وقال عكرمة عن ابن عباس: إن صفية بن حيي بنت أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني فأنزل هذه الآية..

وقد نهى الله تعالى كذلك عن اللمز (وهو العيب)، ويكون تعبيرا باليد، أو العين أو اللسان أو الإشارة.

وأما الهمز فيكون باللسان. قال تعالى: ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾ ويدل هذا التعبير الحكيم على أن المؤمنين نفس واحدة، فلا يليق بهم أن يعيب بعضهم بعضا، وكما لا يعيب المؤمن نفسه لا ينبغي أن يعيب غيره، فالمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

دون تنابز:

ومن الرذائل التي نهى عنها الإسلام: التنابز بالألقاب. قال تعالى: ﴿**ولا**

تنابزوا بالألقاب﴾ قيل: إنها نـزلت في بني سلمـة، قدم رسـول الله ﷺ وليس رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فنزلت الآية، وقال الحسن ومجاهد: كان الرجل يعير بعـد إسلامـه بكفره، كأن يقول لـه: يا يهودي يـا نصراني، فنزلت الآية. وقال قتادة: وقول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق..

قال تعالى: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ يقول ابن زيد: أي بئس أن يسمى الرجل كـافرا أو زانيا بعد إسـلامه وتوبتـه.. وقيل من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. أما بعض الصفات التـي يكون ظاهرها الكراهة، ولكن لا يراد بها العيب حين التحدث بها فلا بأس بها. وقـد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقـول: حميد الطـويل، سليمان الأعمش، وحميد الأعـرج، ومروان الأصفر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وقد ختم الله تعالى الآية الكريمة التي نهى فيها عن تلك الرذائل بتهديد من تسول لـه نفسه الاسترسال في مثل هذه المعـايب بأنه وقع في الهلاك وأصبح من الظالمين لأنفسهم لارتكـابها فقال تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظـالمون﴾ وإذا كان التنابز بالألقاب مما يعيب المسلم ويمزق ود الصدور، فإن بديله وهو نداء المسلـم لأخيه بأحب الأسماء ممـا يصفي له ود أخيـه، يقول عليـه الصلاة والسلام: «ثـلاث يصفين لك ود أخيـك تسلم عليـه إذا لقيتـه وتـوسع لـه في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

ومثال النوع الثاني وهي الرذائل الباطنة التي تتعلق بالقلب والشعور: (ظن السوء) وقد حذر الله تعالى من الظن في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظـن إن بعض الظن إثم﴾. (الحجـــرات / ١٢) وقد نـزلت هـذه الآية الكريمة كما قال أبو عبـد الله القرطبي في رجلين من أصحاب النبي ﷺ اغتابا رفيقهما وذلك أن النبي ﷺ كـان إذا سـافـر ضم الـرجل المحتـاج إلى الـرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان إلى رجلين، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام، ولم يهيئ لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعامـا وإداما فقالا له: انطلق فاطلب لنا من النبي ﷺ طعاما وإداما فذهب فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى أسامة بن زيد فقل له إن كان عنده فضل من طعـام فليعطك. وكان أسامة خازن النبي ﷺ فذهب إليه فقـال أسامة: ما عنـدي شيء، فرجع إليهما وأخبرهما، فقالا: قـد كان عنـده ولكنـه بخل ثم بعث سلمان إلى طـائفة مـن الصحابـة فلم يجد عندهم شيئًا فقالا: لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحـة ـ وهي بئر قديمة بالمدينة بها ماء غزير ـ لغار ماؤهـا، ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة شيء فرآهما النبي ﷺ فقال: مالي أرى خضر اللحم في أفواهكما؟ فقـالا: يا نبي الله والله ما أكلنا في يومنـا لحما ولا غيره، ، فقال: ولكنكما ظللتما تـأكلان لحم سلمان وأسـامة. فنزلت الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».. والظن الـذي تحذر الآية منه هـو: الظن الـذي يقوم على اتهام لا أساس له ولا سبب يوجبه.

ومن الـرذائل المنهي عنهـا «التجسس» وهـو البحث عما يكـون خفيـا عن الإنسان كمـن يتهم إنسانـا بفاحشـة أو بشرب الخمر مثـلا دون أن يبدو لـه ما يقتضي ذلك أو دون أن تظهر له علامة على تحقيق ظنه كأن يكون المظنون به من أهل الصلاح والتقوى فإن ظن السـوء به حينئذ يكون محرمـا، هذا بخلاف من عُرف واشتَهر بين الناس بمخالفة الشرع والمجاهـرة بالمعاصي فلا يكون الظن به محرما.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله حرَّم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء».

هـذا ويترتب على الظن التجسس ثم الغيبـة وذلك لأن مجرد التهمة يكـون سببـا في البحث عما ساور الإنسـان من خاطـر فيحاول التجسس ليتحقق ممـا يظنه فينتقل من درجة الظن إلى درجة التجسس ثم يدعوه وقوفه بالتجسس على بعض ما يعلم أو مـا لا يعلم إلى غيبة أخيـه فينتقل إلى درجة أسوأ وحـالة أكبر وهي الغيبة وهكذا.

وينقي الإسـلام جـو المجتمع على مختلف طبقاتـه ويـوضح كيف يتفـاقم الخطر من جراء الظنـون السيئة بين الناس بعضهم مع بعض، بل وبين الحاكم والمحكوم، فحين يبتغي الحاكم الـريبة في الناس يفسـد ذات بينهم، ويوضح الرسـول ﷺ خطر الغيبة والتجسس ويبين نتائجهـا السيئة التي لا تقتصر على الآخرة فحسب بل إن المغتـابين والمتجسسين ينالون جزاءهم في الـدنيا وعقابهم فيها قبل الآخرة، قال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن اتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته».

"أدرك سلفنا الصالح خطر التجسس فنهوا عنه وحذروا منه.."

وقد كـان سلفنا الصالح يـدركون خطر التجسس ومـدى حرمته، فكـانوا يبتعدون عن التجسس وعن تتبع أسرار الناس حتى ولـو ترتب على ذلك إقامة حكم من أحكام الشريعة، أو إقـامة حد من حدود الله، قـال عبد الرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابـه مجاف على قوم لهم أصوات مـرتفعة ولغط، فقال عمـر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهما الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه.. قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسسنا وانصرف عمر وتركهم.

كفارة الغيبة:

ومن الـرذائل المنهي عنهـا «الغيبة» قـال الله تعـالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ وقد فسر الرسول ﷺ معنى الغيبـة: ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره». قيل: أفـرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كـان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته.

وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صورة محسوسة لأولئك المعتدين المغتابين وكيفية عذابهم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم»**. وقد صور القرآن الكريم صاحب الغيبة في هيئة مستقذرة، وصور تدل على خسة الطبع ودناءة النفس وفساد القلب، قال تعالى: **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾** فصور الله تعالى الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبته ممن اغتابها، ولننظر بعد تصوير الرسول ﷺ للغيبة: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه حين جاء ماعز إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه بالزنا فرجمه الرسول ﷺ، فسمع نبي الله ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: «أين فلان وفلان»؟ فقالا: نحن يا رسول الله، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله ومن يأكل هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه، والذي نفسي بيده إنه لفي أنهار الجنة وينغمس فيها». !!

وحكم الغيبة: أنها من الكبائر قال ﷺ: **«دماؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»**. واتفق العلماء على أنها من الكبائر تجب التوبة إلى الله منها، واختلفت الآراء هل يستحل المغتاب أم لا؟!

١ ـ فقال بعض العلماء: ليس عليه استحلاله، وإنما هي خطيئة بينه وبين ربه واستدل أصحاب هذا الرأي بأنه لم يأخذ شيئا من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه فليس في ذلك مظلمة يستحلها منه وإنما المظلمة ما يكون في المال والبدن.

٢ ـ وذهبت فرقة أخرى: إلى أن الغيبة مظلمة، وكفارتُها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه واستدلوا على ذلك بما روي عن الحسن: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.

٣ ـ وذهبت فرقة ثالثة: إلى أن الغيبة مظلمة، وعلى صاحبها الاستحلال منها، واستدلوا على ذلك بما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون له دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه﴾**.

والذي نُرجحه: هو الرأي الثالث القائل: بأن على الذي اغتاب الاستحلال من غيبته لحديث البخاري، فهو يدل على التحليل وحديث الرسول ﷺ هو الحجة والبيان الصحيح ولأن التحليل كذلك يدل على التعاطف والتراحم وهو من قبيل العفو قال الله تعالى: **﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾** (الشورى / ٤٠). اللهم إلا إذا ترتب على الاستحلال خطأ شديد، ومخافة أن يجر إلى اندلاع فتنة كبرى فإنه حينئذ يمسك عن الاستحلال حتى يواتيه الوقت الملائم له ويقول بالتوبة والاستغفار لأخيه.

وأما الرأيان الثاني والأول: فنرى أن أصحاب الرأي الأول ينفون الاستحلال متعللين بأنه لم يصب مالا ولا بدنا فليس في ذلك مظلمة والحق:

أن إجماع العلماء منعقد على أن على القاذف للمقذوف مظلمة بأخذه بالحد حتى يقيمه عليه وذلك ليس في البدن ولا في المال، فهذا دليل على أن الظلم في العرض والبدن والمال، وأما الرأي الثاني القائل: إنها مظلمة يستغفر لصاحبها ففيه تناقض لأن قولهم «مظلمة» يثبتون ظلامة المظلوم وإذا ثبتت لم يزلها عن الظالم إلا إحلال المظلوم له وهذه الأحكام سارية في سائر المظالم. وأما صاحب الهوى والفاسق المعلن فسقه والإمام الجائر فكل هؤلاء لا غيبة في حقهم فإن من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له بل إنَّ ذكرهم بما هم عليه يحذر ويكشف عوارهم.

قال ﷺ: **«اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس»**، وإذا كانت واجبات الأخوة في الدين تقتضي تكريم المؤمن ونفي كل الرذائل عن دائرة نفسه ومجتمعه وتحتم احترام المسلم لأخيه ومساعدته له وعدم التعرض بما يسيئه في نفسه أو ماله أو عرضه.

إذا كانت هذه وغيرها من أسمى المبادئ لتكريم الإنسان المسلم فإن الله تعالى قد وسع دائرة هذه الأخوة فلم يجعل للأسرة الإسلامية حدودا تحدها قرابة أو نسب أو زمان أو مكان أو بيئة أو مجتمع بل إن الإسلام فتح أمام أتباعه آفاق التعارف والتآلف.

واستهدف من وراء جعله لهم شعوبا وقبائل التعارف المثمر الذي يكمل بعضهم بعضا في إطاره المشرق.

ولم يجعل من اختلافهم في اللون أو اللّغة أو المال أو القوة سببا للتمايز والتعاظم، فنفى أن تكون هذه الأسباب أصولا للتكريم أو قواعد للتعظيم وإنما جعل المعيار الحقيقي الذي توزن به منازلهم منحصرا في شيء واحد هو «تقوى الله». .

قال الله تعالى: **﴿يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** (الحجرات / ١٣).

اللعبة السردية في رواية "سارة"

بقلم: بلغيتي علوي مريم (المغرب)

العقـاد

"سارة" هو عنوان الرواية اليتيمة التي أصدرها الأديب والمفكر العربي الراحل «عباس محمود العقاد»، وبرغم العناية الفائقة التي حظيت بها إنتاجات هذا المفكر، فإن هـذه الرواية بقيت في الظل، حيث لم تحظ بما تستحق من نقد وتحليل.

وحتى تكون مقـاربتنـا واضحـة، فإننا نسـارع إلى القـول بأن منطلقـاتنـا المنهجية هي منطلقات المنهج البنيوي الذي يعتبر العمل الأدبي نصًا مـاديًا تامًا ومنغلقًا على نفسـه، ولأنه منغلق فهـو ينبني على نظام داخلي يجعل منـه وحدة محددة، والنظـام في النص لا يكمن في ترتيـب عناصره، وإنما يكمن في شبكـة من العـلاقـات تنشأ بين المكـونـات. وحين نتبنى هـذا المنهج، فإن علينـا أن نضبط هذه المكونات وأن نستكنه وظـائفها وطرق اشتغالها، الشيء الذي يؤدي بنا في النهاية إلى تحديد نظام النص وبالتالي بنيته.

القصة والخطاب في الرواية

يميز جيرار جونيط[1] داخل الرواية بين عنصرين أساسيين هما:

القصة (Histoire) والخطـاب (Discours). وهـو يعـرف القصـة بأنها مجموعة الحقائق والشخصيات والأحداث التي تقـدمها الرواية. أما الخطاب، فهو طـريقة تقديم القصـة، وحتى يكون هناك خطاب فـلا بد من توفـر سارد Narrateur يقـوم بعمليـة الحكي، ومسرود لـه Narrataire يتلقـى الحكـي ويستقبله.

وحسب جيرار جـونيط أيضا، فـدون قصة أو خطاب لا يمكـن أن يكون هناك حكي ولا أعمال حكائية. لكن ما هـو أساسي في الرواية ليس هو القصة في حد ذاتها وإنما طريقة تقديمها، أي الخطاب[2].

وانطلاقا من ذلك نستطيع أن نتناول ما يلي:

١ ـ قصة «سارة»

القصـة في هـذه الـروايـة قصـة بسيطـة وهي عبـارة عن عـلاقـة حب بين شخصيتين هما: **«سارة» و«همام»** وهي كأغلب عـلاقات الحب تبـدأ باللقـاء مصادفة، يتلوه حديث يؤدي إلى إعجاب كل واحد منهما بالآخر، فينشأ الحب وتنشأ معه المشكـلات بسبب شكوك **«همام»** في **«سارة»** نظرا لعلاقاتها الغرامية السابقـة مما يـؤدي إلى قطيعة مـؤقتة يعقبهـا صلح ثم شكـوك جديـدة فقطيعة نهائية..

وكما هو معلوم، فإن هذه القصة تصلح لأن تكون موضوع فيلم أو مسرحية أو قصيدة.. كما أنـه بإمكـان الخطاب الـروائي أن يقدم إلينـا أحداثهـا بطرق مختلفة ومتباينـة، لذلك فإننا سنطـرح السؤال التالي: **كيف قدم إلينـا الخطاب الحكائي هذه القصة؟ أو ما التقنيات التي وظفها في سبيل ذلك؟**

للإجابة عن هذا السؤال سنتناول مستوى «الخطاب» في هذه الرواية وضمنه سنتناول العناصر التالية:

أ ـ الرؤية السردية.

ب ـ وظائف السارد.

جـ الزمن:

ـ زمن القصة

ـ زمن السرد

٢ ـ خطاب «سارة»

(أ) الرؤية السردية: إذا كان المقصود بـالخطاب ـ كما أوضحنا ـ هـو طريقة تقديم القصة في الرواية، فإن ما يجب أن نشير إليه هو أننا لا نصادف القصة في الرواية مقدمة تقديمًا مجردًا وموضـوعيًا، بل إنها تقدم دائما منظورًا إليها من زاوية معينة، ذلـك أن الكاتب / الـروائي لا يتكلم بصوتـه في الروايـة، وإنما يفوض ساردًا تخييليًا يـأخذ على عاتقه عملية الحكي. وقـد قسم النقاد[3] العلاقات الممكنة بين السارد والقصة إلى ثلاثة أقسام هي:

١ ـ أن يكون السارد عالمًا كل شيء عن قصته وأحداثها وشخصياتها حيث يستطيع أن يخترق جميع الحجب والحواجـز من أجل أن يعطينـا تفـاصيل عـالم الرواية، وتسمى هذه الرؤية: **«رؤية من خلف»** (Vision de derrière).

٢ ـ أو أن يكون السارد مساويًا في معرفته لباقي الشخصيات حيث لا يعلم إلا ما تعلمه هي نفسها، وتسمى هذه الرؤية **«رؤية المعية»** (Vision avec).

٣ ـ وإمـا أن تكون معـرفة السارد أقل من معـرفة الشخصيـات، وفي هذه الحالـة يتحول السـارد إلى مجرد واصف للحركـة الخارجيـة للشخصيات ونـاقل للأصوات ويطلق على هذه الرؤية **«الرؤية من خارج»** (Vision de dehors).

انطلاقًا من هذا التقسيم نستطيع أن نسجل ما يلي:

★ **أولاً**: أن سـارد روايـة «سـارة» يعتمـد في عمليـة الحكي على ضمير **الغائب**: المفرد (هو أو هي) والمثنى (هما):

ـ (سـار (همام) في وجهة المنـزل وكأنه يـريد أن يبتعد منـه لا أن يدنـو إليه بخطـاه، وفي يده حقيبـة صغيرة لا يدري مـاذا يصنع بها، ويزعم أنـه يود لـو ألقاها في عرض الصحراء لولا ما فيها من حديث يصونه عن الإفشاء...) ص (٧٧).

ـ (ثم أقبلت في ثوبها العنابي وطرتها المشتهاة! ونظرت إليه وهمت أن تنحرف إلى ناحية الصحراء...) ص (٧٦).

ـ (... الحقيقة أنهما ـ أي صاحبنا وصاحبتنا ـ قد تغيرا كثيراً بعد أن مضت على صحبتهما برهة من الزمن، ولكنهما لبثا برهة أخرى من الزمن وهما لا يريدان أن يعترفا بهذا التغيير) ص (٣٣).

★ **ثانيًا** : أن السارد في هذه الرواية **كلي المعرفة** (Omniscient) لأنه لا يكتفي بتقديم أحداث الرواية وشخصياتها بل ينقل إلينا أيضا ما يدور بخلد هذه الشخصيات، كما يصور لنا مشاعرها وإحساساتها الخفية، وكنموذج على ذلك نقدم الأمثلة التوضيحية التالية:

ـ (مضت الأشهر وخيل إلى صاحبنا أنه لم يعد يخشى أو يذكر) ص(٤٩).

ـ وكأنها ندمت (سارة) مرة أخرى على الركوب، وعلى اللقاء، وعلى السؤال، لأنها كانت تنتظر من صاحبها لهفة على مكان من أماكن الرياضة المعهودة التي ألفا أن يترددا عليها. . . فجلست صامتة.

وجلس (همام) كذلك صامتا، وطال الصمت لا لأنه يريده أو لأنه كان يأبى الكلام، ولكن لأنه كان يفتش عن كل كلام الدنيا فإذا هو يهرب. . . أو يستعصي ولا ينقاد.

كان الكلام الذي يريد. هو التواعد إلى غد حيث يلتقيان في المنزل، وحيث يقولان ويعيدان ويتأهبان للعذر ويتأهبان للملام. ولكن هذا هو بعينه الكلام الذي كان لا يريده!) ص (١١).

إذن فرؤية السارد في هذه الرواية «رؤية من خلف» أي أن السارد مهيمن هيمنة تامة على عالم الرواية.

« وظيفة الوصف في الرواية تفسيرية رمزية وليست بشكل مباشر »

(ب) **وظائف السارد**: إضافة إلى وظيفته الأساسية التي تتجلى في الحكي (أي تقديم الأحداث والشخصيات والحقائق)، يمكن للسارد أن يقوم بوظائف أخرى موازية منها: التعليق والوصف.

وهو حينما يعلق على الأحداث، فذلك من أجل تحليلها وتأويلها بغية تقريبها من المسرود له / المتلقي.

وكدليل على وظيفته هذه نقدم النموذجين التوضيحيين التاليين:

ـ (مضت خمسة أشهر قبل أن يجرؤ على عبور ذلك الشارع مشيًا على قدميه).

وليس الشارع مقفرًا أو مخيفًا، لأنه محاط بالمعمار مزدحم في جوانبه بالسابلة والسكان.

وليس هو بالبعيد عن طريقه، لأنه يوشك أن يحتاج إليه في ذهابه وإيابه إلى حيث يقيم في ضاحية المدينة.

ولكنه كان شارعًا يلتقيان فيه عند ذهابهما إلى دار الصور المتحركة ثم يلتقيان فيه عند خروجهما منها) ص (٥).

ـ (ووقفت هي أيضا لا تدري ما تقول، وكأنها ندمت على الكلمة لأنها لم تسمع لها جوابًا سريعًا، ولم تزل تخشى ما يجيء به الجواب. فأومأت إلى مركبة قريبة واقفة بين مركبات كثيرة، وإذا بهما يسيران معا إلى تلك المركبة، فتجلس فيها ويجلس هو إلى جانبها وهي تقول:

ـ هذا خير من أن يرانا الناس مشدوهين كالصنمين! والواقع أن الناس التفتوا فعلا وجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويتهامسون) ص(١٠).

أما فيما يتعلق بالوصف، فقد كان دائما حسب جيرار جونيط [٤] ذا وظيفة في الأعمال الحكائية (ومنها الرواية)، **وقد حصر هذا الناقد وظائف الوصف في وظيفتين أساسيتين هما**:

١ ـ **الوظيفة التزيينية أو الزخرفية** (Déciratuf).

٢ ـ **الوظيفة التفسيرية الرمزية** (Explicatif et symbolique).

وإذا كان الأمر كذلك فما وظيفة الوصف في هذه الرواية؟ للإجابة عن هذا السؤال نقدم أولاً هذين النموذجين:

ـ (كانا يجلسان إذا دخلا تلك الدار في مكانين متجاورين ولكنهما لا يدخلان إليها ولا يخرجان منها متجاورين)ص(٥).

ـ (كانا يتلاقيان ـ إذا لم يتلاقيا في المنزل ـ عند مفترق طريق في الضاحية ينشعب يمينًا إلى ناحية الصحراء، ويسارًا إلى ناحية الأندية ودور الصور المتحركة، وكانت تلمحه مقبلاً فتسبقه خطوات إلى حيث تواعدا من قبل فإما إلى الصحراء أو في بعض الأندية يدخلانها على انفراد) ص (٧٥).

من خلال هذين النموذجين التوضيحيين يتبدى لنا بوضوح أن وظيفة الوصف في هذا النص تفسيرية رمزية، حيث نلاحظ من خلال النموذجين المسجلين أعلاه، أن «سارة» و«همام» لا يلجان دور الصور المتحركة (السينما) متجاورين ولا يخرجان منها متجاورين والسارد بذلك يرمز إلى كونهما لا يستطيعان إعلان علاقتها أمام الملأ خوفا على سمعتهما واتقاء لشر الألسن كما أنه يرمز بذلك إلى كون المجتمع كان محافظا. لكل ذلك، فإنهما لا يذهبان إلى الأماكن الفارغة التي لا يمكن لأحد أن يراهما فيها، أما إذا ذهبا إلى مكان عام (السينما مثلا)، فإن كل واحد يدخل بمفرده ولا يلتقيان إلا داخل القاعة حيث الظلام الدامس.

(ج) **الزمن**: يميز النقد الحديث [٥] بين عدة أزمنة تتعلق كلها بالرواية (وفن القصة بصفة عامة). بعضها خارجي: (زمن الكتابة، زمن القراءة. . .) وبعضها الآخر داخلي: (زمن القصة، زمن السرد. . .)، وفي مقاربتنا هذه، فإننا لن نتناول إلا الزمنين الأخيرين (**زمن القصة وزمن السرد**).

والمقصود بزمن القصة هو الزمن الذي نفترض أن أحداث القصة قد وقعت فيه، وهو طبيعي في تسلسله: ماضي ـ حاضر ـ مستقبل.

أما زمن السرد فهو زمن الأحداث كما تقدمها إلينا الرواية، وهو مخالف في تسلسله لزمن القصة، وذلك لاعتبارين:

أ ـ اعتبار موضوعي: حيث إنه حسب **تودوروفي** [٦] بمجرد ما يكون هناك أكثر من شخصية واحدة في الرواية، فإنه يستحيل أن يطابق زمن السرد زمن القصة لأنه لا يمكن للسارد ـ أثناء الحكي ـ أن يتابع أفعال كل الشخصيات، في نفس الوقت.

ب ـ **اعتبار جمالي**: حيث إن السارد يلجأ إلى مجموعة من الحيل الفنية / التقنيات من أجل إثارة اهتمام المتلقي وتشويقه، ومن هذه التقنيات هناك: **الاسترجاع (Analpse) الاستباق الداخلي (Prolepse interne)، الحذف (Ellipse)**. بعد هذا، فإننا إذا ما حاولنا مقاربة عنصر الزمن في رواية «سارة»، فإنه لا بد من معاينة النقطة التالية:

« الزمن في الرواية أغلق الباب أمام التطور والاستمرار »

● **زمن القصة وزمن السرد في رواية «سارة»** : إن الحديث عن زمن القصة يتطلب بالضرورة الحديث عن أحداثها، وأهم هذه الأحداث هي : التعارف ـــ الحب والهيام ـــ الشكوك والمشكلات ـــ المراقبة ـــ القطيعة.

وهي أحـــداث تخضـع للتسلسل المنطقي كما تخضع للتسلسـل الـــزمني الطبيعي، وبذلك فالخطاطة الممثلة لزمن القصة تتخذ الشكل التالي :

ـ زمن القصة : ماضي حاضر

والزمن الماضي في هذه القصة هو ماضي الشخصيتين معا (سارة وهمام) قبل تعارفهما، أما الحاضر فهو حاضر العلاقـة ويمتد من لحظة تعارفهما حتى لحظة الفراق والقطيعة، أما المستقبل فليس هناك أية إشارة إليه.

هذا عن زمن القصة، أما ما يمكن تسجيله بصدد زمن السرد فهو خضوعه لمقتضيات زمنية جمالية مغايرة لمقتضيات الـزمن الطبيعي، حيث إن مجرد إلقاء نظرة عامة على عناوين فصول الرواية يبين هذه الحقيقة الفاقعة.

فإذا كان عدد فصـول الرواية يبلغ ستة عشر فصـلا (١٦) فإنها تتوزع زمنيا كمايلي :

الماضي : في ١ في ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦

الحاضر : ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦

من خـلال هذه الخطـاطـة البـانوراميـة المعبرة عن زمن السرد (من خـلال عناوين الفصـول فقط) يتبدى لـنا أن هذا الـزمن يبدأ في الحاضر ويستمـر فيه ثمانية فصول ثم يعود إلى الماضي ويمتد فيه سبعة فصول (من الفصل التاسع إلى الفصل الخامس عشر) ثم يعود مرة أخرى إلى الزمن الحاضر في الفصل السادس عشر / الأخير.

ملحوظة : إن المقصود بزمن السرد الحاضر هو زمن ما بعد القطيعة المؤقتة التي تمت بعد تعارف «سارة و«همام» وبعد أن نشأت بينهما علاقة الحب، أما ما نقصده بزمن السرد الماضي فهـو زمن ما قبل هذه القطيعة المؤقتـة وهو يمتد من لحظـة التعارف حتى لحظـة اللقاء الـذي يتم بين «سـارة» و«همام» مصادفـة في الشارع، وهذه اللحظة (لحظة اللقاء مصادفـة) هي التي يتخذها السارد بداية للرواية، وهـذه البداية وما يتلوها من تسلسل. يكشفـانِ عن مدى تباين زمن القصة وزمن السرد. (انتهت الملحوظة).

لكن إذا ما تجاوزنا هذه النظرة البانورامية إلى التشخيص الدقيق لزمن السرد فسنجـد أن هناك تـداخلاً وثيقًـا بين الزمنين الماضي والحاضر في جل الفصـول

وهكذا يبـدو لنا من خلال هـذه الخطاطة المفصلـة أن الفصل الأول الذي تجري معظم أحداثه في الزمن الحاضر يضم في ثنـاياه أحداثًا من الماضي تقارب في كمهـا أربع صفحـات ذلـك أن الأحـداث تبـدأ في الحاضر (عبـور «همام» للشـارع الذي كـان يلتقي فيـه مع «سارة»)، لكن السـارد سرعـان ما يتـوقف ليسترجع بعض ذكـريات الحبيبين همام وسـارة) ويستغرق هـذا الاسترجاع مـا يقـارب أربع صفحات، ثم يعـود ليقـدم لنا الأحـداث التي تجري في الحاضر :

(لقاء «همام» «بسـارة» وامتطاؤهما لمركبـة . . . وتواعـدهما بالالتقـاء في الغد). ونفس هذه العملية نجدها في باقي الفصول.

وإضافة إلى ما سبق نلاحظ أن السـارد قد وظف تقنية يطلق عليها «جيرار جونيط» (Paralipse) أي «**الحذف المؤجل**» حيث إن السارد في بداية الرواية لا يقدم لنا «الـوضعية البدئية» بل يبدأ سرده بالأحـداث وهي في طريق التطور، وبرغم أنه يبث في ثنايا السرد بعض الإشارات التي تحيل على الوضعية البدئية، فإنه لا يمكن لهذه الإشارات أن تغني عن «الحذف المؤجل»، لذلك فإنه سيعود وبتفصيل إلى هـذه الوضعيـة البـدئية ابتـداء من الصفحـة التاسعـة والسبعين (الفصل التاسع).

من كل هذا نخلص إلى كون السارد قـد كسر عمودية السرد أي أنه لم يقدم الأحداث وفق التسلسلين المنطقي والزمني (٧).

خلاصات

من هـذه المقاربـة المكثفـة والموجزة يتبين لنـا أن بنيـة النص بنية محجـوزة، ويتجلى لنا حجزها من خلال عنصرين أساسيين هما :

أ ـ الرؤية السردية : حيث إنها ـ كما رأينا ـ رؤية من خلف بمعنى أن السارد يقدم للمسرود لـه / المتلقي كل شيء عن أحداث الـرواية أشخاصهـا، كما أنه يقـوم من خـلال وظيفتي التعليق والـــوصف بتفسير كل مـا يعتقـد أنـه لا زال غامضـا لدى المتلقي، وهو بـذلك يحول بين المتلقي وبين حقه في ممارسة فعل التخيل.

ب ـ **الزمن** : حيث نـــلاحظ أن أن السرد يحيل على زمنين اثنين فقط هما : الماضي والحاضر، وهو بذلك يغلق الباب في وجـه المستقبل ويقرب كل إمكانية لتطور أحداث القصة ويلغي إمكانية تصالح الشخصيتين المتحابتين : وبذلك أيضا يبدو لنا الزمن محجوزًا ومعاقًا عن التطور والاستمرار.

الهوامش

★ عباس محمـود العقاد : سارة، منشورات المكتبـة العصرية، صيدا، بيروت دون ذكر لـرقم الطبعة، ولسنة الطبع.

1 - G. Genette Figures III. Seuil, Coll: "Pétique" 1972 P. 80

2 - T. Todorov: Les Catégories du récit littéraire, in commonications nº 8 1966 P. 132.

3 - J. Pouillon: Temps et Roman, Paris, Gallimard, 1946, PP. 67 - 114.T.

Todorov : Littérature dt signification, Paris, Larousse, 1967. PP: 79 - 82. F.V. - Rassum - Guyon, la critique du Roman, Paris, Gallimard, 1971 PP 150 - 40

4 - G. genette : Frontières du récit, in communications nº8, PP 162 - 165

٥ ـ سيـزا قاسم : بنـاء الرواية، دراسـة مقارنة في «ثـلاثية» نجيب محفـوظ، التنوير للطبـاعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ ص ٣٣.

6 - T. Todorov : Les Catégories du récit littéraire P.133.

٧ ـ تـوما شفسكي : نظرية المنهج الشكلي، نصـوص الشكلانيين الـروس. ترجمة إبـراهيم الخطيب : الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط : ١. ١٩٨٣م، ص ١٨٦.

النقد الأدبي بين الانحياز والتجرد

تحقيق: عبد الواحد القاضي

لا تطور للأدب دون نقد جاد يواكبه، هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان، لكن للنقد طرقه الكثيرة، قد يكون نقدا سلبيا أو إيجابيا، موضوعيا أو ذاتيا، منهجيا أو انطباعيا، فهل يوجد ناقد محايد؟، وفي حالة وجوده، ماهي أدواته التي يتعامل بها مع النصّ؟، هذا ما حاولنا أن نتلمس الطريق إليه خلال هذا التحقيق.

في البداية يرى أ. د. **ناصر الرشيد أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية في جامعة الملك سعود** أنه لا يوجد شيء في الوجود محايد.. إن عدم اتخاذ موقف هو في حقيقة الأمر اتخاذ موقف، ومن هنا ينتفي معنى «حياد». وهذا الاضطراب في الفهم أدّى إلى الخلط بين معنى «الحياد» ومفهوم «التجرّد». «فالتجرّد» معناه النظر إلى الأمر «أي أمر» بعين العدل. وتحرّي الحق دون إسقاطات أو تصوّرات مسبقة أو مؤثّرات خارج هذا الأمر نفسه.

والكثير من اتجاهاتنا النقدية العربية ترفض مبدأ «الحياد» ومذاهب النقد الحديثة من «بنيوية» و«تشريحية» و«ألسنية» و«توليدية» تلغي احتمالات «الحياد» وتحافظ على فرضيات «التجرّد»

بين «التجرد» و «الحياد»..

ويضيف د. الرشيد: إن قراءة النص الأدبي تمرّ بمراحل أهمّها: القراءة الممعنة والتي يهدف منها الناقد إلى الغوص في أعماق النص لمحاولة فهمه واستنباط وجه الدلالة منه. وهذه المرحلة لا تحتمل سلبيات الحياد بمعناه الجديد. فهي مرحلة تتطلّب حشد الجهد بكل ما يوصل إلى هذا النصّ ويساعد عل فهمه. ولذلك نجد عدداً من المناهج النقدية الجديدة تركّز على قراءة النص على هذا النحو في المقام الأول.

وثانيا: القراءة الجمالية. ونقصد بها تتبع ما في النص من جمال (بيان — بلاغة — صور — أسلوب..). وهذه المرحلة تتطلّب تجرّد القارئ عندما يصدر حكماً على جماليات النصّ. بينما من حقّ الناقد ألا يفعل ذلك في المرحلة الأولى للقراءة إلا في أضيق الحدود. فقد يركّز الناقد على المكونات الجمالية للنص دون أن يقف المعنى الأخلاقي أو المضمون عائقاً في سبيل الاستحسان الجمالي. وهذا في رأيي مفهوم «التجرّد» المطلوب في النقد. لذلك فإن الإسقاط أو الحكم النقدي المسبّق على النص المقروء يتنافى مع مفهوم «التجرّد».

يضيف د. **فالح العجمي أستاذ الأدب بجامعة الملك سعود**: أن الناقد يتعامل مع النص الأدبي في إطارين. الأول على سبيل المتعة أي «التمتّع بالإبداع الفني». وهنا تتدخّل الذات. وهذا الجانب يخصّ الفرد غير المتخصّص. وفيه أيضاً تتم حرية الاختيار،. والإطار الثاني هو التعامل مع النص لتقويمه وتصنيفه وتطبيق المقاييس النظرية عليه. **وهنا لا بد من إبعاد «الذات»**، فدراسة النص من هذا الجانب لا تهتم بحقيقة التجربة. وهنا يأتي دور المتخصّص. ولا يكون له حرية الاختيار لأن مقاييسه النظرية لا بد أن تثبت في المجال التجريبي وعلى كل النصوص. وهذا الإطار الثاني من دراسة النص هو المقصود بالحيادية.

الحيادية العلمية..

ويطرح د. **العجمي** مفهوم «الحيادية» في إطار العلاقة بين علم الأدب والعلوم الطبيعية فيقول:

لا بد من الإشارة إلى فكرتين يعاني منهما منهج «الحيادية»، الفكرة الأولى تتلخص في أن كثيراً من المنظرين لا يريدون الاقتناع بأن علم الأدب له علاقة بالعلم الطبيعي لهذا يقترحون أساليب «التمثُّل». **فيتوصلون إلى نتائج لا يستطيع أحد**



□ أ. د. ناصر الرشيد: هنالك خلط بين معنى "الحياد" ومفهوم "التجرُّد"



□ د. فالح العجمي: "الذاتية" توجّه الفكر وتغيّر معالم النص

□ أ. عبدالحميد حـواس: هنالك فرق بين "الموضوعية" و"الحيادية"



□ د. فوزي مسعود: تذوق النقد لا يخرج عن مقاييس الصواب ومعايير الجمال

الخروج منها بشيء. والفكرة الثانية هي أنه لا يمكن دراسة الأدب أبداً ولا نستطيع سوى قراءته والتمتع به فقط.

ويستطيع الإنسان أن يستخدم الطرق المطوَّرة لعلوم الطبيعة ويطبّقها على علم الأدب. وذلك إما أن يجرّب مثاليات «الحيادية» العلمية العامة، ويجري خلف هذه «المثل» التي تؤدي إلى نقل الحقائق المجرّدة. وإما أن يجتهد الإنسان لتقليد طرق علوم الطبيعة بالبحث عن الخلفيات والعلاقات المسبّبة.

وإذا طبّق هذه الطريقة حرفياً فإنه يستخدم سببية فيزيائية لشرح الظواهر الأدبية. حيث يعطي الشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الأولوية في إحداث الأثر.

ويطالب د. **العجمي** بإبعاد الذاتية من منهج الحيادية. ويقول: إن الذاتية المطلوب استبعادها هي «ذاتية الدارس». لأن سيطرة الذاتية أو اشتراكها في التقويم يوجّه الفكر ويطمس حقيقة النص، ويغير معالم الواقع. وهنا يكمن الخطر الكبير في الآراء المسبقة التي تفرضها علينا ذواتنا أو توجّهنا إليها أثناء ملاحظة النص. فإن فرض ذواتنا على شخصية ثقافية يعتبر هتكاً لأبسط أسس الأخلاق. فإذا اعتبرنا الأساطير ـ مع **فيكو** ـ تاريخ مدنيةٍ للمجتمعات الأولى فإن إدخال الذات عند التعامل مع النص يفسد الكثير من ذلك التاريخ. فلا بد أن نفرّق بين عالم «الأنا» و«الواقع» الذي ينعكس من خلال النص.

«الموضوعية» غير «الحيادية»

ويطرح الأستاذ **عبد الحميد حواس المحاضر بجامعة الملك سعود** الفرق بين الموضوعية و«الحيادية» فيقول: إن «الموضوعية» تختلف مع فكرة «الحياد» فالموضوعية تعني إبعاد الأهواء والتحيّزات المسبقة التي تعمي القراءة وتضللها. ربما تشوّش التعامل مع النص. كما تعني أيضاً الاعتصام بنسق معين من المقاييس والإجراءات المنهجية المنضبطة التي تكفل الثقة في قراءة الناقد للنصّ الأدبي وفيما يتوصل إليه من نتائج. ولذلك يجب أن تستند قراءة الناقد إلى نتائج الدراسات والبحوث الأدبية واللغوية وما إليها من دراسات إنسانية. ويجب أن تتأسّس أحكامه النقدية على الإنجازات والإضافات المنهجية لهذه الدراسات. فتجاهل الناقد لهذه المكتسبات الإنسانية تحصر الناقد في طور القراءة الانطباعية الهشّة. وتجعله يقع فريسة للصياغات الإنشائية والأحكام المتعجّلة.

النقد ذوق

ويرى **د. فوزي مسعود أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود** أن النقد تذوّق. والتذوّق لا يخرج عن مقاييس الصواب ومعايير الجمال. لأن العلاقة بين الناقد والنصّ الأدبي علاقة حكم.

والحكم لا بد أن يكون عادلاً بعيداً عن الهوى، ومقاييس الصواب ومعايير الجمال كثيرة. وخلاصة القول أن يعبّر النص الأدبي عن قضية معينة يمكن إدراكها بيسر وسهولة دون الاستخفاف باللغة وقوانينها. والأصل في الحكم على النص الأدبي أن يكون مهتماً بأمرين هما: وضوح المعنى وجمال التعبير. فإن كان النصّ الأدبي واضح المعنى جميل العبارة كان نصًّا جيداً. وإن كانت اللغة خفية المعنى عصيّة الإدراك كان ضرباً من ضروب التعمية، تَسِمُ صاحبها بالضعف وعدم القدرة على الإفهام أو البيان.

حرية الناقد

ومن جانب آخر يختلف **د. عبد الله المعيقل أستاذ الأدب بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود** في رؤيته النقدية لمفهوم الحياد لدى الناقد. فيرى أن الرؤية النقدية المستنيرة والواعية ليس لها حدود. ويجب ألا تقيدها أُطر. ورغم أنه يعترف بوجود معايير ومقاييس تمثل الحد الأدنى من شروط العملية النقدية، ولكنه يرى أن النظريات وما اصطلح النقاد على تسميته بالمدارس والتيارات والاتجاهات ما هي إلا اجتهادات مرحلية، تصلح لنصوص معينة، ولا ينبغي أن تؤخذ على أنها أصول وقواعد ثابتة لا تتغير ولا تتجدد، ويرى أن على الناقد أن يتحرر من هذه الأطر عند معالجته للنص الأدبي. وأيضاً يتحرّر من التحزّب والتعصب الشخصي. ولا يجعل أي خلاف أو عداء أو اختلاف في مبدأ أو مذهب مع مبدع النص يؤثر في تقويمه النقدي. ولا يؤثر السلوك الفردي أو الشخصي للمبدع في حكمه. ويضيف **د. المعيقل** أن على الناقد أن يطرح جانباً كل تأثير للعلاقة بصاحب النص من صداقة أو مجاملةٍ أو مصلحة أو غرض. فالساحة الأدبية للأسف ـ وهذا رأي **د. المعيقل** ـ تعج بالنّفعيين المتملقين الذين يتسابقون للتهافت على موائد أصحاب النفوذ والأسماء اللامعة في مجتمعاتهم وإن تواضعت بضاعتهم..!!

وتضيف د. نورة الشملان أستاذة اللغة العربية بجامعة الملك سعود: أن الدعوة إلى حيادية الناقد دعوة قديمة. وأول من نادى بها هو الجاحظ، فدعا النقاد إلى نبذ التعصّب والتحيّز للقديم. وكان معيار التقدير عند هذا الناقد هو السبق الزمني.

فلضمان حياد عملية النقد يجب التحرّر من التعصب أو العاطفة الإيجابية أو السلبية تجاه النص أو المبدع. ورغم ذلك فإن الناقد لا يستطيع أن

□ د. ألفت الروبي: "الرؤية الخاصة" للناقد تفرض "لاحيادية" النقد

□ د. نورة الشملان: التحرر من التعصب والعاطفة يضمنان حيادية النقد

يصدر حكمه على النص الأدبي دون أن يستلهم ذوقه وبصيرته وإحساسه وشعوره. وهو الأمر الذي يقف عائقًا دون تحقيق «الحيادية» التامة. وتقول د. نورة: إن الناقد الذي يخضع للقواعد الموضوعة خضوعًا تامًا يفقد نقده المشاعر الوجدانية، ويتحول النقد عنده إلى قوالب ميتة. وتخلص د. نورة إلى أن النقاد يصدرون أحكامهم النقدية وفق نظرتهم للمثل الأعلى في الفن الأدبي.

لا «حياد» في النقد..!

وتتفق مع هذا الرأي د. **ألفت الروبي الاستاذ المساعد بجامعة الملك سعود.** فترى أنه من تقاليد النوع الأدبي الذي ينتمي إليه النص وتراثه. فالنص غير معزول عن هذه السياقات الأدبية والثقافية والتاريخية والاجتماعية التي يفترض أن يكون الناقد محيطًا بها.

وتضيف د. ألفت:

إن هذا لا يعني أن الناقد يفرض أفكاراً مسبقة على النص الأدبي ـ كما أنه لا يقدم عليه مسلّطاً معاييره ليخضع لها في غفلة عن التحليل الداخلي لهذا النص، وخصوصيته وفرديته الجمالية. «فالتحليل الداخلي» للنصّ الأدبي هو نقطة البداية بالنسبة للناقد «الموضوعي» وليس «الحيادي».

□ د. عبدالله المعيقل: الساحة الأدبية تعجّ بالنقاد النفعيين والمتملقين



□ د. مأمون جرار: الناقد "فلتر" ينقّي الأدب من شوائبه



الصعوبة أن يكون الناقد حيادياً. فكل ناقد له رؤية خاصّة ينفذ من خلالها إلى معالجة النص الأدبي سواء كان على دراية بهذه الرؤية أم غير واعٍ لها.

فمعايير تعامله مع النص الأدبي تستند إلى معايير مستمدة من هذه الرؤية ولا يمكن أن يبدأ من نُقْطة الصِّفر. وتقول د. **ألفت**: إن طبيعة العمل الأدبي تفرض عدم حيادية التعامل. فالنص الأدبي يوجد في سياق يبدأ بمؤلفه الذي يعيش بدوره في مرحلة زمنية معينة، وداخل مجتمع معيّن له نظمه وقيمه. وهذا المؤلف له انتماءاته الفكرية والسياسية والأخلاقية. فهو صاحب رؤية أيضاً. وهناك

وتطرح **فاطمة الوهيبي المحاضرة بقسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود** رؤيتها من خلال ثلاثة محاور رئيسية. المحور الأول: يتعلق بوظيفة النقد ومهمة الناقد. والمحور الثاني: يتعلّق بأمر مختلف حوله وهو تجرّد الناقد أو تجنيده للذوق الخاص. والمحور الثالث: يتعلق بالمبالغات في اعتناق مذهب معين. الأمر الذي يحول بين كثير من النقاد والإحساس بالمتغيّرات الدائمة والحادّة أحيانًا داخل النوع الأدبي من جهة، وداخل الذوق النقدي والمدارس النقدية من جهة أخرى.

وتضيف قائلة: إن عمل الناقد هو اكتشاف وتأمل. وهو في أفضل حالاته لا يستطيع التجرّد من ذوقه الخاص أو من ذوقه النقدي. أما بالنسبة للمحور الثالث فهو آفة الثقافة؛ لأن المفترض ألا يجامل الناقد أحداً، وأن يقول رأيه بصراحة في العمل الأدبي دون حجر على فكره إزاء التحوّلات والمعتنقات التي قد تطرأ على ذوقه أو مذهبه النقدي، وألا يتعصّب الناقد أو يتميّع أمام تلك المتغيرات.

سلبيات «الحيادية»

ويؤكد هذه الصورة السابقة لحرية الناقد التي تضمن له حيادية التعامل مع النص الأدبي د. **مأمون فريز جرار أستاذ الأدب بجامعة الملك سعود.** فيقول: إن للنص الأدبي عدّة أوجه. فالنص وثيقة لغوية، تكشف عن لغة أديب ما ومنطقة ما في عصر معين. وهو وثيقة نفسية تكشف عن تصوّر الأديب لما حوله من الأشياء والأشخاص. وهو وثيقة فنيّة تكشف عن قدرة الأديب ومستواه الفني وتحدّد موقعه في مسيرة الأدب في عصره وفي تيار الأدب العام

ولكننا نتساءل مع د. **مأمون**: هل كون الأديب يحمل هذه الأوجه يدعو إلى أن يقف منه الناقد موقفاً حيادياً!؟

ويرى د. **مأمون**: أن الموقف الحيادي يعني الموقف الوصفي لما يبصره الناقد من غير إصدار حكم. وبهذا يتحول الناقد إلى **«دارس وصفي»** للأدب.

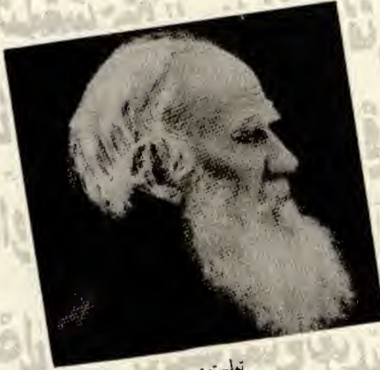
ويضيف: إن الناقد الحق أشبه ما يكون **«بالكابح»** الذي يخفف من الاندفاع في طريق غير صحيح. أو هو المصفّي «الفلتر» الذي ينقي الأدب من الشوائب التي تدخله..

فوقوف الناقد على الحياد يعني التعطيل لوظيفته كما يتصوّرها. د. **مأمون**. فهو في موقع أمانة ومسؤولية. ولا بد أن يقوم بها. وعمل الناقد مختلف عن عمل الدارس اللغوي أو الباحث الاجتماعي لأنه أشمل من ذلك وأعمّ.

ويبقى البحث عن ذلك التجرد الغائب ـ غالبا ـ عن ساحة النقد عندنا حتى يعتدل ميزان تناول الأعمال الإبداعية.


بوشكين


تشيكوف


تولستوي

حول كتاب
"مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي"

تأليف : د. مكارم الغمري ○ عرض وتعليق : محمد إبراهيم أبو سنة

مايزال هناك عمل طويل وشاق أمام دراسات الأدب المقارن للكشف عن أبعاد التأثير والتأثر بين أدبنا العربي وتراثنا الإسلامي من جهة والآداب الأجنبية من جهة أخرى وربما كنا في هذه المرحلة التاريخية أحوج ما نكون إلى مضاعفة الجهد في هذا المجال ونحن بصدد استطلاع الآفاق الحضارية للعالم العربي وثقافتنا الإسلامية في مرآة المستقبل. إن الرؤية التي تسود فكرتنا عن أنفسنا وفكرة الآخرين عنا لن يتاح لها الوضوح والاستقرار إلا إذا بلورنا إطارًا راسخًا لهويّتنا يتسم بالمرونة والانفتاح على عالم الآخرين في ثقة وأمل. ولا شك أننا في حاجة ملحة لاستعادة هذا الإحساس الذي نوشك أن نفقده أمام التقدم المذهل للغرب وبعض أمم الشرق، هذا الإحساس بالقدرة على الإبداع والقيادة والإضافة المميزة إلى الحضارة الإنسانية، لا من أجل الزهو السطحي وتبرير الكسل العقلي بل من أجل الوصول إلى معرفة صحيحة للذات والتراث العربي والإسلامي.

هذا التراث يشكل جوهر هويتنا الثقافية والفكرية، بل إن هذا التراث يمثل الأفق البعيد والنطاق الحيوي لحاضرنا وثقافتنا المعاصرة.

إن الكتاب الذي صدر منذ فترة قصيرة تحت عنوان «مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي» للدكتورة **مكارم الغمري** يضرب بسهم وافر نحو تحقيق هذا الهدف الذي نصبو إليه جميعا. تبدأ المؤلفة دراستها بتوضيح المفاهيم الاصطلاحية للأدب المقارن وهو الحقل الذي تقع الدراسة في نطاقه فتقول بأن المدرسة الفرنسية قد ركزت على شرط الحدود اللغوية في دراستها للأدب المقارن الذي يعرّفه **ماريوس جويار** بأنه **«تاريخ العلائق الأدبية الدولية»** فالباحث المقارن يقف على الحدود اللغوية والقومية، ويراقب مبادلات الموضوعات

www.ahlaltareekh.com

والفكر والكتب والعواطف بين أدبين أو عدة آداب. أما **المقارنون الأمريكيون** فقد تغاضوا عن شرط الحدود اللغوية فيرى «**رينيه ويلك**» أن الأدب المقارن يمثل دراسة أدبية مستقلة عن الحدود اللغوية والعنصرية السياسية، كما يعتبر دراسات الأدب المقارن جزءا من دراسة الأدب العام. ومن أهم أركان الأدب المقارن دراسة التوازيات أي التشابهات بين الآداب المختلفة، وكذلك دراسة التأثيرات التي تُعنى بتحليل التفاعل بين أدبين أو مجموعة من الآداب، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على الوسائط التي لعبت الدور الرئيسي في خلق هذا التأثير، وانتقال العناصر الأدبية من أدب إلى آخر. تتناول المؤلفة في الفصل الثاني من الكتاب علاقة **روسيا بالشرق العربي** ووسائط الاستقبال، وتبدأ هذه العلاقة من خلال العثور على مخطوطة لقصة روسية بعنوان «**قصة السنوات العابرة**» و التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي (حوالى ١١١٣م). وتتحدث القصة عن الأمير **فلاديمير الذي اعتلى الحكم في روسيا عام «٩٨٠م» وتأثر بالإسلام. وتحدد الدكتورة مكارم الغمري مراحل التفاعل الحضاري بين العناصر العربية والأدب الروسي في ثلاث مراحل**:

المرحلة الأولى هي مرحلة الاستقبال أو التلقي من خلال العلاقات التجارية ورحلات الحجاج والبعثات العلمية والدبلوماسية ومغامرات الرَّحالة. كذلك عبر جهود المستشرقين والصحافة والترجمات.

المرحلة الثانية مرحلة الاستيعاب وتجاوب العناصر العربية مع ظروف ومتطلبات الأدباء الروس في القرن التاسع عشر.

وتأتي المرحلة الثالثة لتمثل التأثير الذي تبدى واضحًا للأدب العربي والثقافة الإسلامية في الأدب الرومانتيكي الروسي في القرن التاسع عشر.

وقد تناولت المؤلفة شرح هذه المراحل بأسلوب علمي يتسم بالدقة والتوثيق وتعقب التفاصيل التي تجعل القارئ يتبين بوضوح أبعاد الصورة الكاملة للعلاقة التي نشأت بين الأدب العربي والأدب الروسي. وإذا كان الفصلان الأول والثاني قد تناولا موضوعات مدرسية اصطلاحية فإن الكاتبة قد بدأت في الفصل الثالث دراسة الموضوع الأدبي بادئةً بالرومانتيكية الروسية وصلتها بالشرق.

»

العرب أكسبوا الشعر البلاغة والشهامة ومفاهيم البطولة

«

وقد تركز المجال الزمني للبحث حول القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين، أي إن الدراسة لم تتناول الفترة التي تشمل وقوع الأدب الروسي تحت تأثير الثورة الروسية الشيوعية «١٩١٧» والتي عرفت بمرحلة الواقعية الاشتراكية.

بواكير النهضة الأدبية

ربما لأنها تعتقد، وهي على صواب في اعتقادها، أن القرن التاسع عشر هو أزهى عصور الأدب الروسي على الإطلاق، حيث شهد بواكير النهضة الشعرية متمثلة في إبداع الشاعر الروسي **ألكسندر بوشكين**، و تطور الرواية إلى مرحلة العالمية على يد **ليو تولستوي**، ونضج القصة القصيرة عند **أنطوان تشيخوف**. إن الرومانتيكية الروسية قد بلغت أوجها في الشعر في إبداع شاعرين كبيرين هما **بوشكين ولرمنتوف**. إن **بوشكين** يعتقد أن ثمة عاملين كان لهما تأثير حاسم في روح الشعر الأوروبي هما **غزو العرب لأوروبا والحروب الصليبية**. فقد أوحى العرب إلى الشعر **بالنشوة الروحية ورقة الحب العفيف، والولع بالرائع والبلاغة الفخمة للشرق، وأكسبه الفرسان الشهامةَ وبساطة الروح ومفاهيم البطولة وحرية الشعوب.** هكذا كانت البداية الرقيقة للشعر الرومانتيكي».

إن المؤلفة تلمس بذكاء وهي تتعرض لمفهوم الرومانتيكية الفرق بين الرومانتيكية كحركة لها انعكاساتها في الفنون والآداب وتأثيرها في عصر ما، والعناصر الرومانتيكية التي لا يخلو منها أدب قديم أو حديث. أما الرومانتيكية كحركة فقد ارتبطت بسمتي الحلم والخيال في أعلى صورهما. وقد ساعد الخيال على تحقيق الحلم الذي يجسد المثل الأعلى الشاعري ومن ثم فالمقابلة بين الواقع الفعلي الذي يتمرد عليه الرومانتيكي والواقع الحلم هو المنطلق الأساسي في الاتجاه الفكري والجمالي للرومانتيكيين.

وتعد سمة التركيز على الذات من أهم منجزات الرومانتيكية كمذهب فني، وصار مجال الأدب الرومانتيكي هو كما يشير **بلينسكي** «**الحياة الداخلية والروحية** للإنسان، تلك التربة الخفية السحرية للروح والقلب التي تتقدم فيها كل المساعي غير المحدودة تجاه الأفضل والأسمى» ولقد نشأت الرومانتيكية الروسية في إطار من التفاعل مع الحركات الرومانتيكية وبتأثير منها، ولكن الرومانتيكية الروسية في تطلعها إلى المثل الأعلى قد التفتت إلى الشرق القديم وبرز الشرق الخيالي الذي يمثل البراءة والسعادة والفطرة كنموذج لعالم الحرية المنشودة والمفقودة في عالم روسيا الذي كان يضج بالأقنان. لقد بدأ العنصر الثقافي **العربي والإسلامي تأثيره قويا بارزا في إبداع أكبر شعراء روسيا ألكسندر بوشكين الذي تقول عنه المؤلفة الدكتورة مكارم الغمري «إنه أكثر أدباء روسيا حبا للشرق العربي وتأثرا به حضاريا وتراثيا وروحيا» ولقد كان بوشكين يمت إلى الشرق بصلة الدم فجده لأمه كان حبشيا مسلما»** كما تقول الروايات، **واسمه إبراهيم هانيبال. أُخْتُطِف من وطنه وهو في الثامنة من عمره و اشتراه السفير الروسي في القسطنطينية وأهداه إلى القيصر بطرس الأكبر. كان إبراهيم يرافق القيصر، وفي عام ١٧١٧ ترك القيصر إبراهيم في باريس ليتلقى العلوم العسكرية في فرنسا، وبعد إتمام تعليمه عاد إلى روسيا لينخرط في سلك الضباط حتى وصل إلى رتبة جنرال** وتزوج وأنجب سبعة أبناء منهم **يوسف** الذي أنجب **أم بوشكين**. لقد تعلق خيال **بوشكين** بهذه القصة ـ والرومانتيكيون ذوو خيال جامح ـ حتى أصبحت روحه قريبة من جذوره. إن بوشكين كان يتنسم رائحة أصوله في الوجوه التي كان يلتقي بها. ولقد توطدت أواصر الصداقة بين بوشكين وبحّار مصريّ يدعى «عليّ» قابله الشاعر في ميناء أوديسا على البحر الأسود،

وتقول المؤلفة إن بوشكين كان يعلل ارتباطه الروحي بالبحار المصري «علي» بأنه ربما كان جده وجد «علي» من أقرب الأقرباء، ويقول بوشكين في إحدى قصائده:

تحت سماء إفريقيا ولدت

وعشت الحياة في مصر

لكني هنا مفتون بك

ونسيت وطني

وكل كنوز الأرض

ومداركي الرائعة

أهبها لعينيك الزرقاوين

وخصلات شعرك الصفراء المتموّجة

لقد فتن بوشكين بعالم **«ألف ليلة وليلة»** خاصة في قصته **«روسلان ولودميلا»** وكان بوشكين قد تعرّف هذه الرائعة الأدبية العربية **«ألف ليلة وليلة»** من خلال الترجمات التي ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر. وتتساءل المؤلفة **الدكتورة مكارم الغمري** قائلة «لماذا اتجه بوشكين إلى ألف ليلة وليلة مستلهما؟ ثم تجيب «إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في خصائص «ألف ليلة وليلة» فهذه الحكايات التي تمزج بين الواقع والخيال الثريّ تطرح حوارا خصبا مضمونه الإنسان في علاقته بالواقع، وفي هذه الحكايات يكلل سعي الإنسان نحو الخير بالنجاح، وتنتصر قوى الخير على قوى الشر. ويحل التوازن محل عدم التوازن، وفي هذا الإطار وجد **بوشكين** ضالته وهي التعبير عن الواقع من خلال قالب فني يشبه إلى حد كبير قالب الليالي، ويسمح بالتعبير عن المثل الأعلى الشاعري» لقد تتبعت المؤلفة عناصر الاستلهام عند **بوشكين** من خلال تحليل أسلوبي للنص القصصي **«روسلان ولود ميلا»** و تشابه الأحداث والوقائع وشاعرية الوصف وملامح الشخصيات. وكذلك انعكس تأثير التراث العربي في قصة **«نافورة باختش سراي»** وأثر الغزل الفارسي في أسلوبه وموضوعاته، حيث كان لقصة مجنون ليلى أثر بعيد في الشعر الفارسي الذي أولع به بوشكين. وفي قصيدة **«بدون عنوان»** يقدم بوشكين هذه الصورة الساحرة ويذكر ليلى في مطلع القصيدة يقول بوشكين:

> ”
>
> ## لسيرة الرسول الكريم فضل كبير في ظهور الإنسانيات في الأدب الروسي
>
> “

تركتني ليلى
مساء أمس دون اكتراث
قلت توقفي إلى أين؟
فعارضتني:
«رأسك أشيب»
قلت للمتهكمة المتعالية
لكل أوانه
فالذي كان مسكًا حالكا
صار الآن كافورا
لكن ليلى سخرت
من الحديث الفاشل
وقالت «أنت تعلم
أن المسك حلو لحديثي الزواج
أما الكافور فيلزم النعوش»

تأثير إسلامي:

إن بوشكين يتجاوز عالم «ألف ليلة وليلة» والشعر الغزلي إلى تأثر صريح بعناصر التراث الإسلامي والتاريخ المصري القديم، ويتبدى تأثره بتاريخ مصر القديم في قصته **« قضينا الأمسية في الداتشا»** من خلال رؤية فنية لشخصية كليوباترة التي تحدث عنها بوشكين شعرا في قصته تلك فقال:

لمَ هي حزينة ؟

لمَ يعتصرها الحزن

ماذا بعدُ ينقصها

ملكة مصر القديمة؟

في عاصمتها البهية

يحرسها حشد من العبيد

وتحكم هي في سكينة

يذعن لها حكّام الدنيا

يلتهب النهار الإفريقي

ويزداد نضرةً طيف الليل

دائما أبهةٌ وأفانين

تطربها الأحاسيس الغافية

الأرض كلها وأمواج البحار كلها

تحمل إليها في جباية الكسوة الجميلة

لكن المؤثرات الإسلامية تبدو أشد وضوحا وصراحة في أدب **بوشكين** وشعره على وجه الخصوص. فقد تأثر الشاعر الروسي بسيرة **الرسول الكريم**. تلك السيرة التي صارت بالنسبة لصفوة المثقفين الروس في مطلع القرن التاسع عشر نموذجا للقدوة الحسنة الصابرة على الرسالة. والكفاح في سبيلها، ولا أدل على ذلك كما تقول **الدكتورة مكارم الغمري** من كلمات الأديب الروسي **تشادييف** الذي أكد فيها عظمة **الرسول محمد ﷺ** الذي حمل لواء الدعوة الجديدة التي كان لظهورها الفضل في الغليان الديني في الشرق. لقد كتب بوشكين عام ١٨٢٤م تسع قصائد تأثر فيها بسيرة الرسول عليه السلام، ثم في عام ١٨٢٦م كتب قصيدة الرسول وهي التي يقول فيها:

ونادى وحْيُ الله
«انهض أيها الرسول وأبصر
لبِّ إرادتي
وجُبْ البحار والأراضي
وأيقظ بدعوتك قلوب الناس»

لقد اختلف الباحثون في تحديد الأسباب التي حدت ببوشكين إلى الاهتمام بالإسلام فعزا بعضهم ذلك إلى قصة نسبه وحنينه إلى جذوره من ناحية أمه إلى هذا الحبشي المسلم **إبراهيم هانيبال، ولكن فريقًا آخر ومنهم «سلومينسكي»** رأوا أن ثمة نوعا

من التوازي بين العناصر المستلهمة عن التراث الإسلامي والملامح التاريخية الروسية في أوائل القرن التاسع عشر.

في الفصل الخامس من الكتاب تلتمس المؤلفة مظاهر للتأثير في شعر شاعر روسي كبير آخر من عصر بوشكين هو **لرمنتوف (١٨١٤ ـ ١٨٤١م)**

تقول المؤلفة:

ـ ربما يكون الموضوع الإسلامي قد شغل حجماً أقل من إنتاج **لرمنتوف** بالنسبة لكتاباته عن الشرق المتاخم لروسيا «**منطقة القوقاز**، بيد أن القيمة الفكرية والفنية لإنتاج لرمنتوف المستوحى من **الشرق العربي والإسلامي** تبدو على نفس الدرجة من الأهمية بالقياس إلى أعماله المرتبطة بالقوقاز. بالإضافة إلى أن بعض قصائده عن القوقاز تلتقي بالقصائد المستوحاة من الشرق العربي وذلك من خلال الموضوع الإسلامي ومن خلال **مسلمي القوقاز الذين عايشهم** لرمنتوف عن كثب، وتعرّف منهم الكثير من تعاليم الإسلام ونهجه. ويشير لرمنتوف في قصيدته «فاليريك» إلى القرابة الروحية التي كانت تربطه بالإسلام في وقت كان يشعر فيه بالغربة والوحدة.

يقول لرمنتوف:

ربما سماء الشرق

قد قربتني بلا إرادة مني

من تعاليم دينهم

الحياة تجول دائما وهكذا

الكد والهموم ليلا ونهارا

كل شيء يعوق التأمل

ويؤدي إلى بدائية

النفس المريضة: القلب ينام

ولا توجد فسحة للخيال

وثمة قصائد أخرى تتضح فيها مؤثرات عربية وإسلامية في شعر لرمنتوف مثل قصيدة **«الشركس»** وقصيدة **«ثلاث نخلات»** حيث يلوح تأثر لرمنتوف بالقرآن. ولم تقتصر هذه المؤثرات على الشعراء فقط بل تعدتهم إلى الروائيين والمفكرين. إن **تولستوي** بعالمية فكره وأدبه قد تأثر هو الآخر بالثقافة العربية. بل إن هذا الكاتب الروسي العظيم قد وضع كتابا بعنوان **«أحاديث مأثورة لمحمد»** ﷺ تضمن تسعين حديثا من الأحاديث النبوية الشريفة. تقول الدكتورة **مكارم الغمري** « لقد استحوذت معاني القرآن الكريم على اهتمام **تولستوي** كما استأثرت أحاديث الرسول بحبه وعنايته. ومن بين محاولات **تولستوي** للتعريف بالإسلام نشير إلى مقالة له قدم بها دراسة كتبتها بيرس شقيقة زوجته وتناولت فيها بالتعريف سيرة الرسول الكريم «لقد التقت القيم الأخلاقية التي آمن بها **تولستوي** وهي القناعة والزهد والتسامح والعدالة والتواضع مع المبادئ الأساسية للإسلام».

الشعائر الإسلامية لها تأثير واضح في أعمال الشعراء

أما الكاتب الروسي الذي جاء بعد هذا الرعيل وتركت هذه المؤثرات العربية الإسلامية ملامحها في أدبه فهو الشاعر والأديب الروسي **«ايفون بونين «١٨٧٠ ـ ١٩٤٥م» وترى المؤلفة أنه من أبرز الأدباء الروس تأثرًا بالشرق العربي، وقد زار كلا من مصر وفلسطين والأردن وسورية ولبنان والجزائر.** إن بونين يستلهم القيم الإسلامية في العديد من القصائد، وفي استطلاعاته الأدبية كذلك. وتحدد المؤلفة المحاور الإسلامية التي تدور حولها أعماله المتأثرة بالإسلام في سيرة الرسول الكريم ـ وشعائر الحج والصلاة في الإسلام والمدن العربية التي ذكرها القرآن الكريم وارتبطت في الأذهان بمقدسات المسلمين وعلى رأسها مكة والقدس، وكذا المساجد الشهيرة. ولقد كان تأثر بون مباشرا من خلال دراسته للإسلام وقراءته للقرآن الكريم، يقول بونين **في إحدى قصائده:**

هنا مملكة الأحلام عند آلاف الأميال غير المأهولة

مالحة شطآنها العارية

لكن المياه زمردية سماوية

أما حرير الرمال فناصع. أنصع بياضا من الثلج

وفي ساعة الوهج وحين السراب البلوري

سيمزج العالم كله في حلم واحد عظيم

في بهاءلا نهائيّ. وراء حد الأرض الحزينة

إلى حدائق الجنة. يحمل هو الروح

وهناك ينساب. هناك ينهمر خلف الضباب

نهر الأنهار كلها «الكوثر السماوي اللون

والأرض كلها والعشائر كلها والبلدان

سيغمرهاالسكون.

اصبر. صلّ. وآمن

ومن وحي حاضر مصر وماضيها القديم يستلهم بونين موضوعات لقصائده يقول في قصيدة **« القاهرة»**

الجنود الإنجليز في القلعة

يحملون فيما وراء النيل إلى الغروب. من القلعة

حتى الأهرامات. وسط الأودية من الغبار

ترقد القاهرة. جافة ورطبة في أبريل

وفي عتمة رمادية الزرقة زعفرانية خلف الصحراء

خفت الغروب. وكان هواء المساء

خانقا. معتم الزرقة

تقترب الخماسين

وبأضواء مرحة لا تحصى

تضاء القاهرة. وأبو الهول عند الأهرامات

يحملق في هوة الليل

وظلام القرون

إن هذا الكتاب «مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي» للدكتورة مكارم الغمري يسد فراغا واضحا في المكتبة الأدبية المقارنة ويفتح الباب واسعا أمام جهود أخرى تحاول متابعة هذا الجهد العلمي الفائق بما اتّسم به من دقة وإحاطة بالموضوع وإخلاص في البحث والدراسة.

الأميري

شعر
سليم عبد القادر


الأميري

عبرتَ الحياةَ بقلبٍ كبيرِ ... وروحٍ مُشِعٍّ، ولُبٍّ بصيرِ
أبيًّا إباءَ الليوثِ الغضاب ... نقيًّا نقاءَ السحاب الطهورِ
كبيرًا، كأكبر ما يستطيع ... فتًى عاش يدرك مغزى العبورِ
عبرتَ الحياةَ فأطلقت فيها ... صفاءَ الحياة، وضَوْعَ العبيرِ
وفذًّا درجت، كبرتَ، رحلتَ ... كصقر تفرَّد بين الطيورِ
فيا سيدي، يا صديقي الكبير ... ويا راحلاً، باقيًا في ضميري
أأرثيك، أم ألزم الصمت، والصمتُ ... كالبَوْح صعبٌ، فأنت الأميري
ولو كان فيما أرى من نظير ... لقلتُ: العزاءُ بذاك النظير
عبرتَ الحياة، فخلَّفتَ عُمْرًا ... تكوَّن سِفْرًا، بديعَ السطور
عبرتَ الحياةَ وما زلتَ فيها ... ولو غبت عنها، شديدَ الحُضورِ
وهل راحلٌ من يظلُّ يعيش ... ويكبر في مؤمنات الصدور!؟
عبرت، وغبت، وذكراك تبقى ... فهل كنتَ إحدى عطايا العصور!؟
وهبت حياتك لله وجدًا ... وعشتَ مع الله جمَّ الحُبور
وذُبتَ هيامًا وشوقًا وعشقًا ... بحبِّ النبيِّ البشير النذير
وللناس عشتَ ضياءً وريًّا ... كنجم السماء، كماء الغدير
تُخبّئُ آلامكَ الطاحنات ... بعيدًا، وراء قناع السرورِ
وتُسكنُ في القلب آه الجريح ... ودمعَ الحزين، وبؤسَ الفقير
ولو شئتَ عشتَ خليَّ الفؤاد ... تَقلَّبُ في فُرُش من حريرِ
أذوْبَ المروءاتِ، منها فُطرتَ ... فكانت سجايا فتاها الأثير
فرحتَ تجوبُ السَّمواتِ صبًّا ... على رفرفات الخيال المثير
عففتَ، ولو شئت نلتَ شهيَّ ... ثمار الحياةِ، متاعِ الغرورِ
من المغرب العربيّ إلى الهندِ ... من كُلِّ صقعٍ عريق أسيرِ
حملتَ الهمومَ، كأنك أنتَ ... الوكيل الوحيد بسدِّ الثُّغور
ودُرتَ مع الحقِّ حيث يدور ... وللأرض قلتَ: كما شئتِ دوري
وتلمعُ كالسيف، تومضُ كالبرق ... تُشرقُ عند احتدام الأمور
فتسخرُ حتّى من الزمهرير ... وبالهُزْءِ تصفع وجه السعير
أيا جنَّةَ الشعرِ والنثرِ والفكر ... ويا عالمًا من يقين ونورِ
ويا أيُّها المتألِّق ما شئت ... فوق ائتلاف الربيع النّضير
ويا سيِّدَ العاشقين، تُسبِّحُ ... عند الشهيق، وعند الزفير
ويا أُمَّةً عاش في أُمةٍ ... حياةَ الدليل المحبِّ الغيور
رويدك، طاولتَ هام النجوم ... بإيمان حرٍّ حكيمٍ خبيرِ
وكنت كبيرًا، وقد سحر النّاسَ ... وهجُ النُّضار، وزيفُ القصورِ
أبا الذّوق والشّوْقِ والظَّرفِ تُحيي ... وتُثري بهنّ خفايا الشعورِ
رحيلكَ أدمى قلوبَ المحبِّين ... حزنًا، أوان الوداع الأخير
وإن العزاء الكبيرِ الجميل ... بحُسْن الحياةِ، وحُسنِ المصيرِ





بقلم الشيخ: حمد الجاسر

من أمـريـكا إلى طوكيـو..

في الحلقة السابقة من مذكراته تابع القارئ ما ذكره حمد الجاسر عن المدة التي أمضاها في المستشفى في هيوستن وفترة النقاهة هنالك والحلقة هذه يواصل فيها القارئ متابعة هذه المذكرات.

تمنيت أن أنزل في الماء، ولكن لم أر أحدًا يسبح في هذا المكان في هذا الوقت، ولم أهيئ نفسي لذلك، فعدت إلى الفندق ولما قربت منه أبصرت أناسًا كثيرين يدخلون مكانًا تكاد أضواؤه تخطف الأبصار بقوتها وسرعة حركتها، فدخلت معهم، فإذا مطعم، ومعارض مختلفة، فاتجهت نحو المطعم، وأخذت ـ كغيري ـ طبقًا كبيرًا آخذًا مكاني في الصفّ، إلاّ أنني عند الدخول رأيت للمطعم بابًا آخر، خاليا فدخلت معه، فرأيت أصناف الأطعمة معروضة أمام المارة، ورأيت الذي تقدمني يضع من كل صنف قليلاً في طبقه، أما أنا فكنت أكثر من أصناف الفواكه، التي لا عهد لي بأكلها مثل (العَنْب) بإسكان الباء و(الأناناس) ونوع الترنج المعروف باسم (الكريب فروت) وغيرها وما كنت أدري بأن للمرء أن يأخذ من جميع أنواع الطعام ما يريد، بثمن محدد لقد اكتفيت بما اخترت وبعد أن خرجت من المطعم وقفت متحيرًا في أمري وأنا على مقربة منه أين أدفع ثمن ما أكلت، فإذا بي أبصر لوحة عند مدخل المطعم فهمت مما هو مكتوب فوقها أن طعام الإفطار بمبلغ ثلاثة دولارات وربع، وأنا قد دخلت وأكلت فاكهة وخرجت ولم أدفع شيئا فرجعت ودخلت من الباب الذي تحاشيت الدخول منه لكثرة الناس، فرأيت كل داخل يدفع المبلغ وتدفع له بطاقة له به، ثم يختار ما يشتهي مما هو معروض من مختلف الأطعمة، أية كمية من أي نوع منها.

ويكثر هذا النوع من المطاعم في البلاد الخارجية إلا أن المرء بعد أن يختار ما يريد من الطعام يدفع ثمن ما اختار، أما أن يختار من أي نوع أي قدر بثمن محدد، فهذه أول مرة أرى فيها مطعما بهذه الصفة. وما أسعد الأكلة بمثل هذا!! ولا شك أن القيمة قدرت بمراعاة أحوالهم، ولكي يدرك الإنسان جانبا من مستوى تكاليف المعيشة هنا فإن ما يدفعه للوجبات الثلاث على التوالي: ٢/١ ٣ + ٤ + ٥ = ٢/١ ١٢ من الدولارات، وأنواع الطعام من لحوم وخضر وفواكه جيدة، وكذا القهوة والشاهي.

وقد يدفع الإنسان ضعف هذا المبلغ في أحد المطاعم بوجبات لا تمتاز على الوجبات تلك بشيء فقد قيل لنا: إن في هذه المدينة (هونولولو) مطعمًا عربيًا، ووصف لنا موقعه، فذهبنا إليه وكان قريبًا من الفندق الذي نسكنه، فلما دخلناه استقبلنا صاحبه متأسفًا بأنه لا يوجد فيه مكان إذ الأمر يتطلب حجز الأمكنة أولاً، ولعله فعل هذا لكي يغالي بمطعمه فلما رأى مني عدم الحرص على البقاء أوعز إلى فتى يقف قريبًا منه لكي يقول لي: ما دمتم خمسة فسنهيئ لكم أمكنة، إكرامًا لك، على أن تنتظروا ساعة. ولكنه لما رآني مصمما على عدم البقاء أدخلني إلى محل الطعام فرأيت أكثر الكراسي خاليا.



كيف يجنون ثمار هذه الشجرة؟

يحمل المطعم اسم (مراكش) بخط عربي جميل، والندل فيه يتكلمون العربية بينهم وهم خليط من مصر و غيرها، وصاحب المطعم من إيران، والموسيقى والأغاني عربية مقلدة، وكذا الطعام من لحوم الدجاج والأرانب وغيرها. أما الثمن فقد بلغ حدًا لم أدفع مثله ثمن عشاء خمسة سوى ليلة طلب أحد الضيوف الأربعة الذين دعوتهم نوعًا خاصًا من الأكل، لا يوجد في المطعم الذي نحن فيه وكان من أفخم مطاعم تلك المدينة، وأحضر النوع المطلوب من مكان غير قريب.

وفي **(فروت نورث)** أحد ضواحي مدينة **(دلس)** ذهبنا إلى مطعم (لبناني

يدعى (**مطعم الحديري**) بـاسم صاحبـه، يزدان داخلـه بصور شجـرة الأرز، وتشنّف الأسماع فيـه صباح وفيروز وغيرهما من مطـربي لبنان بأعذب الألحان والطعام جميعه على الطـريقة **اللبنانية**، ومع الاقتصـار منه على اليسير، كـان الثمن أكثر من الكثير.

وكما قيل: (مانزلنا مسكه وضريه، إلا للهامل والهميه).

والجو هذه الأيام أميل إلى الحرارة منه إلى الاعتدال.

وفي الظهيرة بعد أن هيأت ما أحتاج إليـه للسباحة من تبانٍ (**مايوه**) وفوطة وفراش، وخـرجت من باب الفندق النافـذ إلى الشاطئ، فخلعت نعلي للسير على الـرمل، فلم أستطع من شـدة الرمضـاء، والنـاس هنـاك متمددون فـوق الرمـال، وحرارة الشمس تلهـب أجسامهم التي قـد لطخوا فـوقها أنواعًـا من الطلاء من دهن وغيره، وقليل منهم من يستظل.

لم أستطع التوغل في البحر، لأنني لا أجيد السباحة ـ وإن كنت أُحسنها ـ وما قرب منه من الساحل معـرض لشدة الموج أثناء المدّ والجزر وأرضه يكثر فيها نوع من النبات شبيه بالطحلب، وليـس الماء صافيًا، فأبصرت على مقربة مني عـددًا من الأطفال والشيـوخ يتغـامسون في الماء حتـى تكاد تختفي أجسـامهم فسبحت حتى قربت منهم فإذا المكان أشبه ببركة، والماء نظيف، وحركة البحر ليست شديدة إذ الأمواج تتكسر على حاجـز مبني من الحجارة الضخمة دونه، وليس هناك من يهزأ بي لكوني تشبهت بالأطفال وبأشباههم من كبار السن من أحد الجنسين!! ولم أغامـر في التوغل في البحر مع الماهرون في السبـاحة، إنني مع القائل:

لا أركـــب البحـــر إني ... أخـــاف منـــه النـــوائب
طين أنـا وهـو مـــاء ... والطــين في المـاء ذائــب

وخير لي أن أعد طفلاً، من أن يذكر اسمي بين الغرقى!!

تماديت في المشي هذا الصبـاح على الشاطئ عكس الاتجاه إلى وسـط المدينة فامتد بي السير إلى غابة ذات أشجار عظيمة بـاسقة ولا أعرف منها سوى شجر (**النارجيل**) الذي يحار المرء في سمـوقه مع دقة سـوقه، كيف يستطـاع صعوده لجني ثمره؟!

وهذه الشجرة العظيمـة المنتشرة الفروع بحيث لا يكون المرء مبالغًـا لو قُدِّر قُطـر دائرة استـدارتها بعشريـن مترا، وطـاب لي السير في تلك الأرض الخضراء وأكثر من أشـاهد ينهبـون نهبًا بعـدوهم على أرصفة الطرق ومنهم مـن أبرز من جسـده أكثره، وكـانت الشمس مشرقـة تتسلل أشعتهـا الـدافئـة من خـلال الأشجار، وأصوات الأمواج المتكسرة على الرصيف الطويل، تدوّي في الآذان، كلما قرب الطريـق لإى الشاطئ، وهـا هي فنادق ومـواقف سيارات منتشرة في جانـب الغابـة الموالي للبحر أما الجانـب الآخر فها هـي سلسلة الجبـال الممتدة بدأت تطل بقممها الشامخة حتى تكاد تطوق هـذه الحديقة الواسعـة ـ الغابة ـ لقد أحسست بالتعب من كثرة المشي، ولم أجد مكانًا أستريح فيه سوى المقاعد

”رأيتُ أشجـارًا عـاليـة قطـر استـدارة الـواحـدة تـزيـد عن عشـرين مـترًا“

والكراسي المنتشرة على جوانب الطـريق، أو داخل هذه الحديقة، وكنت أتطلع إلى مقهى أو مطعم ولكن الساعـة الآن لم تبلغ السابعـة صباحا. رأيت إنسـانًا واقفًا تحت مظلة مبنية وبجانبها مقـاعد مستطيلة فجلست بقربه فما كان أسرع من وقوف حافلة (أوتوبيس) بقرب المظلة وإذا بالواقف يتجه إليها فسرت خلفه وأخذت مقعدي داخلها، ولكنني رأيته وقف بجوار السائق ووضع في صندوق زجاجي بجانبه نقودًا، وأنا لم أفعل، ولا أعرف مقدار ما أدفع فأتيت إلى السائق بعد أن وضعت قطعًا من النقود في يدي وأبـرزتها له فأخذ منها ربع دولار قذف بها في الصنـدوق. وأنا الآن وقـد جلست مستريحًا فلتتجـه هذه الحافلـة حيث تريـد، ولن أعدم نفعًـا من اتجاهها إلى أيـة جهة. ها هي نهايـة الغابـة نكبتها



الحافلـة يمينهـا، ثم انحـراف جانبهـا الموالي للجبـال، ثم زاد انحـرافهـا حتى اخترقت وسط الحديقـة فـالتقى طـريقهـا بالطـريق الـذي سلكتـه حين أتيت وسرعان مـا مرت بأمكنة عـرفتها لقـربها من الفندق لتكن جولـة في المدينة على حسـاب ربع دولار، ها هي الترعـة العظيمـة التي تشق وسط البلدة، هـا هي الضاحية الجميلة التي مررت بها أمس عند الذهاب إلى **القنصلية اليابانية**) و ها هو وسط المدينـة، لا يتميز إلاّ بقـدم كثير من مبانيـه. لقد أوشكت أن أصل الشارع الطـويل الذي يقع فيـه الفندق فقـد عدنـا إلى الترعة وعرفـت الطريق فنزلت في أول موقف.

لمّا حـدّثت إحـدى بناتي بهذه الجولـة التي شـاهدت فيهـا كثيرًا من معـالم المدينة، ولم تكلفني سوى ذلـك المبلغ القليل. أضافت قائلة: ونلـت ـ فوق ذلك ـ شكر **رئيس الولايات المتحدة (كارتر)** وشكر رئيس بلديـة هذه المدينة.

وقد ظننتها ساخرة غير أنني في المساء وعند العودة من المطار ـ بعد سفر ابنتي ـ ركبنا الحافلة من المطار إلى الفندق، وإذا بابنتي الثالثة تريني لوحة خضراء تحوي كتابة مذيلة بتوقيع (**جيمي كارتر**) وآخر معه، وترجمة تلك الكتابة: (**شكرا لك حيث ركبت الحافلة، فوفرت قدرًا من الطاقة**).

لم أقل: ياليت قومي يعلمون، فالعلم لا ينقصهم، بل قلت: يا ليتهم (يعملون)، خدعنا في مساء هذا اليوم بوصف رحلة بحرية، يشاهد المرء خلالها أشياء ممتعة ويتمتع بوسائل تسلي وتبهج مما لا يجد المرء له مثيلاً في غير هذه البلاد ـ كذا قيل لنا كنماذج من مظاهر الحياة هنا من غناء وغيره، وبوجبة عشاء متعددة الأصناف في بلد الضيافة ـ على ما تقوله عنها وسائل الإعلان. وها هي النيران تشتعل أمام كل مطعم وتذكّر بما ينسب لحاتم الطائي يخاطب مولاه:

أوقد فإن الليل ليل قرّ ... والريح يا غلام ريح صرّ

لعل أن يبصرها المعترّ ... إنْ جلبت ضيفًا فأنت حرّ

ويظهر أن عادة إشعال النيران بقرب المطاعم انتقلت من شرق آسيا حيث



انتشرت المجوس فأهل هذه الجهات على ماقيل لي: يعتقدون أن النار تطرد الأرواح الشريرة عن الطعام ولهذا يمؤون إناءً مستطيلاً زيتًا ويضعون في الزيت فتيلة عريضة يشعلون النار في طرفها فلا تزال تمتص الزيت وتشتعل ما داموا بحاجة إلى ذلك وفي داخل المطاعم في كثير من البلاد، يوضع فوق كل منضدة قدح من زجاج مملوء زيتًا وفيه فتيلة نارها تزهو ولكنها خافتة وأرى هذا مأخوذ من تقديس النور وتلك عقيدة (**المانوية**) إحدى فرق المجوس، والمتنبي يقول:

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن (المانوية) تكذبُ

أي في اعتقادها أن النور إله الخير، والظلمة إله الشر.

لقد انتهت الرحلة التي استغرقت نحو ساعتين في زورق بخاري ضم ما يقارب خمسين راكبًا وسامر يشق عباب الأمواج التي ترتفع أمامه في بعض الأحيان حتى تبدو وكأنها ستبتلعه فتختلط ضحكات من في الزورق وصخبهم بهدير الأمواج.

> ”ركبت الحافلة فشكرني على ذلك رئيس الولايات المتحدة“

أما العشاء فكان شهيًا سبقه نوع من الشراب من عصير الفواكه، كانوا أسخياء به، لا يمتاز عن الماء إلاّ باللون، وحلاوة الطعم.

الناس هم الناس في كل مكان وزمان، فقد كتب الطبيب حينما كنت في مدينة (**هيوستن**) قطرة لعيني فدفعت ثمنا لها اثني عشر دولارًا ونصف دولار ثم احتجت إليها فاشتريت لي وهي بثمانية دولارات ونصف دولار أي ما يقارب الثلث، وها أنا في (**هنولولو**) بعد أن اشترى حاجة بعشرة دولارات أشاهدها هي بعينها في محل آخر معروضة بثمانية. وأجلس في مقهى الفندق الذي أسكن فيه فأدفع نحو دولار ثمنا لكوب من الشاهي، لا يكلفني حين أجلس في مكان يمتاز على المقهى ـ أكثر من نصف ما دفعت.

يُخدع المرء حين يتوهّم أن الغربيين لا يُحاولون ابتزاز الأموال بمختلف الطرق، أو أن معاملاتهم كلها نظيفة شريفة إن الطبيعة الإنسانية هي هي، فيها الخير والشر والناس فيهم الخيّر ومنهم الشرّير وليس من تفوق عليك بعلمه، بخير منك في خلقه.

لحظة الوداع

أحسست هذا المساء (يوم الأحد ١٨ مارس) بوحشة تغمر قلبي، لقد عدنا أنا **وأم محمد** وإحدى بناتي من المطار الساعة التاسعة، بعد أن ودعنا اثنين من بناتنا، عادتا لإكمال دراستهما في جامعتي (**هيوستن**) و(**دلس**) ولم أتمالك نفسي عندما رأيت دموعهن تسيل، **وأم محمد** تحتضنهما وقد اعترتني شهقة انهمر دمعي من عيني بدون إرادتي، فغالبت ذلك بإبداء التجلّد وإظهار عدم التأثر ومن نعم الله على سرعة تحكمي بعاطفتي بحيث أستطيع إظهار نفسي بحالة من الحالات تخالف ما يضطرب في داخلها وهكذا كان فقد غيرت ذلك الموقف المؤثر بسرعة بحالة من حالات السرور بتبادل عبارات المزح مع ابنتنا الباقية معنا، حتى تغيّر جو الأسى المخيم في نفوسنا ولو ظاهرًا ولكن سرعان ما غمرتني تلك الوحشة، حين عدت إلى الفندق والليلة كلها، مع محاولتي التغلب عليها بدخول نادٍ ليلي فيه غناء وأنواع لهو، ولكنني لم أطق البقاء فيه دقائق. أنا لا أتهم ذوقي فأصفه بالجفاء. وضعف التمييز بين الحسن وضده، إلا أنني أرى في كثير من مظاهر الطرب كالغناء وغيره ـ في هذه البلاد، ما لا يتلاءم مع الذوق مما لا ترتاح إليه النفس كهذه الأصوات المرعبة المنبعثة من أقصى الحناجر، بنبرات مختلفة إذ تدخل الأسماع آونة أشبه ما تكون بعواء

الذئب ثم تتغير فجأة إلى صرخة مدوية تكاد تشق طبلة الأذن، ثم هذا الزفن الذي تتضارب فيه الأجسام كتضارب الأمواج، بدون اتساق وإنما محاكاة لتلك الصرخات المنبعثة من حناجر هؤلاء السود. إنهم في غنائهم وزفنهم شديد والشبه بطائفة من الناس، كانوا يأتون إلى بلادنا للحج ـ أو غيره ـ من طريق سواحل اليمن من أفريقيا، وفي منتصف القرن كان المرء يشاهد أشكالاً منهم يجوبون شوارع مكة، وبأيديهم دفوف صغيرة وأجسامهم ليست مستوراً منها سوى العورة المغلظة وهو يرقصون ويدقون تلك الدفوف ويكررون نغمات رتيبة. لا أزال أحفظ منها: (شندق شنديقًا، أي والله).

أترى هذا الزفن الصاخب من رقص ورنّات آلات وأصوات غير منغّمة ولا منسجمة في الأسماع انتقل إلى هذه البلاد من أفريقيا لم لا وأكثر المغنيين عندهم من أهلها؟

كنت رأيت مطعمًا قريبًا من الفندق في قائمة طعامه المعروضة على بابه سمك طري و (أبو جلنبو LOBESTER) وثمن الوجبة نحو أربعة دولارات فذهبت إليه الساعة العاشرة ليلاً فلما نظرت قائمة الطعام إذا ثمن الوجبة من لحم ذلك الحيوان البحري ـ وكنت أستطيب لحمه ـ ثمانية عشر دولارا ـ فطلبت سمكًا وكان الثمن ثمانية دولارات فأشار لي الندل على القائمة بأنه لا يوجد الآن سوى الطعام الغالي فطلبت نوعًا من الفاكهة فأحضره لي مُصَبّرًا ليس طريًا وتقاضى مني ثمن وجبة عشاء كاملاً ـ أي أربعة دولارات ـ في سائر المطاعم وكما قيل: (ما يخلي الظلم إلا عاجزٌ!!) كما قال أبو الطيب:

والظلم من شيم النفوس فإن تجدْ ذا عفةٍ فلعلّةٍ لا يظلمُ

"مظهر البلاد اليابانية لا يُعبّر عن مخبرها.. فعندما تدقق تجد النظام يسود كل شيء"

لم أر في هذه البلاد سوى رجل عربي واحد هو حمّال في المطار من (أريتريا) له خمس وثلاثون سنة وقد استغربت منه تكلّمه العربية بطلاقة على طول مكثه بعيدًا عن العرب فقال: إنه يمر بهذا المطار كثير منهم، فيحرص على التحدث معهم باللغة العربية. أخبرني أحد العاملين في فندق (شرتون) أن رجلاً أعرف أسرته من أهل مكة اعتاد أن يأتي بأهله كل عام فيسكن في هذا الفندق أيامًا.

وأكثر العاملين في المطاعم والفنادق من جزائر الهند الشرقية، وأكثر من يرتادها من الأمريكان المتقدمي السن، التمرهلي الأبدان، يأتون جماعات، فتغصّ بهم المجتمعات.

في مدينة طوكيو

إلى طوكيو: بعد أسبوع مرت أيامه مسرعة قصيرة (وأيام السرور قصار) كما يقال، وكان السفر من مطار (هنولولو) في صباح يوم الثلاثاء ٢٩/ ٤/ ١٣٩٩هـ (٢٠/ ٣/ ١٩٧٩م) الساعة التاسعة والنصف بتوقيت هذه البلاد، على طائرة يابانية، بعد ترتيب ما نحتاج إليه من سمة دخول، وتذاكر سفر إلى تلك البلاد والخروج منها، وحجز في أحد الفنادق في (طوكيو) ومدة الطيران تسع ساعات كاملة، في اجتياز المحيط الذي اجتزنا جانبه الموالي للقارة الأمريكية من (هيوستن) إلى (هنولولو) في ثماني ساعات.

وكان الوصول إلى مطار (طوكيو) الساعة الواحدة والنصف ظهر يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني لا يوم الثلاثاء الحادي والعشرين منه كما كان مفروضا، مع أننا لم نقطع من الزمن سوى تسع ساعات، ذلك أن الخط الوهمي الذي يبتدئ منه اليوم العالمي يبدأ من خط الطول ١٨٠ المار بالمحيط الأدرياتيكي وقد اجتزناه بعد مجاوزة أرخبيل (هاواي) الواقعة على خط طول ١٨٠ غرب (جرينتش) وباجتيازه اجتزنا خط الطول ١٨٠ شرق (جرينتش) فأظلنا يوم جديد ـ حكمًا لا واقعًا ـ ولولا هذا لاختلطت الأيام في العالم بدون تمييز بينها، إذ الشمس تجري فتقطع دائرة الأرض (٣٦٠) بمعدل أربع دقائق للدرجة الواحدة ولهذا يختلف الزمن باختلاف كل بلد، ولا بد لهذا من ضابط.

كانت الرحلة مريحة على طولها فالعناية بالمسافرين فوق ما اعتدناه في كثير من الرحلات، ولا أبالغ إذا قلت بأنني لم أر أرقّ من اليابانيين عند التعامل معهم، وفي غير هذا يشاهد المرء عندهم ما يشاهده لدى كثير من الشرقيين من التسرع في بعض الأمور، ها أنا أقف في الصف للخروج إلى الطائرة فلن أعدم إنساناً يحاول أن يتقدم عليّ. وعند محاولة أخذ الحقائب بعد الهبوط في المطار تحتاج إلى جهد لكي تحافظ على موقفك أمام ملقي الأمتعة. وأن لا تستنكر وكزة خفيفة من كوع أو مرفق ناعم، ولا تستغرب ارتفاع أصوات من حولك مما يذكرك إذا كنت ممن عاش في البادية بضوضاء وُرّاد المناهل في الصحراء وقت القيظ. ومن المطار كان الركوب في الحافلة، فالمسافة بينه وبين مدينة (طوكيو) عشرات الأميال، بحيث لا تقلّ أجرة السيارة عن ستين دولارًا، أما في الحافلة فعشرة دولارات لكل راكب مع حمل أمتعته والموقف وسط المدينة، ومنه إلى الفندق لا تقل عن هذا المقدار، مع كثرة سيارات الأجرة.

كل ما يقع عليه النظر في الطريق إلى المدينة يبدو أضأل مما كان متصورا عن مظاهر حياة أهل هذه البلاد ونشاطهم وتقدمهم بين أمم العالم. وها هي ضواحي المدينة توحي بالكآبة فالمساكن غير متناسبة، فهذا بيت أشبه بخن الدجاج بجوار دار فخمة، وهاهي مجموعة من المنازل على نسق واحد، لعلها مساكن شعبية قد امتلأت نوافذها بالملابس المنشورة، وها هي الورش والمصانع الصغيرة يتخيل الناظر إليها أن مدينة (طوكيو) العظيمة ما هي سوى ورشة مجزأة تذكر بما كان المرء يشاهده قبل بضعة أعوام في مداخل مدن بلادنا.

لا يتمالك المرء حين يستمر به السير مسافة طويلة داخل هذه المدينة من أن يصفها بأنها كالحة المظهر، معتمة المنظر، وها نحن قد بلغنا وسطها دون أن

يتبين لنا من معالمها ما تتميز به عن أية مدينة من مدن الشرق، فالشوارع ليست واسعة والأزقة المتعرّجة ضيقة وسير السيارات بطيء من شدة الازدحام في الطرقات مع كثرة الجسور فوقها، وأصوات القطارات وحركاتها وهي تسير فوق الشوارع العظيمة تزعج بضجيجها. حتى الأشجار المغروسة يوحي منظرها بالكآبة فهي أغصان بلا ورق مع إطلالة فصل الربيع.

العودة إلى المكان بلا قصد

ها هو الفندق على أحد الشوارع الكبيرة في وسط المدينة، وكان سائق سيارة الأجرة لبقًا في إنزال الأمتعة وعدّها لنا، ولم يتقاض سوى عشرة دولارات (ألفي ينّ).



إن داخل هذا الفندق يوحي بأن مظهر المدينة لا يعبّر عن مخبرها، إنه حسن التنسيق على صغره وموظفوه في غاية الرقة وكمال الأدب، بدرجة هي إلى النعومة أقرب وها هو كل شيء نظيف فلا تقع العين إلا على ما يستهوي النظر، والغرفة ـ مع ضيقها ـ قد أُعدّ فيها ما يحتاج إليه، حتى الأحذية التي تستعمل داخلها، ولباس النوم وأدوات تنظيف الأسنان، وآلات الحلاقة وكلها تُغيَّر كل يوم وفي أحد مطاعم الفندق أربعة أمكنة لتناول الأكل على صغره ـ كان الغداء ولم يكن للجوع أثر في استطابته، ولم نشأ تغيير ما اعتدنا تناوله من الطعام بسرعة، والثمن لم يزد على ثمن مثله في مدينة (**هنولولو**) سوى يسير.

بعد استراحة خرجت من الفندق الساعة السابعة ليلا، فلم أر في الأسواق ما يراه المرء من المدن في مثل هذا الوقت من الحركة، فالمقاهي والمطاعم مغلقة، والناس في الشوارع قليلون، أترى هذا في كل مكان من المدينة، أم في هذه الناحية وحدها، اتجهت سائرًا في أحد الشوارع أتعرّف معالمه لكي أهتدي إلى الفندق حين أعود، وأحاول ألاّ أبعد كثيرًا عنه، وكلما انحرف بي الطريق عرجت للناحية التي يقع فيها الفندق، وكثيرا ما يستوقفني منظر أعشاب ذات زهور جميلة في مدخل بيت أو على طول طريق، أو إنسان واقف بجوار صندوق زجاجي يصنع في داخله أقراصًا صغيرة فيقف عليه أحد المارة متناولاً من تلك الأقراص، فدفعني حب الاستطلاع إلى الوقوف عند رجلٍ أمامه مقلاة كبيرة مملوءة بحبوب سوداء، استطبت رائحتها، وقد صفّ على جانب تلك المقلاة أكياسًا من الورق مختلفة الأحجام مملوءة مما بين يديه فتناولت من أصغرها ما كان ثمنه (٥٠٠ ين) وسرت في اتجاهي متلذذًا برائحة ما بيدي، محاذرًا من ابتعادي عن الفندق، فأبصرت على مقربة مني لافتة مضيئة عرفت من كتابتها أنها مقهى، فذكرت وأنا أصعد إلى المكان درج الفندق وهذا المدخل شبيه بمدخله حتى هذا الإنسان الذي حضر ليسألني عما أريد فطلبت منه قهوة، إنه يشبه أحد من رأيت وقت الغداء مع أنني سرت سيرا أجهدني، ولكنه على طريقة (يا حويرا، يا دويرا)!!.

لم أصبر فأدخلت يدي في الكيس، فأخرجت منه حبة في فمي، فلم أدر ما هي لصلابة قشرتها حتى هشمتها بأضراسي، فإذا طعمها لذيذ، ذكرني بنوع من البقول يدعى (الكستنا) إلا أنه ليس بحلاوة هذه، ولكنني بعد أن أمعنت النظر فيما في الكيس تبين لي أنه هو (الكستنا) أما حلاوة الطعم فلكونه نقع في ماء فيه سكر، ثم قلي بعد ذلك، ولما انتهيت من شرب القهوة وقمت لأدفع الثمن في الصندوق فوجئت بأنني في المكان الذي تغديت فيه من الفندق!!.

الجو أميل إلى البرودة منه إلى الاعتدال، وقد قيل لنا ونحن في (**هنولولو**): يحسن اتقاء برد (طوكيو) وأنا شديد الإحساس بالبرد، سريع التأثر به ولا أزال أعاني من زكام حاد أصبت به في **مطار القاهرة**، في مكان حجزت فيه ثلاث ليال، يدعونه (المحجر الصحي) من قبيل التسمية بالضد، كالمفازة والبصير، للصحراء المهلكة وللأعمى. لأخلد إلى الراحة الليلة.

وحصلت على الخريطة

كان أول ما فكرت فيه صباح هذا اليوم (الخميس ٢٤/ ٤/ ١٣٩٩هـ ـ ٢٢/ ٣/ ١٩٧٩م) زيارة السفارة لتسجيل جوازات السفر، فبعد أن قاربت الساعة التاسعة خرجت من الفندق فرأيت شرطيا واقفا فعرضت عليه عنوان المكان وأنني بحاجة إلى سيارة (أجرة) فأشار لي بالوقوف في مكاني وذهب مسرعًا ثم عاد إلى بسيارة فتح لي بابها وأطال الحديث مع سائقها، ويظهر أنه يصف له المكان ويحدد الطريق إليه، ولكن السائق فيما يبدو لم يكن على درجة كافية من معرفة الجهة فلم نصل السفارة إلاّ بعد أن تجاوزت الساعة الحادية عشرة، وبعد أن وقف ثلاث مرات يتحدث في الهاتف مستوضحا عن المكان.

والشرطة هنا من أرق الناس أخلاقًا، سألنا أحدهم عن (**فندق أمبريال**) حيث يوجد هناك مكاتب لخطوط الطيران بقرب الفندق الذي نسكنه، فاتصل هاتفيا، ثم أخذ ورقة رسم موقع الفندق، وما بيننا وبينه من شوارع، مع طريق السير، ولم يكتف بذلك بل خرج من مكانه وأشار لنا إلى الجهة التي نريدها وقيل لنا: **إن الشرطي في اليابان مضرب المثل في خلقه، وقيامه بواجبه في خدمة المجتمع**.

(وللحديث صلة)

الحاجة إلى مركز عالميّ للإعلام الإسلامي



بقلم: د. عبد القادر طاش

إنّ عصرنا اليوم هو عصر الإعلام وقد غدا الإعلام طاقة وقوة لا بد لأي أمة تريد لنفسها العزة ولمبادئها التمكين والانتشار أن تهتم بـه وتوليـه من عنايتها الفـائقة مـا يستحقه، وتنفق في سبيله من الجهـد والمال والوقت ما يجعلهـا قادرة على أن تجابه بـه الأمم الأخرى وتنافسهـا. ولذلك ليس من الغـريب أن نجـد القوى الكبرى والجماعـات وأصحـاب المبادئ والدعـوات والمصـالح يحرصون حـرصا شـديدا على تسخير وسـائل الإعلام المختلفـة لخدمة أغـراضهم وتـوظيفها لنشر مبادئهم وأفكارهم وسياساتهم.

طوفان كتب أجنبية تحاول تضليل المسلمين .. ولكن..

من كتّاب العدد



- د. عبد القادر طاش،
- رئيس تحرير صحيفة (المسلمون) التي تصدر في جدة..
- من مواليد الطائف في ١٣٧٢هـ (الموافق ١٩٥٢م)
- دكتوراه في الصحافة والإعلام من جامعتي أو كلاهوما وجنوب الينوي.
- أستاذ مشارك بقسم الإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والرئيس السابق لقسم الإعلام بها.
- زار الولايات المتحدة، بريطانيا، إيطاليا، مصر، تركيا، سويسرا، الصين والإمارات المتحدة.
- شارك في ندوة أقسام الإعلام بالجامعات العربية التي عقدت بجامعة الإمارات كما شارك في المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي (الأقليات المسلمة) بالرياض والمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بالرياض.
- يكتب في الصحف والمجلات المحلية.

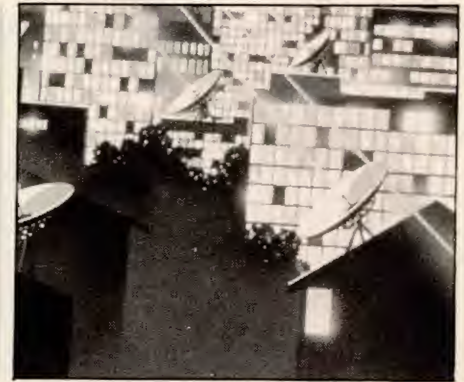
إنَّ من العجب أن نرى أهل البـاطل يكدحون أيما كـدح في سبيل نشر مبـادئهم وأفكـارهم التخريبية، واستغلال جميع وسائل الإعلام لخدمة أغراضهم، بينما يُحجِم أهلُ الحق ـ وهم المسلمون ـ عن العمل الجادّ والفعـال لنشر مبـادئ الإسـلام وتقـديم الحق إلى البشريـة التـائهـة التي هي في مسيس الحاجـة إلى ذلك الحق. بل إن أهل الحق ـ يـا لـلأسف ـ غير قـادريـن على حمايـة أنفسهم ومجتمعـاتهم من سمـوم الإعـلام الغـربي والشرقي والصهيوني والتنصيري. وليس من المبالغة في شيء أن نقول: **إن المسلمين اليوم مستهـدفون إعـلاميا، ولا بد لهم من أن يواجهوا سموم الإعلام المعادي من خـلال إعلام إسـلامي عصري يستطيع أن ينـافس الإعلام المعادي ويتصدى له بقوة وثبات** والحاجة إلى الإعـلام الإسـلامي العصري لا تقتصر فقط على ضرورة استخدامه في مجال الدعوة الإسلامية خارج المجتمعـات المسلمـة، بل إن تلك الحاجة مـاسـة للإعلام الإسلامي في داخل تلك المجتمعات حتى تحفظ على المسلمين دينهم وتـرـدّ عنهم حملات التشكيك والتحريـف والتشـويـه سـواء من قبل الإعـلام المعـادي، أو مـن قبل كثير من الطوائف والاتجاهات والفرق المنحرفة عن الإسلام التي تتدثر بزي الإسـلام وهم أبعد ما يكونـون عن الإسلام في جوهره وحقيقته. إن هذه الفرق الضالة والطوائف المنحرفة التي تنتسب إلى الإسلام زورًا وبهتاناً تسخّر العـديـد من وسائل الإعـلام لنشر ضـلالاتها وانحرافاتها.

وتقوم بعض طـوائف الرافضـة بتوزيع الملايين من الكتب والنشرات والصحف والمجلات لتضليل المسلمين من جهة، ولتشـويه صورة الإسـلام لدى غير المسلمين من جهة أخـرى. وللطوائف الأخرى كالقـاديانية والبهائيـة وغيرها نشاطات إعـلامية في العديد من دول العالم، وكـل هذه الفرق والطوائف المنحرفـة لا تقدم الصـورة الحقيقية لـلإسلام، ممـا يصدّ النـاس عن معرفـة الإسلام الصحيح ومن ثمّ اعتناقه أو تفهمه على أقل تقدير!

واقع مؤلم :

وتعود بي الذكريات إلى سبع سنوات خلون عندما كنت رئيسا للمركز الإسلامي بمدينة (كاربونديل) بالولايات المتحدة الأمريكية. لقد اتصلت بي مدرّسة مادة مقارنة الأديان في جامعة جنوب «الينوي» طالبة مني مساعدتها في إلقاء محاضرة لطلابها للتعريف بالإسلام. وأمهلتني بعض الوقت لأحضر مادة المحاضرة بما يليق بمستوى طلبة الجامعة، وبما يوفر لهم فرصة التعرف الحقيقي على الدين الإسلامي.

لقد كانت المهمة صعبة للغاية، إذ كان المطلوب ألا تقتصر المحاضرة على الكلام النظري، بل تشتمل أيضا على بعض وسائل الإيضاح كالشرائح المصورة والأفلام والنشرات المطبوعة. وبقيتُ أياما أبحث عن هذه الوسائل دون جدوى. وذهبت إلى مكتبة الجامعة أبحث في دليل المواد السمعية والبصرية، ويالهول ما اكتشفت. لقد وجدت النصارى واليهود وبعض أصحاب الديانات الأخرى قد خدموا أديانهم بالعديد من وسائل الإيضاح السمعية والبصرية. أما الإسلام



فلم أظفر بشريط مسموع واحد أو فيلم سينمائي واحد أو نشرة ميسورة أو حتى بضع شرائح مصورة يمكن أن أعرضها على أولئك الطلاب! بل لقد صُدمتُ صدمة موجعة عندما اكتشفت أن بعض المؤسسات اليهودية قد أنتجت بعض الأفلام التعليمية للتعريف بالإسلام: تصوروا أن اليهود هم الذين يعرّفون الآخرين بديننا الإسلامي! وماذا سيقدّم اليهود عن الإسلام سوى التحريف والتشويه والدس والتخريف؟!

ـ ولا مجال أبدا لأن نتوسع في تبيين الحاجة إلى الإعلام الإسلامي في عصرنا الحاضر. **لقد أصبح الإعلام الإسلامي ضرورة شرعية وواقعية لا مهرب من السعي من أجل تحقيقها وتحويلها إلى واقع ملموس**. وكفانا صراخا وعويلا ولنتوقف عن الشكوى والنقد، ولننتقل إلى الميدان العملي، **فالأخطار كبيرة والتحديات صعبة ولا بد لنا من المواجهة**، وإلاّ فإن الأمة معرّضة للضياع في ظل غزو فكري شرس من أعدائنا. **فضلا عن أننا مطالبون بتبليغ رسالة الإسلام إلى العالم أجمع**. وسنقف بين يدي الله لنُسْأل عن أمانة التبليغ والدعوة، فماذا نحن قائلون؟!!

مهمات إعلامية :

وإننا لنطمع أن يتم إنشاء ما نادينا به منذ فترة، ونادى به المخلصون من قبل وهو إنشاء «المركز العالمي للإعلام الإسلامي» على أن تكون مهمات هذا المركز ما يلي:

١ ـ إنتاج المواد السمعية والبصرية: التي تعرف بالإسلام وتشرح مبادئه وتبين محاسنه بجميع اللغات، وتيسير الحصول عليها لكل من يريد.

كارثة: اليهود يقدمون الإسلام في الغرب على أنه الجوع والحرمان والدماء!

٢ ـ إنتاج المواد الإعلامية المكتوبة والمطبوعة كالكتب والصحف والمجلات والنشرات والموسوعات والملصقات وغيرها لتكون تحت أيدي الدعاة والعاملين للإسلام في كل مكان في العالم.

٣ ـ إنتاج البرامج والأفلام السينمائية والتليفزيونية التي تعمق مبادئ الإسلام في النفوس، أو تقدم الصورة الصحيحة عن الإسلام والمسلمين إلى العالم. وكذلك تشجيع وتمويل ومساعدة المشروعات الإسلامية التي تحقق أهداف الإسلام وغاياته.

٤ ـ متابعة ما ينشر ويذاع ويبث في صحافة العالم ووكالات الأنباء والإذاعات الموجهة والأجهزة التليفزيونية وتأييد الجيد والموضوعي منها وتفنيد الرديء والردّ على الأباطيل وتصحيح الأخطاء.

٥ ـ توثيق علاقات الاتصال بالهيئات والمنظمات الدولية وكذلك دور النشر الكبرى والمكتبات ومراكز المعلومات لتزويدها بالمواد الإعلامية والعلمية التي توفر للباحثين والراغبين الفرصة للتعرف على الإسلام من مصادره النقية بعيدا عن التشويه والتحريف. كما أن هذه العلاقات يمكن أن تسهم في قيام المركز بتصحيح الكثير من الأخطاء والمغالطات الموجودة في مصادر المعلومات في تلك الهيئات أو المكتبات أو مراكز المعلومات.

إنَّ إنشاء هذا المركز أصبح اليوم ضرورة لازمة حتى يمكن للمسلمين أن يخدموا دعوتهم الإسلامية ويستثمروا وسائل الإعلام الحديثة لتمكين الإسلام في نفوس معتنقيه وخصوصا بين صفوف الأقليات المسلمة والجاليات المقيمة في البلدان غير الإسلامية والذين يتعرضون لخطر الذوبان. وكذلك لتوفير الفرصة لغير المسلمين في جميع أنحاء العالم ليتعرفوا على هذا الدين القيم ويتبينوا محاسنه بعيدًا عن تشويه أعدائه وبعيدا أيضا عن تحريف الفرق والمذاهب الضالة المنحرفة عن سبيله القويم.

ولا بد ـ في الختام ـ من التأكيد على ضرورة أن يتوافر لهذا المشروع الحيوي العملاق عنصران أساسيان: أولهما: حسن اختيار الأشخاص الذين يتولون التخطيط له والعمل فيه ممن يجمعون بين سلامة العقيدة والفكر والحماسة للإسلام والقدوة الصالحة في القول والعمل من جهة، وثراء العلم والخبرة والتخصص والاهتمام في المجال الإعلامي من جهةٍ أخرى.

أما العنصر الآخر فهو: المال إذ لا بد أن يتوافر لهذا المشروع قدر وافٍ من التمويل. ولا أظن أن هذا العنصر بعيد المنال وخصوصا ونحن نرى عددا من المؤسسات المالية الإسلامية القادرة كالبنك الإسلامي للتنمية والبنوك الإسلامية المنتشرة، إلى جانب العديد من رجال الأعمال الخيّرين ممن يتشوقون إلى استثمار المثوبة والأجر عند الله، أو الربح الحلال في الحياة الدنيا. ولن يخيب رجاؤنا في أن يحقق الله هذه الأمنية بفضله وكرمه.

دروبُ الرّبيع

شعر : سلوم درغام سلوم

أسافر في عيونك مستهاما وأفهمُ من لواحظك الكلاما
وأمشي فوق دربٍ سندسي وحلم النور في دربي تسامىٰ
يناغي الطير ألحان الصبايا ويلقى بعد غربته الحماما
وأيامي على دربي طيورٌ تغني للّتي أهوىٰ مقاما
وزهر رياضها للحبِّ نادىٰ سأقطف من براعمها الخزامىٰ
أرىٰ وجهاً جميلاً من مصيري أرىٰ علماً وأمطاراً سجاما
ودربي يهتدي زهراً ونوراً وأجني من مرابعه النعاما
ويغدو الحبُّ في عيني ربيعاً ويمسي العشق في العين التزاما
أيبقى العقل بعد الحبِّ عقلاً ؟ وسحر العين قد أمسى المداما
ولمّا أيقظ السحر اصطباحاً أبىٰ طرفي بجنبك أن يناما
خذي كأسي رحيقاً من فؤادي وردّي نحو لهفتنا السلاما
علاقتنا لها قلبٌ وشوقٌ ولا ترضىٰ لصنوين انقساما
فما ذنبي إذا أظهرت حبي ؟ متى كان الهوىٰ درباً حراما ؟
فتختارين بعداً بعد وصل علام الهجرُ والمنأىٰ علاما
أبتْ شفتاي أن تروي حديثاً لغير الدرب أو تشكو هياما

www.ahlaltareekh.com

رحلة الصوت اللغوي من النشوء إلى الإدراك

بقلم: علاء الدين رمضان

اللغة والتفكير[1] . . أو القدرة على التفكير: يرتبطان ارتباطًا وثيقًا، فهاتان الخاصتان تُميّزان الإنسان من غيره من الحيوانات، بل إننا نجد كثيرًا من علماء البيولوجية أنفسهم ومن بينهم العالم الإنجليزي الشهير «السير جوليان هكسلي Ser. G. Hcsely» يضعون الفكرة واللغة خاصتين مميزتين للإنسان في مرتبة أعلى من الخصائص البيولوجية ذاتها، مثل السيادة أو السيطرة البيولوجية والقدرة على التناسل على مدار السنة . . . وما إلى ذلك.

فاللغة مطلب ضروري للمجتمع يتحقق به التعاون الفكري بين أفراده، وهي أساس إحساس الناس بانتماء بعضهم إلى بعض، واشتراكهم فيما يؤلف بينهم من روابط ثقافية ووجدانية وتاريخية وسياسية[2]. والطريق المعهود للتعبير عن هذا التفكير، واللغة، هو طريق الأصوات.

الفونيتكس . . والكِيانُ اللُّغوي

الأصوات (الفونيتكس) تُمَثِّل عنصرًا من أهم عناصر البناء اللغوي، بل العمود الفقري والوسيلة الأساسية لتحقيق الوجود اللغوي في درجة المحاورة اليومية، ومما لا يمكن تصوّره ـ بأي حال من الأحوال ـ هو ذاك الذي يمكن له أن يتنبأ بمصير الفكر والتقدم الإنساني دون وجود **نظام أصوات acoustic system** منطوقةٍ أو معهودةٍ ووسيلة الكلام على السواء، **فالأصوات، أصل الكيان اللغوي، تمثّل المحور الأساسي لدراسة علم اللغة**، وهي الركيزة ونقطة المحور التي يجب أن يبدأ منها عالم اللغة الانطلاق إلى بقية مجالات علم اللغة الأخرى، و ليس أدل على ذلك من تعريف **ابن جني** للغة، بأنها «أصوات . .»، «يُعَبّر بها كل قوم عن أغراضهم . . .»، ولكن ثمة فجوة عميقة وواسعة بين الأصوات التي تصدر عن مختلف الكائنات الحية، والكلام المفصّل المنطوق الذي يصدر عن الإنسان، بيد أن **اللغة التي يستخدمها الحيوان ليست لغة، وما هو أهم من ذلك بكثير أنها لا تؤدي إلى لغة.**

أما اللغة الإنسانية من ناحية مظهرها المادي وصورتها المنطوقة فنظام صوتي فالأصوات تُعدّ من أوضح مظاهر اللغة؛ **فاللغة أصوات يتركب منها ما يسمى بالكلمات والألفاظ، ومن هذه تؤلف الجمل والعبارات فالأصوات Phonetics أصل كل اللغات**، ويتجلى لنا ذلك في تعريف علماء اللغة لِلُّغة، فالعالم البريطاني **هنري سويت H. Sweet** في كتابه Sound of English عرّف اللغة بأنها: التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية، واللغوي الأمريكي **إدوارد سابير E.Sabir يرى أنها وسيلة إنسانية خالصة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز الصوتية** System of phonetic Symbols التي تصدر بطريقة آلية[3].

أما العالم الألماني مارتينيه فيعرّف اللغة بأنها: أداة اتصال يستطيع بها الإنسان في جماعة بشرية أن يُحلّل ويبرز تجاربه في وحدات كلامية ذات مظهر صوتي.

إن الأصوات تمثّل المحور الأساسي لدراسة اللغة، وبناء عليه، يجب أن نجعل منها أساس المعلومات الخلفية لعالم اللغة، فهي مطلب أساسي وخلفية ضرورية يجب توافرها لدى عالم اللغة فضلاً عن كونها جزءًا من علم اللغة ذاته،

فمعرفة الأصوات الإنسانية: طبيعتها، ومخارجها، وكيف تُصوّر، وصفاتها . . . يجب أن تمثل أساس المعلومات الخلفية التي منها يبدأ وينطلق عالم وباحث اللغة . . تمامًا مثلما يجب على الإنسان أن يتعلم كيف يقرأ قبل أن يدرس أي علم أو فن . . فدراسة الأصوات هي المحور والركيزة الأساسية التي يجب أن ينطلق منها الباحث اللغوي إلى مجالات علم اللغة الأخرى.

الفونولوجيا . . والجرافولوجيا

عَدّ الباحثون جانب التحليل اللغوي للغة إلى عناصرها الصوتية من أهم جوانب الدراسة في **علم اللغة الصوتي**[4]، ودراسة هذا الجانب يرجى من ورائها التوصل إلى تدوين اللغة لما تُوُصِّل إلى اختراع علم الكتابة، وجاء نظام الكتابة في العربية مبنيًا على حقائق صوتية من حيث وضع رمز Symbol واحدٍ مستقل لكل وحدة **نطق صوتية (فونيم Phoneme)**، وهذا النظام يتمشى مع إحداث منهج في التفكير الصوتي الذي يرمي إلى تأسيس نظم كتابية للغات خالية من التعقيد والاضطراب.

ومن أهم مميزات هذا النظم أن يكون متمشيًا مع القاعدة المشهورة **«رمز واحد لكل فونيم»** وصار البحث في الكتابة أحد الفروع التي تندرج **تحت علم اللغة العام النظري، وصار علم الخط الجرافولوجي Graphology، أو الجرافيمكس Graphemics** أحد العلوم التي تجد عناية من الباحثين اللغويين[5]، فقد كان لا بد للقواعد المستخدمة في التعبير المسموع أن تقابل القواعد المستخدمة في التعبير المكتوب، فالوحدات الخطية ينبغي أن تكون

صورة مرئية للوحدات الصوتية **Segments** فتقابل كل واحـدة صوتيـة وحدة خطيـة، بل تقابل كـل صورة من صـور الـوحدة الصـوتيـة، صورة من صـور الوحدة الخطية حتى يُنطق النـص في القراءة كما نطق به المتكلم تمامًا، **فالكتابة تحويل التعبير الرمزي Symbolic Expression إلى تعبير تصوّري -Conceptu al Expression.**

ومع ظهـور الكتـابة والتـوصّل إليهـا اهتـدى التفكير العلمي إلى التحليل الصوتي. ومن ثَمَّ ظهرت الكتابة، وتدويـن الأصوات اللغوية إلى الوجود، من أجل الكتابة إذن كان التحليل الصوتي وكان التعـرّف على أصوات اللغة. ومن هنا: فقد اعتبر العلماء والباحثون أن اختراع الكتابة هو أول عمل في الدراسات الصوتيـة خاصـة والدراسات اللغـوية عـامة، وعُدّ تـاريخ هذا الحدث بـداية لتاريخ علم اللغة كما يقولون(٦).

« الإلمام بقوانين الأصوات أدّى إلى تطوّر علم اللغة المقارن .. »

ولم يكن اختراع الكتابـة هو غـاية هـذا التحليل ونهاية دوره، لكنـه شارك بفاعلية واضحـة في خدمة مجالات كثيرة علمية وعمليـة، وظل هذا التطور في تقـدم ملحـوظ حتى أخذ شكل مـا يعـرف هـذه الأيام بعلم الصـوتيـات، أو الأصوات.

الصوتيات

الأصوات phonetics هي المكوّنات الأولية والمادة الأساسية التي تتألف منهـا اللغـة فمثـلاً كلمـة (قُدْس) تتكـوّن من القـاف المثناة والـدال والسين المهملتين (ق. د. س) والتي نستعملها بهذا الشكل المعروف لنا بالحروف، أو الحروف الأصول ـ عند الاحتراز من حروف الزيادة ـ وهذه الحروف الأصول هي ما نُطْلِقُ عليه في أبحاثنـا اللغوية الحديثة **مصطلح الفونيمات Phonemes أي الوحدة الصوتية المنطوقة، مفردها فونيم. والفونيم Phoneme هو أصغر وحدة صـوتية مؤثرة في الـدلالة**، أي: إذا حَلَّ محل غيره مـع اتحاد السيـاق الصوتي Phonological Contexte والاتفاق في بقية الأصوات الأخرى: تغيّرت الدلالـة، واختلف المعنى مثل Saleو [Soul (S)W - Moul (M)W] اختلاف الصوت في اختـلاف في المعنى مثل الجيم القاهرية والضـاد العراقية، فلا نطلق على هـذه الوحـدة مصطلح (فونيم Phoneme)، وإنما هـي مجرد صورة صوتية ـ فتح. كسر. ضم. مد.. الخ ـ (فون Phon) تُلحَظُ عند الأداء ولا يُلتَفَتُ إليها عند **التحليل الفنولوجي** لفونيمات اللغة المخضعة للبحث.

وتختلف هذه الفونيمات من لغة إلى أخرى باختلاف الصفات التحليلية في كل لغة، و تختلف عنها في الأخرى. فليس بالضرورة أن ما يمكن اعتباره صفة مميزة لصوت من الأصوات في لغة ما، أن يكون صفة مميّزة لنفس الصوت في لغة أخـرى، فمثـلاً **في اللغتين العربيـة والإنجليزيـة**: في الإنجليـزيـة يختلف الصوتان (P)، و(b) الواحد عن الآخر بصفةالهمس**aspiration، أو الجهر Voicing**، غير أن هذه الصفة لا تميّز **حرف الباء المجهور** عن **حرف الباء المهموس في اللغة العربية**، والتي ليس فيها سـوى فونيم واحد للبـاء بمستوى صوتي Phonological واحد(٧)، فلكل وحدة صوتية لغوية (فونيم **-pho neme**) صفاتها الذاتية من حيث **المصدر Source، والتكوين -Compo sition، والشكـل Miseen Forme، والـرنين** الخاص بها **-Reso nance، والزمن المحدد لها The Determinant Time، وليس للفونيم معنى أو حياة مستقلـة، لكنه العنصر الذي يدخل في تـركيب الوحدة الحيـة المستقلة التي تسمى، في حالة المشافهة بالمنطوقات Utteranves**.

والفونيم مصطلح فـونولـوجي وهو جوهـر الدراسات الفـونولـوجية والتي تـرتبط ارتباطًـا تعريفيًـا عِمَاديًا وثيقًـا باتجاه وتسلسل التغيير والتغيّر الصـوتي، وقوانين التغيّر الصوتي مثل تحوّل الجيم في اللغة العربية الحديثة إلى عدة أشكال متطوّرة عن الجيم العربية الأصلية: «**الجيم الصعيدية**» - تنطق بصعيد مصر، وهي الأقـرب إلى الأصل اللغـوي الصحيح تقـريبًـا - ثم «**الشاميّة**» المبالغ في تعطيشها، ثم «**القاهرية**» وهي لا تُعطّش مطلقًـا، ثم جيم **بعض القبائل العربية السودانية** والتي تناقلها عنهم بعض العرب «**الصعايدة**» بمصر العُليا: وهي قلب الجيم دالاً.

ج

د ج ك [وهذا التغيير مَرَدّه إلى اللهجة]

وهناك متغيّرات صوتية مَرَدّها إلى اللغة نفسها، مثل:

GH h

G J

[تحويل G j(صوت لهوي)]

ولولا الإلمام بقوانين الأصوات Phonolohy وَتَفَهُّمِهَا فهمًا جيدًا مـا تَطَوَّرَتْ **دِراسات علم اللغة المُقارن Comparative Linguistics** التي أُجريت على العـديـد من الأسر اللغـويـة مثل أسرة **اللغـات الهنـدو - أوروبيـة -Indo European** التي تضـم لغـات مثل **الرومانسية Romance، والسلافية، والجرمانية، والهندية.**

ومن أهم هـذه التطورات اكتشـاف المزيـد من المتساويـات المنظومـة على المستوى الصوتي، ومثال **التراكيب المتساوية المنظومة -Regular Gorrespon dence's**:

اللغة	الفونيم	سحـابة	أحمـل
الجرمانية	≥ b	ne bal	baira
الأرمينية	= b	ne ibah	berem
السنسكريتية	= bh	na bhah	bharami
الإغريقية القديمة	= ph	ne phos	phero

(نقوم بعدة افتراضات أولية Assume's حتى نتوصل للحل الفونيمي الأمثل في القضية الصوتية المنظومة والتوصل إلى أقرب الافتراضات في الوحدة الأصل التي تفرّعت عنها بقية الوحدات الصوتية) .[٨]

«جوانب متعددة للصوت اللغوي: ذهنية ونفسية وعضوية وغيرها..»

أقسام الفونيم

الفونيم، ذلك الصوت الأصلي الأساسي الذي يندرج تحته عدد آخر من الأصوات التي تختلف عنه من الناحية الصوتية في بعض الصفات، ولكنها مع ذلك تظل تعتبر أحد فروعه، ينقسم - الفونيم - إلى: **قسمين رئيسين وقسم آخر فرعي؛ فرضته التطورات اللغوية والترجمية العربية الحديثة :**

(١) الفونيم الأساسي Fundamental Phoneme : هو الوحدة الصوتية Segments الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فلو حُذِفَتْ، أو غُيِّرت لضاع المعنى المقصود أو اختلف اختلافًا بيِّنًا مثل «هجم» فلو اسقطت الوحدة الصوتية «ج» لاختلف المعنى إلى «هَمّ» والتي تحمل معنى الشروع في الفعل.

(٢) الفونيم الثانوي Secondary Phoneme : وهو وحدة صوتية مساعدة، تؤدي إلى فهم معنى اللفظة المسوقة مثل التنغيم، والنبر، والترنيم، والتلوين. . . إلى آخر العناصر الآذانية التي تُفرِّق بين المعاني في استخدام الألفاظ من اندهاش، أو استغراب، أو إخبار، أو إنكار، أو استفهام، أو تعجب، أو سخرية، أو استهزاء. . . وما إلى ذلك من صور **التمثيل الصوتي Phonlogical Representation** والتي ترجع إلى طريقة الأداء اللغوي كالإشمام والإشباع والمد والتفخيم والترقيق.

(٣) فونيمات خاصة Special phonemes : قد فَطِنَ اللغويون إلى أن أصوات اللغة العربية لم تف بحاجة الحركات التعريبية والتقنية اللغوية، مما اضطرهم إلى استحداث اصطلاحات كتابية للوفاء بالأصوات الخاصة باللغات الأوروبية، نحو: «ك = G»، «ب = P، ف = V». . . ولو قدّر الله لهذه الاصطلاحات الانتشار الواسع، أو بمعنى أدق، الالتزام المنضبط بها، لوضعت حدًا لاختلاف السائد في رسم الأعلام الأجنبية، وحينئذ نستغني عن كتابتها بحروفها الأصلية[٩].

المراحل الصوتية

للصوت اللغوي عدة جوانب، منها: **الجانب الذهني** الذي يسبق عملية الكلام، والجانب العضوي النطقي الذي يتصل بأعضاء النطق، وأوضاعها، وحركاتها، وما تُصدره من ذبذبات، **واهتزازات موجية Vibrations of wave's ، والجانب السمعي الذي يتّصل بالجهاز السمعي من الجهة العضوية الفسيولوجية، كما يتصل بالإدراك، وهي جهة عقلية نفسية، والتي تُسمى بمرحلة الاستيعاب السمعي** auditory perspectve ، وبين جانبي النطق والسمع يوجد **الجانب الفيزيائي**، ويتعلّق بالوسط الناقل للذبذبات The Transmitting Medium بين **فم المتكلم (المصدر Source) وأذن السامع (المستقبل Receiver)** وسنعنى فيما يلي بشرح بعض الجوانب المتعلّقة بهذه المراحل[١٠]:

●● **أولاً : مرحلة النطق الصوتي**، إن هذه المرحلة تعنى بالجوانب الفسيولوجية ووظائف أعضاء النطق المختلفة - كما أشرت سابقًا - وطريقة تحرّكها بحيث تصدر الأصوات المختلفة والصفات الخاصة بكل من تلك الأصوات والبصمات الصوتية التي تُميِّز كل صوت من الآخر رغم ما يكون بينهما من تشابه كبير والجهاز الصوتي المشتمل على أعضاء النطق يتكوّن من :

الشفتين Lipe's، والأسنان Teeth ، وأصول الثنايا (اللثة أو مقدّم الحنك) **Tooth-ride ، والحنك Palate ، واللهاة Uvula ، واللسان Tongue ، والحلق** pharynx ، **ولسان المزمار Epiglottis ، والحنجرة Larynx والحبلين الصوتيين Vocal Chord's ، والقصبة الهوائية windpipe ، والتجويف الأنفي Nasal Cavity** .

وهذه الأعضاء تنتج الصوت اللغوي، ذلك الأثر السمعي الذي يظهر في صورة ذبذبات تُطابق ما يصحبها من حركات أعضاء النطق، وقد حدّد اللغويون العرب أعضاء النطق التي أسموها بمخارج الحروف تحديدًا لم يضف إليه الباحث الجديد - مع كل إمكاناته العلمية الحديثة المتطوّرة - شيئًا كبيرًا، على الرغم من أن القدامى كان اعتمادهم في تحديد المخارج على الملاحظة الذاتية، وفيها كل الصعوبات التي تواجه الطليعة في العادة؛ ومع ذلك فإن ما خالفهم المحدثون فيه - وهو قليل - يرجع أن يكون نتيجة للتطوّر الصوتي في النطق العربي الحديث، وإننا برغم كل مآخذنا على القدماء في مجال دراسة الصوتيات من تقصير في بعض النواحي؛ إلا أننا نلمس لهم أعذارًا واقعية ملموسة، فلم تُتحْ لهم من آلات وأجهزة التصوير والتسجيل وتحليل الأصوات وغيرها ما هو مُتاح لنا في مُتاح في هذه الفترة المعاصرة، وبرغم كل شيء فإننا نُكبِرُ ما ابتدروه من أصول بحثية لهذا العلم، وما قدّموه من دراسات أوليّة جليلة.

ولنا على جهاز النطق الصوتي ملاحظات نورد بعضها هاهنا :

(١) أعضاء الجهاز النطقي ليست وظيفتها الأساسية إخراج الأصوات اللغوية، وإنما هذه الوظيفة ثانوية، وعليه فإننا نعتبر إطلاق هذه التسمية على تلك الأعضاء من باب المجاز والتوسّع.

(٢) معظم الأجزاء الصوتية ثابتة لا تتحرك، وهناك أجزاء متحركة منها: الحبلان الصوتيان، واللهاة، والشفتان، واللسان: وهو أهمّها على الإطلاق، مما دعا كثيرًا من اللغات لتطلق على اللغة اسم اللسان.

(٣) إذا حدث أي خلل في هذه الأجهزة تأثر إصدار الأصوات به، لكنه لا يصل إلى درجة العطل الكلي والتوقف عن أداء وظيفته إلا في حالة تعطّل الحبلين الصوتيين.

(٤) تخرج من تجويف الفم معظم الأصوات عدا أربعة أصوات يُستعمل التجويف الأنفي في نطقها بشكل رئيسي.

●● **ثانيًا: المرحلة السمعية**: لما كان الصوت ظاهرة تدرك بحاسة السمع كان لا بد من الاهتمام بهذا الجهاز - الاستقبالي - في علم الأصوات، غير أن الاهتمام به ظل نادرًا في معظم الدراسات اللغوية، في حين خلصت دراسته للنواحي الفيزيولوجية.

وتتعلّق هذه المرحلة بجانب استقبال الصوت من الناحية السمعية، وهذه تبدأ من اللحظة التي تستقبل فيها **طبلة الأذن The Ear Drum** تلك الأصوات والذبذبات التي تحدثها في أجزاء الأذن المختلفة حتى تنتقل عن طريق الأعصاب إلى الدماغ، ويشتمل هذا الجانب على ناحيتين: الناحية العضوية **(الفسيولوجية)**، والناحية النفسية **(السيكولوجية)**.

أما عن الناحية النفسية فهي تلك التي تتعلّق باستيعاب وفهم الدماغ لرموز الرسالة التي تحملها الأعصاب إليه، وقد تعاون علماء النفس فيما بينهم في محاولة التوصّل إلى تحليل حقيقة العملية العقلية البالغة التعقيد، فالبحث النفسي يذهب إلى أن نصفي المخ يختلفان في طريقة تعاملهما مع المحفّزات الداخلة عليهما (يمكن تصوّر أية محفّزات خارجية) فيتعامل النصف الأيمن معها ككليّات Totality، بينما يتعامل النصف الأيسر معها بتحليلها إلى أجزائها.

وقد اعتبر العلماء أن النصف الأيمن من الدماغ - علاوة على كونه أقل تطوّرًا - فهو غير قادر على التعبير بواسطة اللغة والكتابة، بل ويعتريه قصور من ناحية كونه لا يتحكّم في الكلمات بل ولا يستطيع حتى الإحساس بها؛ ولهذا فقد وصفوه في مثل هذه الحالات بأنه مصاب بالعمى الحركي(١١).

الجهاز السمعي

الصوت حاسة تدرك بحاسة السمع وتستلزم وجود موجات مهتزّة، هزّاتها متتابعة تنتقل هذه الهزات في وسط غالبًا ما يكون الهواء - كما أشرت سابقًا - حتى تصل إلى جهاز الأذن Ear أو شبكة استقبال الأصوات net of sound transfer التي تتكوّن من **الأذن الخارجية Out Ear**، **والوسطى Middle Ear**، **والأذن الداخلية Inner Ear** وتحتوي على **جهاز التوازن Equillibrium وجهاز السمع (القوقعة)**.

والأذن البشرية حساسة تجاه التغيّرات الضغطة الدقيقة الناتجة عن ميكانيكية ذبذبات الموجة الصوتية، كما أنها تقوم بتكبير هذه التغيّرات الضغطية من الداخل، ويتم هذا التكبير في منطقة الأذن الوسطى، وتكبّر هذه التغيّرات الضغطة The Pressure changes بعامل تقريبي ٥٠ بالنسبة لمنسوب حركة الثلاثة عُظَيات (المطرقة - السندان - الركاب).

فالصوت عندما يُحدِث هزّات وتخلخلات ضغطية في الوسط الملامس للمصدر وهذا الوسط - الهواء غالبًا - يتشكل بتذبذبات وتموجات ينقلها إلى أذن السامع، وتلك الهزات تطرق **طبلة الأذن The Ear Drum** بطرقات مماثلة تمامًا للهيئة التي كانت في مصدر الصوت ومن طبلة الأذن تنتقل إلى عُظَيات الأذن الثلاثة: **المطرقة Hammer**، **والسندان anvil**، **والركاب stirrup**، والمسمّاة بمنطقة الأذن الوسطى region Middle Ear، ثم تنتقل إلى الأذن الداخلية حيث السائل السمعي الذي تنتشر فيه أعصاب السمع، وبه **العضو الكورتي** Organ of Corti الذي تتجمع فيه الألياف العصبية المكونة للعصب السمعي؛ فتحس بتلك الهزات والتموجات التي انتقلت إليها مماثلة لما صدر عن مصدر الصوت.

« إشارات رمزية يقوم المخ بتحويلها إلى صور صوتية ذات معنى .. »

والمنطقة السمعية aural region تقع في في الفص الصدغي الأيسر للمخ، وتحتل منطقة أكبر من منطقة الشم، والوظيفة المميّزة للمخ البشري هي استخدامه للرموز وابتكارها، وهذه الرموز أو الدفعات الصوتية القادمة من الجانب الأيمن للجسم، تصل مباشرة إلى مركز الكلام في المخ.. بينما يتوجّب على الدفعات القادمة من الجانب الأيسر أن تلامس قاعدة الجانب الأيمن من المخ قبل مرورها بالجسم الجاسئ Rigid body لإنضاجها.

في وقت الانفجارات الكشفية المتتالية التي تعقب البحث عن اكتشافات فسيولوجية تحدد الخواص الكلامية التي تثير عمل النصف الأيسر للمخ، ومن الفرضيات التي وضعتها بعض هذه الأبحاث: أن ميزة الأذن اليمنى تتحقق لكل صوت ينتجه الجهاز العضلي الصوتي، ولم تصمد هذه الفرضية كحقيقة، فقد زالت بفعل نتائج بعض البحوث التي اكتشفت أن ميزة الأذن اليمنى تتعلق بالكلام المفيد والرموز الشفرية المتعمّدة ذات الخلفية المنتظرة في المخ؛ ولكنها ليست للضحك أو السعال.

ويقوم المخ بتحويل الإشارات الرمزية التي يستقبلها إلى صورة صوتية ذات معنى Significant From of Sound يدركها **العقل** ويقوم بترجمتها، وهذه الصورة الذهنية التي تمثل اللغة الداخلة في طور الترجمة وفك الرموز، ذات مظهرين - أو جانبين - **جانب اللفظ**.. بمعنى تصوّر الأحداث المعيّنة مثل أصوات الفونيمات المكوّنة للكلمة [عكف... ع. ك. ف] وجانب الدلالة، أي تصوّر ارتباط هذه الأصوات بمعنى محدد ومعيّن، وهو العكوف والصورة الذهنية بهذا المفهوم في مظهريها يُطلق عليها في هذه الحالة: **الرمز اللغوي**(١٢).

ويعد فك شفرات هذا الرمز اللغوي تتم الخطوات النهائية المكوّنة للمحادثة المُثلى والمحادثة طبيعة وغريزة في الإنسان، وهي التي تُميّزه من بقية

المخلوقات، فالإنسان بطبيعته عو اللغوي القمة **The Lingustic primate** ، القادر على تشكيل عناصر النص الرمزي وعرض المعاني وتكوين **البنية العميقة Deepstructure** ، من خلال تسلسل **المنظومات السيميولوجية-The Ensem-ble of Semioloquicol Systems** ، فهو صاحب التكوين البنيوي الذي يرجع إليه المعنى، والمالك لأساليب **التفسير الإبستمولوجي** المُقنّن لهذه البنية اللغوية.

الوسط الناقل

بين **الفم** (المصدر Source) ، **والأذن** (المستقبل receiver) يقوم الجانب الفيزيائي، والمتّصل بالوسط الناقل The transmitting medium والذي يحدث فيه الصوت اللغوي phonology من ضغط عضلات القفص الصدري على الرئتين فتتقلصان، ويندفع منهما الهواء عبر القصبة الهوائية فالحنجرة محدثًا اهتزازات Vibration's في الأحبال الصوتية vocal chord's ويستمر في سيره حتى يخرج من فم المتكلم أو أنفه متموّجًا بالصورة التي خرجب عليها الذبذبات، فعندما تهتزّ الأحبال الصوتية وتخرج هذه الاهتزازات من المصدر إلى الهواء، فإنه يؤثر في طبقة الهواء المجاورة له بقوى دورية مما يتسبّب في انتشار نوع من الاضطراب الدوري في الهواء في صورة تضاغط يليه تخلخل، ويحمل الهواء هذه الذبذبات حتى يصل بها إلى أذن السامع، ولكي تصدر الأحبال الصوتية المهتزّة صوتًا مسموعًا لا بد أن يقع تردّده في حدود التردّد المسموع والذي يتراوح ما بين ٢٠ ذبذبة/ ثانية، و٠٠٠ .٢٠ ذبذبة/ ثانية، وأن ينتقل في وسط مادي بين المصدر الصوتي Sound Source وبين أذن السامع Human Ear ، وعندما ينتقل الصوت في الهواء فإن أجزاء الهواء تهتز دون أن ينتقل الهواء من المصدر إلى أذن السامع[١٣].

وتعتمد هذه الموجات على عدة عوامل (فيزيقية) منها:

(١) عدد الذبذبات الكاملة في كل ثانية، فيما يسمى **بالتردد Frequency**.

(٢) المسافة بين عقدتين متتاليتين خلال الحركة (الطول الموجي -wave le-ngth [L]).

(٣) السرعة الموجية للصوت: وأُجريت عدة تجارب لمحاولة تعيين انتشار الموجات الصوتية في الهواء، ولقد أصيبت كل هذه التجارب بعيوب أساسية مثل ما يُعرف «بالمعادلة الشخصية» والتي عيبت بها تجربة إطلاق مدفع وتسجيل الفترة ما بين رؤية الوميض وسماع الصوت، وأيضًا ما يُعرف **«بالتوافق العصبي العضلي للراصد»** والذي ينتج عنه مضيّ فترة زمنية معيّنة بين رؤية الوميض وبدء تشغيل الساعة ثم فترة بين سماع الصوت وإيقاف الساعة.

وقد تخلّص العالم **«ريجنولت Regenwalt»** من كل هذه العيوب باستخدام طريقة كهربائية لتسجيل لحظة إرسال الموجات الصوتية ولحظة وصولها إلى نقطة تقع على مسافة معيّنة من المصدر.

وأدّت التجارب إلى أن سرعة الصوت في الهواء الطلق تبلغ حوالي ٣٤٠ مترًا في الثانية عند ٢٠°م، وتكون سرعة الصوت في الهواء متناسبة طرديًّا مع الجذر التربيعي لدرجة حرارته المطلقة تحت الضغط الجوي المعتاد في درجة التردد الطبيعي nature Frequency الموازي لاتجاه انتشار الموجة الصوتية[١٤]، وفي بعض الحالات - المقصودة أو النادرة - لا تصل هذه الذبذبات إلى شبكة استقبال الأصوات net of Sounds transfer ولكنها ترتد فيما يسمى بالأصوات المرتدة Restoring sounds أو الصدى Echo ، أو بواسطة التداخل Interference ، أو الحيود Diffraction ، أو الاستقطاب Polarization فيما ليس له من موقع في دراستنا الآنية هنا.

وفي الختام آمل أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد أسهمت - عمليًا - بخطوة على طريق الدراسات الطامحة لتوحيد الدراسات الفيزيولغوية Psycho-linguistics ــ والمتصلة بالجانب الصوتي اللغوي المنطوق. والله من وراء القصد.

الهوامش

(1) Look: Vygotsky; (1934). Thought and language.
&: D. Slobin; (1971), Psycholinguistics, London, P.g 8 & P101
&: D. Child; (1977), Psychology and teacher, London Holt, P.P 171 - 172

(٢) د. البدراوي زهران: بحث في اللغة المشتركة، مقدّم إلى الندوة الخاصة بالعلاقات المصرية السعودية، والتي عُقدت بجامعة الزقازيق وجامعة السويس - مصر: أكتوبر ١٩٨٧م.

(3) Edward sapir; (1964), Language: An introduction to the study o speech.

(٤) يجب أن يُفرّق القارئ بين مصطلحي الفونولوجيا phonology وهو علم وظيفة الأصوات، أو علم الأصوات التشكيلي، وبين الفونيتكس phonetics وهو علم طبيعة الأصوات، أو علم الأصوات اللغوية.

(٥) ومنهم: علاء الدين رمضان، (١٩٨٨م) Graphology ، بحث غير منشور.
- د. جمعة يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة (١٤٥)، ص ٥٩ وما بعدها.
- ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتاب ١٩٨٣م، ط ٢. ص ٣٥.
- J. Wallwork; (1969), language and linguistics, an introduction to the study of language, London, P. 14.

(٦) عبدالرحمن صالح: مجلة اللسانيات ١/ ٢ سنة ١٩٧١م، ص ٢٥ وما يليها.

(٧) وكذلك الفرنسية ولغات أخرى - أيضًا - لنضرب لذلك مثلاً فنقول إن أي صوتين من أصوات اللغة يصبحان فونيمين - مثنى فونيوم، أي وحدة صوتية - إذا كان من شأن إحلال الواحد منهما محل الآخر في أي سياق لغوي واحد بعينه أن يحدث تغيرًا في المعنى: كما هو الحال حين نستبدل - في الفرنسية - الفونيم "b" بالفونيم "p" فنقول مثلاً "bus" بدلاً من "puce" . وأما في العربية فإن هذين الحرفين لا يمثلان فونيمين، فتستطيع أن تقول «باريس» أو «باريس». ومن المعروف أيضًا أن الرموز الصوتية «ت» و «ط» و «د» و «ض» و «ح» و «ع» تُمثّل فونيمات في اللغة العربية (مختلفة بعضها عن البعض الآخر)، بينما هي قد لا تكون كذلك في العديد من اللغات الأوروبية (انظر: د. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، مكتبة مصر، ص ٦٥).

(٨) لبحث هذه القضية يمكن الرجوع إلى: مجلة (الفيصل)، ع ١٠٤، الفونولوجيا وإعادة التراكيب اللغوية، صفر ١٤٠٦هـ/ نوفمبر ١٩٨٥م.

(٩) يُرجع في هذا الصدد إلى: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م٣١/ ج٣/ ص ٥١٣، لعام ١٩٥٦م، وم ٣٩/ ج٣/ ص ٣٥٣، لعام ١٩٦٤م. البحوث والدراسات لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دورة (٣٤) لعام ١٩٦٧ـ١٩٦٨م، ص ٩٧ـ١٠٧.

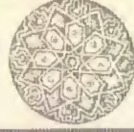
(10) AL'aud.din Ramadan (1990); The Hearing, Poetique & Language-Comparative Linguistics, library of faculth of Arabic language Ashar University of ALMALIK FAYSAL, Egypt.

(11) Ibid.

(١٢) فردينان دي سوسير، (١٩٨٣م) محاضرات في علم اللغة، الترجمة العربية، ط وزارة الثقافة، بغداد.

(13) Al'aud. din Ramadan: The Hearing.

(١٤) وفيزيائيًا يمكن إجراء بعض القياسات فيما يسمى بمعادلة الموجة :The wave equation
y = A sin 2n (k/h + t/p) where the wave moving from right to left.
But: if the wave moving from left to right.. the equation become:
y = A sin 2n (k/h - t/p). [Al'aud.din, Ibid.]



بعد مشاهدته تضحيات المجاهدين الأفغان:

من لواء "جنرال" شيوعي إلى مؤذن

في مدينة باكو بأذربيجان، كان مولد أناتولي اندريوتش، لأسرة نصرانية غير متمسكة بديانتها، وفي ظل الحكم الشيوعي شب الصغير لا يؤمن بشيء سوى المادة، ويسخر ممن يحدثه عن الغيبيات أو البعث والحساب.

لم يكن أناتولي يشعر في قرارة نفسه أنه نصراني، وإن حملت هويته ذلك، كان في أعماقه متأثرًا إلى حد كبير بالأفكار الشيوعية التي تنكر وجود الله وتكفر بكل ما هو غيبي خارج عن نطاق قدرة استيعاب العقل البشري.

تأثر بالماركسية

وحين التحق **أناتولي** بالمدرسة كان يثيره أن يرى زملاءه المسلمين يتحدثون فيما بينهم عن وجود خالق متعال، يسيّر أمور الكون، ويكتب لكل فرد رزقه، كان يسخر منهم حين يرددون هذه الأقوال أمامه، فباب الرزق قد حدده كارل ماركس في كتاباته وتعاليمه، أما توزيعه ـ حسب ظنه ـ فتتولاه الحكومة، هكذا علموه، وهكذا كانت ردوده تثير الشفقة عليه.

وبات معروفًا لدى زملاء **أناتولي** أنه شيوعي من رأسه لأخمص قدميه، فتجنبه الكثير من زملائه المسلمين اتقاء لبطشه، ومن جانبه حقد عليهم، ونمت جذور الحقد مع نموه.

العداء للإسلام والمسلمين

بعد أن انتهى **أناتولي** من دراسته التحق بصفوف الجيش، وتدرج في الرتب. حتى وصل إلى رتبة لواء (**جنرال**)، وكان طوال مدة خدمته مثالاً للشيوعي المنضبط الذي يطبق تعاليم ماركس ويحفظها عن ظهر قلب، وأولها أن **«الدين أفيون الشعوب»** ولأنه بحكم تربيته في جمهورية ذات غالبية مسلمة، كان يرى كيف يتمسك المسلمون سرًا بعقيدتهم فقد كان حقده على الإسلام دون سائر الديانات أشد وأنكى، حتى لطالما عبر عن رغبته في قتل كل مَنْ هو مسلم.

فرصة للتنفيس عن الحقد

جاءته فرصة ـ كما اعتقد هو ـ لترجمة مشاعره نحو المسلمين إلى واقع، حين **كُلف بقيادة القوات الروسية في جبهة قندهار بأفغانستان**، في مواجهة المجاهدين، واعتراه السرور بهذه الفرصة، ولم يكن يدري أنها ستكون فرصة خلاص روحه من براثن طاغوت الشيوعية، وأن «**أناتولي**» سيعود من **أفغانستان** شخصًا آخر، مختلفًا تمامًا عن ذلك الذي جاء إليها على رأس شرذمة لا تؤمن بدين أو إله.

لم يكن يتوقع ذلك. ولا أحد آخر كان يتوقع هذا التحول الذي جاء من حيث لا يدري، فمن أراد الله أن يهديه فلا مضل له.

لقد كان مقدم الجنرال إلى أفغانستان تدبيرًا من خالق الكون ليهدي به تلك النفس القلقة التي لا تعرف أين تجد الحق، فوجدته من حيث اعتقدت أنها لن تراه فيه.

لقد ذهب «أناتولي» إلى أفغانستان مكلفًا بمهمة سحق جموع **المجاهدين** الذين ثاروا على الحكم الشيوعي العميل في بلاد مسلمة، ولم يكن بحاجة إلى توصية بضرورة التنكيل بهؤلاء الذين لا يقبلون أفكار **ماركس ولا تعاليم لينين**. فالحقد القديم في داخله كان وحده كافيا لأن يدفعه لارتكاب مجازر دامية في حربه بأشد الأسلحة فتكًا ضد جماعات لا تملك من السلاح سوى بضعة بنادق.

حيرة!

كان «**أناتولي**» حين قدم لأفغانستان يظن أن مهمته سهلة، فالمجاهدون المسلمون كما قيل له وكما ظنه بالمسلمين دائما عبارة عن جماعة متخلفين يتشبثون بأوهام غيبية لا معنى لها. ويرفضون التحضر والمدنية وسائر إنجازات العلم، ثم إنهم لا يملكون سلاحًا يمكن أن يصمد أمام دباباته وقذائفه الصاروخية.

لكنه ما إن خاض المعارك ضد المجاهدين حتى فوجئ بأناس يقاتلون بضراوة لا يهابون الموت ولا يخيفهم تفوق عدوهم عليهم عددًا وعتادًا، فلديهم سلاح يتفوق على كل ما أنتجته ترسانة الدمار السوفييتية من أسلحة فتاكة، **إنه سلاح الإيمان الذي يحقق المستحيل**.

وذاقت قوات « **أناتولي**» الهزيمة تلو الأخرى من فصائل المجاهدين القليلة العدد والعتاد، مما أصابه بالهلع والحيرة، وزاد من حيرته أن الذين وقعوا أسرى في أيدي قواته من المجاهدين لم يزدهم التعذيب الوحشي الذي أمر جنوده بممارسته معهم إلا ثباتًا على الحق، وإصرارًا على فداء دينهم ووطنهم.

نداء الفطرة يستيقظ

أعيت هذه الأحداث فكر الجنرال الشيوعي، **إذ لم يجد تفسيرًا ماديًا لهذه الهزائم التي تلحق بقواته المنظمة المدربة أعلى تدريب والمسلحة بأحدث الأسلحة، أمام بعض الفصائل من المسلمين، تفتقر إلى التدريب والتسليح**. ولأول مرة في حياته بدأ يفكر بفكر غير مادي، بدأ يشعر في داخله أن هناك قوة غيبية تساند هؤلاء وتحرسهم، وتحقق لهم الانتصار.

كانت الفطرة السليمة قد بدأت تستيقظ داخله، و تناديه بصوت هامس أن يلبي نداء العقل الذي أفسدته تعاليم ماركس وتفسيراته المادية، و تفاعلت في داخله رغبة عميقة في أن يجالس بعض الأسرى. لعله من خلال الحوار معهم يكتشف ما يغمض عن فهمه من أسباب توالي انتصاراتهم.

كانت هذه الخطوة الأولى نحو تحرر روحه وفكاكها من عقال الفكر الشيوعي، الذي طالما أعمى بصيرته عن تبين نور الحق، وما لبث أن استدعى حاجبه وأمره بإحضار بعض الأسرى ليجلس معهم، وحار الحاجب فيما سمع، فقد عهده دائما ينفر من مجرد رؤية المسلمين ويأمر بتعذيبهم أقصى العذاب، فما باله اليوم يطلب أن يحضرهم إليه ليجلس معهم، والأغرب أن يطلب لهم طعامًا وشايًا!!

نفذ الحاجب أمر الجنرال، وجاء ببعض الأسرى، الذين فوجئوا بذلك الضابط الكبير الذي طالما عرفوه متكبرًا طاغية يجاذبهم أطراف الحديث في لطف ومودة، ويستمع إلى أحاديثهم عن الدين الإسلامي، ذلك الدين الذي جاء خصيصًا من بلاده ليحاربه، لكنهم بمرور الوقت أنسوا فيه رغبة صادقة في التعرف على العقيدة الإسلامية واستشراف ملامحها، فتمنوا في قلوبهم أن يجعلهم الله سببًا في هداية روحه الضائعة. **فأخذوا يحدثونه حديث القلب عن الإسلام ومزاياه عقيدة وسلوكًا. وكونه دينًا للناس كافة لا يميز بين عرق ولون، ولا يفاضل بين الناس إلا بالتقوى.**

صراع بين الحق والباطل

مست تلك الأحاديث قلب «أناتولي» فأخذه الاضطراب، ولم يستطع وهو الرجل الذي تربى على تفسيرات مادية أن يجد تعليلاً مناسبًا، فالشعور الغامض الذي يصرخ في أعماقه يقلقه ويؤرق نومه، **إذ خاض صراعًا عنيفًا بين ما تعلمه على مدى سنوات عمره من تفسيرات مادية للحياة، وبين ذلك النداء الغيبي الذي يدعوه إلى عبادة «إله» لم يشعر بوجوده إلا متأخرًا..!!**

وبات الجنرال ـ لأول مرة ـ غير مقتنع بالحرب التي تخوضها بلاده ضد المسلمين، لكنه استمر في تنفيذ ما يتلقاه من تعليمات، لكن بدرجة حماسة لا تقارن بحماسته الأولى، فالشك قد بدأ يتسرب إلى فكره، ولم تعد أفكار ماركس ولينين بالنسبة له أفكارًا مقدسة لا تقبل النقض، فالحوار مع أسرى المجاهدين قد كشف له الكثير من مواطن ضعف تلك الأفكار وزيفها.

البحث عن الحقيقة

لم ينقذ **«أناتولي»** من حيرته إلا قرار حكومته بالانسحاب، ذلك القرار الذي اتخذ إنقاذًا لماء وجه ثاني أكبر قوة عسكرية في العالم، بعد الهزائم التي منيت بها، والخسائر الكبيرة التي لحقتها، فعاد إلى باكو، حاملاً معه همومه، آملاً أن يجد جوابًا للصراعات داخله.

عاد الجنرال إلى زوجته وابنته وابنه، محاولاً عبر إشراكهم معه إيجاد المخرج لقلقه واضطرابه **وعانى من البحث عمن يرشده إلى الحقيقة بين الدعاة المسلمين، الذين تملكهم الشك والخوف منه لمنصبه العسكري الرفيع، خشية أن يكون مدسوسًا عليهم** من السلطات الشيوعية التي تطارد الدعاة، ولا تدخر سببًا لهدم المساجد على رؤوس المصلين أو قتل ونفي مَنْ يصل إلى علمها أنه يقوم بتدريس الدين الإسلامي أو مجرد قراءة القرآن الكريم.

تدخل العناية الآلهية

فشلت محاولات **«أناتولي»** في باكو في العثور على مَنْ يرشده إلى خلاص روحه، إلا أن العناية الإلهية أرادت أن تُعجل بإنقاذه وإراحته من قلقه واضطرابه، إذ ما لبث أن **نُقل إلى «ألما آتا» وهناك تعرف على أحد الدعاة هو الشيخ محمد حسين،** ولم يصعب على الداعية أن يكتشف القلق و الضياع اللذين يحياهما الجنرال، وأن يدرك أنهما مقدمتان عبر رحلة الشك للوصول إلى اليقين، فساعده على اتخاذ القرار الصعب بتقديم الإجابات لكل ما يعن له من أسئلة، حتى عرف كل ما يحتاج إليه للوصول بروحه إلى بر الأمان.

قبل اتخاذ القرار

رغم أن الجنرال قد بات مقتنعًا بدين الله، إلا أن بقايا من نوازع الدنيا كانت تشده وتمنعه من اتخاذ القرار، فالمنصب الكبير والمستقبل الواعد، مهددان في حالة إشهاره إسلامه، فظل على حيرته لأسابيع، حتى كانت صبيحة يوم مشرق، استيقظ فيه وقد **وصل إلى اليقين، وقرّ قراره على إعلان ما كتمه طويلا، ونفذ ذلك بالفعل برغم نصيحة زملائه بألا يفعل، وتوجه إلى الشيخ محمد حسين في الإدارة الدينية حيث نطق أمامه بالشهادتين وأشهر إسلامه.**

الجنرال يصير مؤذنًا لمسجد

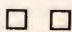
بعد إشهاره إسلامه، **اختار «أناتولي» أن يتسمى باسم «علي»**، وعاد إلى أسرته فرحًا، لكنها استقبلت فرحته بالوجوم، إذ لم تفهم وقد عاشت عمرها كله في الإلحاد معنى أن يعبد إلها لا يرونه رأي العين، وزاد قلقها وعجبها حين صار يعمل مؤذنًا للمسجد بعد أن كان جنرالاً.

حقيقة أن إسلامه لم يكن مفاجأة للأسرة لأنها سبق أن شاهدته مرارًا منكبًا على دراسة الأديان السماوية الثلاثة، لكنها لم يدر بخلدها يومًا أنه سوف يعتنق الإسلام، وأنه سوف يضحي بالمنصب الكبير ليعمل مؤذنًا لمسجد..

وعمد «علي» من جانبه إلى محاولة هداية زوجته وأولاده إلى دين الحق خلاصًا لأرواحهم وتجلت عناية الله ورحمته عندما تكللت جهوده بالنجاح وما لبثت زوجته وابنته وابنه أن أسلموا ليكتمل إيمان الأسرة الصغيرة.

وقد بدأ «علي» في تلقي دراسات إسلامية متخصصة على أيدي عدد من المشائخ الأجلاء عن قناعة بأن المؤمن الحق هو الذي يلم بتعاليم دينه ويعلّم إياها زوجته وأولاده.

والأسرة الصغيرة تحيا اليوم سعيدة بإسلامها، وضاعف سعادتها سقوط النظام الشيوعي وبدء عودة الروح والقيم الأصلية إلى تلك الجمهورية الإسلامية.



وكيل المرأة

● إذا قامت قضية على امرأة فهل يجوز توكيل من يحضر عنها؟

خ. م. م. أ

جدة

□ لا بأس بهذا إذا كان من سوف تُوكله: أميناً.. عاقلاً مُدركًا لكافة وجوه الأمر، ويتوجب هذا على ولي أمرها إذا كانت لا تحسن بنفسها «المرافعة» لأن العاقلة من قومها يقومون مقامها.. لها أو عليها سواء بسواء.

درجة حديثين

● من ترك شيئًا لله عوضه خيرًا منه ـ أفعمياوان أنتما ـ

هل صح هذان الحديثان..؟

عبد الله. ل. أ..

المدينة

□ الحديثان ضعيفان بعلة السند ففي سند كلٍ منهما ضعيف فالثاني فيه نبهان مولى أم سلمة مجهول هو وأمه، والأول غاب عني الراوي الضعيف بحكم كتاب هذا الجواب حال السفر. وإلا فالحال كما ذكرتُ.

أفضل كتب الحديث

● ما أفضل الكتب التي ترى أن أحوزها من كتب الحديث؟

داود عدنان خالد جستنيه

جدة.. طريق المدينة

□ لعلك تقتني / **عقود اللؤلؤ والمرجان...)**

٣م جمع فيها الجامع ما اتفق عليه البخاري ومسلم، وقد أجاد فؤاد بن عبد الباقي في عمله.

كذلك «سبل السلام» ٤م و «الأربعين النووية»

| صغير ورياض الصالحين | كبير.

فإذا داومت النظر في هذه وحفظت شيئًا منها فتقتني **«فتح الباري»**. لابن حجر ١٤م «**عمدة القاري**». للعيني ١٢م «**شرح النووي**». على مسلم للنووي ١٣م.

كذلك «تحفة الأحوذي» و«عون المعبود» و«صحيح ابن خزيمة» و«موطأ مالك»، الموسوم: بالموطأ.

الحج عن الحي القادر

● ما حكم الحج عن الحي القادر؟

محمد العبد الله الفرهود العودة

بريدة.. القصيم

□ مثل هذا لا يجوز الحج عنه لأن النيابة هنا لا تصح إنما يُحج عن الميت بمال حلال ونية صالحة وأن يكون من يريد الحج عن الميت قد حج عن نفسه.

حكمة صلاة النوافل

● ما الحكمة من صلاة النوافل؟

مبارك بن بخيت الدوسري

الأفلاج

□ الحكمة من هذا تزود المسلم بكثرة العمل الصالح كما أنها من أسباب تقوية الإيمان وتوليد حب العبادة في النفس شيئًا فشيئًا.

أما السُّنن الرواتب التي تكون قبل صلاة الظهر وبعدها وبعد المغرب، وبعد العشاء، وقبل صلاة الفجر فهذه بجانب ما ذكرت. تُرقع الخلل الحاصل في صلاة الفريضة لما قد يعتري المصلي من شرود ذهن ونحو ذلك، وهذا من فضل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومنته على خلقه.

محققو كتاب المفهم

● المفهم شرح صحيح مُسلم. هل هو في الحديث ومن حققه؟

ضيف الله ولي أحمد

الهند / دار الحديث

□ المفهم... هذا كتاب **للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي** المتوفى سنة ٦٥٦هـ.

وهو كتاب لم أطلع عليه من قبل هذا لكني دلفت إلى مكتبة متواضعة فألفيته فاقتنيته منها بثمن بخس دراهم معدودة، وكم كان فرحي به، وكم كنتُ به حفيًا.

والكتاب كما جاء في غلافه الأنيق «مخطوط ينشر لأول مرة» قام على تصحيحه وضبطه ومراجعته والتقديم د/ **الحسيني أبو فرحة، د/ الأحمدي أبو النور، إبراهيم الأبياري، حمزة الزين، محمد بن عبد الكريم الحكيم القاضي.**

قلتُ، وهو شرح لصحيح الإمام «**مسلم بن الحجاج**» رحمه الله المحدث المشهور وقد شرحه **القرطبي** جامعًا بين الحديث وفقهه واللغة ونحو ذلك.

قال في ص ٨ من المقدمة بعد كلام جيد «.. وبعد: فلما حصل من تلخيص كتاب مسلم وترتيبه وتبويبه المأمول، وسهل إلى حفظه وتحصيله، رأينا أن نكمل فائدته للطالبين ونسهل السبيل إليه على الباحثين، بشرح غريبه، والتنبيه على نكتٍ من إعرابه وعلى وجوه الاستدلال بأحاديثه واتضاح مشكلاته حسب تبويبه وعلى مساق ترتيبه، فنجمع فيه ما سمعناه من مشايخنا، أو وقفنا عليه في كتب أئمتنا، أو تفضّل الكريم الوهاب بفهمه علينا على طريق الاختصار، ما لم يدع الكشف إلى «التطويل والإكثار حرصًا على التقريب والتسهيل وعونًا على الفهم والتحصيل وسميته «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» إلخ...

ثم بدأ رحمه الله في ص ٩ المقدمة فقال [باب ما تضمنته خطبة الكتاب وصدره من المعاني والغريب]...

ويتبين من هذا سياسته العلمية في طرحه لشرحه «المسلم» وحسب رأيي إنه كتاب لا يستغني عنه: محدث، وفقيه، وأصولي «علم أصول الفقه» ومفسر لكونه جمع بين ما يحتاجه هؤلاء بموهبة ربانية عالية.

على أن لي ملاحظات على تحقيق الكتاب ودراسته لا أظن مقامًا كهذا يتّسع لطرح رأيي «حسب فهمي» لهذا وذاك. ولكن جزى الله هؤلاء خيرًا على كريم صنعهم.

جِرَادُ

شعر: عبد العليم القباني
(الإسكندرية)

أجَدَّ الوجدَ أن أزفَ الفراقُ   وأن البين مُرٌّ لا يطاقُ

وأني بين أصحابي غريب   وأن الودّ أكثره نفاق

سَمَتْ بي همّتي، وأبى زماني   فلم يسلس قيادهما وفاق

وكيف ؟ وفي دمي نار تلظّى   وحولي من بني زمني نطاق ؟

أرادوني على دَخَلٍ وزاغوا   وهل يبقى على الدَّخَل اتفاق ؟

* * *

وطاولني ليجحدني أناس   تقاصر باعُهُمْ عني فضاقوا

وأوغر صدرهم أني صريح   ولي خلق، وليس لهم خَلاق

إذا صغرت نفوسهم، رأوني   أبيا لا يُسفُّ به الشقاق

وما غمغمتُ من أسف ولكن   غرور القزم تنكره العتاق

* * *

على أوتارهم نغم سليب   لهم في صيده أبدا سباق

وفوق طروسهم جمدت سطور   أبى بعثَ الرميم بها اختلاق

«جراد» كل نغمتها طنين   وإن بهر العيون بها زواق

وليس الشعر أوزانا تقفّى   ليمنعها من الهرب الوثاق

وأبياتا يرددها شُداة   لها نغم، وليس لها مذاق

ولكن، فيض عاطفه إذا ما   تدفّق لا يُصَدُّ له اندفاق

تحسّ البيت يدفعه انطلاق   ويكمل كل ما اكتمل السياق

* * *

فهل لمس الشعور بنو زماني ؟   وهل من غفوة الماضي أفاقوا ؟

وهل تركوا توابيت القدامى ؟   وقادهمُ من العصر ائتلاق

(أُسائل عن حصين كل ركب)   وعند حماته دمه المراق

* * *

سلكت طريقهم أمدًا طويلاً   وعدت وقد تمرّد بي انطلاق

أحاول أن أثور على قيود   مُذهَّبةٍ، فينكرني الرفاق

إلى أن عدت بينهم غريبا   أصارعهم فيصرعني النفاق

ولولا أن يقال أخو جموح   تبجّح ثم أعجزه اللحاق

لطلقتُ الذي نقموه منّي   وبعض الشرّ يحسمه الطلاق

ولكني صمدت فما أبالي   أفاض الشهدُ أم طفح الغساق

* * *

ولمّا أن تجهمت الليالي   وضلّ السعيُ واختلط السياق

نعمت بقسمتي ورضيت حظي   وقد يُرضَى من القمر المحاق

وبعض البأس متكأ إذا ما   ضللت ولم تجد أملا يساق

من كتّاب العدد



عبد العليم القباني

- عضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب بمصر
- رئيس لجنة التراث بمجلس الثقافة بالإسكندرية.
- له دراسات وبحوث في الشعر والصحافة في الإسكندرية.

تجربتي في كتابة العمود الصحفي



بقلم :
فاروق لقمان

بدأت مشواري الصحافي في عدن حيث عملت محررا ناشئا في صحيفة «فتاة الجزيرة» التي أسسها وحررها والدي محمد علي لقمان رحمة الله عليه وكانت أول صحيفة عربية منتظمة الصدور في جنوب الجزيرة العربية. وبعدها في جريدته «عدن كرونيكل» أول جريدة إنجليزية في الجزيرة العربية بأكملها.

ولما كنتُ عائدًا لتوّي من دراسة الصحافة في جامعة «كولومبيا الأمريكية» اقترح عليّ والدي كتابة عمود صغير في الجريدة التي كانت متواضعة الحجم عندما تحولت إلى يومية، على أن أسجل في هذا العمود انطباعاتي عن الدراسة في أمريكا وقبل ذلك في الهند حيث نلت «الليسانس» في العلوم السياسية والتاريخ والاقتصاد.

فبدأت أكتب عمودًا صغيرا في حدود مئة كلمة يوميا بعنوان «بسرعة» ولأنه كان محدودا تفاديت الخوض في الأمور السياسية والأدبية والفلسفية لأن عدد الكلمات لم يكن يحتمل ذلك النمط من الموضوعات؛ فلجأت إلى المعلومات التي جمعتها من مشاهداتي وانطباعاتي وقراءاتي الغزيرة لوكالات الأنباء بحكم المهنة والكتب التي شغفت بها منذ الطفولة بتوجيهات والدي ومقترحاته، ومستفيدا من مكتبة المنزل التي اكتظت بنتاج المؤرخين والدارسين وما حمله معهم إلى عدن إخوتي الذي سبقوني إلى التخرج في مصر وبريطانيا. وحرصت على أن يحتوي كل عمود على فكرة أو معلومة أو قطعة من المعرفة: اختراع، اكتشاف، نظرية علمية، نبذة عن صانع تاريخ أو مؤلف كتاب أو سبّاق إلى إنجاز متعدد الروعات بعيد الأثر دائم المنفعة.

وواصلت الكتابة عدة أعوام حتى أمرت الحكومة «الماركسية الجديدة ــ وقتها ــ في عدن» بإغلاق الصحف الحرة وتأميم صناعة الصحافة بالكامل.

ثم شاء الله سبحانه أن أشد الرحال إلى هذه الأرض الطيبة وأسهم في إخراج جريدة يومية باللغة الإنكليزية باسم «عرب نيوز»، وواظبت فيها على نشر عمود يومي بالإنكليزية بعنوان «وجهة نظر».

وفي غضون ذلك صدرت جريدة «الشرق الأوسط» شقيقة «عرب نيوز»، إلا أنني لم أفكر في الكتابة فيها لسببين: أولهما: أنني كنت غارقا ولا زلت في تحرير جريدة «عرب نيوز»

وثانيهما: إحجامي عن العودة إلى كتابة العمود المعرفي خشية عدم ملاءمته وبالتالي خوفًا من رفض القائمين عليها لذلك النوع الجديد نوعا ما من التناول. فقد كان جديدًا في محتواه كما قال لي الأستاذ الكبير مصطفى أمين في رسالة خطية بعثها إليّ بعد أعوام من ظهور العمود ورواجه الضخم.

لكنني كنت أروي لابنتي «وحي»، التي حُرمت فيما بعد من متعة القراءة، كل ليلة ما صادفته في حياتي من حكايات عن مختلف الناس والأجناس وما زرته من بلاد وشاهدته من عادات وقرأته من علم علّني أعوضها ولو بالقدر اليسير عما خسرته بعد ما كانت من «أقرأ» الناس الذي عرفتهم في حياتي إذ كانت قبل محنتها العسيرة التي تقبلناها بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره تلتهم كتابا كل يوم حتى وهي تدرس الثانوية في جدة بما تبقى لها من نعمة البصر.

ابنتي دفعتني للكتابة :

وذات ليلة وأنا أروي لها غرائب عن الهند وعجائب عن الولايات المتحدة ونُبَذًا عن

من كتاب العدد



● فاروق لقمان:

ــ من مواليد عدن، الجنوب العربي سابقا

ــ حصل على ليسانس العلوم السياسية والتاريخ من جامعة بومبي

ــ نال الماجستير في الصحافة من جامعة كولومبيا

ـ عمل في دار والده للنشر في عدن في جريدة (فتاة الجزيرة) وجريدة (ايدن كرونيكل)

ـ عمل مراسلا متجولا لوكالات الأنباء وجريدة (نيويورك تايمز) ومجلة (نيوزويك) في الخليج العربي.

ــ عام ١٩٧٤ اشترك في الإعداد لإصدار أول جريدة إنجليزية في المملكة العربية السعودية ولا يزال يعمل فيها حتى اليوم

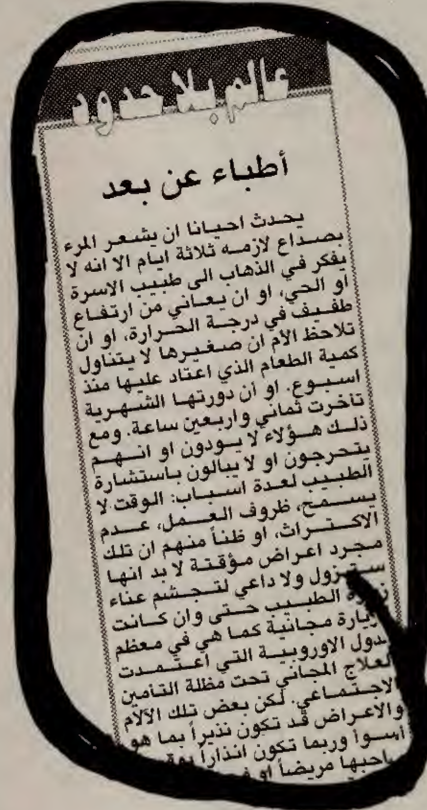
ــ يكتب عمودا يوميا في جريدة «الشرق الأوسط» تحت عنوان (عالم بلا حدود)

الحضارتين بادرتني بالسؤال «لماذا لا تكتب عمودا بين الحين والآخر فيه جوانب مما جمعته في جعبة العمر؟ فأجبت بأنني سأُعدّ لها مجموعة منها وأقرؤها عليها بعد ما بدأت تحضر لشهادة الليسانس في الحقوق من جامعة صنعاء بالانتساب والحضور إذ كانت تنتقل بين جدة وصنعاء في كفاح مرير وعنيد لتحقيق أمنية عمرها. ولما أعجبها ما كتبت أرسلت واحدة منها إلى رئيس تحرير **«الشرق الأوسط»** آنذاك الأستاذ الصديق محمد معروف الشيباني وفوجئت بنشرها بالرغم من أنها كانت عن **«هونج كونج»** ثم نشرت الثانية وكانت عن المكسيك. عندئذ سعدت بزيارة أحد الناشرين خلال جولته اليومية في المبنى الجديد للشركة بطريق المدينة. فبادرني بما أثلج صدري وأزاح همي إذ قال: إنه يمنحني العمود الذي كان أسبوعيا وحثني على مواصلة الكتابة أكثر من مرة في الأسبوع كذلك فعل الناشر الآخر في الصحيفة الذي سألني إن كنت قادرا على الكتابة ثلاث مرات في الأسبوع. ولما أجبت بالإيجاب أمر الناشران بإفساح المجال أمامي للكتابة وظلا يشجعاني بحرارة وصدق وحماسة دفعتني إلى بذل المزيد من الجهد ليس في الكتابة فقط بل في القراءة أيضا خارج نطاق المادة الصحفية التي تزودني بها وكالات الأنباء العالمية. وحثني على ذلك تدفق رسائل القراء الكرام التي ملأت ملفات عديدة لا زلت أحتفظ بها وأعتز بها كل الاعتزاز.

ثم جاء يوم مشهود لا يمكن نسيانهُ عندما استدعاني الناشران إلى مكتبيهما ليطلبا مني نشر عمود يومي اختارا عنوانا مناسبا لطبيعته وهو «عالم بلاحدود». وقالا لي: إنه يجب أن يعكس عنوانه، ومنحاني حق تناول أي موضوع أراه مناسبا ومفيدا ومُشَوِّقًا ومختلفا عن سواه من الأعمدة المعروفة في صحافتنا. المهم أن يكون نافعا.

وصادف ذلك هوًى في نفسي إذ كنت ولا زلت ميّالاً إلى المحتوى المعرفي للعمود الذي يستهدف القارئ المشوق إلى كل جديد في كل مجال من الكتب الجديدة إلى النظريات العلمية والأماكن البعيدة والشخصيات النافذة التي عرفتها أو قابلتها أو قرأت عنها وتركت بصماتها على حياتِنا


مصطفى أمين


عالم بلاحدود

أطباء عن بعد

يحدث احيانا ان يشعر المرء بصداع لازمه ثلاثة ايام الا انه لا يفكر في الذهاب الى طبيب الاسرة او الحي، او ان يعاني من ارتفاع طفيف في درجة الحرارة، او ان تلاحظ الأم ان صغيرها لا يتناول كمية الطعام الذي اعتاد عليها منذ اسبوع. او ان دورتها الشهرية تاخرت ثماني واربعين ساعة. ومع ذلك هؤلاء لا يودون او انهم يتحرجون او لا يبالون باستشارة الطبيب لعدة اسباب: الوقت لا يسمح، ظروف العمل، عدم الاكتراث، او ظناً منهم ان تلك مجرد اعراض مؤقتة لا بد انها ...زول ولا داعي لتجشم عناء ... الطبيب حتى وان كانت ...يارة مجانية كما هي في معظم ...دول الاوروبية التي اعتمدت ...علاج المجاني تحت مظلة التامين ...جتماعي. لكن بعض تلك الآلام ...لاعراض قد تكون نذيراً بما هو ...وا وربما تكون انذاراً ... ...حبها مريضاً او ...

ابنتي دفعتني للكتابة والقراء شجعوا مسيرتي في الصحافة..

وأثرت في مسيرتنا من مخترع القلم الجاف إلى أكبر ذواقة للشاي في الكرة الأرضية إلى مؤسسي شركات رولز رويس وسوني ومرسيدس. ولأن العمود ينشر يوميا ويجب أن يحتوي على شيء نافع بقدر الإمكان، ووجدت في نجاحه وقبوله دافعًا متزايد العنفوان للاطلاع والاتصالات والزيارات والرحلات، فإذا بلغني أن رجلا من مواليد الإسكندرية أضحى أحد أشهر خبراء العطور الفرنسية في العالم رحت أبحث عنه لإجراء حديث مباشر لأنشره يومًا ما. وإذا سمعت عن امرأة حطمت الرقم القياسي لأسرع حاسب آلي في العالم سافرت إليها.

في الوقت نفسه أسعدني ولا يزال يسعدني تلقي مكالمات القراء الذي يطلبون عنوانا للمكتبة التي توزع كتابا استعرضته أو الشركة التي أشرت إلى قيامها بتصنيع مزارع للأرانب في تايوان أو لأسماك السالمون في النرويج.

وقد ذكرت في أكثر من مناسبة أن تجربتي في كتابة العمود المعرفي ــ والتسمية من اجتهادي ـ بدأت بشغف متأصل وحب استطلاع عميق استثمره والدي رحمة الله عليه ودفعتني إليه ابنتي «وحي» التي لم تشغلها دراستها الحقوقية للماجستير في القانون عن متابعة ما أكتبه، وبالفعل كانت ابنتي وراء هذا الإلحاح حول المعلومات والحصول عليها وتضمينها مقالات مفيدة بإذن الله..

ومن جهتي لم أكن أغفل ــ كأب ـ طموحات ابنتي بل كنت وسأظل خلف هذه الطموحات حتى تواصل طريقها الذي بدأت بفضل الله تجني أولى ثمراته في صورة «ماجستير» في القانون من قسم الدراسات العليا في كلية الحقوق في الجامعة الأردنية عن أطروحتها في القانون المدني عن « **الظروف الاستثنائية التي تطرأ على العقد بعد إبرامه**» «دراسة مقارنة»..وحمدت الله أن فرحت ابنتي ـ التي هي بمثابة القلب مني ـ بمناقشة الأطروحة برغم ظروفها الصحية، وبالتداخلات العلمية التي كان قلبي معها وهي ترد وتُداخل وتجيب بثقة برغم أنها أول طالبة عربية مكفوفة تحصل على هذه الدرجة في هذا التخصص.. ولله الحمد..

.. إنني وأنا أكتب العمود الصحفي أشعر أنني أكتب لأسرتي الصغيرة: الزوجة، الأبناء، الأهل، الجيران، المعارف، الأصدقاء من القراء ومن هنا أتصور أن يكون نبض الحرف موصولاً.

بـداكيـات

المخـرطة

شهد تطور صناعة المخرطة Lathe مراحل تاريخية متتالية. وتكاد المخرطة تنفرد بكونها أقدم وأهم أدوات صنع المحركات. ذلك أن معظم منتجات المحركات ـ في الوقت الحاضر، مثال «المخرطة البرجية» Turret Lathe أو «المخرطة الرأسية» Vertical Lathe تستخدم نفس مبادئ تشغيل تلك المخرطة التي تظهر على رسومات المعابد المصرية القديمة التي يعود تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل الميلاد.

فكرة التشغيل

قد تكون فكرة تشغيل المخرطة مقتبسة من فكرة عمل قرص تشكيل الأواني الفخارية. فقد استخدمت المخارط القديمة في صناعة آلات غزل القطن، والبكرات Pulleys، وأرجل الكراسي وغيرها من الأشياء الأسطوانية الشكل المصنوعة من الخشب. وكانت إحدى تشغيل تلك المخارط، أن يُلف حبل حول مِغْزَل Spindle الآلة، ثم يُجذب الحبل تجاه أحد طرفيه، تُعاد الكرّة بجذب الحبل تجاه طرفه الآخر: مما يؤدي إلى حدوث حركة أمامية / خلفية. وبينما يقوم رجل بتشغيل المغزل بهذه الطريقة، يقوم رجل آخر بتشكيل الجسم المراد إنتاجه مستخدماً أدوات يدوية.

التطور التاريخي

في القرن الخامس عشر للميلاد، أمكن إنتاج حزام ذي حركة مستمرة يعمل بواسطة ذراع تدوير Crank. ومن المحتمل أن تكون تلك الفكرة قد اقتبست من فكرة تشغيل أنوال الغزل والنسيج. ثم قام «ليوناردو دافينشي» Leonardo da Vinci بتصميم مخرطة تعمل بواسطة «مِدْوَس بالقدم» Foot Treadle يستطيع رجل واحد تشغيلها.

ومع حلول القرن الثامن عشر للميلاد، كانت المخارط التي تعمل بأدوات يدوية تنتج قطعًا معدنية طرية أو لدنة.

وفي عام ١٨٠٠م، ظهرت الحاجة إلى توافر مستوى معين من الدقة، يلزم لتصنيع أجزاء المحركات العاملة بالبخار وماكينات الغزل والنسيج.. مما أدى إلى حدوث تطورات سريعة في حركة صناعة المخارط، والتي كان أهمها تلك التي ابتكرها «هنري مودسلي» Henry Maudslay (١٧٧١ ـــ ١٨٣١م) عندما أنتج أول آلات صناعية تستطيع التحرك بقوة لإنتاج الأدوات وأجزاء قص الخيوط.

على أن المخرطة الصناعية النمطية هي تلك التي أنتجها المهندس البريطاني «هاريسون» Harrison والتي حملت اسمه، وهي من موديل إل. جي ١٧٤٥ والتي كانت تستطيع خرط أية قطعة معدنية وبأي مقاس سواء كان مقاسًا بريطانيا أو متريًا.

ومن أنواع المخارط الصناعية ما يلي:

١ ـ مخرطة المجوهرات:

وهي مخرطة صغيرة الحجم بالقدر الذي يمكن تركيبها على منضدة صغيرة، وبالتالي لا تحتاج ـ كما هو الحال في مخارط المعادن ـــ إلى حيِّز كبير.

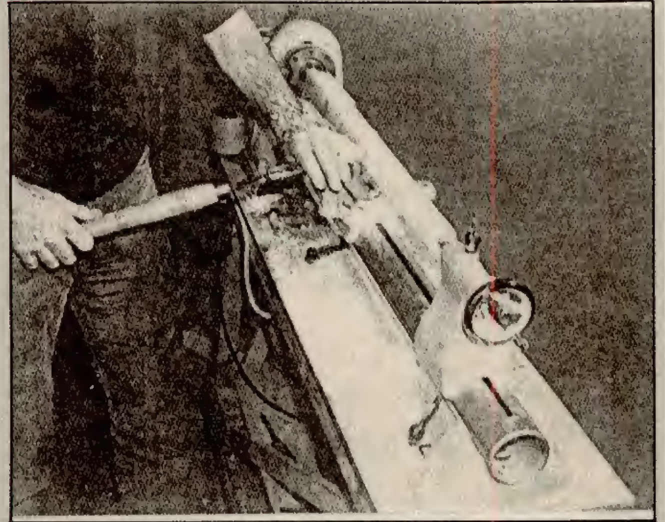
٢ ـ المخارط الصناعية:

وهي ضخمة الحجم، وتقوم بتصنيع أجزاء المحركات، والغلاّيات، ومولدات الكهرباء Dy-namos وغيرها من أجزاء المنتجات الصناعية الضخمة.

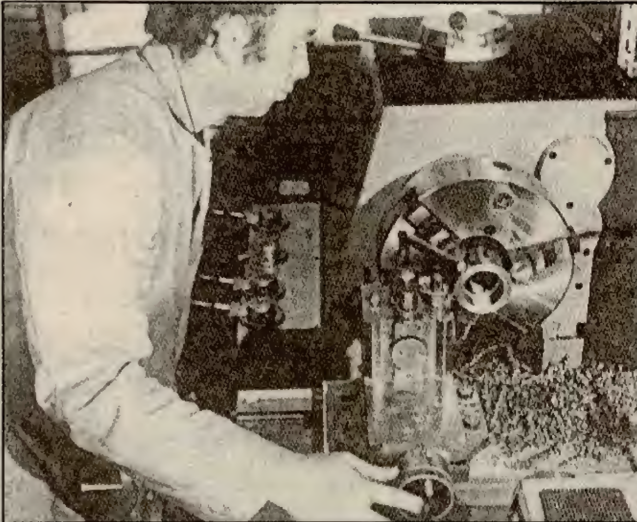
٣ ـ المخارط المحدودة الاستخدام:

وتستخدم لتصنيع الأشياء الصغيرة الحجم أو التي لها استخدامات شخصية مثال تلك التي تقوم بإنتاج العدسات اللاصقة أو غيرها.





مخرطة محدودة الاستخدام



مخرطة صناعية





د. محمد علي البار

● العنوان : زرع الجلد ومعالجة الحروق

● المؤلف : د. محمد علي البار

● الناشر : دار القلم ـ دمشق (الدار الشامية بيروت) ـ ط أولى ١٤١٢ ـ ١٩٩٢م

يدخل هذا الكتاب الهام تحت بند الثقافة العامة لموضوع مهم هو (زرع الأعضاء) من منظور إسلامي، خاصة في هذا الوقت الذي زادت فيه المخاطر على الإنسان.

يبدأ المؤلف كتابه بالآية الكريمة ﴿ومن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعا﴾ (سورة المائدة آية ٣٢) والآية تشير إلى أن إنقاذ حياة إنسان واحد كإنقاذ حياة الناس جميعا، ثم ثنّى بالحديث الشريف «عباد الله، تداووا، فإنّ الله لم يضع داء إلاّ وضع له شفاء، غير داء واحد هو الهرم».

ويقول: إن مسألة زرع الأعضاء ليست مسألة جديدة وإن اتّسع نطاقها في العصر الحديث، حتى لا يكاد يوجد عضو من الأعضاء إلاّ وقد استُبدل واستُنزع باستثناء الدماغ ـ ومع ذلك فهناك محاولات كثيرة لنقل خلايا إلى الدماغ لمعالجة مرض الشلل الرعّاش (الباركنسوترم)، ومعالجة الخرف المبكر وخاصة مرض «الزهايمر» الذي يصيب مئات الألوف في الولايات المتحدة وأوروبا.

وقد عرف قدماء المصريين عمليات زرع الأسنان التي أخذها عنهم اليونان والرومان فيما بعد، كما عرفها سكان الأمريكتين ممن يسمّون الهنود الحمر قبل أن يعرفها الأوروبيون، وعرفها المسلمون كذلك منذ القرن الرابع الهجري.

وقد أعاد النبي ﷺ على قتادة بن النّعمان عينه عندما أُصيب بسهم يوم الحد، فكانت أصحّ عينيه وأحدّهما بصرًا، وكذلك ردّ ﷺ يد معوّذ بن عفراء بعد أن قُطعت من الكتف يوم بدْر، كما ردّ يد حبيب بن يساف بعد أن ضُرب على عاتقه يوم بدر أيضًا وهذه من المعجزات التي أيده الله سبحانه وتعالى بها.

وقد كان الهنود القدماء يزرعون الأنف والأذن والمتآكلة ويصلحونها بالرقعة الجلدية وأخذها منهم المسلمون ومنهم انتقلت إلى أطباء أوروبا.

تاريخ طويل:

وفي الفصل الثاني تحدث عن تاريخ زرع الجلد واستخدام الرقعة الجلدية في الوقت الحاضر باستخدام الليزر بدلاً من الآلات القديمة لأخذ الرقعة الجلدية بُسْمكٍ محدَّد تماما مسبقا، ثم أتبع ذلك بفصل تحدث فيه عن وظائف وتركيب الجلد وتشريحه، إذْ لا يمكن فهم هذا الموضوع دون الإلمام بوظائف الجلد وتشريحه.

وفي الفصل الرابع تحدث عن الحروق وأنواعها وأسبابها من الاحتراق بالنار، أو الماء في حالة غليان، والاحتراق بالكهرباء، والاحتراق بالمواد الكيماوية، وأوضح درجات الحروق وتقسيماتها الثلاثة عند الأطباء حيث إن أولها تصيب الطبقة السطحية من البشرة، والثانية تصيب بشرة الجلد بكاملها وتغور إلى الأدمة، والثالثة تتجاوز البشرة والأدمة والأنسجة تحت الأدمة حتى تصل إلى اللحم والعظم، وهي أخطر تلك الدرجات على حياة الإنسان، ومع ذلك فإن المصاب بهذه الحروق الشديدة لا يشعر بألم الحرق لأن الأعصاب الحسّاسة للألم والحرارة تكون قد احترقت تماما.

وفي الفصل الخامس تحدث عن معالجة الحروق ابتداء من الإسعافات الأولية، ثم إدخال المصاب المستشفة والمعالجة بالسوائل والبلازما والدم والأمصال وكيفية رعاية المصاب ومتابعة حالته وكيفية معالجة الحروق موضعيًا وبالمضادّات الحيوية ومعالجة قرحة الإثني عشر والمعدة الناتجة عن الحروق وكيفيّة التوقّي منها، والوقاية من الإنتان ومعالجته عند حدوثه.

ترقيع الجلد:

ويتحدث المؤلف الدكتور محمد على البار عن ترقيع الجلد في الفصل السادس لمعالجة الحروق، والشروط التي ينبغي توافرها، وكيفيّة الزرع، وأنواع الرقعة الجلدية المستخدمة وأين يبدأ الجرّاح بالترقيع بناء على أهميّة الموضع المصاب بحيث يبدأ بالأهمّ ثم المهمّ.

وأخيرا شرح كيفية إزالة الندوب والتشوّهات الناتجة عن الحروق أو القُرح المزمنة الكبيرة، أو العمليات الجراحية لإزالة ورم خبيث مثلاً، وأنواع الرُّقع الكاملة أو الجزئية المستخدمة في ذلك، وكيفيّة استخدامها وكيفيّة توقّي الرفض أو فشل الترقيع، واستخدام الرُّقَع من الإنسان أو من الحيوان أو الرقع الجلدية الصناعية ثم تحدث عن الوقاية من الحروق والجروح التي تستدعي البُعد عن أسبابها.

وفي الفصل الأخير تحدث باقتضاب عن الموقف الشرعي من زرع الأعضاء وزرع الجلد على وجه الخصوص، وألحق به نصّ الفتوى التي أصدرها مفتي الديارا لمصرية الشيخ محمد خاطر عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٣م) عن هذا الموضوع الهام.





د. فهد بن عبد الله السماري

● العنوان : أزمة الخليج (دراسة في الخلفية التاريخية والعوامل السياسية).

● المؤلف : د. فهد بن عبد الله السماري.

● الناشر : المهرجان الوطني للتراث والثقافة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م

فوجئ العالم بالحدث الهائل الذي وقع في ٢ أغسطس من عام ١٩٩٠م، وراح يتساءل في حيرة: ما هذا الذي وقع؟ كيف تجرؤ دولة عربية على الإقدام على غزو دولة عربية جارة لها؟ وبدأ في مراجعة أوراق هذا الحدث، والتقليب في وثائقه القديمة.

فلم يكن هذا الحدث منطلقًا من فراغ، وإنما له جذور بعيدة الغور في التاريخ القديم والمعاصر، وله أيضا خلفياته وأطماعه.

وهذا ما يشير إلى أهمية هذا الكتاب الذي تعرض له، فقد أراد مؤلفه د. فهد بن عبد الله السماري ـ من خلال صفحاته ـ إلقاء الضوء على الخلفية التاريخية وعواملها، ولقد بذل في سبيل ذلك جهدًا عظيمًا؛ ليضع الحقائق أمام المتسائلين، والذين أصابهم الدهش بسبب ما أقدم عليه العراق في ذلك اليوم المشؤوم.

فقد كان من الغريب حقًا أن تقوم دولة عربية باحتلال دولة شقيقة كانت تنعم بالجوار معها، وأن يفرز هذا الاحتلال سياسة بشعة تسعى إلى طمس معالم الدولة على المستويات السياسية والاقتصادية والبشرية والحضارية.

ركزت هذه الدراسة على أهم المحاور الرئيسية التي كان لها دور فعال في تمهيد أرضية الغزو العراقي للكويت، وذلك لفهم حقيقة الأزمة قدر الإمكان، والإيجاد منطلق جديد يشجع على إدراك أهمية الوعي بالتاريخ والاستفادة من مرئياته الاستشرافية.

وواجهت الدراسة صعوبات شتى من أبرزها أن الحدث لم تنته تطوراته بعد، بالنسبة للمتخصصين في الدراسات التاريخية الذين يفترض أن يتسموا بالتأني في دراسة القضية حتى تتكامل مصادرها ووثائقها وفترتها الزمنية المطلوبة، ولذلك فقد تحاشت الدراسة الخوض في التفصيلات المباشرة للأزمة وتطوراتها، وركزت بدلا من ذلك على استعراض الجذور التاريخية لها، وإلقاء الضوء على الظروف السياسية المحيطة بها والمؤثرة في تطوراتها.

وكان لاستعراض الجذور التاريخية أهمية خاصة لأنها تعطينا إيضاحًا كافيًا للتعرف على منطلقات الأزمة ومسبباتها مما يتيح الفرصة للاستفادة والعمل على التعامل مع المستقبل من منظور هذه الخلفية، كما أن تسليط الضوء على هذه الخلفية التاريخية يجعلنا ندرك حجم غياب الوعي بالتاريخ والنتائج السلبية لهذا الغياب.

وأزمة الخليج تعود جذورها إلى عوامل عديدة ومشتركة أسهمت في تشكيل الإطار المكاني والزمني لحدوثها، ومن أهم هذه العوامل والمحاور:

- أهمية الخليج العربي والتنافس الدولي على مياهه.
- دور بريطانيا في المنطقة.
- الأهداف العراقية في منطقة الخليج.
- النزاع التاريخي بين الكويت والعراق.
- النفط وأمن الخليج العربي.
- سياسة العراق لملء الفراغ السياسي في الخليج.
- العوامل الأيديولوجية العراقية.
- الحرب العراقية الإيرانية.
- تأثير سياسة الوفاق الدولي على المنطقة.

قام الباحث بتناول كل عامل من هذه العوامل على حدة، وسعى إلى تقديم التحليلات الكافية لتغطية جميع هذه الموضوعات، وتم تحديد هذه العوامل لشموليتها. ولارتباطها بما يدور اليوم على سواحل الخليج العربي من حيث توجيه التطورات السياسية وتشكيلها، وتحديد هذه العوامل يغطي جميع المؤثرات التي لعبت دورًا كبيرًا في رسم إطار الأزمة في مظهرها الراهن.

ومن خلال العوامل التي ناقشتها الدراسة خرج الباحث بعدد من النتائج التحليلية البسيطة، يمكن استعراضها فيما يلي:

أولاً: ساهم النزاع بين البلدين حول الحدود بدور كبير في تهيئة الأرضية لمطالبة العراق ببعض الأراضي الكويتية لأغراض استراتيجية.

ثانيًا: أثبتت دراسة هذه المحاور المختلفة أن الأزمة متصلة بجذور تاريخية وعوامل محددة كانت تعمل منذ فترة طويلة لرسم وبلورة معالمها وتطوراتها وساحتها. كما تعطينا الخلفية التاريخية للنزاع العراقي الكويتي صورة واضحة عن الخلل الكبير والواضح الذي تعاني منه السياسة العربية في تعاملها مع الخلافات الإقليمية.

ثالثًا: لا يمكن التقليل من تأثير المتغيرات السياسية الدولية في منطقة الخليج وخصوصًا فيما يتعلق بالمستجدَّات السياسية التي أحدثتها روسيا في مجال الإصلاح والوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية. إلى جانب هذا اتضح الدور الذي مارسه الصراع الإيراني - العراقي في المنطقة وما أدّى إليه من سياسات عدوانية من جانب العراق تُرجم أخيرًا في احتلال الكويت.

رابعًا: لقد أثبتت الأزمة على المستويين الرسمي والشعبي جهل الكثيرين بالتاريخ وبأهميته التحليلية. وينعكس هذا الجهل أو التجاهل في اعتقاد الكثيرين بأن الأزمة مفاجئة من جميع الجوانب والخلفية التاريخية التي بين أيدينا تثبت بكل بساطة عكس ذلك.

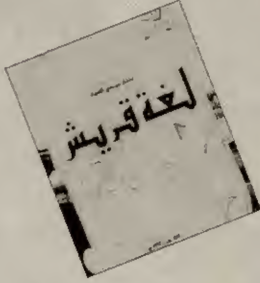
خامسًا: من خلال هذه الخلفية التي اتّسمت بالتعددية في العوامل والمحاور يمكن الخروج بعدد من التطلعات الاستشرافية المستفادة من الأزمة وخلفيتها التاريخية وما ارتبط بها من تطورات، منها ما يتعلق بالقوة الذاتية لدول العالم العربي والإسلامي، فقد أثبتت الأزمة ضعف هذين العالمين عسكريًا على الرغم من القدرات المتوافرة لديها، ومن هذه التطورات إثبات أن الدول القوية سواء الشرقية أو الغربية تنتهج سياسة تتفق مع مصالحها وأهدافها في المنطقة، كما أثبتت أيضًا أن مشكلات الحدود بين البلدان العربية ليست بسيطة وعادية، وأن المنطقة العربية بحاجة ماسة إلى نظام أمني متكامل يضم معظم الدول القوية في العالم العربي والإسلامي رغم اختلافها.

وأثبتت أخيرًا أن هناك مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق كل المؤرخين والحكومات العربية للتنسيق حول الاستفادة من دراسة التاريخ عند وضع الاستراتيجيات أو تحديد الأوضاع المحيطة بكل دولة.

دعم د. فهد بن عبد الله السماري دراسته القيمة بعدد كبير من الوثائق والخرائط التي تعكس تطور الحدث منذ بداياته التاريخية حتى الوقت الحالي.

هذه الدراسة ذات قيمة تاريخية هامة لأنها تمدنا بالخلفية التاريخية الشاملة لحدث هز كيان الأمة العربية، بل اهتزّت له شعوب العالم قاطبة.

فقد كان حدثًا فارقًا بالمعنى التاريخي لأن صورة العالم بعد حدوثه غيرها قبل وقوعه المزلزل.



● العنوان: لغة قريش.

● المؤلف: مختار سيدي الغوث.

● الناشر: النادي الأدبي بالرياض (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

ستظل لغة القرآن الكريم - على مر العصور - هي المعيار اللغوي الأصيل، والمرجع الذي تضبط عليه اللغة العربية تقعيدًا وتركيبًا ومبنى، فمنذ نزول الوحي بآياته البيّنات على الرسول ﷺ، وهو شغل العربي الشاغل، فبعد أن جُمعت سوره من صدور الصحابة رضوان الله عليهم، وظهر إلى الوجود أول مصحف في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتمّ رسمه النهائي بالطريقة والشكل اللذين وصلا به إلينا حتى عصرنا الحالي، ومن قبل، وبالتحديد خلال القرن الرابع الهجري، وما تعارف عليه بعض التدوين العربي، كان قد هُيئ للعرب فتح البلدان شرقًا وغربًا، واستطاع الأسلاف نشر الدين الجديد (الإسلام) وفي خط موازٍ نشر اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) انكفأ علماء اللغة ليستنبطوا علومًا جديدة تحفظ للقرآن الكريم حروفه، وضبط قراءاته خشية الوقوع في اللحن. بعد أن دخلت الإسلام شعوب غير عربية، وسعى علماء اللغة إلى البادية، وخصّصوا الرحلات تلو الرحلات إلى أعماق الجزيرة العربية، ليصلوا إلى البدو الأقحاح الذين لم يختلطوا بالشعوب الأخرى، وصار البدوي مرجعًا أساسيًا لتحصيل المرادفات اللغوية التي تثري اللسان، وتصقله، ولم يك هذا الجهد داخل نطاق اللغة منفصلاً عن جهود علماء الفقه والتشريع، فضبط معاني الكلمات أساس لا مندوحة عنه لقيام علم التفسير، وبالتالي

العلوم الفقهية والشرعية الأخرى، وقد وقع جدل لم ينته بين علماء اللغة في ذلك العصر حول هل أنزل القرآن بلغة قريش محتجين بالآية الكريمة ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ (سورة إبراهيم/ ٤) والمقصود بقومه هنا (قريش) أم أنه أنزل بلسان القبائل العربية جميعًا محتجين بالآية الكريمة ﴿إنا جعلناه قرآنًا عربيًا﴾؟؟ (سورة الزخرف/ ٣)

ولأن الجدل لم يزل قائمًا حول هذا الموضوع، فقد جاءت هذه الدراسة لتدلي بدلوها. وتناقش الحجج المطروحة لدى القدامى والمحدثين معًا.

والدراسة نال بها صاحبها درجة الماجستير من جامعة الملك سعود، ويبدو لنا ــ منذ الوهلة الأولى ــ الجهد العظيم الذي بذله الباحث، والرحلة المرهقة التي قطعها مع اللغة العربية في تحولاتها المختلفة؛ لتأتي دراسته العميقة شاملة جوانب الموضوع كافة، فلم تترك صغيرة ولا كبيرة، كما يقال عادة. فالباحث يناقش الآراء المتباينة التي جاءت على ألسنة علماء اللغة القدماء، كما يناقش الآراء الواردة في مؤلفات علماء اللغة المحدثين، وكذلك يفنّد آراء المستشرقين المتخصصين في دراسة لغة القرآن الكريم، ثم يخلص إلى رأيه، ويقدم البراهين القاطعة التي تحسم الخلاف حول هذه القضية المثيرة.

يقول الباحث في معرض تقديمه للكتاب: قضيت زمنًا تصطرع في فكري تلك الأحاديث المرويّة في الصِّحاح في نزول القرآن بلغة قريش وإجماع اللغويين على ذلك وعلى تفضيلها على سائر اللغات، وآراء هؤلاء المحدثين، أجد من اللغويين الأقدمين تعليلاً دقيقًا، وترفعها عن كذا وتباعدها عن كذا، ولا أجد ما أدفع به حُجج مخالفيهم، وهي حجج قوية في ظاهرها، فانهمكت زمانًا في قراءة كتب اللغة والأدب أستوضح اللغة القرشية وخصائصها، وأنقب عن معنى الفصاحة ومقياسها، وفي قراءة تاريخ القرآن وعلومه وشرح الأحاديث المروية في كتابته، استجلي معانيها (. . .) فطفقت أستوضح حجج المحدثين وأقارنها بها استبان من تلك المعاني التي كانت غامضة، فإذا هي تنتقض حجة حجة.

إذن فهذا هو الدافع الذي جعل الباحث يقدم أطروحته، إنه هاجس قديم لا يفتأ يتردد على ذهنه، حتى أراد أن يضعه موضع الحسم.

ولتكن البداية (فصاحة قريش) للكشف عن خصائصها، وتلك هي الخطوة الصحيحة. فإذا تم التعرف على المقدمات المنطقية فإنه يسهل علينا الوصول إلى نتائج محدودة.

ولكن هل يبدأ الباحث من فراغ؟

إنه يرصد لنا عددًا من الدراسات التي سبقته في نفس المجال، ثم يحدد لنا درجة اختلافه معها، ذلك أنه وجدها لا تتناول لغة قريش تناولاً يصح التعويل عليه. فبعضها لا يدرس منها إلا جوانب دون أخرى.

وبسبب هذا كان الاعتماد عليها غير ممكن، فلا بد من دراسة جديدة للغة القرشية تتجنب ما قصّرت فيه الدراسات السابقة، وتتدارك ما وقع فيها من أخطاء، وتسعى إلى تمييز لغة قريش من غيرها من القبائل التي قد يطلق عليها (أهل الحجاز) وتستقرئ أحكام اللغويين على لغة قريش ظاهرة ظاهرة، من حيث الفصاحة أو عدمها، وتتبع ورودها في القرآن الكريم، حتى إذا تمّ الاستقراء أمكن أن تناقش آراء القدماء والمحدثين في لغة قريش في ضوء ما انتهت إليه.

ومن أجل هذا فإن الباحث قد سلك السبيل الآتية: عرض أقوال اللغويين في الظاهرة اللغوية، ليوازن بينها إن كانت مختلفة، ويرجح بعضها على بعض معتمدًا على القرائن والسياقات التي يرد فيها كلامهم مستعينًا بالقرآن الكريم ولا سيما قراءات قرّاء الحجاز، والنصوص القرشية شعرًا ونثرًا، فإذا فرغ من تقرير نسبة اللغة نفيًا أو إثباتًا، عرض لآراء اللغويين فيها من حيث الفصاحة والشيوع في الأدب، وإن لم تكن اللغة مما اختُلف فيه، وكانت دلالة (أهل الحجاز) على قريش لا إشكال فيها، عرض لورودها في القرآن الكريم وشعر قريش ونثرها، ثم درجتها في الفصاحة، وبالطبع فإن المعتمد في الحكم بالفصاحة أو عدمها، على ما قرر اللغويون؛ لأنهم هم واضعو مقياس الفصاحة، ولأن غاية البحث الوصول إلى أي اللغات كان أفصح في زمانهم.

ويمكن أن يقال إن هذا البحث ليس دراسة للغة قريش، وجمعًا لها فحسب، بل هو أيضا نقد لما أورد في المصادر القديمة منسوبًا إلى قريش أو ما يحتمل أن تكون مقصودة به، لتخليص ما صحَّ لها مما لم يصح.

وقد قسم البحث إلى أربعة فصول يسبقها تمهيد يعرض المصطلحات اللغوية التي استعملتها المصادر القديمة لتدل بها على لغة قريش: إذ لم تكن اللغة القرشية تذكر باسمها الصريح، على الدوام، فكان استعراضها ضرورة، لئلا يفجأ القارئ أن اللغة في البحث تنسب إلى قريش، وهي في المصدر المقتبسة منه منسوبة إلى غيرها.

والفصل الأول من الكتاب موضوعه القضايا الصرفية: أصوات الكلمة وأبنيتها. إلى غير ذلك من الموضوعات الصرفية التقليدية. وأما الثاني فيعرض للموضوعات النحوية. وموضوع الفصل الثالث هو المعجم، وجعله للحقائق اللغوية الخاصة التي لا تنتظمها قاعدة وليس من شأنها أن تدخل تحت قاعدة، كحركات حروف الكلمة، ودلالتها، والأصل الذي اقتُرِضَتْ منه (المُعرَّب). أما الفصل الرابع فقد تناول آراء القدماء والمحدثين في لغة قريش، عرض فيه آراء العرب قبل تدوين اللغة، في لغة قريش، ثم آراء اللغويين القدماء وآراء المحدثين من مستشرقين وعرب، من حيث الفصاحة ومن حيث صلتها بلغة القرآن وراءهم في اللغة المثالية التي يرون أنها كانت لعرب الجاهلية. تبعت ذلك مناقشة لتلك الآراء يتقدمها حديث عن اللغة المثالية في الجاهلية وعصور الاحتجاج يتضمن من الأدلة ما قد ينفي صحة وجودها في ذلك الزمن، تلاه بحث في الفصاحة ودلالتها في الفكر اللغوي القديم ومقياسها. وكان الحديث عن اللغة المثالية ردًا ضمنيًا على كثير من الآراء التي لا يوافق عليها البحث، يغني عن مناقشتها مفصلة، أما الحجج التي كانت تلقى اعتراضًا على فصاحة قريش ونزول القرآن بها، ولم ينلها الرد، فنوقشت واحدة واحدة.

وبعد هذا تأتي الخاتمة التي تتضمن موجزًا لما قيل في البحث وما انتهى إليه من نتائج. أما المصادر التي اعتمد عليها البحث في دراسته لغة قريش فهي:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ شعر قريش.

٣ ـ النثر القرشي.

٤ ـ الحديث النبوي.

لقد أُضيف بهذه الدراسة مرجع هام إلى المكتبة العربية للدارسين والباحثين في علوم اللغة العربية عمومًا، وفي لغة قريش خاصة، وستظل لغة القرآن الكريم بإعجازها مثارًا للجدل الخصب المعطاء، في كل الحقب، أو كلما أتيح للإنسان أن يراكم خبراته المكتسبة التي تضيء له الطريق في فهم كتاب الله إلى البشر كافة.





في اليوم الدولي لمكافحة المخدّرات

العالم يحارب هذا الوباء

منذ أيام، وبالتحديد في الخامس والعشرين من ذي الحجة، طافت شوارع مدن كثيرة في العالم قوافل توعية تحذّر من خطر المخدرات، هذا الوباء الذي فاق عدد ضحاياه ضحايا الحربين العالميتين. والمناسبة: «اليوم الدولي لمكافحة المخدرات».

ففي مثل هذا اليوم قبل خمس سنوات اجتمعت وفود الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ـ في مقر الهيئة العالمية في فيينا ـ للتشاور في كيفية محاربة المخدرات والقضاء على أخطارها.

وفي إطار الوقاية من هذا الوباء نهجت المملكة العربية السعودية نهجًا ينطلق من موقفها الإسلامي الذي يحارب مظاهر الانحراف جميعها وفي مقدمتها المخدرات، فاتخذت وسائل متعددة لحماية البلاد من هذا الخطر المدمر. وأسهم المسؤولون والهيئات والمؤسسات في جميع فعاليات التحرك والتعاون الدوليين للتصدي لآفة تجارة وإساءة استعمال المخدرات.

موضوع خاص

المخدرات .. مدمرات

يقـول سمـو الأمير خـالـد الفيصل ، أمير منطقـة عسير، محذرا من المخدرات :

لا يزال أعـداء الأمة الإسلامية على اختلاف مللهـم ونحلهم يتربصون بها الدوائر ويحيكـون ضدهـا المؤامرات بغيـة النيل منها ومن أبنـائها والحرص على تدميرها بكل ما أوتوا من قوة . فلقد سخروا جل جهودهم و إمكاناتهم ونفوذهم لتدمير الأمة بل وأخضعوا المبتكرات وما تفتقـت عنه الحضارة البشرية لتوظيفها في هذا النهج الهدام . .

فمنذ الحملات الصليبية ضد الأمة الإسلامية وماتبعها من حروب عسكرية وغزو فكري واستعمار والسعي للإفساد في الأرض لهم منهج .

حيث نجدها قد تضافرت لخدمة تلـك الخطة الرهيبة ألا وهي الكيد للأمة العربية الإسلامية بكل السبل والإمكانات ا لمتاحة .

ولعلـه يعنينا أن نتطـرق لقضية خطيرة رزئنـا بها في مجتمعـاتنا دفعت الأمـة ثمنها غـاليا ألا وهي (المخدرات) ذلك الشبح المخيف والمرض العضـال الذي يفتك بكل من وقع فريسة له دون شفقة أو رحمة .

ومن المؤسف حقـا أن نجـد أنـاسـا بـاعـوا أنفسهم في صفقـة خـاسرة مع الشيطان وأوليائه من أعداء مجتمعاتنا المسلمة لجلب تلك الأوبئة وترويجها وبث سمومهـا في إخوانهم وبني جلدتهم ومـا ذاك إلا لانعدام الإحساس لـدى هؤلاء المأجورين في ظل غياب الوازع الـديني وموت الضمير ومع أنهم قلة في مجتمعنا السعودي المسلم إلا أنه يحسن في هذا المقام أن نتمثل بقول الشاعر :

متى يبلغ البنيـان يـومـا تمامـه ... إذا كنـت تبنيـه وغيـرك يهـدم

ولقد أحسنت حكومة خادم الحرمين الشريفين صنعا عندما تيقظت لذلك فوظفت رجـالها المخلصين و إمكاناتها المتـاحة لدرء ذلك الخطـر الداهم والشر المستطير والتصدي بقوة لكل عابث لا يرقب في مؤمن إلاًّ ولاذمة . .

ونحمد الله أننا رأينـا تلك الجهود وقد آتت ثمارها وتكللت بـالنجاح المطرد وأسهمت إلى حد كبير في خفض نسبة متعاطيها ومروجيها .

وبهذه المنـاسبة أهيب بكل مـواطن ومقيم على ثـرى هذه الأرض الطيبـة أن يتقي الله في دينه ومجتمعه وأمته وألا يضع يده في يد أعداء الأمة لكي يكون معول هدم في مجتمع آمن ومستقـر وأن يضع نصب عينيه سـلامة أمتـه ومجتمعه . فإن الرائد لا يكذب أهله .





الفريق أول عبد الله الشيخ

أمانة ومسؤولية :

ونظرًا لأهميـة دور الأسرة في المحافظـة على أبنـائهـا من السقـوط في فخ الإدمـان ، وجـه الفريـق أول عبد الله بن عبد الـرحمن آل الشيخ مديـر الأمن العام بالمملكـة العربيـة السعـودية نداءً إلى الآباء بأن يكونوا أمنـاء على المسؤولية الملقاة عليهم في المحافظة على أبنائهم ومراقبة جُلسائهم ، وأن لا تشغلهم أمـورهم الشخصيـة عن فلـذات أكبـادهم الـذين بانجـرافهم خلف هـذه السمـوم ستكون خسارتهم فادحـة ولن يعوضها أي شيء في الدنيا وعندها لن ينفعهم ندمهم .

وأضـاف قـائلا: وأخـاطب أبنـائي الشبـاب الذين هم ثروة البلاد أن يحرصوا كل الحرص من شرّ هذه السموم ومـروجيها وأن يكونوا الأيـدي الأمينة التي تحارب هذه السموم ومستخدميها ومروجيها .



الفريق حمد العريفي

تبصير بأضرارها :

ويقـول الفريق حمد بـن عبد الله العـريفي مساعد مدير الأمن العام لشؤون العمليات :

المملكـة العـربيـة السعـوديـة بلـورت خيـارًا استراتيجيًا مميزًا لمعالجة مشكلة المخدرات منطلقة في ذلك من انسجام تام مع مـوقفها العقائدي من كل مظاهـر الانحراف في كافـة صوره وأشكالـه والذي يترتب عليه تهديد لحضارة الإنسان وقيمه الأصلية .

وفي إطار الوقايـة نهجت نهجًا ذا طابع شمولي ومتكامل ومن خلال التنسيق بين الجهات المختصة لتبصير الناشئة بـالمخدرات وأضرارها وحماية أبنـائنا من استخدامهـا و إجراء دراسات وأبحاث لمحـاولة التعرف على الـدوافع والعوامل النفسيـة والاجتماعية والخصائص الخاصة بمستخدمي المخدرات وطبيعة الإدمان .



اللواء إبراهيم الميمان

أضرار صحية :

أمـا اللواء / إبـراهيم بن علي الميمان مديـر الإدارة ا لعامة لمكافحة المخدرات بالنيابة وأمين

عام اللجنة الوطنية لمكافحة المخدرات فيقول:
إن تعاطي المخدرات والإدمان عليها أصبح مشكلة متعددة الأبعاد، عميقة الجذور تؤرق المجتمع الدولي، ذلك أنه بالإضافة إلى ما تسببه المخدرات للمدمن عليها من أضرار جسمية وعقلية، فإن انتشار تعاطي تلك السموم في أي من المجتمعات، يؤدي إلى ظهور أضرار صحية واجتماعية واقتصادية تهدد الفرد والأسرة والمجتمع..

ومكافحة المخدرات عمل جماعي، ولذلك تضافرت جهود كافة أجهزة المكافحة في إطار علاقات إيجابية تستهدف إيجاد نوع من التعاون الدولي في كافة المجالات ذات العلاقة كتبادل المعلومات والتدريب والتوعية الوقائية وعلاج الإدمان.

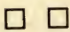

د. سليمان المحيا

مشكلات متعدده:

للمخدرات تأثيرات خطيرة متعددة منها الصحية والنفسية والاجتماعية، هكذا يقول الدكتور سليمان المحيا المدير الطبي لمستشفى قوى الأمن بالرياض بالمملكة العربية السعودية، ويضيف قائلا:

المشاكل الصحية المتعلقة بالمخدرات تتمثل في انتشار المرض وسط الفئات التي تستعمل المخدرات وتتسبب في أشد الأمراض فتكا وضراوة مثل مرض الإيدز نتيجة تعاطي المخدرات عن طريق الوريد، ورغم أن التأثيرات الصحية خطيرة على الفرد إلا أن التأثيرات النفسية أشد خطرا حيث يصاب المدمن بالأمراض النفسية كالاكتئاب والاضطرابات العاطفية، فيتحول إلى كائن آخر فاقد القدرة على التفكير أو التمييز عديم الإحساس بقيمة الحياة، ويكون لدى المدمنين نزعات قوية نحو ارتكاب الحوادث ومخالفة القانون واستخدام العنف بل والإقدام على الانتحار، وللمخدرات أشد الآثار السيئة التي تلحق بالأسرة وهي الخلية الأولى للمجتمع فانهيارها وتفككها بسبب الإدمان يعود بالسلب على المجتمع.

ومن حسن الحظ أننا نعيش في مجتمع إسلامي - الشريعة الإسلامية هي دستوره، لذا فإن أية جهود في مجال التوعية بأضرار المخدرات لها ما يعززها من واقع ديننا الحنيف الذي ينهى عن الوقوع في مغبة المخدرات والإدمان ولكن ضعف الوازع الديني لدى البعض يجعلهم يفقدون السيطرة على أنفسهم أمام دعوة آثمة من قرناء السوء، وهذا ما يجب أن نلتفت إليه، خاصة وأن الإمكانات كلها متوافرة.



المخدرات
تلوث الجسد والروح

بقلم: سعد بن عائض العتيبي

المخدر علميا: أي مادة كيماوية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم.

أما القانون فيحدد المخدر بمجموعة المواد التي تسبب الإدمان وتسمم الجهاز العصبي ويحظر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك.

وهنالك تصنيفات عديدة للمخدرات بعضها حسب تركيبتها الكيماوية، وبعضها تصنف حسب ألوانها، وبعضها حسب تأثيراتها مثل:

أولا: المهبطات:

* **المسكنات المخدرة** مثال: الأفيون: مشتقات الأفيون... المورفين، الكودين، البابفرين، الثيابين، الناركوتين، الهيروين ومشتقاته، الميثادون.

* **المنومات والمهدئات:**

* **مشتقات حامض الباربيتوديك** (البادبيتورات) ومشتقات البنزوديابينز. البروميدات، هيدروكلورال، باراهيد والغاليوم والليبريام والاتيفان. (منومات قوية)

مشتقات غير باربيوديك: مثل ميثيل بنتيفول ومركبات تجارية مثل ميلكون وسيدالون.

***مشتقات أخرى مهبطة للجهاز العصبي المركزي:**

الكحول الإيثلي، وكلورال هيدرات واللروردين والنولودار.

* **المذيبات الطيارة** (المستنشقات) مثل الايروسولات كالفريون والبربلانت بأنواعه.

ثانيا: عقاقير الهلوسة:

* **عقاقير الهلوسة الموجودة في النباتات:**

الحشيش والماريوانا والميسكالين والزايلوسابين وبذور نبات مجد الصباح والداتور وقشورا لموز.

* **عقاقير الهلوسة المصنعة وأهمها** ال. اس. دي الانجل دست.

ثالثا: المنومات والمهدئات:

*المهدئات العظمى (القوية) الملطفات ومضادات الاكتئاب: مثل اللارجاكتيل والمونامين، أوكساديز واليفال.

رابعا: المنبهات والمنشطات:

* **الامفيتامينات:** مثل: الامفيتامين، البنزيدرين. وعقاقير التخسيس مثل الفيفلورامين والبوندراكس.

* **الكوكايين** وقد يخلط مع الهيروين أو المورفين فيعطي مركبات أقوى كالديناميت ويزبانخ.



الأضرار الصحية التي تسببها المخدرات

لا توجد أي خلية في جسم الإنسان لا تتأثر بالمخدرات. فحتى العظام والأظافر والشعر يمكن أن تتأثر. فقد يكون الاختلاف في درجة التأثر وكمية المخدر. كما أنه لا يوجد مخدر ليست له آثار.. حتى ولو كان في أقل تركيزاته.

ولأن كل تلك المخدرات تجد طريقها إلى جسم الإنسان إمّا عن طريق الشم أو الحقن أو البلع فإني أرصد هنا آثارها الضارة في الأجهزة المختلفة لجسم الإنسان مستندًا في ذلك على أضرارها الصحية المباشرة وغير المباشرة.

الأضرار الصحية المباشرة للمخدرات

المنبهات والمنشطات:

في أقل صورها تتمثل في النيكوتين الموجود في التبغ والسجائر والكافيين الموجود في الشاي والبن والكاكاو والمرطبات الفوارة.

وتدخل تحت المنشطات عقاقير الأمفيتامينات وأشباه الأمفيتامينات والقات وغيرها من المنشطات المصنعة.

(١) الإمفيتامينات :

تستعمل لزيادة اليقظة والسهر وتستخدم لعلاج الزكام وكمضعف للشهية ومنقص للوزن. . . وفي نطاق ضيق تستعمل طبيًا لعلاج بعض حالات الاكتئاب والصرع وبعض حالات الشلل .

أهم أعراض الإدمان على الأمفيتامين :

(١) الإصابة بالهلوسة السمعية .

(٢) فقدان الاتزان والحكم الصحيح على الأمور والشك في الناس وهذا يؤدي إلى الانطواء والعزلة .

(٣) الإصابة بمرض باندنج (Panding) ومن مظاهر هذا المرض القيام بنفس الأعمال مرات متوالية دون انتباه أو إدراك لذلك .

(٤) اصطكاك الأسنان .

(٥) السلوك الآلي الهستيري .

ومن أضراره أيضًا زيادة الإثارة والتصرفات غير الإرادية وزيادة الأرق والاتجاه إلى العنف .

أما بالنسبة لأضراره على الجهاز الهضميّ :

فهو يؤدي إلى اضطراب الجهاز بأكمله، فينتج عنه العزوف عن الطعام والإحساس بالشبع والامتلاء، ونتيجة لذلك يحدث الهزال والضعف العام وفقر الدم .

(٣) الكوكايين (Cocaine) :

هو مسحوق بلوري أبيض يستخرج من أوراق الكوكا (Cocaleaves) والتعاطي المستمر منه يؤدي إلى الإدمان، و التعاطي إما عن طريق الاستنشاق أو الحقن في الوريد بعد إذابته في الماء .

ـ يقوم الكبد بإتلاف الكوكايين كما أن الكليتين تقومان أيضًا بإتلاف جزء منه، وزيادة كمية الكوكايين بكثرة خلال حقنة واحدة أو تنشقه بكثرة على





ولأنه يسبب اضطرابًا زائدًا فهو يساعد على السهر، ونجد أن بعض الطلبة يستعملونه للسهر قبل الامتحانات حتى يستذكروا دروسهم ولكنه دائمًا يؤدي إلى نتائج عكسية، فبما أنه ينبه الجهاز العصبي تنبيهًا شديدًا فهو يؤدي إلى حدوث حالة اضطراب عقلي تشبه إلى حد كبير الانفصام الهذائي ولهذا يتوهم الطالب أنه قد أجاب الإجابة الكاملة بينما يكون في الواقع قد أفرز على ورقة الإجابة كل مظاهر الهذيان والتفكير المشوش وعدم ترابط الإجابة .

(٢) القات : Kat

لقد أجريت التحليلات الكيماوية لمعرفة الجواهر المؤثرة الموجودة في هذا النبات فكان أهمها هو القاتين والقاتيون والقاتينين .

ــ أما تأثيره في الجسم فهو يحدث في البدء شيئًا من التنبه العصبيّ يدوم وقتًا قصيرًا ثم يعقب ذلك هبوط وتثبيط وتخدير في القوى العقلية، يتبع ذلك ذهول يرافقه توسع حدقة العين وتهيج في الجهاز العصبي مما يسبب اضطرابات عصبية قد تؤثر في القلب .

غشاوة مخاطية ملتهبة بسبب تسممًا حادًا .

الكوكايين منبه للجهاز العصبيّ المركزي حيث يمتد مفعوله من المراكز العليا في الجهاز العصبيّ إلى النخاع الشوكي، ويؤدي إلى زيادة الحركة واختفاء الحياء، وأحيانا يؤدي إلى هياج حركي وزيادة في القوة العضلية وعدم شعور بالتعب وعدم خوف من المخاطر. وتعاطيه يؤدي إلى التقليل من شهوة الطعام فلا يشعر بالجوع، ويوسع بؤبؤ العين وتسارع ضربات القلب واضطراب وارتفاع ضغط الدم وارتفاع حرارة الجسم، ويدوم الحال كذلك ساعتين ثم تختفي النشوة وتظهر تشوشات الأفكار وهلوسات سمعية ولمسية ثم يعقب ذلك النعاس. وقد يؤدي تعاطي الكوكايين أحيانًا إلى اضطرابات قلبية تنفسية مع موت فجائي نتيجة شلل عضلات القلب .

والمدمن بعد فترة من التعاطي المتواصل يظهر خاملاً مترنحا في مشيته وئيد الحركة، و إذا تكلم فهو هراء غير مترابط، وعند زيادة الجرعات أكثر قد يصاب المدمن بالجنون أو العته أو الاضطرابات العقلية .

(٤) الكافيين (Caffein)

منبه للجهاز العصبيّ ومدر للبول فهو يعطل عادة امتصاص سوائل البول من شعيرات الكلية ولذلك يزداد إفراز البول عند التعاطي الكثيف، كما أنه يرفع تمثيل العضلات الإرادية فيزداد تحمل الشخص للتعب والعمل الجسمي، ويؤثر الكافيين على العصارة المعدية فيزيدها كما أنه ينشط خمائر الكبد. الأمر الذي يجعل المسرفين في شرب القهوة أو الشاي يحتاجون إلى كميات أكبر من الأدوية التي يصفها لهم الأطباء لأنها تبقى في الدم فترة كافية لتأتي بالتأثير المطلوب وذلك بسبب نشاط خمائر كبد متعاطي القهوة بإسراف.

- الكافيين يرفع نسبة الدهنيات في الدم والسكر مما يؤثر في عضلة القلب حيث يؤثر بدوره في سرعة النبض وعدم انتظامه وارتفاع ضغط الدم وحدوث جلطة القلب في المتعاطين والمسرفين.

ويسبب الكافيين ومشابهاته الشعور بالنشاط والخفة والنشوة.

كما يؤدي استخدام جرعات كبيرة منه إلى القلق والتوتر ورجفة اليدين وخلل المهارات الحركية.

(٥) النيكوتين (Nicotine)

يقول تقرير الكلية الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة (بريطانيا) والصادر في عام ١٩٧٧م: **«إن كمية النيكوتين الموجودة في سيجارة واحدة كفيلة بقتل إنسان في أوج صحته لو أعطيت له هذه الكمية من النيكوتين بواسطة إبرة في الوريد»**.

التدخين والإدمان:

يقول تقرير الكلية الملكية للأطباء بعد مسح شامل للشباب المراهق ما بين العاشرة إلى العشرين وجد أن ١٥٪ فقط ممّن دخنوا سيجارة واحدة أفلتوا من براثن إدمان التدخين، أي إن ٨٥٪ ممن دخنوا سيجارة واحدة وقعوا في براثن التدخين - وهذه النسبة عالية جدًا ولا تكاد توجد في أعتى المخدرات، ولا نجد ما يشابه ذلك إلا في المورفين والهيروين وهما أعتى المخدرات وأشدها تسببًا للإدمان وأضرارها الصحية.

- **التأثيرات التي يسببها النيكوتين على أجهزة الجسم:**

- ينشط النيكوتين المخ بجرعات صغيرة ويهبطه في الجرعات الكبيرة.

- يؤثر في الجهاز التنفسي حيث يسبب سرطان الرئة وسرطان الحنجرة والالتهاب الشعبي المزمن والأمفيزيما.

- يؤثر في القلب والجهاز الدوري حيث يسبب جلطات القلب وموت الفجأة وجلطات الأوعية الدموية للمخ وما ينتج عنها من شلل واضطراب الدورة الدموية في الأطراف وجلطاتها.

- يؤثر في الجهاز الهضمي حيث يسبب سرطان الشفة وسرطان الفم والبلعوم وسرطان المريء وقرحة المعدة والاثني عشر وسرطان البنكرياس.

- يؤثر في الجهاز البولي حيث يسبب أورام المثانة الحميدة وسرطان المثانة وسرطان الكلى.

- يؤثر في المرأة الحامل حيث يسبب كثرة الإجهاض.

المهبطات وتأثيراتها الصحية:

(١) **الأفيون**: إدمان تعاطي الأفيون الخام الناتج من كثافة تعاطيه يختلف عن الإدمان على مشتقاته، **إن تعاطي الأفيون يؤدي إلى:**

- فقدان الشهية والهزال والضعف الجنسي.
- اضطراب العادة الشهرية عند النساء.
- تقيح الجلد. - تسمم الدم والتهاب الكبد - الإصابة بالزهري والأمراض الخبيثة نتيجة الحقن باستخدام إبر غير معقمة - التسمم والوفاة والانتحار.
- الانطواء والانزواء عن الآخرين ومصاحبة المدمنين، الانحرافات السلوكية كالسرقة والدعارة وغيرها.
- إحداث الاعتماد النفسي والعضوي، فيشعر المدمن بعد مدة قصيرة إلى ما يقرب من أكثر من يوم كامل بأعراض منها:
- الإلحاح في طلب العقار، القلق الزائد، ارتخاء العضلات والتثاؤب، عدم الاستقرار، تصبب العرق وزيادة إفرازات الأنف والعينين، تمدد بؤبؤ العين، فقدان الشهية، انكماش الجلد واختلاج العضلات، اضطراب الإحساس والشعور بالسخونة والبرودة وآلام العظام والعضلات، الأرق وارتفاع ضغط الدم وسرعة النبض والتنفس، الغثيان والقيء والإسهال، فقدان ونقصان الوزن، ارتفاع السكر في الدم.

(٢) **الهيروين والمورفين:**

المورفين والهيروين هما أخطر المواد التي يتناولها الإنسان بواسطة الحقن، وتكفي حقنتان أو ثلاث متتابعة لتسبب الإدمان في حالة الهيروين، بينما يحتاج المورفين إلى تكرار الحقن لمدة أسبوعين بواقع حقنة يوميا حتى تحدث حالة الإدمان على المورفين. ويستخدم الهيروين أيضًا عن طريق الشم.

* **إن معظم الأضرار الصحية الناتجة عن استخدام الهيروين والمورفين تأتي من الأسباب التالية:**

أ - **الحقن غير المعقمة**: بواسطة الزرق بالوريد وهي من أخطر وسائل أنواع التعاطي إذ إن ذلك يدخل أنواعًا مختلفة من الفيروسات والبكتريا والطفيليات والفطريات إلى دم المتعاطي ويؤدي بالتالي إلى ظهور أمراض خطيرة وقاتلة.

ب - **حدوث الإدمان**: حيث يضطر المتعاطي أن يزيد الجرعة شيئا فشيئًا



حتى يحصل على الأثر النفسي المنشود. وقد سجل الأطباء وجود حالات إدمان للهيروين يتعاطى منها المدمن خمسة آلاف مليجرام من الهيروين النقي يوميًا، وتكفي في العادة عشرون مليجراما لقتل إنسان غير مدمن ونقله فورًا إلى العالم الآخر.

ج ـ وجود مواد مغشوشة : طلبًا لمضاعفة الربح يقوم التجار بوضع مواد مغشوشة مع الهيروين والمورفين، وهذه المواد بحد ذاتها سامة حيث تسبب أنواعًا من الالتهابات والإنتانات في جسم المتعاطي.

د ـ نوبات من التسمم الحاد: بسبب زيادة الكمية فجأة أو بسبب عدم معرفة الهيروين النقي الموجود في الجرعة.

هـ ـ نوبات سحب العقار : ترتبط ظاهرة سحب العقار (Withdral Symptoms) أو الامتناع بمجموعة من المخدرات أهمها: الأمينونات (الهيروين والمورفين) والكحول، والباربيتورات، وترتبط ظاهرة الامتناع بظاهرة أخرى هي ظاهرة التحمل (Tolerance) والتي يحدث فيها أن الجسم يقوم بتحطيم العقار بسرعة.

ـ إن الخلايا العصبية تتعود على الكمية المعينة من العقار فلا تعود تؤثر فيها، لذلك كله يحتاج المتعاطي باستمرار إلى زيادة الجرعة وإلى تكرار الجرعة في أوقات متقاربة، ولا تمضي على مدمن الهيروين أو المورفين سوى بضع ساعات حتى يشعر بقلق شديد ويتثاءب وتنسكب دموعه لا إراديا ويزداد إفراز الأنف، كما يزداد إفراز العرق رغم أن الجو قد يكون باردًا، ويكثر العطس والحكة في الأنف، وآلام شديدة في القدمين والبطن والإسهال الشديد، كما يكثر إفراز اللعاب بطريقة مزعجة جدًا، والوهن والضعف الشديد، والرعب النفسي.

* ولتفسير أعراض الامتناع نجد أن لدى الإنسان مجموعة من الموريفينات الدماغية والجسدية الطبيعية، فإن تناول الموريفينات الخارجية (المورفين، الهيروين أو مشتقاتها) أدى ذلك إلى قلة إفراز الموريفينات الدماغية والجسدية الطبيعية والتي بدورها تساعد على إفراز الهرمون المنمّي للغدة الكظرية.

ويحدث رد فعل عنيف من الجسد وتنعكس كل الآثار الاقرباذينية التي كان يحدثها الهيروين والمورفين.

فالهيروين أو المورفين يسبب انقباض حدقة العين، فتتسع عند سحب العقار والهيروين يسبب حركة المعدة والأمعاء مسببًا الإمساك فتكثر الحركة ويحدث الإسهال... وهكذا ـ ويكون العذاب والبؤس أشد في حالات سحب الهيروين.

*** أهم الأمراض التي تنتشر لدى مدمني الهيروين بسبب الغزو الميكروبي:**

(١) مرض الإيدز (مرض فقدان المناعة المكتسبة):

ـ حيث يشكل مدمنو المخدرات وخصوصًا الهيروين الذي يتناولونه زرقًا بالحقن ١٧ ـ ٣٠٪ من مجموع حالات الإيدز في الولايات المتحدة وأوروبا.

يسبب هذا المرض فقدان المناعة حيث يهاجم الفيروس الخلايا اللمفاوية من نوع (T4) وهي المعروفة بالخلايا المقاتلة التي تصد العدوان من الفيروسات وغيرها وتصيب الإنتانات في مرض الإيدز مختلف أجهزة الجسم وأهمها الرئتان، حيث تصاب بالطفيلي في الرئتين (Pneumocystis Carini) والذي يعتبر أهم أسباب الوفيات في حالات الإيدز.

أمّا إصابات الجهاز العصبي فمتعددة حيث إن فيروس الإيدز يصيبها مباشرة، هذا بالإضافة إلى الفيروسات مثل الهربس، وسيتوميجالوفيرس، والبكتيريا، والطفيليات، والفطريات المختلفة / ويصاب الجهاز الهضمي بإصابات مختلفة أهمها إسهال شديد ومتكرر يبلغ ٢٠ ـ ٣٠ مرة يوميا بسبب طفيلي يدعى (البوغيات المختفية) (Crypto spororodium).

(٢) التهاب الكبد الفيروسي من نوع (B).

حيث ينتشر في الدول الغربية لدى الفئات التالية ـ الشاذين جنسيًا.

ـ مدمني المخدرات وبالذات الهيروين حيث يتعاطونه زرقًا بالوريد.

ـ الذين يعملون في وحدات الكلى الصناعية (الديلزة) والمرضى الذين يحتاجون للديلزة المتكررة.

والتهاب الكبد الفيروسي خطير جدًا لأن نسبة كبيرة من المصابين يتحولون إلى الإصابة النشطة المزمنة (Chronic Active hepatitis)، ونسبة أخرى تتحول إلى تليف الكبد (Liver Cirrhosis) وهو مرض خطير ومميت، إضافة إلى أن ١٥٪ ممن أصيبوا بالتليف الكبدي يصابون بسرطان الكبد (Hepatoma)

(٣) الإنتان الدموي (Septica emia)

تنتقل الميكروبات بواسطة الحقن أو المواد المغشوشة إلى الدم ومنه إلى الأعضاء الهامة مثل القلب فتسبب التهاب غشاء القلب الداخلي الحاد أو تحت الحاد (Acute or Sub acute Endocarditis)

ولا تكتفي الميكروبات بتحطيم الغشاء الداخلي للقلب بل تحطيم الصمامات وخاصة الصمام الأورطي والميترالي وقد تصيب أيضًا الصمام ذا الثلاث شرفات (Tricuspid Vale).

ـ ويصيب الدماغ بالتهاب الدماغ (Encephalitis) وتحدث خراريج بالدماغ كما يحدث التهاب بالسحايا (Meningitis)

ـ وتصاب الرئتان بالتهابات متعددة كثيرة منها التهاب رئوي وخراج الرئة (Lung Abcess) والتهاب البلورا وارتشاح في الرئة وارتفاع في توتر الشريان الرئوي.

ـ وتنتشر الملاريا ومرض الزهري بواسطة الحقن لدى مدمني الهيروين.

وكثيرًا ما تلتهب الأوعية الدموية والأوردة نتيجة تكرر الحقن فيها، ويؤدي ذلك إلى تخثر الدم وتجلطه فيها.



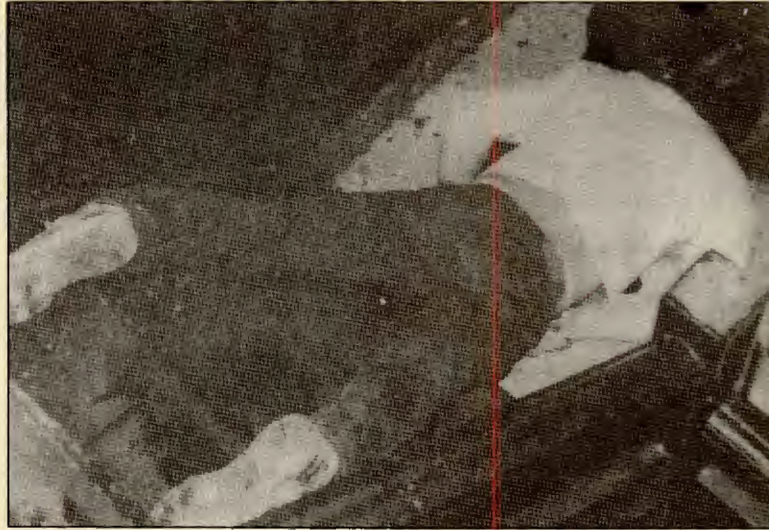
المخدرات
تلوث الجسد والروح

ـ و ينتشر لدى مدمني الهيروين أيضًا مرض الكزاز «التتانوس» .

ــ وتحدث التهابات كثيرة متكررة تحت الجلد ومنها التهاب الفلغوني (Cellulitis) ووجود خراريج وقروح متصلبة .

*** تأثير الهيروين والمورفين المباشر على أجهزة الجسم :**

إن عمل الهيروين والمورفين هو مثبط للجهاز العصبي وخاصة على الدماغ حيث يبدأ التثبيط على مراكز الدماغ العليا في القشرة، ويؤدي ذلك إلى بطء عملية التفكير وفقدان العواطف الحادة أولاً، ثم العواطف بصورة عامة، ولهذا يفقد المتعاطي الإحساس بالألم والشعور بالضيق وغيرها من العواطف، وينتابه خمول تام وتخف سرعة التنفس وعمقه بسبب التثبيط لمراكز التنفس في النخاع المستطيل (Medulla oblongate) وينبه الهيروين والمورفين مراكز القيء ويؤدي ذلك إلى الغثيان والقيء المتكرر، وكثيرًا ما يؤدي تثبيط مراكز التنفس إلى احتقان الرئة بسبب تراكم CO2، في الدم ثم هبوط في الدورة الدموية .



ـ تكرار استخدام الهيروين أو المورفين يؤدي إلى ضمور الدماغ وإلى حدوث حالات الجنون (الخرف Dementia) كما تحدث نوبات من الهذيان متكررة ويزداد لدى مدمني الهيروين إصابات الجهاز العصبي .

كذلك فإن هناك زيادة في حوادث انضمام الشرايين المخية (Cerebral em-bolism) وزيادة في جلطات الدماغ والسكتات الدماغية (Strokes) ويحدث تحلل إسفنجي في المادة البيضاء في الدماغ .

وكثيرًا ما تحدث لمتعاطي الهيروين أو المورفين نوبات إغماء (Coma) وقد تكون هذه النوبات طويلة وعميقة بحيث يتوفى الشخص في أثناء هذه النوبات .

(٣) المنومات الباربتورية (BARBITURATES) :

يتم تصنيفها من مشتقات حامض الباربيتوريك ويدخل في تركيبها كثير من المركبات الكيميائية .

وهي تضر بوظائف القشرة المخية، كما أن أضرارها تصيب أيضًا مراكز التنفس عند المتعاطي، وسوء استعمال هذه العقاقير يؤدي إلى الإدمان واضطرابات في الاتزان الحركي والإصابة بنوبات تشنجية عنيفة ومفاجئة .

٤ ـ الكحول أو الخمر :

الخمر هي الأشربة التي بها كمية من الكحول .

والكحول اسم عام يطلق على جملة من المركبات الكيماوية لها خصائص متشابهة ومكونة من ذرات الهيدروجين والكربون وآخرها مجموعة هيدروكسيلية آي ذرتي أكسجين وهيدروجين .

وتشمل :

البيرة ونسبة الكحول فيها من ٢ ـ ٨ ٪

والأنبذة الخفيفة كالشمبانيا ونسبة الكحول فيها من ٥ ـ ١٠ ٪

والأنبذة القوية كالشري والبودت ونسبة الكحول فيها من ١٠ ـ ٢٠ ٪ .

والخمور المقطرة وهي الويسكي والروم والبراندي والعراقي ونسبة الكحول فيها من ٤٠ ـ ٦٠ ٪

إضافة إلى الكحول الإثيلي والكحول الميثيلي والأسبريتو والعرقي .

تأثير الكحولات على أجزاء الجسم :

(**يقول الدكتور سيدني كاي في كتابه علم السموم** أن الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في خمسين في المائة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة . ويقول آخر في تقرير لهيئة الصحة العالمية والذي نشرته صحيفة الديلي ميل في ٢٦/ ٦/ ١٩٨٠م .

إن ٨٦ بالمائة من حالات القتل و ٥٠ ٪ من حالات الاغتصاب وجرائم العنف تمت تحت تأثير الكحول) كتاب الخمر بين الطب والفقه ـ وهذا يؤكد لنا فداحة أضرارها وبشاعتها .

وفيما يلي سنوجز أهم الآثار والأمراض العضوية والعصبية والذهنية المرتبطة بالكحول كما ورد في كتاب الإدمان أسبابه ومظاهره ـ الوقاية والعلاج .

أ ـ الأمراض العضوية :

١ ـ **الأوعية الدموية** في الأطراف تتوسع نتيجة شلل مؤقت بالمركز الدموي الحركي في النخاع المستطيل فيشعر المتعاطي بالدفء لتدفق الدم في الأطراف وإن كان الجسم يفقد حرارته في واقع الأمر بحيث إنه عندما يتعرض المتعاطي للبرودة الشديدة في هذه الأثناء يتعرض لغيبوبة فالموت المحقق .

٢ ــ **زيادة إدرار البول** ومرجع هذا من الناحية العضوية تأثر الغدة النخامية وهبوط إفراز التحكم في إدرار البول من الغدة النخامية .

٣ ـ **يزيد إفراز الحامض المعدي** عند تعاطي جرعات متوسطة من الخمر وهذا يؤدي إلى زيادة الحموضة في المعدة وبالتالي حدوث قرحة في المعدة وتقرح في الأثني عشر وحدوث نزيف وانفجار الاثني عشر أو مكان التقرح .

أما عند تعاطي الجرعات الزائدة يهيج نسيج المعدة ويسبب التهابات .

٤ ـ **تسبب الغثيان والقيء** لتنشيطها مركز الغثيان في النخاع المستطيل

٥ ـ **ترفع نسبة السكر في الدم** والسبب هو قلة استهلاك أنسجة الجسم للسكر أثناء التعاطي فتحدث غيبوبة ودوخة أحيانًا .

٦ ـ **اضطرابات خلوية** تحدث أضرار عامة بالوظائف الخلوية بالجسم وتعطلها عند كثافة التعاطي .

٧ ـ ازدياد الرغبة الجنسية وإن كانت السبب وراء العجز الجنسي وضعف القدرة الجنسية عند الذكور ومرجع هذا تأثر أعصاب العضو التناسلي الذكري وتأثير الغدد التناسلية وانخفاض هرمونات الذكورة في الدم.

٨ ـ الاضطرابات الكبدية : و التي يصاب بها حوالى ٢٥٪ من المدمنين والمتمثلة في ثلاثة أنواع من الاضطرابات هي :

I ـ التشريب الذهني الكبدي : بحيث تتضخم الكبد ويشعر المتعاطي بالإعياء نتيجة لتراكم الدهون في الكبد في المراحل المبكرة من التعاطي.

II ـ الإلتهاب الكبدي الحاد : يحدث عند زيادة الجرعات وأعراضه ارتفاع درجة حرارة الجسم وفقدان الشهية والإعياء وآلام البطن واليرقان وقد تحدث الوفيات في حوالى ١٠ ـ ١٥ ٪ من المصابين، أو قد تودي عند ٣٠٪ من المصابين إلى تشمع الكبد «التليف».

III ـ التليف الكبدي : وهي حالة خطيرة من تراكم الألياف في الكبد واضطراب ضربات القلب وحدوث دوالي المريء، وتمدد أوردة المعدة والبطن ويتبع هذه العادة فقر الدم ونقص الفيتامينات والبروتينات وتراكم الهرمونات الأنثوية في الدم وعند تفاقم الاضطرابات العضوية قد يحدث قيء دموي نتيجة نزيف من المريء والمعدة والبطن مما يودي بحوالى ٢٠٪ من ا لمصابين بتليف الكبد.

٩ ـ اضطراب الجهاز الدوري : نتيجة لانخفاض فيتامين ب الناتج عن تأثير الكحول تتأثر عضلة القلب ومن أعراضه ضيق التنفس وسرعة التعب لأي مجهود وتورم القدمين وكثرة السعال.

١٠ ـ اختلال تركيب الدم :

نتيجة للتعاطي الكثيف تحدث الإصابة بفقر الدم وازدياد سيولته ونقص الصفائح الدموية مما يتسبب عنه تجلط الدم.

١١ ـ اضطراب الجهاز التنفسي : نتيجة للمناعة الضعيفة وكون الجهاز التنفسي مجهدًا عند التعاطي الكثيف يتعرض المتعاطي للإصابة بالسل الرئوي نتيجة لسوء التغذية ونقص الفيتامينات.

١٢ ـ تورم وضمور العضلات : بسبب النخر الحاد في خلايا النسيج العضلي في جسم المتعاطي يحدث تورم وضمور في العضلات.

١٣ ـ رعشة اليدين : يشكو المتعاطي عند إسرافة في الشراب من إهتزاز ورعشة اليدين وعدم ثبات الاتزان الحركي عند الاستيقاظ من النوم في الصباح المصحوبة بالقلق والغثيان والإعياء والرغبة الملحة في تعاطي الخمر.

١٤ ـ العمى الكحولي : يحدث ضمور في اعصاب الإبصار قد يؤدي إلى العمى عند زيادة نسبة الكحول وخاصة في الأنواع الرخيصة من الخمور.

ب ـ الأمراض العصبية : ومنها :

١ ـ خدر الجهاز العصبي المركزي وتعطيل وظائفه نتيجة لتعطيل المراكز المخية الخاصة بالشبه واليقظة والتركيز والحواس والانفعالات.

٢ ـ تتعطل مراكز الجهاز العصبي اللامركزي في النخاع المستطيل في حالة زيادة التعاطي حيث تتأثر وظائف القلب والتنفس وقد تفضي الحالات المزمنة إلى الموت عند تأخر إسعافه.

٣ ـ النوبات الصرعية : تحدث عند ١٠ ٪ من المدمنين وتحدث عند الإقلاع عن التعاطي وتظهر في المادة بعد حوالى ١٢ ـ ٣٦ ساعة آخر جرعة من تناول الخمر وهي لا تستجيب لمضادات التشنج مثل أنواع الصرع الأخرى.

٤ ـ اختلال التوازن : نتيجة لضمور خلايا المخ وفقدان السيطرة على الاتزان الحركي، يحدث اختلال في التناسق العضلي الحركي وينتج عن ضمور الخلايا ارتخاء عضلات الجسم مما يتسبب في ارتعاش اليدين والقدمين والترنح واهتزاز حركة العينين وتلعثم في الكلام.

٥ ـ تهبيط أفعال الجهاز العصبي في الشخص العادي يتم عندما يصل تركيز الكحول في الدم إلى ٣٠ ـ ٤٠ مجم٪

٦ ـ التهاب الأعصاب المحيطية : حيث تبدو مظاهر التنميل في القدمين والكفين والذراعين والساقين ويرجع هذا إلى نقص وخلل في وجود فيتامين (ب،) وتعالج هذه الأعراض بإعطاء المريض كميات كبيرة عن طريق الحقن من فيتامين(ب).

ج ـ الأمراض الذهنية : وتتمثل في :

١ ـ السكر والتسمم الباثولوجي أو ما يعرف بالتسمم الحاد (Pathological Intoxication) وتحدث هذه الحالة عند عدم انتظام التعاطي، ومتعاطي كميات غير كبيرة من الكحول بل معتدلة تعتريهم حالة انفعالية عارضة



ويحدث خلط في الاتجاه الزماني والمكاني وهلاوس وتشوهات حسية وخداع بصري.

وأعراض التسمم الحاد تستمر لمدة يوم كامل أو أطول من ذلك كما أن التغير الانفعالي يعقبه سبات طويل يفيق من بعده وقد نسي الواقعة.

٢ ـ هذاء الارتعاش (Dilirium Tremens)

تظهر عند التعاطي الكثيف من الكحول بحيث يحدث هذا الاختلال عند الأفراد في متوسط عمر زمني ٣٠ سنة والذين عاشوا مدمنين مدة ٣ ـ ٤ سنوات. ومن الاضطرابات الجسمية لهذا الهذيان اتساع حدقة العين والارتعاشات في اليدين والأصابع والوجه واللسان واضطراب النبض والخلط الزمني والمكاني والعجز الشديد في تركيز الانتباه ويصاحب هذا الاضطراب في العادة مخاوف مفزعة وتخيلات غير واقعية كتصور حيوانات قارضة تقرض لحمه.

ومن مسببات هذا الهذيان اضطراب النوم والعجز عن تناول الطعام وطول فترات الأرق وعدم الاستقرار ــ ويستمر هذا الارتعاش من ٣ ـ ١٠ أيام فإذا أدخل المريض المستشفى وعولج بنظام تغذية جيد غني بالفيتامينات والسكريات وفترة النقاهة تسبقها فترة سبات عميق يضيق منها المريض حيث يكون الإدراك غير متكامل.

٣ ـ ذهان كورساكوف (Korsakoff's Psycosis)

يفسر العالم سيرجي كورساكوف هذا الذهان على أنه التهاب في بعض الأعصاب المعينة والأعراض الخاصة بهذا الذهان هو فقدان الاتجاهات المكانية والزمانية وعدم القدرة على تمييز الوحدات القريبة المباشرة.

وفي هذا الذهان يحدث تلف في القشرة المحية والأعصاب المحيطة في المخ ويمكن تعويض نقص فيتامين ب بإعطاء المريض كميات كافية من خميرة البيرة واللبن والفاكهة والبيض واللحم ويستعيد المريض صحته خلال ٦ ـ ٨ أسابيع وقد يتم التحسن من غير أن تعود للمريض ذاكرته، كما قد تتدهور صحته النفسية بحيث يحدث له عجز عقلي وتدهور خلقي في نفس الوقت.

٤ ـ أعراض فيرنيك (Wernick's Syndrome)

وهو من مسببات الإدمان وناتج عن نقص فيتامين الثيامين.

ومن أعراض المرض فقد الذاكرة واضطراب الحس البصري والتبلد والخلط والغيبوبة ومن مضاعفات المرض عند تدهور الحالة تحلل في أعصاب المخ وحدوث نزيف في أوعية الدم والتعرض للإصابة بالبلاجرا، وهذيان الارتعاش وذهان كورساكوف.

٥ ـ الهلوسة الكحولية (Acute Hallucinosis)

حيث تحدث هلاوس سمعية تتمثل في طنين أو أزيز أو أصوات حادة يخيل إليه أنها تسبه أو تأمره أو تسخر منه.

وفي العادة تحدث الإصابة بالهلوسة الكحولية بين حوالى ٦٪ من المدمنين حتى بعد الكف والامتناع عن تعاطي الخمر.

٦ ـ السكر المرضي: (Pathological Drunkennes)

وهي الإصابة الناجمة عن تعاطي جرعات صغيرة من الخمر لا تسبب السكر للشخص العادي والتي تحدث عند بعض الأفراد وحيث يصابون بنوبات من الهياج الشديد والهذيان والعنف وما يتبع ذلك من فقدان الوعي والذاكرة.

وهذه التغيرات من الناحية الباثولوجية تحدث في المخ وتتماثل هذه التغيرات مع بعض أنواع الصرع.

٧ ـ الانحلال الكحولي (Alcoholic Deterioration)

وهو الاضطراب والانحلال في الشخصية والاختلال العقلي نتيجة الافراط المزمن والمكثف في تعاطي الخمر حيث نجده سريع الانفعال وحاد المزاج بينما يكون هادي الحس مع رفاق الشراب.

وفي كثير من الأحيان تتعطل وظائف حيوية لديه فيصبح:

أ ـ من الناحية العقلية: كثير النسيان، بطيء الفهم، مشوش الأفكار، مشتت الانتباه.

ب ـ من الناحية النفسية: تتبدد طموحاته، يزداد يأسه، يفقد اهتماماته بنفسه ويطلب من أسرته إعالته.

ج ـ من الناحية الاجتماعية: يتهم الزوجة بالإهمال والخيانة ويسيء معاملتها.

د ـ من الناحية الخلقية: ينحرف جنسيًا، يعتمد على الآخرين ويستخدم السباب وفاحش الكلام.

هـ ـ من الناحية العضوية: أعراض كثيرة منها (الغثيان الشديد، وفقدان الوعي، والضعف العضلي، بطء الاستجابات، الارتعاشات المستمرة).

٨ ـ الغيرة المرضية من مسبباتها إدمان الكحول والضعف الجنسي للمدمن نتيجة للاضطراب العصبي واشمئزاز الزوجة أثناء السكر مما يجعل المدمن يحتقر زوجته ويهينها وتأكيد ظنونه وشكوكه في سلوكها.

٩ ـ التجول: نجد أن المدمن ينتقل من مكان لآخر وهو فاقد الحس والإدراك تحت تأثير الخمر. من الشعور.



الأضرار الصحية غير المباشرة التي تسببها المخدرات

هناك أضرار صحية غير مباشرة يتسبب فيها تعاطي المخدرات ولا تقل أهمية عن الأضرار المباشرة.

فالثابت علميا أن الذين يتعاطون المخدرات يؤثرون تأثيرًا مباشرًا على أطفالهم ابتداءً من طور الأجنة حيث يتأثر الجنين تأثيرًا كبيرا بما يصله من غذاء ملوث من أمه وفي كثير من الأحيان يولد الأطفال وهم يعانون من تخلف عقلي أو تشوهات خلقية هذا بالإضافة إلى أن أعدادًا كبيرة منهم يولدون وهم يعانون من الإدمان.. فقد جاء في كتاب «المخدرات والعقاقير المخدرة»:

أنه في دراسة للدكتور ستيفن كاندال الخبير بظاهرة الإدمان قامت بتوزيعها

وكالات الأنباء الأمريكية في أواخر ١٩٨٦م لكي تقول أن ظاهرة الرضع المدمنين شائعة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن المرأة الأمريكية المدمنة للكوكايين أو الهيروين أو المورفين على سبيل المثال تلد طفلا به كل الانحرافات النفسية لأن دمه وجهازه العصبي قد تشبعا قبل نزوله إلى الدنيا وهو في رحم أمه بالمخدر اللعين . . . ومن ثم فالرضيع يبدأ حياته مدمنا تنتابه النوبات المزاجية الحادة المصحوبة بالتقلصات والركل والصراخ لأنه في هذه الحالة يكون مثله مثل المدمن بحاجة إلى العلاج من آثار المخدر الذي تشبع به دمه وجهازه العصبي.

ويؤكد أحد أطباء الصحة النفسية بالطائف أن أطفال المدمنين يكونون ضعاف البنية وأكثر عرضة للاصابة بالأمراض.

وقد ذكر دكتور البار أن الباحثين قد لاحظوا زيادة في ولادة الأطفال الموتى "STILL BIRTH" لدى المدخنات بالمقارنة إلى أمثالهن من غير المدخنات وقد وجد أن التدخين بعد الشهر الرابع له الأثر الأكبر في تسبب تلك الوفيات.



وقد أثبتت الدراسات الطبية أن ٥٠٪ من الحوامل يتعرض لزيادة ضربات قلوب أجنتهن إذا هن قمن بالتدخين وزيادة ضربات قلب الجنين هي علامة على نقص الأكسجين في دمه كما يدل على أن الجنين يعاني من بعض المصاعب التي تهدد حياته.

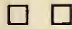
وهناك مرض فقر الدم الذي يصيب المدمنين لأنهم يكونون قد استبدلوا بالطعام الخمر أو المخدرات فتضعف شهيتهم وتذبل أجسامهم.

على أن من الأمراض العقلية التي تصيب المدمنين عدم مقدرتهم على إدراك التصرف السليم واندفاعهم بوحشية لتحقيق مآربهم وهم في ذلك يتخلون نهائيا عن إنسانيتهم وآدميتهم وقد جاء في مجلة التايم (١٩٨٩م) ـ وصف تقشعر له الأبدان لمجزرة ارتكبها مروجو وتجار المخدرات في المكسيك على حدود الولايات المتحدة فقد اتضح أنهم قاموا بقتل ثلاثة عشر شخصا وخلطوا دماءهم بدماء السلاحف والغنم وأدمغة القرود وذلك لاستعمالها كسحر يبعد عنهم أعين رجال الأمن ويجعلهم يروجون تجارتهم دون أن يتعرض لهم أحد. إلى هذا الحد تملكهم جنون المخدرات فلم يعودوا يعرفون الخطأ من الصواب. ومن ناحية أخرى فإن تأثير المخدرات على الرياضيين وأنديتهم وبالتالي سمعة بلادهم تأثير حقيقي فقد كتب الدكتور محمود إبراهيم (١٩٨٩م)ـ يقول إن اللاعب متعاطي المخدرات يكون شارد الذهن في الميدان ضعيف البنيان يفتقد المهارة الفردية وتتغير الفسيولوجية التنفسية بالنسبة له إلى الأسوأ وتقل نسبة الهيموجلوبين الموجودة في كرات الدم الحمراء وهي التي تحمل الأكسجين للعضلات.

أما بالنسبة لاستخدام العقاقير كوسائل مساعدة لرفع مستوى الأداء الرياضي فهي من المحظورات التي تحرمها قوانين ولوائح الاشتراك في المسابقات لأنها ربما تساعده أثناء النشاط ولكنها تجعله من المدمنين وهي محظورة دوليا وربما تؤدي إلى شطب اللاعب نهائيا وآخر مثال هو العداء الكندي بن جونسون.

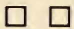
وفي الختام

فهذه بعض الأخطار التي تهدد الصحة العامة للإنسان والتي تتسبب فيها المخدرات رأيت أن أتناولها في هذا البحث علها تنير الطريق لأبناء جيلي فتدفعهم إلى العمل الجاد على محاربتها ومواجهة أخطارها. والله من وراء القصد . . .



المراجع

١ ـ جيمس لونق (١٩٧٧م).
الوصفات الطبية هاربر للنشر نيويورك.
٢ ـ دون اتبو جوناثان قرين (١٩٨١م)
ما جاء في الأقوال. دار أرو للنشر ـ لندن.
٣ ـ ريتشارد ودبري (١٩٨٩م).
طقوس الشيطان ذي الشعر الأحمر
مجلة التايم العدد ١٧ ـ ٢٣ أبريل ١٩٨٩م.
٤ ـ سيف الدين حسين شاهين (١٩٨٩م).
المخدرات والمؤثرات العقلية
الطبعة الثالثة ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩.
٥ ـ د. صديق حسين آدم (١٤٠٨)
كيف أصبحت مدمنا؟! جريدة البلاد ٨٨٨٠
الأربعاء ١٧ شوال ١٤٠٨ ـ ١٤ أكتوبر ١٩٨٨م.
٦ ـ عالم الاستشار العربي (١٩٨٩م).
كولومبيا وتجارة الموت الإسرائيلية، عن المجموعة العربية في بروكسل
٧ ـ د. عبد المجيد سيد أحمد منصور (١٩٨٦م).
الإدمان أسبابه ومظاهره ـ الوقاية والعلاج.
مركز أبحاث مكافحة الجريمة ـ الكتاب الخامس.
٨ ـ د. محمد علي البار (١٩٨٠م).
التدخين وأثره على الصحة، الدار السعودية للنشر والتوزيع.
٩ ـ د. محمد علي البار
الخمر بين الطب والفقه، الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الخامسة
١٠ ـ د. محمد علي البار (١٩٨٨م)
المخدرات والأثر الداهم (١)
دار القلم ـ دمشق ـ الطبعة الأولى
١١ ـ د. محمود إبراهيم (١٩٨٩م).
التدخين والمخدرات تضر بأنسجة الجسم، جريدة الشرق الأوسط العدد ٧٤٥ السبت ١٥ ربيع الأول ١٤١٠ ـ ١٩٨٩م.
١٢ ـ مركز أبحاث مكافحة الجريمة (١٩٨٥م)
المخدرات والعقاقير المخدرة
الكتاب الرابع ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، الرياض.





حقائق وغرائب:

الأخطبوط العملاق بين الأسطورة.. والحقيقة

ترجمة: نجلاء حسن حامد

لوقت طويل كان الأخطبوط العملاق محورًا لكثير من الأفلام والروايات الطويلة التي تصوره على أنه وحش دموي لا يتسبب في غرق السفن الكبيرة فقط ولكن يسحب الرجال من على ظهورهم إلى الأعماق، ولكن الحقيقة غير هذا، فإن الأخطبوط يتميز بالذكاء والخجل ولديه غريزة أبوية قوية حتى إن أنثاه تجوع حتى الموت أثناء حراستها للبيض . .

مُرأَس الأرجل

■ لا يدري أحد على وجه الدقة كم يزن الأخطبوط ولكن يمكن القول **بأن وزن الذكر البالغ يصل إلى ٢٣ كجم وتزن الأنثى حوالى ١٥ كجم، ويبلغ طول الذراع متران ونصف المتر** وفي عام ١٩٥٧م عُثر على أكبر **أخطبوط** من نوعه بالقرب من ساحل كندا الغربية فقد كان **يزن ٢٧٢ كجم وكان طول ذراعه ٩,٦ متر.**

ويتغذى الأخطبوط على نوعية واسعة من المخلوقات البحرية خاصة **السرطان الأحمر والأصداف البحرية** الأخرى، وفي الغالب يخرج للبحث عن طعامه أثناء الليل وعادة يحمل الأخطبوط الجائع فريسته عائدًا إلى مخبئه ليأكلها على مهل وتؤدة.

وينتمي الأخطبوط إلى مجموعة من الرخويات تُسمى مُرأَس الأرجل وتعني الحيوان ذا الأرجل الرأسية وهذا يعكس حقيقة أن الأذرع تنمو مباشرة من الرأس، ولكل أخطبوط ثمانية أذرع في حين أن مجموعة الحيوانات «ذوات الأرجل الرأسية» التي تضمن السبيدج السبيياء والحيوانات البحرية الصدفية لديها عشرة أذرع أو يزيد. وللأخطبوط كثير من الصفات المتباينة مثل الإرهاب وحب الاعتداء والخوف والفضول وكثير من علماء **الأحياء يعتبرون أن الأخطبوط أذكى** من كل الحيوانات وفي نفس مستوى ذكاء القط المنزلي.

أذواق مختلفة

■ عند بحث الأخطبوط عن فريسة يتراجع للخلف استعدادًا للانطلاق صوب الأمام، وخلف عيونه الفاترة المتهدلة يختفي التحفز وسرعة الانقضاض، وداخل جسمه الذي يشبه العباءة أو الحقيبة توجد أعضاؤه الداخلية، وبعد سحبه الماء داخل جسمه يقوم بدفعة داخل سكابات أو ممصات متعددة ثم يندفع بسرعة عبر قاع البحر، وفي هذه الأثناء تمشط أطراف الأذرع قاع المحيط، وبين حين وآخر يهبط الأخطبوط إلى القاع للانقضاض على سرطان الصخور الأحمر وبعد إطلاقه السم في الماء يفقد السرطان الحس ثم



أخطبوط ضخم من أسفل



في صفوف منظومة تضع الأنثى بيضها

يستخدم الأخطبوط فم القوي لكي يحطم صدفته بغية الوصول إلى اللحم الطري، وباستخدام الجلد المرن الموجود بين الأذرع يمكنه أن يحمل ١٢ سرطانًا أو يزيد دفعة واحدة عائدًا إلى مخبئه.

والغريب أن أفراد الأخطبوط لديهم تفضيلات مختلفة للأطعمة كما يبدو من فوارغ الأصداف خارج أوكارهم، فكثير منهم يفضل أكل الحلزون البحري رغم أنه يمت لهم بصلة قرابة، فالمعروف عن الأخطبوط أنه يأكل نفس نوعه، وفي ظروف التوتر الشديد قد يأكل بعض أذرعته التي تعود ثانية إلى النمو.

عمر قصير

■ كان المعتقد أن الحبر الأزرق الذي يطلقه الأخطبوط يمثل شاشة دخان تسهل عليه الانقضاض على الفريسة ولكن تبين أن للحبر هدفًا آخر أعم وأهم، فالعلماء يقولون إنّ الحبر يخفي الأخطبوط وذلك لإرباك الصائد وفي هذا الوقت يبحث الأخطبوط عن مهرب.

والواقع أن صيد الأخطبوط يتم بمنتهى السهولة بواسطة الصنارة أو حتى باليد في المياه الضحلة، وفي المياه البعيدة عن الشاطئ يدفع الصيادون أعدادًا هائلة من الأخطبوط للخروج من أوكارهم بواسطة وضع الكلورين فيها، في حين أن صيادين آخرين يمسكون بهم بوضع مخابئ صناعية في الماء مثلا صناديق الخشبية التي يسرع الأخطبوط للإقامة داخلها، غير أن الصيد له تأثير بسيط على أعداد الأخطبوط، ولأن الصيد يتركز في المياه الضحلة تظل الأنواع التي تعيش في المياه الأعمق دون أدنى خطر وبمرور الوقت يصبح الأخطبوط كبير الحجم بدرجة كافية لجذب الانتباه إليه ويكون هذا عندما يقارب الأخطبوط النهاية.

والأخطبوط نادرًا ما يعيش أكثر من أربع سنوات وبرغم أنه قوي إلا أنه يشعر بالتعب سريعًا لأن المكونات التي تحمل الأكسجين في دمه وهي مركب تعتمد على النحاس أقل قوة من مكونات الهيموجلوبين الذي يعتمد على الحديد في الآدميين ولذا يعاني الأخطبوط القوي من نقص الأكسجين ويصبح لا حول له ولا قوة عندما تنفد حيويته.

الأخطبوط أثناء تمشيط القاع



خلف العيون الغائرة يكمن التحفز





تضحية الإناث

■ **تضع الأنثى نحو ٨٠,٠٠٠ بيضة في المرة الواحدة داخل وكرها،** وبواسطة إفراز مخاطي من جسمها تنظم البيض في صفوف مثل العقود يتكون كل واحد من عدد يتراوح بين ٥٠، ٢٠٠ بيضة كل منها في حجم ووزن حبة الأرز.

وبعد فترة قصيرة وفي طور النمو تبدو العيون من خلال النسيج الغشائي ويؤدي فقس البيض إلى انطلاق صغار الأخطبوط صوب السطح حيث يبدأون على الفور في أكل العوالق ومن يعيش منهم حتى يصل إلى سن النضج يزدد وزنه بمعدل آلاف المرات، وفي بعض المناطق التي بها سكان مستقرون من حيوانات الأخطبوط يصل اثنان فقط في المتوسط من النسل إلى مرحلة البلوغ.

بعد وضع البيض تعش الأم في حراسة دائمة له من المهاجمين وتعمل على تقليب الماء وتعريضه للهواء بإطلاق المياه من خلال السكابات وتدفع الدخلاء الأجانب بواسطة أذرعها الطويلة وتظل على هذا الوضع ستة أشهر أو أكثر صائمة لا تتناول الطعام إلا نادرًا لدرجة أنها تموت تقريبًا من الجوع، وإذا ماتت بالفعل تذهب تضحيتها سُدى إذ سرعان ما تأتي مخلوقات بحرية كثيرة لالتهام البيض والصغار. .

عن مجلة / ناشيونال جيوجرافيك

الروائيون الروس والملامح الواقعية في المسرح

بقلم: د. محمد أبو بكر حميد

ظلّ التمثيل المسرحي في روسيا حتى بداية القرن التاسع عشر وسيلة من وسائل الترفيه عن الطبقات الثرية، وكان التمثيل المسرحي تقليدًا شائعًا للمسرح الأوروبي وخاصةً فرنسا التي يقضي فيها نبلاء روسيا معظم أوقاتهم، ولم ينشأ التمثيل في فرقٍ حرة بل كانت الفرق المسرحية تتألف من العبيد الذين يعملون في أراضي هؤلاء النبلاء، وبالتالي لم يكن المسرح في روسيا يحمل رسالة أو يخدم هدفًا، ولم تكن أساليب التمثيل إلا انعكاسًا لأساليب الرومانسية المفرطة التي كان يشاهدها هؤلاء النبلاء في فرنسا. ومن هنا كانت أصول الكثير من الممثلين والأدباء الروس من العبيد مثل شبكين وتشيكوف.

وما إن حل منتصف القرن التاسع عشر (١٨٥٠م) حتى ازدادت الأحوال الاجتماعية سوءًا ثم ألغي نظام العبيد سنة ١٨٦١م إثر المطالبة المتزايدة بالإصلاح، وبدأ تخفيف القيود على الكتابة المسرحية، وفي أواخر القرن بدأت دعوة الأدباء الروس للتكاتف على أن يكون للأدب والفن هدف اجتماعي عادل وأن يكون انعكاسًا صادقًا لواقع الحياة.

إسهام جوجول

وهكذا لم يبرز المسرح في روسيا كقوة مؤثرة في الحياة الفنية والأدبية ويظهر له صدى في حركة المسرح العالمي إلا في أواخر القرن التاسع عشر.

فقد تألّق في هذه الفترة كُتّاب عظام أثروا المسرح الروسي بملامح متميزة، وشكلوا له اتجاهات واقعية جديدة كان لها أثرها في المسرح العالمي أمثال تولستوي وتشيكوف وتورجنيف واندرييف. وقد كان ظهور حركة المسرح المستقل باسم «مسرح الفن بموسكو» بمثابة المتنفس للأعمال الرائدة في المسرح الروسي الحديث، والتجسيد الحي لتيار الواقعية النفسية التي تم بها التكامل بين منهج «مسرح الفن» و«دراما تشيكوف» على وجه الخصوص.

تعتبر مسرحية «المفتش العام» The Inspec-tor General (١٨٣٦م) أقدم مسرحية في الأدب الواقعي الروسي طارت بها شهرة مؤلفها نيكولاي جوجول Nikolai Gogol (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢م) في عالم المسرح. وتعالج هذه الكوميديا فساد النظام الوظيفي بالرشوة والنفاق والمحسوبية، وتدور أحداثها في مدينة روسية صغيرة حيث يشاع في الدوائر الحكومية أن مفتشًا عامًا سيجيء من موسكو يتفقد الأوضاع هناك. وما إن يدخل المدينة أحد الغرباء حتى يظن الرؤساء هناك أنه المفتش العام جاء متنكرًا ليتعرف حقيقة الأوضاع بسريّة، فأحسنوا استقباله وأمطروه بالهدايا والعطايا طمعًا في أن يحسن كتابة التقرير المرسل لموسكو، والحقيقة أن هذا المفتش المزعوم ما كان إلا موظفًا فقيرًا يدعى كولستاكوف رمت به أحواله المادية الصعبة إلى تلك المدينة، وما إن أحس بالأمر حتى استغله فقام بتمثيل الدور وكسب مقدارًا كبيرًا من الهدايا والأموال لم يكن يحلم بها، وبعد مغادرته أرسل رسالةً لبعض أصدقائه يخبرهم بالحقيقة وقبل أن يفيق القوم من الذهول يصل المفتش الحقيقي من موسكو ويسدل الستار على هذه المفاجأة.

أسهم عمالقة الرواية الروسية في تمهيد الطريق لظهور عمالقة المسرح الروسي

ولقد وجد الكثير من المسرحيين والممثلين الروس في هذه المسرحية التعبير عن رغبتهم في الاقتراب بالمسرح من الواقع ومن حياة الناس اليومية وهمومها، وكان في مقدمة هؤلاء الذين وجدوا أنفسهم في هذه المسرحية الممثل الشهير ميخائيل شبكين Mikhail Shchepkin (١٧٨٨ ـ ١٨٦٣م) الذي اعتبره إستانسلافسكي الرجل الذي وضع أسس الفن المسرحي الروسي لاهتمامه بالتدريب المتأني والملاحظة الدقيقة للحياة، إلى جانب دعوته الممثل لمعايشة دوره، فقد جعله كل ذلك أستاذًا لجيل من الممثلين يحتذونه ويسيرون على خطاه. وهكذا كانت كتابات جوجول وتمثيل شبكين أول الخطوات في رسم حركة المسرح الروسي ودفعه نحو الواقعية.

تورجنيف والمسرحية الرائدة

ثم قدم إيفان تورجنيف Ivan Turgenev (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) واحدة من أهم المسرحيات الرائدة في الاتجاه نحو الواقعية النفسية التي تبلورت فيما بعد في أعمال تشيكوف، وهي مسرحيته الشهيرة «شهر في الريف» A Month in the Country (كتبها سنة ١٨٥٠م ولم تمثل إلا في ١٨٧٢م). تدور أحداث المسرحية في إحدى (العزب) الريفية النائية، بطلتها زوجة أحد مُلّاك الأرض الإقطاعيين، ناتاليا، التي يقودها الفراغ والملل

وحياة الترف إلى مغازلة صديق الأسرة راكستن، ولكن وصول المدرس الخاص الشاب بيلييف يثير عاصفةً جديدة تغير مجرى الأحداث، إذ تميل ناتاليا إليه، بل وتبعده عن وصيتها فيرا، الفتاة الشابة، وتحاول تزويج الفتاة من إقطاعي سيء الخلق، ولكن الفتاة فيرا على صغر سنها تواجه ناتاليا بنواياها الحقيقية وتخسر ناتاليا في النهاية كلاً من راكستن وبيلييف معًا وتُترك فريسة لوحدتها وكآبتها.

وقد أبرز تورجنيف في مسرحيته العزلة النفسية التي تعاني منها الشخصيات، والإحباط في العلاقات العاطفية، فكل شخصية تقع في غرام شخصية أخرى لا تبادلها نفس المشاعر، وليس بين شخصيات «شهر في الريف» شخصية شريرة، فكل شخصية طيبة الأصل تثير تعاطفها عندما تشاهدها تقع ضحية لظروفها الاجتماعية والنفسية. وهذا كله ما جسّده بعد ذلك تشيكوف في مسرحياته، الأمر الذي جعل كثيرًا من النقاد يعتقدون في أثر تقنية هذه المسرحية ومضمونها في أعمال تشيكوف الدرامية جميعًا. والحقيقة أن تورجنيف قد سبق بهذه المسرحية أعمال دوماس الابن وأوجيه الواقعية في فرنسا، فقد كُتبت وأبسن بعد مازال يكتب مسرحيته الرومانسية «كاتلين» Catline!

بسمسكي و«القدر المرّ»

وإذا كان تورجنيف قد سبق رواد الواقعية الأوائل في أوروبا، فإن بعض أعمال أليكسي فيوفلاكتوفتش بسمسكي Alexey Feofilaktovich Pisemsky (١٨٢٠ - ١٨٨١م) قد جسّدت تصورات المذهب الطبيعي — كما رسمه بعد ذلك زولا - أكثر مما فعلت أية مسرحية أوربية، ويرى النقاد أن مسرحية «القدر المُرّ» A Bitter Fate (١٨٥٩م) واحدة من أفضل الأمثلة على المسرحية الطبيعية الجادة، وتتلخص قصة المسرحية في أن أحد العبيد يدعى إناني Anany يعود بعد سفر طويل ليجد أن زوجته قد حملت سفاحًا من سيده مالك الأرض وأنجبت طفلاً، فيقتل الطفل ثم يقبض عليه عند محاولته الهرب ويحكم عليه بالسجن في سيبيريا. فيندم على جريمته ويعتذر لكل الذين أساء إليهم ويقبل مصيره برحابة صدر. **ولقد كانت المسرحية معالجةً إنسانية لكرامة الزوج التي أهدرت وللمأساة امتلاك الإنسان لأخيه الإنسان ففي أول مسرحية روسية بطلها فلاح من عامة الناس، وقد نالت هذه المسرحية «جائزة أوفاروف» Uvarov الرسمية سنة ١٨٥٩م.**

تولستوي ونصرة المظلومين

ولقد تبلور التصوير الواقعي للفلاح المضطهد في روسيا القيصرية على يد ليو تولستري Lev Tolstoi (١٨٢٦ ــ ١٨٨٩م) في مسرحيته الشهيرة «قوة الظلام» Power of Darkness

سبقت مسرحية "المفتش العام" لجوجول أعمال رواد الواقعية في أوروبا..

(١٨٨٨م) ذات الملامح الطبيعية في بنائها، وتعرضها للحياة الضنكة التي كان يعيشها الفلاح الروسي، ولكن الرقابة لم تسمح بعرضها، فقدمها أنطوان في مسرحه الحر بباريس سنة ١٨٨٨م ثم عرضت في روسيا بعد ذلك سنة ١٨٩٥م. وتدور أحداثها كالعادة في المسرح الروسي في إحدى إقطاعيات الأرض حيث نجد نيكيتا يقيم علاقةً محرمة مع الزوجة الثانية لأحد موظفيه يدعى بيتر ثم يساعدها على التخلص منه بالقتل ثم يتزوجها لكنه لا يهنأ بالعيش معها في ظل إحساسه بالجريمة فيسرف في الشراب ويحاول الهروب من وخز الضمير بجريمة أخرى بإيقاع ابنة نفس الموظف بيتر من زوجته الأولى في حبائله ثم يقوم بتشجيع من زوجته وأمه بقتل الطفل الذي جاء ثمرة للعلاقة المحرمة ويحاول تزويج الفتاة من أحد الفلاحين العاملين معه. وفي أثناء حفلة الزواج تثقل على نيكيتا جرائمه ويطغى عليه تأنيب الضمير ولم يعد يحتمل إخفاء سره الرهيب فينفجر معترفًا أمام الناس بجرائمه وسط ذهول الجميع طالبًا الصفح والغفران.

وقد كتب تولستوي مسرحيات أخرى لم ترق إلى مستوى «قوة الظلام»، أهمها «ثمرات التنوير» The Fruits of Enlightment (١٨٩١م) يعرض فيها تصوراته الروحية والفكرية تجاه عصره في قالب كوميدي من أربعة فصول. فهو يكشف في قالب ساخر القناع عن الخواء الروحي الذي تعاني منه الطبقات العليا في روسيا وانحصار اهتماماتها بالحياة المادية ووسائل الترفيه، وذلك من خلال وجهة نظر ثلاثة من الفلاحين البؤساء، ثم توالت بعد ذلك أعماله المسرحية، مثل «الجثة الحية» The Living Corpse (١٩١١م) التي لقيت رواجًا شعبيًا في زمانها لاعتماد قصتها على حادثة قضائية حقيقية، وإن كان تولستوي اعتبرها عملاً دراميًا غير كامل، وكانت آخر مسرحياته بعنوان «ضوء يشع في الظلام» A light Shines In the Darkness وهي مسرحية مطولة في خمسة فصول كتبها تولستوي بتقطع في فترة تقرب من العشرين عامًا وأتمها سنة ١٩٠٢، سادتها روح تشاؤمية، وأسقط فيها بعض أحداث حياته، ولم تلق نجاحًا يُذكر.

ومع ذلك فإن ما قدمه كل من جوجول وتورجنيف وبسمسكي وتولستوي وغيرهم من الروائيين الروس للمسرح كان هامشيًا إلى جانب أعمالهم الروائية العظيمة والمتعددة، إلا أنه كان له أكبر الأثر في الدفع بحركة المسرح الروسي خطوات نحو الواقعية، ونحو تحقيق شخصية متميزة للمسرح الروسي كانت بمثابة معالم في الطريق أمام رجال المسرح الروسي الكبار من كُتّاب ومخرجين وممثلين الذين لم تتجسد في أعمالهم الروح الروسية فقط بل حلقوا بها في آفاق العالمية من خلال الطرح الإنساني الذي تفوقت به هذه الأعمال.

المصادر

(1) **Masterpieces of the Russian Drama,** The simpleton, Moscow, 1961.

(2) Matlaw, R. ed, **Tolstoy: A collection of critical Essays**, New york, 1967.

(3) Segel, B. Harold, **Twentieth Century Russian Drama,** New York, 1979.

(4) Slonim, Mare. Russian Theatre from The Empire to the Soviet, Chicago, 1961.

(5) Xershov, Peter, **Comedy In the Russian Theatre,** Trans. T. Zuber, New York, 1956.

آفاق علمية



مؤتمر عالمي لبحث تناقص الأوزون . .

اجتمع مؤخرا ٢٥٠ عالما جاؤوا من سبع عشرة دولة لدراسة موضوع تناقص طبقة غاز الأوزون في القطب الشمالي، وكانت الوسائل التي استعملت لحماية هذه الطبقة الجوية الهامة لحياة الإنسان كثيرة، منها إطلاق أربعين منطادا كما أجريت عشر تجارب بالطائرات، وأطلقت صواريخ كثيرة لأغراض السّبْر والاستقصاء، كما تمت إجراءات كثيرة أخرى على الأرض بغية فهم الأسباب التي أدت إلى تناقص طبقة غاز الأوزون في القطب الشمالي.

وقد ثبت أن السبب في تناقص هذه الطبقة يرجع بنسبة ٨٠٪ **إلى عوامل كيماوية كانت توجد بكميات قليلة في الطبقات الجوية،** وبصورة خاصة مركّبات الكلور والبروم - وهما عنصران كيماويان - كما أن النشاط الإنساني له علاقة بتأثر هذه الطبقة وبشكل خاص فيما يتعلق باستعمال مادة كاربورات الفلور = Carbofluorocar- bone التي يحملها الهواء إلى هذه الطبقة. وقد تم تحديد حياة البدائل الجوية بفترة تتراوح بين ٥ - ١٥ سنة بالمقارنة ببعض مواد كاربورات الفلور، وكانت نتائج التجربة الأوروبية عن طبقة الأوزون في القطب الشمالي وعلى ارتفاع ٢٥ - ٤٠ كم قد أثبتت ذلك.

وتأتي هذه الحملة من قبل العلماء في وقت أصبحوا يشعرون فيه بقلق متزايد. فقد شهدت السنوات الماضية ١٩٨٨، ١٩٨٩، ١٩٩٠، ١٩٩١ انخفاضا ملحوظا في طبقة الأوزون حيث بلغ متوسط النقص ١٠٪ في الارتفاعات المعتدلة من القطب الشمالي، و ٢٠٪ في القطب الجنوبي حيث لوحظ انعدام كلي لطبقة غاز الأوزون على ارتفاع يتراوح بين ١٠ و ٢٥كم.





أكبر منطاد في العالم

أجريت التجارب الأولى في الولايات المتحدة على أكبر منطاد صنع حتى الآن وأطلق عليه اسم Sentinel 1000 - أي الحارس - الذي قامت بتصميمه وتصنيعه شركة وستنكهاوس Westinghouse الأمريكية وتستعمل فيه الأساليب الفنيّة المتبعة في المناطيد البريطانية من طراز (Air ship)، كالمراوح ذات الشكل الانسيابي غير القابلة للالتواء، ويعمل هذا المنطاد بجهاز تحكم كهربائي ويستطيع التحليق بأمان مطلق دون أن تدعو الحاجة إلى عدد كبير من الملاحين يعملون فيه كما هي العادة في المناطيد التقليدية، إذ يكفي أن يقلع من سيارة شاحنة صُممت خصيصا لكي يقلع من فوقها دون أية مساعدة خارجية وذلك بفضل تسهيلات الإقلاع التي تتيحها المراوح القابلة للتوجيه.

هذا المنطاد الذي سيقوم بمهمة مراقبة شواطئ الولايات المتحدة يُعتبر التصميم المبدئي لمنطاد يبلغ ضعف حجم المنطاد المذكور أُطلق عليه اسم Sentinel 5000 والذي ستكون له القدرة على القيام بمهمات - دون أن يتزود بوقود - تستمر عدة أيام، في حين أن المناطيد التقليدية لا تستطيع التحليق لمدة تزيد على ٢٤ ساعة.

ظاهرة جديدة في سلوك الكائنات البحرية

أسماك الميرو (merou) التي تعتبر أشهر أسماك البحر الأبيض المتوسط حيث إنّ تواجدها كان محددًا في المناطق الحارة جدًا في البحر الأبيض المتوسط. وقد لاحظ علماء الأحياء المائية مؤخرًا أن هذا **النوع من الأسماك بدأ بالهجرة إلى الشواطئ الفرنسية** للتوالد هناك. وقد **اتضح أن سبب هجرتها هو ارتفاع درجة حرارة مياه البحر الأبيض المتوسط** التي لم تهبط إلى أقل من ١٣ درجة مئوية منذ خمس سنوات بالمقارنة مع درجة حرارة مياه الشواطئ الفرنسية



مَشهدرَائع .. نحِبـُّـهُ .



عزيـزي الأب :

هـذه هي بـداية طـريقك لتبنى في طـفلك صـرحًا قـويـما .

مـَع تحـيات



الشـركـة السعودية للصناعات الاساسية

والشركات التابعه لهـا

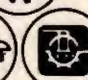
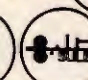


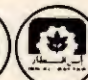
سابك للتسويق

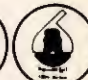
سابك للخدمات التسويقية















حـديـد صـلـب سافكـو سمـاد ابن البيطار الـرازي ابن سينا صـدف كيمـيا ينبـت بتروكيميا شـرق غـاز ابـن حيان ابن زهر

ذكريات مع الشاعر

"فقيه"

بقلم: عبدالعزيز الرفاعي

ليست هذه هي المرة الأولى التي أكتب فيها عن الصديق الشاعر الأستاذ (محمد عبدالقادر فقيه) ، فقد كتبت عنه من قبل نتفاً من الكلام ، لم أبلغ بها القصد .. ولكنها تكفي فقط للدلالة على تقديري الشخصي العميق لأدبه وشعره وخلقه .

وأشارك الرأي الذين قد يتهمونني في أن ثنائي عليه إنما هو وليد هذا التقدير الشخصي .. بل هو نتاج صداقة حميمة قوية . ولن أدفع عن نفسي هذه التهمة الجميلة.. تأكيداً لعراقة صداقتنا وعمقها.. إلا أنني أقول شيئًا أحاول به، أن أقرر حقيقة أعرفها من نفسي.. أو يخيّل إليّ أني أعرفها وهي أن صداقتي للحقيقة ذاتها أعرق وأعمق .. وهذا لايعني بطبيعة الحال نفي التأثر على نحو ما بعوامل الصداقة الحميمة .

ومهما يكن الأمر ، فإني أحسّ ، حينما أكتب عن الصديق الشاعر (محمد عبدالقادر فقيه) ، أنني أكتب في الوقت نفسه عن نفسي .. ذلك أننا التحمنا معاً في رحلة أدبية مشتركة عبر سنوات كثيرة مضت ، لاأريد أن أكشف السّتر عنها ، لئلا يظن بعض متسقطي الأخبار ، أننا بلغنا من العمر عتيا .. بيد أننا في واقع الأمر لم نعرف **السيد (عتي)** بعد ..

وفي تلك النتف التي كتبت من قبل ، أشرت إلى ذكرياتنا الأدبية المشتركة ، منذ كان يضمنا دكان **السمْن** الذي حولناه إلى مركز أدبي يرتاده مجموعة من الأدباء الشداة كانت لهم مفاهيمهم الأدبية الخاصة ، وكان يجمع شتاتهم أديب شاب يكاد يغفله التاريخ الأدبي ؛ هو (**محمد سعيد ششة**) - يرحمه الله - ابن صاحب الدكان ، الذي لم يجد والده (يحليم) مانعاً من أن يرفع من دكانه حلةً من حلل السمن بعد أخرى ، ليحتل مكانها أديب شاب من أصدقاء ابنه البكر الأثير ..

ولا أحاول الآن أن أستقصي أسماء جميع أولئك الأدباء الشباب خشية أن أسهو عن اسم من أسمائهم ، ولكن بحسبي أن أورد من هذه الأسماء ماتسعفني به الذاكرة ؛ (**عبدالعزيز الربيع**) ، - يرحمه الله - الأديب الشاعر الناقد ، الذي لم يأخذ حقه من التقدير رغم أصالته الأدبية .ورسوخ قدمه في الأدب والفكر .. و(**أحمد محمد جمال**) الكاتب الإسلامي الشهير ، و(**سراج خراز**) الشاعر الذي اخترمته المنون - يرحمه الله - و(**محمد عبدالقادر فقيه**). وقد كانت دكان والده تواجه دكان (الشقة) ، كانوا يجتمعون في وسط حلل السمن . ويكرعون الشاي ، ويتحاورون في الأدب والشعر والنقد ويعلقون على ماتنشره **مجلة (الرسالة)** التي كانت تعد مدرستهم الأدبية الأولى .. كما كانوا يتبادلون محاولاتهم الأدبية والشعرية، كما كانوا يكتبون في مجالات خطيرة.. لم يحذروا عواقبها .

هناك عرفت الصديق الشاعر (محمد عبدالقادر فقيه) ، الذي انتقل بنا من دكان الدسم .. إلى حديقته الصغيرة الحافلة بأطايب الورود والرياحين .. فكانت لنا فيها عصارى جميلة - وكان لنا فيها شعر وأدب وحوار .. وفي اليوم الذي يكتب فيه تاريخ الأدب لهذا الجيل مفصلاً ، فلا ينبغي أن يغفل عن أثر **الششة والفقيه** في جمع شتات تلك الفئة من أدباء ذلك الجيل ، الذي لايقتصر بطبيعة الحال على الأسماء التي أوردت ، فهناك عديد من الأسماء لها بروزها وتأثيرها .. ولكني هنا - اقتصرت على مجموعة الششة والفقيه . بل على ما أسعفتني به الذاكرة فقط .

جدير بالذكر قبل أن يشت بي الحديث يميناً وشمالاً ، أن أذكر ، أن الصديق الفقيه لايزال يواصل هوايته في جمع الأدباء والأزهار .. إلا أن الأزهار أسهل جمعاً .. أما الأدباء فقد تشتت بهم الأحوال والديار .

أدبه انعكاس لنفسيته

رجعت إلى هذه الذكريات ومثيلاتها ، وأنا أقرأ ، كلمة في ظلال الأستاذ (**عبدالله جفري**) أتم الله عليه عافيته ، وأمتعه بما يحب من الصحة والخير ، وأمتعنا بأدبه وظلاله - كلمة قيمة من الاستاذ (**محمد عبدالقادر فقيه**) ، وقد لمس فيها ، في ومضات سريعة جوانب من شخصيته ، إنساناً ، وصديقاً ، وشاعراً ، وموظفاً مسؤولاً ، وعرّج على قدرته الفائقة على تغلبه على معاناته التي ارتفع بها فوق الألم ، كما عبر الأستاذ الجفري .. وهذه النقطة بالذات ، ذكرتني بما كنت أسمعه من أخباره، ونحن بعد فتية، قبيل لقائنا الأوّل، إنه


عبدالعزيز الربيع


سراج خراز

يشبه **الرافعي** ، من حيث معاناتهما السمعية .. ولكننا بعد أن تعارفنا ، ثم اقترب تعارفنا بل تحول إلى صداقة حميمة ـ عرفت أن الشبه بينه وبين **الرافعي** كـان محصـورًا في حـدود معينـة لا يتجاوزهـا.. وأن صديقـي في دائرة هذه الحدود، يحتفظ بشخصيـة متميـزة، وهـذا أمـر طبيعي، ولكنه إلى ذلك، وعلى ما يبدو لي، لم يفكر قط في أن يكون ظلاً للرافعي، ولا أن ينهج نهجه الأدبي، في النثـر والشعر، من قـريب أو بعيـد، فهو يـرسل نفسـه وأدبه على سجيتهما، ولا يقسر نفسـه ولا تفكيره ولا فنه على تلك المعاناة الشديدة التي كان يقصدها **الرافعي**ـ يـرحمه الله ـ قصـدًا، لينتج أدبـه.. ولم يكن صاحبنـا لينافس أحـدًا ليبرز في عالم الشعر، فإنه إنما يصـدر عن سجية مطواع. وليس هـذا الكـلام بطبيعـة الحال مقـارنـة بين الأدبيين، بل ولا محاولة للمقارنة، وإنما الهدف أن أقول. إن كـلاً منهما عانى من فقـد السمع، وأنه امتلك موهبـة الشعر، وأنه احتفظ باستقـامته في دينه وخلقه.

ديوانه الوحيد

ولعلّ أبرز ما يتميز به الصديق (**الفقيه**) خلق التواضـع الـذي جعله، لفترة زمنية طـويلة، قليل الثقة بموهبته الشعرية ، فطالما تردد في إبرازها ، وفي نشر شعره ، فكثيراً ماكان يصوغ القصائد الحياد ثم يحجم عن نشرها ، بل لايكاد يطلع عليها إلا الخاصة من أصدقائه وكان من بين هؤلاء من يعجب بهذا الانتاج الجيد ، ويضن به على الحجب ، ويعمل جاهداً على نشره ..

وعلى رغم غزارة شعر الصديق الشاعر ، عبر عمره الأدبي ، الطويل إن شاء الله ، لم ينشر له إلا ديوان صغير .. لايكاد يمثل إلا اتجاهاً واحدا من اتجاهاته الشعرية . وأعني التفاته إلى الماضي .. وارتباطه به على نحو ما ، وهو ارتباط لايزال يعايشه .. فهو شديد الوفاء لذكرياته وأيامه الخوالي ؛ وصحبه القدامى .. وكل ذلك يجسِّد ، أجمل تجسيد ، خلق الوفاء المتأصل لديه .

بيد أنني علمت منه ، في آخر لقاء ضمنا ، أن ديوانه الشامل على وشك الصدور ، وهو يجسد أيضاً وفاء أبنائه له ، وحفاوتهم بشعره ومكانته الأدبية ، وضناً بشعره ، أن يتناثر هنا وهناك .. وربما كان هذا الديوان قد صدر فعلاً ، خلال هذه الفترة التي أكتب فيها هذه السطور بعيداً عن وطني .

وينبثق من وفائه الصادق ، تلك الظاهرة في

الجانب النثري عنده يجسّد تفكيرًا ناضجًا وتأملات واعية..

شعره ، أعني بها ظاهرة السجال الشعري ، أو المعارضات .. فهو في عالم الألفة الودية التي يعيشها في أجواء الصداقة ، كثيراً مايتبادل الحوار الأدبي ، نثراً وشعراً مع أصدقائه .. ليتخذ من هذا الفن ، تعبيراً عن مودته ، وتعويضاً عن طبيعة الحوار الشفهي .. بل لقد استطاع بذكائه الحاد أن يتغلب على هذه العقبة ، وأن يتبادل الحديث مع أصدقائه ، متجاوزاً حاسة السمع ، إلى المراقبة الذكية للملامح وحركة الشفاء ، وومضات الإثارة .

أدبه النثري

وإذا كان الجانب الشعري قد صادف طريقه إلى النشر في الصحف أو الكتب ، فإن الجانب النثري من أدبه، وهو يشخص مجموعة من آرائه في النـاس والحيـاة، ويجسـد تفكيرًا نـاضجًـا، وتأملات واعية، بل هي مبتكرة في بعض الأحيان إن هذا الجانـب النثري لم يتخـذ بعد طـريقه إلى الظهـور.. ومـا أجـدره أيضًـا أن يلقى عنـايـة واهتمامًا..

والأستاذ (الفقيـه) قارئ متطلع مستـوعب، تمتد اهتماماته الثقافية لأكثر من اتجاه .. فهو يقرأ في التراث ، ويقرأ الأدب الحديث ، ويتابع الحركة الثقافية . ولاتكاد تفلت من بين يدي اطلاعه صحيفة أو مجلة يرى أنها ذات فائدة ..

أحمد محمد جمال



وأحسبه قد اعتاد هذا الاطلاع الدائب . منذ كان **مديراً للمراقبة في وزارة الإعلام** ، تمر من بين يديه الكتب الواردة ، ماكان منها تراثياً أو غير تراثي ، ومن هذه الكتب ، ماهو نفيس ، فيطلع عليه بحكم عمله الوظيفي ، ويستوعبه بحكم حاسته الأدبية الأصيلة .

ولاشك أن هذا العمل الذي ظل يمارسه سنوات طويلـة، حتى بلغ سن التقـاعد، قد أمـده بفيض من الثقافة والمعرفة ، ترضي نهمه القديم إلى الاطلاع وولعه بالكتب .. وهو ولع كنت ومازلت اشهده عن كثب كلما لقيته ، منذ عرفته شاباً حتى الآن.

وإذا كانت ظروفه قد عاقته عن مواصلة السير التعليمي ، منذ السابعة عشرة من عمره ، أو حواليها ، فقد واصل جهوده الذاتية ، ليعوض نفسه عما افتقده من مسيرة التعليم المنهجي .. ليس فقط في حقل الثقافة العامة ، بل في حقول العلوم المتخصصة في اللغة والنحو ، في حدود ذلك القدر من الزمن الذي تتيحه له ظروفه الحياتية ..

والصديق الفقيه ، سريع التلقي ، لما يُتيحه التقدم التكنولوجي . ليفيد من ذلك لصالحه ، ويتغلب عن طريقه على ظروفـه . فلم يكد (**الفاكس**) ، يأخذ طريقه إلى الاستعمال حتى بادر إلى اقتنائه ليكون وسيلـة مجدية لاتصالاته الهاتفية مع مجتمعه ، وليحقق أيضاً عن طريقه اتصاله الأدبي ، مع الذين يتبادل معهم هذا الاتصال .

حقاً لقد برع في تحطيم السور الذي أحاطته به ظروفه .. واني لأرجو أن يواصل اختراقه ، وليس مع الحياة يأس ، حتى لو بقي من العمر ثانية .. فالموت الحقيقي هو موت الأمل فقط !

رأي ناقد

هذا الكلام الكثير الذي كتبته ، محاولاً أن أعرِّف بهذا الصديق الكبير بأدبه وخلقه ، إنما هو من قبيل تعريف المعرف .. تماماً كما نقول : تجريب المجرب .. على أن الأستاذ المبدع **عبدالله عبد الـرحمن الجفري**، أنعم الله عليـه بنعمـة العافية ، أغناني عن ذلك كله ، في كلمات موجزات 'موجبات بارعات ، في كلمته التي أسلفت الإشارة إليها.. بـل برع في الإيماء إلى جوانـب لم تخطر لي على بال ، بالرغم من تلك الصلة الوثيقة التي ربطتني بالأستاذ الفقيه .. عبر صداقة مايزيد على أربعين عاماً .

فقـد أشـار إلى: «إبـداعـاتـه.. ورهـافـة حسـه،

وحسن اختياره للكتاب . والصحبة الجميلة .. »
ثم أشار إلى صوره الشعرية التي وجد فيها : (صوت الإنسان ، الفياض بالشجو ، وبالشجون، وبالمعاناة التي ترتفع فوق الألم، لتتصهر في رحابة الشاعر .. الذي يمنح ، ويبوح ، ويشجي ..) أرأيتم كيف يكون الأستاذ الجفري مبدعاً بحق ..؟

ففي مثل هذه الإشارات المترادفة الموحية ، تكمن موهبته الإبداعية ، وهي القدرة التي تمنيت معها ، الإفصاح ، حينما قلت عنه في مناسبة ما : « **إنه عبقرية .. أيتها تنصح** » ، ذلك أن هذا الأسلوب الموجز ، بكلماته الخاطفة الموحية ذات (الظلال) إنما يصبح أكثر تفردًا في قلب القارىء ، حينما تتضح الصورة والهدف بحيث لايقع في هوة الغموض .. إلا منذ ذلك الفريق الضئيل من القراء .. الذين يستطيعون إدراك إيحاء الإيحاء.. وهذا ما وصفه الصديق الفقيه نفسه حينما قال : « ولا أكتمك أنني في أول عهدي بقراءة الظلال ، كنت أجدك غامضاً ، تومىء إلى أشياء بعيدة ، كما لو كنت تتحدث عن نجمة زرقاء ، وحديث النجوم لايفهمه إلا أترابها ! » .

إذا كان لي مايصح أن أعلق به ، على هذه الكلمة النابغة ، فاني ، قد وجدت **الأستاذ الجفري** ، يميل مع الزمن ، إلى جلاء صوره ، وتوضيح ظلاله ، بحيث استطيع أن أقول إنني أصبحت اليوم أيضًا، أقدر مني بالأمس، على متابعته، ولاشك أنني أعد ذلك من مكاسبي .

وهذا تماماً ماعبر عنه الصديق الفقيه ، بأسلوبه الشاعري المجنح ، حينما قال : (والآن .. يسرني أن أقول لك وللأستاذ الرفاعي : لقد أفصحت منذ أعوام ، فقد تطامنت ونزلت من النجمة، لتسكن سحابة وطفاء، ترعد، وتمطر..).

★★★

في هذه الكلمات التي أوردتها للصديق الشاعر الفقيه ، نموذج ساقته المصادفة وحدها ، دون اختيار مسبّق مني لنشره .. وهو كما يرى القارىء ، بالرغم من وجازته ، وعفويته ، يفصح عن الموهبة الفنية في كتاباته النثرية ، التي لاتبعد عن الشعر .. ولاعن الموهبة المتخيلة التي يمتلكها .. فهاهو يشير إلى النجمة الزرقاء .. وإلى حديث النجوم الذي لايلتقطه إلا النجوم ، وإلى تطامن النجمة ، واختيارها (سحابة وطفاء) لتكون مقرها ، حيث أخذت تسكب منها عطاءها مطراً غدقاً ..

شاعر بحق

وإذا كانت المصادفة وحدها ، قد ساقت نموذجاً عابراً موجزاً من نثر أخي الشاعر الفقيه .. فقد جاءت المصادفة نفسها ، في ذات الوقت بأبيات ، هي مشروع قصيدة من قصائده ، أطلعني عليها قبل أن تتخذ طريقها إلى النشر ، وذلك ماتعودته منه ، وماتعوده منا ، إذ يطلع كل واحد منا الآخر على مايجد من هواجسه .. ومن ذلك مشاريع قصائدنا .. ولكن لاينبغي أن أغفل عن حقيقة لا يجوز إغفالها.. هي أن صديقي، إنما هو شاعر بحق .. من أول يوم عرفته فيه حتى كتابة هذه السطور ، وله كما قلت ديوان كبير .. أما أنا .. فلا أولي الشعر اهتماماً .. فإن حاولته في ساعات فراغي ، فذلك لن يبعد عن محاولة حل الكلمات المتقاطعة .. واعتدت أن أحتفظ بهذه التسليمات النظمية لنفسي ، ولا أطلع عليها إلا الخاصة من أصدقائي ، بل خاصة الخاصة منهم .. ليشاركوني التسلية .. وأخي محمد عبدالقادر فقيه ، في مقدمة أولئك الخاصة .. بل أحسبه قد اطلّع على كثير من السخافات التي لم يطلع عليها سواه .. وهو عليها الأمين المؤتمن !



صالح جمال

صالح جمال

لقد وجدت ، فيما أطلعني عليه من مشروع قصيدته في رثاء الصديق المشترك ، **صالح محمد جمال** ، نموذجاً جيداً من شعره .. إلا أنه أحدث ماقاله ..

والصديق **الشيخ صالح جمال** ، عمود من أعمدة شلتنا ، وأصدقاء عمرنا ، ورفقاء مسيرتنا .. وأحسّ ـ تماماً ـ مع صديقي الشاعر أننا فقدنا بفقده جزءاً من كيان مشترك هو مجموعتنا الأدبية .. والأستاذ صالح جمال ، صاحب تاريخ مجيد في عالم الكلمة ، كاتباً ، وصحفياً ، ومؤسساً لمكتبة الثقافة ذات التأثير المعروف في تحديث الثقافة .. أسسها مع مجموعة من زملاء جيله، وأسدوا بها للتاريخ الأدبي في مكة المكرمة، يدًا لا تنسى!

لأدع الشاعر (فقيه) يتحدث عنه شعراً :

آل الجمال فقدنا في الطريق سنا
وكوكباً يتحرى نورُه الوطنا
ماكان صالح إلا فلذة جبلت
من قلب مكة ، نبراساً وفيض سنا
جوابها البر ، مَنْ أفنى شبيبته
حدباً عليها ، ومَنْ في حزنها سكنا
اقلامه مشرعات مابها خور
وصوته هادر بالحق ما وهنا
آل الجمال ، وقلبي في محبتكم
ماتعلمون ، فدمعي ثائر حزنا
مِنْ (سَرْحة الفل) أمجاد لكم سطعت
كواكب تتهادى ههنا ، وهنا
عزاؤهم بل عزائي ، بل عزاء مِني
والاخشبين ، ومن في بينها قلنا

سرحة الفل

هذا مازودني به صديقي من هذه الأبيات الرائعة، وزودني أيضًا بشيء آخر، ما كنت أعلمه، برغم ما أزعم لنفسي من متابعةٍ لتاريخ مكة المكرمة ، هو شرحه **لسرحة الفل** .. وهذا الشرح يدل على عنايته التاريخية .. وميوله للمراجعة العلمية .

أعرف أن (سرحة الفل) ذلك الزقاق الضيق الذي كان يسكن في نهايته آل الجمال.. في بيت مطل على المسعى ولم أكن أعلم سبب هذه التسمية التي تنم عن معنى جميل ، تفوح منه رائحة الفل ، حتى أخبرني صديقي (فقيه) أن سبب التسمية أنه كان من اختصاص بعض سكان الزقاق العناية بنظم عقود الفل ، التي يطوّقون بها أعناق العرائس في حفلات الزفاف .

ومن الظلم للصديق العزيز ولآل جمال أن لا أورد ماختم به تفسيره لهذه السرحة .. فقد أضاف : « وفي هذا الموقع نشأ الأخوان صالح وأحمد ، وبقية **آل جمال** ، يحيط بهم عبق الفل وبياضه من ناحية وتهاليل **المسجد والمسعى** من ناحية أخرى فكان لهذا الموقع الفريد أثره في اتجاههم والتزامهم بالقيم الإسلامية . » .

أرأيتم كيف يكون (الفقيه) شاعراً حتى في نثره !

وبعد ، فقد بلغت مداي .. أو تجاوزته ، وما بلغت ما أريد أن أقول عن أخي الصديق الشاعر .. ولكن حسبي من قلادة الفل .. ماأحاط بالعنق .

باشتراك ١٧٨ دولة في «ريو» البرازيلية :

قمة الأرض

تعاون عالمي لحماية البيئة من أخطار التلوث



ريو دي جانيرو ـ خاص :

الحلم الذي راود إنسـان العصر بالتخلص من كـوارث التلوث البيئي وحماية كـوكبنا الأرضي من الفنـاء بسبب استنزاف الموارد الطبيعيـة وثقب الأوزون ؛ هذا الحلم ناقشه ممثلو ١٧٨ دولة بحضور ١١٧ رئيس دولة وحكومة اجتمعوا في مدينة «ريو» ـ العاصمة السابقة للبرازيل ـ وتعهدوا بالمحافظة على البيئة والإقلال من تأثير الكوارث الطبيعية وإبطـاء استنزاف الموارد الطبيعية كـالغابات والمزارع والمعـادن والنفط ، وزيادة إسهام الدول الصنـاعية الكبيرة في نفقات حمايـة البيئة ومشروعات تنميـة الدول الجنوبية الفقيرة . .

الدول الصناعية قالت إنها قدّمت ٩٣٧ مليار دولار معونات للدول الفقيرة في الفترة من ١٩٨٢م إلى ١٩٩٠م وكان يمكن استخدامها في حماية البيئة من التلوث . .

وممثلو الدول الفقيرة صرخوا أن بلادهم دفعت للدول الصناعية ١٣٤٥ مليار دولار عن الفترة نفسها في شكل فوائد قروض وخدمات ديون . . !! وإن بلادهم مهددة في طبيعتها الجميلة وخضرتها وثرواتها الطبيعية . .

وبعد شـد وجذب ؛ وقّعت دول العالم على (ميثـاق الأرض) الذي بدأ في ريـو دي جانيرو (في الفترة من ٣ ـ ١٤ / ٦ / ١٩٩٢م) وطـالـب بعقد اتفاقـات دولية تحترم مصالح الدول جميعـا ، وحماية النظام العالمي للبيئـة والتنمية من أجل حياة صحية منتجـة ومتوائمة مع الطبيعة ، والتعـاون لحفظ وحماية واستعادة صحة وسـلامة النظام الأيكولوجي للأرض . . .

فالهدف محاربة التلوث البيئي والقضاء على كل ما يهدد صحة البشر .

والجهود مستمرة ، فقد قرر المؤتمر اعتبار رئيسة الوزراء النرويجية رئيسة لـ (اللجنة العالمية للبيئة والتنمية) وتم إحراز تقدم نحو عقد معاهدتين ؛ هما : «المناخ العالمي» و«التنوع البيولوجي» بالإضافة إلى «إعلان ريو الخاص بالبيئة والأرض»

ومساهمة من (الفيصل) في إلقاء الضوء على هذه القضية الخطيرة تنشر موضوعا عن : «تلوث الهواء . . قديما وحديثا»

التلوث الهوائي

قديماً وحديثاً

بقلم المهندس: لطف الله قاري - ينبع

عندما خلق الله الإنسان، كان قد جعل على الأرض بيئة صالحة لحياته ومعيشته، مكونة من نباتات متنوعة، وكائنات حية مختلفة، وأنهار وعيون، وهواء نقي منعش، وتربة فيها من كل الخيرات. وبذلك وجد الإنسان القديم ما سهّل له العيش والسعادة، فتناسل من بعد ذلك وتكاثر.

ولما تزايدت أعداد البشر على وجه الأرض، بدأت معهم ظواهر التلوث كلما اجتمعت مجموعة ومكثت مدة طويلة في أي مكان. فأماكن تجمعات الشعوب الأولى عرفت من ملوثاتها: وهي أكوام القشور والقواقع، وأكداس الأشياء المكسرة. ولكن التلوث لم يكن مشكلة في ذلك الزمان، لقلة أعداد البشر بالنسبة لمساحة الأراضي التي كانوا يعيشون عليها.

ولما بدأ الناس يتجمعون بأعداد كبيرة في المدن والقرى، أصبح التلوث مشكلة، وظل كذلك منذ ذلك الحين. فقد كانت المدن في العصور القديمة أماكن مؤذية وضارة بالصحة، تلوثت بالفضلات الآدمية والقمامة. ثم تطور الأمر إلى أن أصبحت المدن غير النظيفة بيئة خصبة لأوبئة تحصد أرواح الكثيرين من السكان.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي كان تلوث الهواء والماء وتجمع الفضلات الصلبة مشكلة لبعض المدن الكبيرة. ولكن تطور الصناعة وانتشار التقنية في عصرنا الحاضر جعلا من التلوث مشكلة عالمية عمت جميع بقاع الأرض. وأصبحنا نسمع كل فترة بظاهرة جديدة من ظواهر التلوث.

وبحثنا المتواضع هذا يرمي إلى عقد مقارنة بين مشكلات التلوث الهوائي في الماضي والحاضر. فنبدأ بدراسة ما ورد في التراث الإسلامي حول هذا الموضوع، ثم نستعرض أنواع التلوث الهوائي التي عرفها العالم الغربي منذ العصور الوسطى إلى عصرنا الحاضر. وذلك من أجل ملاحظة الفرق بين مشكلات الأمس واليوم، واستعراض ما جلبته الصناعات من أنواع التلوث الهوائي.

الهدى النبوي والنظافة:

جاء الرسول ﷺ بهدي من الله شمل أمور العقيدة وإصلاح البشر، فكان من بين ما جاء به فوائد توجيهات أمورٌ تمس حياة البشر اليومية، ولم يكن لهم بها علم من قبل.

من ذلك إرشادات قيمة في مجال حفظ الصحة، وردت في أحاديث كثيرة، بحيث تألّف من هذه التوجيهات الكريمة منهج عرف بالطب النبوي. و تشمل أحاديث أمرت بالنظافة، وأخرى أرشدت إلى تطبيق مبدأ الحجر الصحي من أجل حصر الوباء والتلوث. فمن ذلك حديث يوصي بإزالة القمامة أولا بأول من أجل تجنب التلوث، **فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم، ولا تشبهوا باليهود: يجمعون الأكباء (أي القمامة في دورهم»**[١].

وقد كان ﷺ يطبق أمور النظافة في حياته اليومية: فقد كان يقضي حاجته على مسافة بعيدة عن الناس، وينهى عن قضاء الحاجة في الأماكن التي يرتادها الناس كالطرقات والأماكن الظليلة[٢] ونهى عن البصاق في المسجد، وأمر بدفن البصقة[٣]. وهذه من الوسائل المثلى لتجنب التلوث كما لا يخفى.

وحذر ﷺ أمته من تعرض الأواني المكشوفة للتلوث الهوائي. حيث ورد في الصحيحين أنه قال: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء»، وزاد مسلم: «فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل عليه من ذلك الوباء».

ثم جاء عصر الفتوح والدول الإسلامية بعد الرسول ﷺ. فاتسعت دولة الإسلام، وبرزت نهضة علمية هائلة ما عرف لها التاريخ مثيلا. فكان اهتمام المسلمين بشتى أنواع العلوم والمعارف اهتماما لا تزال الأبحاث الحديثة في تاريخ العلوم تكشف عن مدى عظمته.

www.ahlaltareekh.com

فكان من جملة ما اهتم به العلماء المسلمون - وغيرهم من الذميين الذين عاشوا في دولة الإسلام - تأثير التلوث الهوائي في صحة البشر، وكونه سببا في إحداث الأمراض والأوبئة. **وقد ألحقنا بهذه المقالة قائمة بالكتب التي اهتمت بتأثير نوعية الهواء في الصحة، وبمعالجة التلوث الهوائي، وبدراسة الأوبئة.** فنجد من تلك القائمة أن الأطباء المترجمين من أمثال **حنين بن إسحق وثابت بن قرة** قد ترجموا كتب أطباء اليونان التي ألفت عن تأثير الأهوية والأزمنة والبلدان في الصحة. ثم كتب أطباء الإسلام بعد ذلك مؤلفاتهم الخاصة حول الموضوع.

وجاء العلامة **الكندي** (المتوفى سنة ٢٥٦هـ - ٨٧٠م) بأعاجيب في التأليف الموسوعي. حيث ألف في الفلسفة والموسيقى والفلك والتنجيم والكيمياء والطب والصناعات والفيزياء وعلوم الجو (الأرصاد الجوية) والهندسة. وبرع في أكثر تلك العلوم. وكان من ضمن إنجازاته الرائعة أوائل البحوث التي اهتمت بمعالجة التلوث الهوائي. حيث ألّف مقالتين في الموضوع: إحداهما بعنوان «**رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء**»، والأخرى بعنوان «**رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية**». (٤)

أما **الرازي** (المتوفى سنة ٣١٣هـ - ٩٢٥م) **فقد رويت عنه قصة مشهورة تدل على اهتمامه بتأثير التلوث الهوائي**؛ فقد استشاره **عضد الدولة بن بويه** في اختيار موقع للبيمارستان (المستشفى) العضدي ببغداد. فما كان منه إلا أن أمر بعض الغلمان أن يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد قطعة لحم، واختار من تلك النواحي الناحية التي لم يفسد فيها اللحم بسرعة، فأشار بأن يبنى في ذلك الموضع، وتم ذلك فعلا(٥).

وقد ألف **الرازي** رسالة في تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعا لذلك، وتفتح الورود والأزهار في الأنف بإحداث الزكام المزمن، حيث يظهر هذا الداء في فصل الربيع حين تتفتح الأزهار، فتملأ الجو بغبار الطلع الذي يدخل بتماس مباشر مع مخاطية الأنف، فيسبب هذا النوع الخاص من الزكام. وقد يبدأ في فصل الصيف أحيانا. وهذا عائد إلى أنواع الأشجار والنباتات التي تنمو في المنطقة، وموعد تفتح أزهارها، وحساسية المريض لها(٦).

> تنبه أجدادنا لهذا الخطر.. فلماذا تركناه يهدد حياتنا؟!!

ومن آرائه الصائبة في مجال التلوث الهوائي قوله في مقالة بعنوان «**سر صناعة الطب**»: «**إن كثر الضباب ببلدة مع تواتر الأمطار فأَنْذِرْهُم بحدوث الجدري والحصبة والطواعين**»(٧). فهذا القول يوضح العلاقة بين الجو الساكن والتلوث.

فساد الهواء.. كيف؟

وفي حوالى عام ٣٧٠هـ - ٩٨٠م ألّف **محمد ابن أحمد التميمي** كتابا خاصا بموضوع التلوث الهوائي أسماه «**مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء**». وقد ظن كثير من مؤرخي الطب في عصرنا أنه مفقود، إلا أن **سلمان قطاية** الطبيب الباحث أوضح أن نسخة مخطوطة منه موجودة في الكنيسة المارونية بحلب(٨). وعند كاتب هذه الأسطر نسخة مصورة من تلك المخطوطة.

تقع مخطوطة التميمي في ٣٧٤ صفحة (١٨٧ ورقة). ويمكن تقسيم مواضيع الكتاب إلى ما يلي:

١ - آراء أبقراط وجالينوس وأرسطو وأهرن في الموضوع.

٢ - شرح أنواع الهواء الملوث في الأقطار الإسلامية وعلاقتها بالفصول والأماكن.

٣ - الأمراض الناتجة عن تلوث الهواء وكونها أمراضا معدية.

٤ - الطرق الصحية للوقاية من العدوى عند حدوث الوباء.

٥ - أنواع البخور التي تعالج تلوث الهواء، وكثير من هذة الأنواع من صنع المؤلف.

٦ - معالجة تلوث المياه الآسنة التي تنتج ملوثات الهواء.

٧ - أدوية تقوي جهاز المناعة ضد العدوى والأوبئة.



٨ ـ استعمال العطر والموسيقى والعلاج النفسي لتجنب العدوى والوباء.

٩ ـ تعريف الجدري والحصبة وعلاجهما.

١٠ ـ أنواع العلاجات لمن أصيبوا بالأمراض الناتجة عن التلوث الهوائي. وكثير من هذه العلاجات من إعداد المؤلف.

ويبدو أن المؤلف لم يطلع على رسالتي الكندي السابق ذكرهما. إذ يصرح بأن الحكماء الإسلاميين لم يؤلفوا شيئا في هذا الموضوع[٩] ولكنه اطلع على كتاب آخر للكندي بعنوان **«أقرباذين، أو اختيارات الكندي في الأدوية الممتحَنة المُجَرَّبة»**، وهو كتاب طبع بأمريكا سنة ١٩٧٠م بتحقيق **مارتن ليفي**.

أما **أبو مروان عبد الملك بن زهر الأندلسي** (المتوفى سنة ٥٥٧هـ ١١٦٢م) فقد تحدث في كتابه **«التيسير في المداواة والتدبير»** عن فساد الهواء الذي يهب من المستنقعات والبرك ذات الماء الراكد[١٠]. وكذلك فعل **ابن المجوسي علي بن العباس** (المتوفى حوالى سنة ٤٠٠هـ ١٠١٠م) في كتابه **«كامل الصناعة الطبية»** أو **«الملكي»**[١١].

وكان كبار أطباء الإسلام يوصون تلاميذهم بأن يولوا موضوع التلوث الهوائي وتأثير البيئة عناية خاصة عند تشخيص المرض. فقد وردت هذه الوصية في كتاب **«بستان الأطباء وروضة الألباء»**[١٢] **لابن المطران الدمشقي** (المتوفى سنة ٥٨٧هـ ١١٩١):

«ينبغي للطبيب أن يكون إذا قدم على مداواة قوم في بلد، أن ينظر في وضع المدينة، ومزاج الهواء المحيط بها، والمياه الجارية فيها، والتدبير الخاص الذي يستعمله قوم دون قوم؛ فإن هذه هي الأصول. ثم بعدها النظر في سائر الشرائط».

و كانت هذه الوصية أول ما استهل به المؤلف كتابه، كما نرى في صورة المخطوطة المنشورة مع بحثنا هذا.

وكَتَبَ العلامة **ابن القيّم** (المتوفَّى سنة ٧٥١هـ ١٣٥٠م) في كتابه **«الطب النبوي»** فصلا عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي. وقد لخّص ذلك الفصل بقوله: «والمقصود: أن فساد الهواء جزء من أجزاء السبب التام والعلة الفاعلة للطاعون. وأن فساد جوهر الهواء هو[١٣] الموجب لحدوث الوباء. وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة: لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه، كالعفونة والنتن والسُّمِّيَّة، في أي وقت كان من أوقات السنة. وإن كان أكثر حدوثه في أواخر الصيف، وفي الخريف غالبا، لكثرة اجتماع الفضلات المرارية الحادة وغيرها في فصل الصيف وعدم تحللها في آخره. وفي الخريف لبرد الجو، وردغة[١٤] الأبخرة والفضلات التي كانت تتحلل في فصل الصيف. فتنحصر فتسخن فتعفن: فتحدث العفنة. ولا سيما إذا صادفت البدن[١٥] مستعدا قابلا رهلا قليل الحركة كثير المواد. فهذا لا يكاد يفلت من العطب»[١٦].

شكل (١) فقرة من كتاب «مادة البقاء» بإصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الأوباء» لمحمد بن أحمد التميمي ـ ألفه حوالى عام ٣٧٠هـ ـ ٩٨٠م.

شكل (٢) الصفحة الأولى من مخطوطة «بستان الأطباء وروضة الألباء» لابن مطران. يوصي فيها المؤلف بمراعاة تأثير التلوث الهوائي والبيئة والعادات في الصحة

لماذا تركنا الخطر؟:

وفي القرون الأخيرة عم الجهل بلاد المسلمين، وفترت الهمم. وكان من نتائج ذلك أن تركوا الاهتمام بأمور معاشهم التي حث الإسلام على الاهتمام بها. ومن أمثلة ذلك أن بعض المتزمتين من فقهاء ذلك الزمان شجعوا على التواكل، وعلى عدم الاهتمام بأمور الوقاية من الأوبئة التي كانت تجتاح العالم الإسلامي وتفني أفراده. فألّف أحد العلماء الجزائريين ـ وهو **حمدان خواجة الجزائري** ـ سنة ١٢٥٢هـ كتابا عن التلوث المسبب للوباء، سماه:

«إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء»[١٧]. وكان الهدف من تأليف ذلك الكتاب هو التنبيه إلى وجوب الأخذ بأسباب الوقاية من الأوبئة، بتطهير الهواء والتزام النظافة.

يقول هذا العالم في كتابه: «والذي ينقدح لنا (أي يظهر لنا بتحكيم العقل) أن أصل تولد هذا المرض هو تعفن الهواء، وتولّد السمية فيه، كما

صرح بـه الحكماء (أي أطباء اليونـان والمسلمين)، ووافقهم عليـه طوائف الإفرنـج . فاعتنوا بـإصلاح الهواء وإزالة العفونات في مصر ـ حين دخلوها سنة ١٢١٣ ـــ فلم يســاعـدهم عـوام أهل مصر في مقترحهم[١٨] . . .

منذ العصور الوسطى

بالإضـافة إلى الأوبئة التي كانت تجتـاح أوربة بين الحين والآخر بسبب عدم الاهتمام بالنظافة، فإن المدن الأوربيـة عرفت نـوعا آخـر من التلوث منـذ القـرن الثالث عشر الميـلادي. وذلك بسبب كثـرة استعمال الفحم، مع ازدحام المدن بالمساكن؛ فقد كانت مـدينة لندن تعـاني من الدخـان الأسود ذي الرائحـة الكريهة المزعجة والتأثير الضـار. وقد نتج عن استعمال الفحم في المنازل، وعند أرباب الحرف كالحدادين والنحاسين. ومن ذلك نتج تلوث الهواء الذي أدى إلى الإضرار بصحة الإنسان والنباتات، وتلطيخ المباني بالسواد، وتشوه منظر الجو. ولم يكن هناك مفر من استعمال الفحم: لأن الصناعة كانت تنمـو بـاطّـراد سريع. فإمـا أن تـؤمن لها الطـاقـة الضروريـة من الفحم الحجـري، وإمـا أن يـؤدي استعمال الأخشـاب إلى إتـلاف الغابـات المحيطـة بكامل جزيرة بريطانية . . .

رويت أول حادثة عن تلـوث الهواء في بريطانيا سنـة ١٢٥٧م. ففي تلك السنــة شكت الملكــة إليانور زوجة الملك هنري الثالث (وهي التي ولدت وتـربت في مقـاطعـة بـروفنس Provence بأقصى جنوب فرنسا) من الـروائح الكريهة التي كانت تملأ سماء إنجلترا. وهي الروائح التي كـانت تنبعث من كثـــرة استعمال الفحـم، وسكـــون الهواء فـــوق المدينة[١٩].

وفي سنـة ١٢٧٣م أصــدر ابنهـا الملك إدوارد الأول أمرا بمنع استعمال الفحم، و هدد بقطع رأس من يوجد متلبسا بإحراق الفحم. ولكن هذا المنع لم يستمر طويلا، لأن زيادة استعمالا لحطب أدت إلى أزمـة في غابـات إنجلترا، فعـاد الناس يستعملـون الفحم.

وفي سنة ١٢٨٠م تألفت لجنتـان لإيجاد حل لمشكلة التلوث هـذه، ولكنهما لم تستطيعا إيجاد أي حل . . .



اهتمام كبير بتلوث الهواء في الماضي والحاضر

ومنذ القرن الســابع عشر الميلادي بدأ الناس يـدركون أن دخـان الفحم يمتد تأثيره إلى أبعـد من إزعـاج الأنوف . . . ففي سنـة ١٦٢٠ تأثـر الملك جيمس الأول بمنظـر أقمشـــة الستـائر الثمينـــة بكاتـدرائية سانت بول بلنـدن، وقد اهترأت بفعل التلوث الجوي.[٢٠] وبدأت الحكومة والباحثون في العلوم الطبيعيـة منذ ذلك الـوقت بدراسـة التلوث الهوائي

وفي سنـة ١٦٦١م أصـدر **جـون إفلين** كتابا بعنوان **«ظاهرة التدخين أو سوء نوعية الهواء، وتفشي الدخـان في لندن، مع بعـض العلاجـات المقترحة بتواضع»**

John Evelyn, Fumifugium or the Inconvenience of Aer and smoak of London Dissipated, together with some remedies Humbly Proposed

وقد قدم إفلين في كتابـه هذه الاقتراحات الهامة التي سبق بها عصره:

١ ـ نقل الصناعـات التي تعتمد على إحراق الفحم إلى أماكن تبعـد مسافة خمسة إلى ستـة أميال عن المناطق السكنية.

٢ ـــ تـركيب مـداخن طـويلـة فـوق المصـانع والبيوت لطرد الملوثات إلى الطبقات العليا من الجو، بحيث يعمل الهواء على تشتيتهـا ونقلها بعيـدا عن السكان.

٣ ـ الاستفـادة من اتجاه الـرياح الســائدة عند اختيار مـواقع المناطـق الصناعية: وذلـك بجعلها بحيث تهب الـرياح من جهـة المناطق السكنيـة إلى المصانع، وليس العكس.

٤ ـ الاستفادة من العـوائق الطبيعية على سطح الأرض (مثل الجبـال والغابـات) لعزل الصنـاعات عن السكان.

٥ ـ تكـوين مناطق عـازلة حول المدينـة تعرف بالأحزمة الخضراء[٢١].

وهـذه الاقتراحات لا تـزال تعتبر حلـولا لكثير من المشكلات البيئية إلى اليوم.

وقد اتبع الإنجليز منذ تلك الأيام أسلوب تركيب المداخن الطوال فوق البيوت والمصانع. وهذه الطريقة لا تزال تستعمل في مكافحة التلوث الصناعي. حيث نشاهد المداخن العالية في بعض معامل تكرير البترول ومحطات الكهرباء ومنشآت الصناعات الثقيلة الأخرى.

وفي سنة ١٨١٨م أصدر **لوك هوارد** كتابا بعنوان **«مناخ لندن مقتبسا من مشاهدات الأرصاد الجوية»**

Luke Howard, Climate of London Deduced from Meteorological Observations

وفي ذلك الكتاب ظهرت للمرة الأولى ملاحظة أن نمو المدن وتكاثر البنايات يؤثران في حالة الجو وتفشي الملوثات.

وفي سنة ١٨٥٢م انتبه كيميائي دقيق الملاحظة اسمه روبرت أنكَس سمث **Robert Angus Smith** إلى علاقة تربط بين تزايد السناج (٢٢) الأسود الناتج عن الفحم في سماء مدينة ما نشستر الصناعية ببريطانيا، وتكوُّنِ الأحماض التي اكتشفها في المطر والبَرَد. وبعد ذلك العام بعشرين سنة (١٨٧٢م) نشر أبحاثه حول الموضوع في كتاب مكون من ستمائة صفحة، استخدم فيه لأول مرة اصطلاح **«الأمطار الحمضية»**. و كان الكتاب يدور حول الأمطار الحمضية. وهو بعنوان **«الهواء والمطر، بدايات لعلم المناخ الكيميائي»**.

R.A. Smith, "Air and Rain, the Beginnings of a Chemical Climatology"

ولم ينتبه الناس إلى أهمية الكتاب إلا بعد مرور قرون من صدوره، حين تفشت الأمطار الحمضية في العالم الصناعي . . .

وفي سنة ١٨٨٨م أصدر **رسل** Russel بحثا كشف فيه أن ضباب لندن الملوث بدخان الفحم(٢٣) يؤثر فيب صحة الكائنات ويتلف المواد. وقد اقترح في بحثة استعمال الغاز للتدفئة بدلا من الفحم.

وقد صدرت عدة أبحاث منذ ذلك الحين في أنحاء أوروبا و أمريكا كافة، **عن التلوث الجوي الناتج عن إحراق الفحم، أو عن ركود المياه الآسنة لسوء تصريف المجاري وعلاقة ذلك بتلوث الهواء، أو عن كيفية انتشار الملوثات في الهواء**. وهذه الأبحاث مفصلة في كتاب دي ماريه **De Marrais** المذكور ضمن قائمة مراجع هذا البحث.

وفي سنة ١٩١٧م أصدر باحث أمريكي اسمه جونسون بحثا **حول تاريخ مشكلة دخان المصانع، والنواحي القانونية لها**. ولأول مرة ناقش ذلك البحث مسألة إتلاف النباتات بسبب دخان معامل صهر المعادن، و تأثير ذلك الدخان في صحة البشر.



وفي سنة ١٩١٨م تأسست في بريطانيا **«مؤسسة الدفاع الكيماوي Chemical Defence Establishment»**، وكان سبب تأسيسها إجراء أبحاث حول انتشار الملوثات في الهواء. وكانت الملوثات المعنية هي الأسلحة الكيماوية التي استخدمت بكثافة للمرة الأولى خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م). وبرغم أن هذه المؤسسة أوجدت لأغراض عسكرية، **إلا أن الأبحاث التي صدرت عنها ساهمت مساهمة مفيدة في تطور دراسة التلوث الهوائي والعلوم المرتبطة بهذا المجال**.

وفي سنة ١٩٣٠م **ظهرت أول كارثة تلوث هواء بسبب الانقلاب الحراري في الجو. وذلك في وادي** موز Meuse ببلجيكا. وسيأتي وصف الانقلاب الحراري خلال هذا البحث فيما بعد.

”ملوثات متعددة للهواء، مما جعل العالم يعقد مؤتمرًا عالميًا للحد من التلوث البيئي ..“

ومنذ ذلك الوقت صار التلوث الجوي مشكلة يهتم بها العالم الصناعي على نطاق واسع. وصارت الأبحاث تتوالى، والجماعات المهتمة توالي تشكيل لجان ومنظمات وجمعيات للاهتمام بهذه المشكلة.

ويطول بنا الحديث إذا أردنا التكلم على كل النشاطات التي تمت منذ الثلاثينيات الميلادية إلى يومنا هذا. ولكن يكفينا أن نذكر أن الكلام مفصل في المراجع المذكورة بآخر هذا البحث.

أنواع الملوثات

يتكون التلوث الهوائي في عصرنا من الملوثات التالية:

١ ـ المركبات العضوية الكربونة المتطايرة: ومن مصادرها معامل الطلاء وتصنيع المحاليل العضوية ومصافي البترول. وتنبعث من جراء تبخر السوائل المتطايرة.

٢ ـ أول أكسيد الكربون: ومن مصادره معامل حرق الملوثات الغازية والمصانع الكيماوية والسيارات وصناعة الحديد والصلب، ويتولد كذلك من الاحتراق غير الكامل للوقود.

٣ ـ مركبات الكبريت: ومن مصادرها محطات القوى الكهربائية والغلايات في المصانع ومعامل صهر المعادن غير الحديد ومعامل تحضير الحمض الكبريتي. وتتولد كذلك من إحراق أية مادة تحتوي على الكبريت (مثل الفحم الحجري أو النفط).

٤ ـ أكاسيد النيتروجين: وتتولد من محطات الطاقة الكهربائية والأفران الكبيرة بكل مصنع، وذلك من جراء إحراق الوقود في الهواء في درجة حرارة عالية، مما يجعل نيتروجين الهواء يتحد مع أكسجينه في تفاعل كيماوي. وتتولد كذلك من إحراق المواد المحتوية على النيتروجين.

٥ ـ الأوزون والمركبات المؤكسدة: وتتولد من جراء تفاعل مركبات الكربون المتطايرة أو أكاسيد النتروجين في الجو مع الهواء المحتـــــوي على الأكسجين، بفعل أشعة الشمس التي تساعد على التفاعل.

٦ ـ المركبات الهالوجينية: وهي المركبات الكيماوية المحتوية على عناصر الفلور والكلور والبروم واليود. وتصدر من مصانع الزجاج وفريون المبردات وعلب الرش ذات السوائل المضغوطة (البخاخ) ومعامل الفوسفات.

٧ ـ المركبات ذات النشاط الإشعاعي: وتصدر من محطات القوى الكهربائية ذات الوقود النووي، وذلك عند تهوية الغازات في المفاعلات.

٨ ـ الروائح الكريهة: مصادرها مختلفة. وهي عبارة عن مركبات كبريتية ومواد عضوية محتوية على النيتروجين ومواد عضوية أخرى.

٩ ـ دقائق الهباء: تصدر من محطات القوى الكهربائية (بإحراق الفحم) ومصانع الأسمدة ومصانع الإسمنت والكسّارات وخلاّطات الإسفلت ومعامل حرق النفايات الصلبة وأجهزة غسل الغازات[٢٤].

تقوم ملوثات الهواء هذه بإتلاف البيئة الطبيعية، وذلك بالإضرار بصحة الكائنات الحية كلها من نباتات وحيوانات، وكذلك بتشويه وإتلاف المباني التاريخية والتحف الفنية... وقد يكون تأثير التلوث الهوائي بطيئا وغير محسوس في كثير من الأحيان، إلا أن بعض ظواهره واضحة وسريعة المفعول. وسيخصص الجزء الباقي من هذا البحث للحديث عن أنواع ظواهر التلوث الهوائي التي لم يسمع بها الناس قبل عصرنا الحالي.

الأمطار الحمضية:

نقول عن الماء أو المحلول المائي: بأنه حمضي أو قلوي، اعتمادا على مقدار الحمض أو القلوي المذابين في الماء. حيث تقاس درجة الحموضة أو القلوية بمقياس يعرف بالرقم الهيدروجيني pH. ولا لزوم لنا بتفصيل الحديث عن ماهية الرقم الهيدروجيني[٢٥]. فكل ما يهمنا معرفته هنا هو أنه



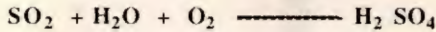
وحدة لقياس حموضة المحلول المائي أو قلويته، مثل درجة الحرارة التي تقيس الحرارة والبرودة.

فإذا نظرنا إلى **الشكل (٣)** نجد أن الرقم الهيدروجيني يتراوح بين صفر و ١٤. فيكون المحلول حمضيا حين يتراوح الرقم الهيدروجيني بين صفر وأقل من سبعة، ويكون قلويا بين ١٤ وأكثر من سبعة.

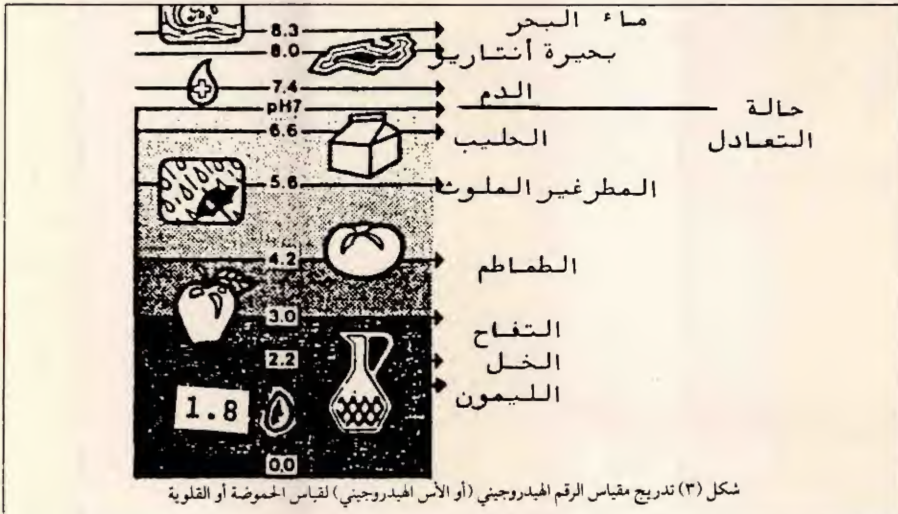
وكما أن الكائن الحي يعيش في بيئة متوسطة الحرارة، فلا يتحمل أكثر الكائنات شدة الحرارة أو شدة البرودة، فكذلك الحال بالنسبة للحموضة أو القلوية. فالكائنات الحية تعيش في وسط متعادل بينهما.

تتولد الأحماض في الجو عندما تنطلق أدخنة المصانع ومحطات الطاقة التي تحتوي على ثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد النيتروجين. وعندما تنطلق هذه الأكاسيد إلى الجو فإنها تسافر في رحلة طويلة تهيّئ لها الظروف المناسبة لتحولها إلى أحماض، حسب المعادلة التالية:

$$SO_2 + H_2O + O_2 \longrightarrow H_2SO_4$$



تتم عملية التحول هذه بطريقة معقدة وببطء شديد. و **يساعد على ذلك التحول الهباء المنطلق من الدخان، ورطوبة الجو، وحرارة الهواء، وأشعة**



شكل (٣) تدريج مقياس الرقم الهيدروجيني (أو الأس الهيدروجيني) لقياس الحموضة أو القلوية

الشمس التي تقوم بخبز الملوثات بعضها مع بعض.

يصف **الشكل (٤)** رحلة الملوثات هذه التي تبدأ من المصادر، وتنتهي بتكون الأحماض التي إما أن تهبط مع المطر، فيسمى المطر حينذاك مطرا حمضيا. أو تلتصق مع حبيبات الغبار والهباء المنطلق مع الدخان. وهذا يسمى التساقط الحمضي الجاف. حيث تتساقط هذه الجزئيات أو الحبيبات بفعل ثقلها قرب المصانع التي انبعثت منها الملوثات. **ولكن القسم الأغلب من هذه الأحماض لا يتم تكونه في أماكن انطلاق الملوثات، نفسها وإنما يتم ذلك عند انتقال هذه الملوثات مع الرياح السائدة عبر المدن والدول لمسافات بعيدة تبلغ مئات الكيلومترات وآلافها. فتتساقط بعيدا عن مصادرها مع الأمطار التي تسمى حينئذ الأمطار الحمضية.**

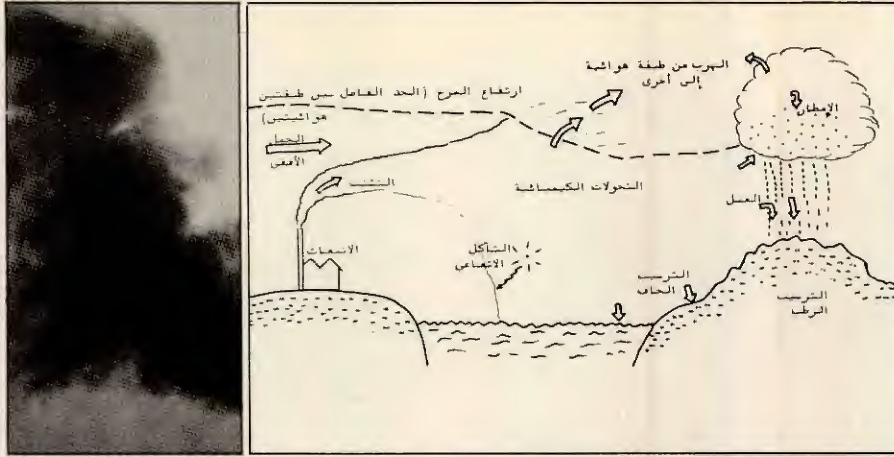
و عندما تهبط الأحماض من الجو على المنشآت فإنها تذيب أسطحها إذابة وتتلفها إتلافا. وتتفاعل مع المواد التي على أسطحها مكونة مركبات كيماوية أخرى تشوه منظرها. وبذلك تلفت الأبنية التاريخية والتحف الفنية في أرجاء العالم المختلفة.

ويعمل الحمض على إتلاف الكائنات الحية الصغيرة كالأسماك والبيض والنباتات. كما يؤثر في صحة الإنسان الذي يستنشق الهواء المحتوي على الأحماض المتطايرة[٢٦].

الدخان والانقلاب الحراري

كانت دونورا بولاية بنسلفانيا الأمريكية بلدة صغيرة، بلغ عدد سكانها اثني عشر ألفا وثلاثمائة نسمة (١٢٣٠٠) سنة ١٩٤٨م. وكان بها على صغر حجمها مصانع للأسلاك والزنك والحمض الكبريتي والفولاذ. وكانت البلدة في واد سحيق تحيط به جبال شديدة الانحدار من ثلاث جهات. فكان الدخان الكثيف يملأ سماءها. وفي الخريف كان الضباب يتحد مع الدخان ليكونا مزيجا قاتما يسمى الضخان[٢٧]. أو الضباب الدخان.

وفي يوم من أيام خريف عام ١٩٤٨م حدث أن مرت كتلة هوائية حارة فوق الهواء المحيط بالبلدة، وكانت الكتلة الهوائية المحيطة بالبلدة



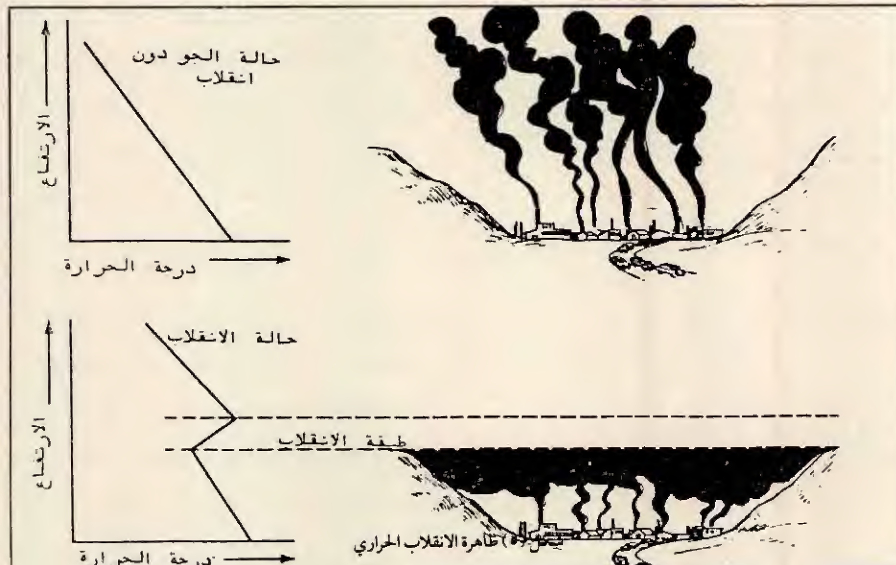
شكل (٤) رحلة الملوثات من مصادرها إلى مواقع ترسبها بشكل أمطار حمضية

باردة. وعندما مرت الكتلة الهوائية الحارة فوق الكتلة الباردة، تكونت من التحامها طبقة تسمى طبقة الانقلاب الحراري، ويصفها **الشكل (٥)**. حيث نرى في ذلك الشكل أن طبقة الانقلاب ترتفع فيها الحرارة كلما صعدنا إلى أعلى، أي بعكس الظواهر الطبيعية المعروفة: حيث المفروض في الطبيعة أن تنخفض الحرارة كلما صعدنا إلى أعلى. ومن هنا جاءت كلمة «انقلاب» inversion أي انقلاب سلوك الحرارة بالنسبة للجو.

وعندما يحدث الانقلاب الحراري فإن الدخان المتصاعد يبدأ فوق سطح الأرض حارا، ثم يرتفع بفعل الحرارة. ولكنه يبرد خلال صعوده، فتصبح كثافته أكبر من كثافة الهواء المحجوز في طبقة الانقلاب، فيهوي إلى الأرض بفعل ثقله كما في **الشكل (٥)**. ويقال في هذه الحالة بأنه «ارتد» من طبقة الانقلاب.

وهذا ما حدث في دونورا. فتركزت الأدخنة السوداء والحمراء والصفراء فوق البلدة لعدة أيام[٢٨]. وزاد الحال سوءا أن الطبقات العليا من الضباب فوق البلدة امتصت حرارة الشمس، فزادت طبقة الانقلاب الحراري سمكا... وظلت الحال كذلك من ٢٦ إلى ٣١ أكتوبر ١٩٤٨م، مما أدى إلى مرض ٦٠٠٠ شخص (نصف سكان البلدة) ووفاة خمسة عشر رجلا وخمس نسوة[٢٩]...

وفي لندن حصل انقلاب حراري مماثل في الفترة من ٥ إلى ٩ ديسمبر ١٩٥٢م. ونظرا لكثرة استعمال



شكل (٥) ظاهرة الانقلاب الحراري

الفحم في تلك المدينة فإن الضباب الأبيض فوقها تحول إلى ضخان أسود، فتحول الجو كله إلى ظلام دامس لأيام متتالية، توفي خلالها الآلاف من الناس . . .

لم يكن باستطاعة المرء أن يرى كفه إذا رفعها أمام وجهه، وكانت ياقة القميص البيضاء تتحول إلى سوداء في عشرين دقيقة . . .

وتسرب الدخان إلى دور السينما، فصارت الشاشة لا يراها إلا الجالسون في الصفوف الأربعة الأمامية . . . وسقط بعض المشاة في نهر التيمز،

وحصلت حادثة مماثلة في نيويورك سنة ١٩٦٦م نجم عنها وفاة ١٦٨ شخصا . . . وهذه الحوادث التي ذكرناها مجرد أمثلة . فحادثتا لندن ونيويورك لم تكونا الوحيدتين في تَيْنِكَ المدينتين، وهناك حوادث أخرى حصلت في أماكن أخرى من العالم . ولا ندري أين سيكون موقع الانقلاب الحراري القادم . وليست معرفة موقع الانقلاب الحراري القادم هي الشيء الوحيد المهم في موضوع تلوث الهواء . وإنما الأهم هو المبادرة بتقليص حجم الملوثات المنبعثة من المصانع ومولدات الطاقة والسيارات، بدلا من انتظار الانقلاب الحراري .

مواد تهيج الأعين وتضر بالأبدان .

لم يكن الدخان معروفا قبل عصرنا الحالي . ولكن تراكم الملوثات من المصانع والسيارات أوصلا كمية التلوث في الهواء إلى الحد الذي لا بد معه من تكون الدخان . ومثل هذا يمكن قوله عن الأمطار الحمضية .

الكوارث الصناعية :

حصلت في السنوات الأخيرة كوارث صناعية هائلة راح ضحيتها الآلاف من الناس بسبب الملوثات الهوائية التي انبعثت منها . ودلت التحقيقات التي جرت حول تلك الحوادث أنها نتجت بسبب إهمال وسائل السلامة . **و نأخذ هنا مثالين: وهما حادثة بوبال في الهند، وحادثة جرنوبل في الاتحاد السوفييتي .**



لأنهم لم يروا الرصيف الذي كانوا يمشون عليه بضفة النهر . . . وأضاع طيار كان يهبط في المطار طريقه، فأرسل فريق للبحث عنه، فأضاع الفريق طريقه كذلك . . .

وكانت محصلة تلك الحادثة الشنيعة أربعة آلاف من الوفيات . . . كان هذا الرقم عاليا في لندن لأن عدد سكانها كبير مقارنة ببلدة دونورا . وقد حصلت حادثة مماثلة بوادي موز Meuse ببلجيكا سنة ١٩٣٠م . وكان عدد الوفيات حوالي ٦٠ شخصا . وقد كتب أحدهم يقول: «لو كانت هذه الحادثة في لندن لكان عدد الوفيات ثلاثة آلاف ومائتين»[٣٠]

فالمناطق المأهولة بالسكان لا تتحمل التلوث الصناعي، سواء جاء الانقلاب الحراري أم لم يجيء . .

بل إن هناك مناطق تعاني من الدخان بشكل دائم: فهناك نوعان من الدخان . أولهما ما يتكون بسبب الانقلاب الحراري، والثاني يتكون بسبب سكون الهواء في منطقة يغلب عليها الهواء الساكن، مثل حوض لوس أنجلس الذي ينفرد بكونه واقعا في منطقة ساكنة الهواء وذات شمس ساطعة ومستوى منخفض . فيعمل سكون الهواء على تراكم الملوثات، بدلا من تشتيتها بالرياح . وتعمل أشعة الشمس على «خبز» تلك الملوثات، وتحويلها إلى

وقعت حادثة بوبال في ٣/ ١٢/ ١٩٨٤م عندما تسرب الماء إلى خزان غاز ايزوسيانات المثيل methyl isocyanate (MIC) الشديد السمية . واتضح فيما بعد أن إجراءات السلامة المتبعة والأجهزة المستخدمة في نظام أنابيب الماء المتسرب كانت فاسدة، وهذا ما أدى إلى التسرب .

وعندما تسرب الماء بدأ تفاعل حاسم domino reaction، فارتفعت درجة الحرارة والضغط، وصدئت المعادن أو اهترأت بسبب التفاعل، فانفصل معدن الحديد عن جسم الخزان، وصار ذلك الحديد المنفصل حفازا للتفاعل catalyst.

ونتج عن هذا أن انطلقت جميع محتويات الخزان (٤١ طنا متريا) على هيئة غاز من خلال مدخنة الإغاثة التي كان علوها ٣٠ مترا، فانتشر الغاز في مساحة خمسة أميال مربعة . . .

بدأ تسرب الغاز بعد منتصف الليل خلال فترة انقلاب حراري في الجو[٣١] . وكانت أجهزة السلامة والطوارئ في المصنع معطلة جميعها: فقد كانت أجراس درجة الحرارة ومبردات التفاعل وأجهزة الشعلات وغاسلات أجهزة التهوية ومعدات تعطيل المداخن في حالة خراب[٣٢] . . .

نتج عن هذه الكارثة وفاة ٢٥٠٠ شخص. . وبعدها أجرت وكالة حماية البيئة الأمريكية دراسة حول الحوادث الصغيرة المماثلة التي وقعت في أمريكا، فوجدت أنه بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٥م حصلت سبعة آلاف حادثة، منها ٤٦٨ حادثة نتج عنها ضحايا، حيث بلغ عدد الوفيات ١٣٨ والإصابات ٤٧١٧.

أما حادثة جرنوبل فقد وقعت عندما تم فصل نظام التبريد بالمفاعل في الساعة ١٤ (الثانية بعد الظهر) من يوم ٢٥ أبريل ١٩٨٦م دون فصل نظام التغذية الكهربائية كما تقتضي أصول السلامة. وبعد ١١ ساعة و٢٣ دقيقة من تشغيل المفاعل دون نظام تبريد وقع الانفجار الذي أدى إلى **وفاة شخصين بسبب الانفجار، كما توفي ٢٩ آخرون بسبب الإشعاعات**، وذلك حتى تاريخ ٢١/٨/١٩٨٦م حين نشر تقرير وزع على وكالات الأنباء وأرسل إلى وكالة الطاقة الذرية الدولية[٣٣].

الغازات السامة في الجو :

أدت حوادث المصانع الكيماوية والمفاعلات النووية والتلوث الصادر عن دخان الصناعات المذكورة في الفقرة ٤ (أنواع الملوثات الهوائية) من هذا البحث، واستعمال المبيدات داخل المنازل وخارجها، إلى تلوث الهواء بغازات وحبيبات ودقائق عالقة من المواد السامة. ومن هذه المواد المعادن: مثل الكروم والرصاص والارسنيك والأسبستس. ومنها كذلك المواد العضوية الناتجة عن اشتعال غير تام: مثل الفورمالدهايد والبنزين وأُكسيد الإثلين وأبخرة الجازولين (وقود السيارات) والمركبات العضوية التي يدخل الكلور في تركيبها. . .

وبالإضافة إلى المصادر المذكورة فإن هذه المواد السامة تنطلق من نشاطات البشر الأخرى، مثل محطات وقود السيارات ومغاسل التنظيف الجاف والأبخرة المتصاعدة من منشآت تنقية المياه وسيارات الديزل والسيارات العادية التي يتطلق الرصاص مع دخانها.

وحتى الآن لم يتم وضع قوانين للتحكم بأكثر

قائمة أولية بالكتب المؤلفة في التراث الإسلامي حول تلوث الهواء والأوبئة وتأثير نوع الهواء على الصحة

أ ـ الكتب المؤلفة حول مكافحة تلوث الهواء:

١ ـ رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء، للكندي(١)

٢ ـ رسالة في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية، للكندي كذلك(١).

٣ ـ كتاب في مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء، لمحمد بن أحمد التميمي (مخطوط في المكتبة المارونية بحلب).

ب ـ الكتب والمقالات المؤلفة حول تأثير نوع الهواء على الصحة:

١ ـ كتاب الأهوية والأزمنة والبلدان لأبقراط، ترجمة حنين بن إسحق طبع في إنجلترة سنة ١٩٦٩.

٢ ـ ثمار تفسيره جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمساكن والبلدان، لحنين بن إسحق(١).

٣ ـ شروح كتاب الهواء والماء والمساكن لحنين ابن إسحق(١). .

٤ ـ فصول استخرجها حنين بن إسحق من كتاب الأهوية والبلدان(١).

٥ ـ جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان، لثابت بن قرة(١).

٦ ـ مقالة في السبب في قتل ريح السَّموم لأكثر الحيوان، للرازي(١).

٧ ـ مقالة في العلة التي لها صار الخريف ممرضا والربيع بالضد، للرازي(١).

٨ ـ مقالة في العلة التي من أجلها يعرض الزكام لأبي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد، للرازي.
(طبعت في مجلة تاريخ العلوم العربية، انظر المراجع).

٩ ـ الأجزاء ١٤ إلى ١٧ من «الحاوي» للرازي تبحث في الحميات والأوبئة وشرح أنواع الأهوية (طبع الحاوي في حيدر أباد بالهند ١٩٥٥ ـ ١٩٧٢م).

١٠ ـ مقالة في تدبير المسافرين من جهة الغذاء والدواء وتغير الفصول والأمكنة والأهوية، ومقالة عن الحميات والأوبئة. ضمن كتاب «المنصوري» للرازي (طبع الكتاب في ليدن بهولندة سنة ١٩٠٣م).

١١ ـ مقالة في تغير الأهوية والأمراض الحادثة عنها وعن علاج وتدبير دفع مضرة الانتقال، ضمن كتاب «الذخيرة في الطب» لثابت بن قرة (طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٩٢٨م).

١٢ ـ مقالة عن المناخ والمياه والفصول من حيث تأثيرها في الصحة، ضمن كتاب «فردوس الحكمة» في الطب، لعلي بن سهل ابن ربن الطبري. (طبع الكتاب في برلين سنة ١٩٢٨م).

١٣ ـ الفصول ١٠ إلى ٢٥ من كتاب «المائة» للجرجاني عن حالات الهواء والتأثيرات السماوية وهبوب الرياح واختلاط الأبخرة بالمساكن.
(مخطوطة في المكتبة البريطانية والمكتبة الرضوية في مشهد بإيران).

١٤ ـ مقالة في التقرير القياسي على أن البلغم يكثر تولده في الصيف والدم، والمرار الأصفر في الشتاء، لأفرائيم بن الزفان(١).

١٥ ـ رسالة في أزمنة الأمراض، لعلي بن رضوان(١).

(١) ذكر في كتاب ابن أبي أصيبعة، ولا نعلم له نسخا باقية

الكتب المؤلفة في الأوبئة :

١ ـ اتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء، لحمدان خواجة الجزائري. طبع في الجزائر سنة ١٩٦٨م.

٢ ـ رسالة الإباء عن مواقع الوباء. تأليف إدريس بن علي البدليس !!.

٣ ـ رسالة في بيان الطاعون، لطا شكبري زادة(١).

٤ ـ رسالة الشفاء لأدواء الوباء، لطا شكبري زادة كذلك(١).

٥ ـ مقالة في الوباء، لقسطا بن لوقا البعلبكي(١).

٦ ـ رسالة في تحقيق أمر الوباء والاحتراز عنه وإصلاحه إذا وقع، لعيسى بن سهل المسيحي(١).

٧ ـ رسالة في الطاعون، لابن كمال باشا(١).

٨ ـ الرسالة الوبائية، للرازي (١).

٩ ـ رسالة في الوباء ودواؤه وعلاجه، لأحمد بن محمد البكري الصديقي(١).

١٠ ـ الطب المسنون في دفع الطاعون، ابن أبي حجلة(١).

١١ ـ فنون المنون في الوباء والطاعون، لابن المبرد(١).

١٢ ـ كتاب الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون، لعبد القاهر التونسي(١).

١٣ ـ الماعون في مسألة الطاعون، لعثمان بن مرسي الإسكي شهري(١).

١٤ ـ محنة الطاعون والوباء، لإلياس بن إبراهيم اليهودي(١).

١٥ ـ وصف الدواء في كشف آفات الوباء، للبسطامي(١).

١٦ ـ خلاصة ما تحصل عليه الساعون في أدوية الوباء والطاعون، للبيلوني(١).

١٧ ـ تحفة الراغبين في بيان أمر الطواعين، لزكريا الأنصاري(١).

١٨ ـ ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، للسيوطي. منه نسخ في تركية(١)، ونسخة في دار الكتب المصرية.

١٩ ـ مختصر بذل الماعون في أخبار الطاعون، للعسقلاني. منه نسخة في معهد التراث العلمي بجامعة حلب.

٢٠ ـ مقالات عن التدبير عند فساد الهواء وحدوث الأوبئة، ضمن الرسائل الطبية السجزية، للسجزي(١).

(١) ذكره ابن أبي أصيبعة في كتابه، ولا نعلم له نسخا باقية.

(٢) منه نسخ في تركية. انظر فهرس ششن المذكور في المراجع.

□ □

هذه المواد السامة. ربما لأن ضررها غير كبير حتى الآن، ولأن المصانع تقوم بتصفيتها في العادة. إلا أن بعضها قد سنت قوانين للتحكم فيه، كرصاص وقود السيارات مثلا(٣٤).

خلاصة

رأينا في هذا البحث أن البيئة النظيفة النقية الصحية التي خلقها الله لنا قد جاء الإنسان فلوثها، وصار يعاني من آثار التلوث الذي أنتجه بنفسه. ومع تطور العلوم والتقنية وتكاثر السكان ظهرت أنواع جديدة من التلوث. **ففي الماضي كانت ظواهر التلوث تنحصر في الأوبئة والروائح المؤذية، ثم كثر استعمال الفحم في بعض البلاد فنتج عنه نوع جديد من التلوث. ثم صرنا نسمع اليوم ونعاني من ظواهر جديدة من التلوث الهوائي لم يسمع بها الناس من قبلنا. وبعد أن كانت حوادث التلوث تحدث بصورة فردية صارت الآن ظاهرة عالمية.**

وكل هذا من أجل أنانية الإنسان الذي يريد أقصى حد من الرفاهية. فكثر استخدام منتجات التقنية من مصانع وسيارات ومولدات طاقة، وذلك لتسخير هذه الأشياء من أجل رفاهية الإنسان، بل وتسخيرها أيضا لخدمة الأغراض العسكرية.

فالعائلة الصغيرة المكونة من زوج وزوجة وطفلين في المجتمعات الصناعية قد تكون عندها سيارتان. **وهي تستهلك من الطاقة الكهربائية ضعف ما كان يستهلكه الجيل السابق**: وذلك للاستمتاع بالاستريو والتلفاز والفديو والتكييف المركزي وغسالة الأطباق ونشافة الملابس. **وتقوم العائلة بإلقاء مخلفات صلبة (قمامة) تبلغ أضعاف ما كان يلقيها الجيل السابق**، وذلك من أطباق وكؤوس ورقية وأوراق تنشيف بأنواعها وعلب وصناديق فاكهة وقوارير شراب لا يعاد استعمالها وملابس مستعملة لا تجد من يلبسها أو ينقلها إلى الشعوب الفقيرة، وصحف ومجلات إلخ...

وكل هذه الرفاهية تأتي على حساب نقاء الجو: **فالسيارات تنفث سموما قاتلة إلى الجو. ومولدات الكهرباء والمصانع تقذف بالملوثات المتلفة.**

والنفايات تنطلق من إحراقها غازات ملوثة....



فالمطلوب إذن هو أن يتعاون أهل الصناعة والمجتمع والمسؤولون عن السلامة وحماية البيئة من أجل جو أنظف في العالم كله. والمطلوب كذلك أن تعمل المصانع وفق أصول السلامة، ووفق مقاييس حماية البيئة لئلا تتكرر الكوارث الصناعية.

وليدرك العاملون بالمصانع أن البيئة بيئتهم، وأن المواطنين والأطفال هم أبناؤهم وإخوانهم. وأن كل باب تأتي منه الريح يجب أن يسد لنستريح...

الهوامش

(١) الطب النبوي لابن القيم، نقلا عن مسند البزار. ورواه الترمذي وضعفه.

(٢) جامع الأصول لابن الأثير: كتاب الطهارة في حرف الطاء.

(٣) متفق عليه.

(٤) و (٥) ابن أبي أصيبعة (انظر المراجع).

(٦) هاو و قطاية (مجلة تاريخ العلوم العربية).

(٧) حمارنة ص ٢١٠

(٨) قطاية (فهرس مخطوطات...)

(٩) التميمي ص ٥

(١٠) ابن زهر ص ص ٤١٧ ـ ٤٢٤

(١١) ج١ ص ١٦٨، نقلا عن حمارنة ص ٢٥٣.

(١٢) لا يزال هذا الكتاب مخطوطا. ولكن كاتب هذا البحث يعمل على تحقيقه ونشره.

(١٣) كلمة (هو) زائدة على الأصل.

(١٤) الردغة هي الماء والطين والوحل، أي ما نسميه اليوم بالعامية: «الرجفة».

(١٥) أي جسم الإنسان الذي يستنشق تلك العفونة.

(١٦) ابن القيم ص ١٥١.

(١٧) منه نسختان مخطوطتان بخط المؤلف، إحداهما في مكتبة جامعة استنبول، والأخرى في المكتبة الأهلية بباريس. وقد طبعت نسخة باريس في الجزائر سنة ١٩٦٨م.

(١٨) حمدان خواجة ص ١٣٤.

(١٩) سيأتي الحديث عن تأثير سكون الهواء في التلوث في فقرة «الضخان والانقلاب الحراري» بهذا البحث.

(٢٠) Brimblecombe

(٢١) Ostmann, De Marrais

(٢٢) السناج أو السخام هو الهباء الأسود الذي يتطاير مع دخان الفحم.

(٢٣) اختلاط الضباب بالدخان ظاهرة أصبحت معروفة في العالم الصناعي. وسيأتي وصفها في فقرة «الضخان والانقلاب الحراري» بهذا البحث.

(٢٤) قاري ـ الأمطار الحمضية.

(٢٥) تعريفه مفصل في كتب الكيمياء. ويسمى أحيانا «الأس الهيدروجيني».

(٢٦) قاري، الأمطار الحمضية.

(٢٧) الكلمة المستعملة في الإنجليزية هي smog. وهي مؤلفة من كلمتي smoke أي دخان، وfog أي ضباب. وقد اختلفت المعاجم والكتب العلمية في تعريب هذه الكلمة. واعتمدت هنا الاصطلاح المعتمد في «المعجم الطبي الموحد» الذي أعده اتحاد الأطباء العرب بالتنسيق مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجمع العلمي العراقي.

(٢٨) تطول المدة في حالة الانقلاب الحراري الناتج عن تمركز كتلة هوائية حارة فوق كتلة باردة. وهناك نوع آخر من الانقلاب الحراري يحدث عند الفجر في الأودية: حيث يبرد الهواء الملاصق لسطح الأرض في آخر الليل، فتصبح الكتلة التي تعلوه أسخن منه، فتتكون بينهما طبقة انقلاب سرعان ما تتلاشى عند شروق الشمس التي تسخن الكتل الهوائية وتتسبب في انتشار حركة الهواء.

(٢٩) Ehrlich

(٣٠) Perkins

(٣١) أي الانقلاب الحراري الناتج عن برودة سطح الأرض بعد منتصف الليل، كما مر بنا في الحاشية السابقة.

(٣٢) Shrivastava

(٣٣) الصحف الصادرة في ١٧/ ١٢/ ١٤٠٦هـ ٢٢/ ٨/ ١٩٨٦م.

(٣٤) Cannon

المراجع

١ ـ ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. طبع أكثر من مرة، وأجودها طبعة عبد القادر أرناؤوط المحققة المشروحة. وقد صدرت لها فهارس حديثا.

٢ ـ ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء طبع في القاهرة وبيروت عدة مرات.

٣ ـ التميمي (محمد بن أحمد): مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء. مخطوط بالمكتبة المارونية في حلب.

٤ ـ حمارنة (سامي خلف): تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، نشر جامعة اليرموك بالأردن، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٥ ـ حمدان خواجة الجزائري: إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء. طبع في الجزائر سنة ١٩٦٨م.

٦ ـ ابن زهر (عبد الملك): التيسير في المداواة والتدبير. تحقيق ميشيل الخوري نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٧ ـ ششن (رمضان) وزملاه: فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركية. نشر مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستنبول ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٨ ـ عبد الجبار عبد الرحمن: ذخائر التراث العربي الإسلامي (ما طبع من التراث حتى عام ١٩٨٠م)، نشر بالعراق سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٩ ـ فروخ (عمر): تاريخ العلوم عند العرب. نشر دار العلم للملايين بيروت ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م

١٠ ـ قاري (لطف الله): الأمطار الحمضية ـ نشر مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، ١٤١٠هـ.

١١ ـ قطاية (سلمان): مخطوطات الطب والصيدلة في المكتبات العامة بحلب نشر معهد التراث العلمي العربي بحلب. ١٣٩٧هـ ١٩٧٦م.

١٢ ـ قطاية (سلمان): تعليق على رسالة الرازي في الزكام. مجلة تاريخ العلوم العربية (حلب). المجلد ١ العدد ١، سنة ١٩٧٧م.

١٣ ـ ابن القيم: الطب النبوي. له عدة طبعات، لعل أجودها الطبعة السادسة تحقيق عبد المعطي قلعجي. نشر دار الوعي بحلب. ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٤ ـ ابن المطران: بستان الأطباء وروضة الألباء. منه ثماني نسخ مخطوطة في العالم. ويقوم كاتب هذا البحث بتحقيقه. حاليا مع باحثين آخرين.

١٥ ـ ميرهوف: مقالة (الطب والعلوم)، ضمن كتاب «تراث الإسلام». النشرة الأولى (القديمة) ترجمة جرجيس فتح الله.

١٦ ـ هاو (فريدرون): تقرير الرازي حول الزكام المزمن عند تفتح الورد، مجلة تاريخ العلوم العربية (حلب). المجلد ١ العدد ١. ١٩٧٧م.

17 - Brimblecombe, P. 1976
Attitudes and Responses towards Air Pollution in Medieval England, JAPCA, vol. 26, no.16, pp. 941-945.

18 - Cannon, J.A. 1986.
The Regulation of Toxic Air Pollutants, JAPCA, vol. 36, no. 5, pp. 562 - 573.

19 - De Marrais, G.A. 1979.
A History of Air Pollution Meteorology through 1969, NOAA Technical Memorandum, USA.

20 - Ehrlich et al. 1977
Ecoscience, Freeman and Co, San Francisco, USA.

21 - Encyclopaedia Britannica. 1981. Several Topics.

22 - Gari, L. 1987
Notes on Air Pollution in Islamic Heritage, Hamdard, vol. 30, no. 3, pp. 40-48.

23 - McGraw - Hill Encyclopaedia of Environmental
Sciences and Technology, 1977.

24 - Ostmann, R. 1982.
Acid Rain, Dillon Press, Minneapolis, USA.

25 - Perkins, H.C. 1974.
Air Pollution, McGraw-Hill, New York.

26 - Shrivastava, P. 1985
A report about the Bhopal accident, presented at the seminar entitled "Avoiding and Managing Environmental Damage from Major Industrial Accidents", Vancouver, Canada, Nov. 1985. Summarized in JAPCA, vol. 34, p. 131, Feb. 1986.

المخطوط القرمزي

آخر ملوك غرناطة يروي:

«وداعًا ذلك العصر الجميل»

تأليف: أنطونيو جالا ○ عرض وتقديم: د. محمد أبو العطا

في أكتوبر من عام ١٩٩٠م ــ أي قبل مرور أكثر من عام على الذكرى المئوية الخامسة لسقوط غرناطة (يناير ١٤٩٢م) ـ انتهى أنطونيو جالا (ANTONIO GALA) الشاعر والكاتب المسرحي الأسباني الشهير من كتابة أولى رواياته الطويلة (٦١١ صفحة) تحت عنوان «المخطوط القرمزي»، وهي الرواية التي نال عنها جائزة «بلانيتا» (PLANETA) لنفس العام («بلانيتا» التي تُعد من أعرق الجوائز الأسبانية في مجال الرواية).

وأنطونيو جالا الأسباني القرطبي المولود في عام ١٩٣٦م ـ عام بداية الحرب الأهلية الأسبانية ـ ليس غريبًا على القارئ العربي، فقد ترجمت إلى العربية مسرحيته «خاتمان من أجل سيدة» (د. عبد اللطيف عبد الحليم) كما أنه معروف لكل المهتمين بالمسرح والأدب الأسباني المعاصر عامة.

وما قد لا يعرفه القارئ العربي هو أن جالا كاتب مقال مُجيد (تكفي الإشارة إلى عموده الأسبوعي الذي يكتبه منذ أكثر من عشر سنوات في صحيفة «البايس» ــ EL PAIS ــ القومية الأسبانية، ملحق الأحد) ومحاضر مفوه ذائع الصيت يتتبع محبو الأدب محاضراته بشغف (أتذكر في هذا الصدد محاضرة ألقاها في منتصف الثمانينيات في قاعة «طه حسين» بالمعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، والحشد الهائل من الحضور الذي فاق كل التوقعات). فأنطونيو جالا إذن كاتب متعدد الاهتمامات ومبدع متميز في كافة الأنواع الأدبية التي طرقها. وليس أدل على هذا من ذلك الكم الكبير من الجوائز الأدبية التي نالتها أعماله حتى الآن.

وقبل العرض لرواية «المخطوط القرمزي»، يَجدُر بنا **أولاً**: أن نشير إلى عدة نقاط هامة منها: أن هذه هي أول رواية طويلة للكاتب ـ كما أوضحنا من قبل

ـ ثانيا: أن جالا إلى جانب الحقوق والفلسفة والآداب درس أيضًا التاريخ في الجامعة، وأنه عاش طفولته شبه المترفة وشرخ شبابه في إقليم الأندلس (نشأ في بيت عربي الطراز في قلب مدينة قرطبة) ثم إنه، على الرغم من مولده مع بداية الحرب الأهلية الأسبانية، لم يجرب شظف العيش كالسواد الأعظم من الأسبان إبان فترة ما بعد الحرب الأهلية، فقد كان أبوه طبيبًا موسرًا اهتم بتربية أبنائه وتثقيفهم اهتمامًا كبيرًا. وسنرى كيف انعكس ذلك في مجمله على الرواية التي نحن بصددها.


أنطونيو جالا

المخطوط القرمزي:

هي مذكرات أبي عبد الله الصغير، آخر ملوك غرناطة، سجلها ــ في ضمير المتكلم ـ في مراحل مختلفة من حياته قبل وبعد طرده من غرناطة، أي منذ طفولته وحتى أواخر أيام حياته في منفاه في فاس. **وتنتهي هذه المذكرات والملك المخلوع قد تجاوز سن الستين (٦٤ سنة)، يعيش وحيدًا بعد أن هجره الجميع.**

وللرواية مقدمة يحكي فيها الراوي كيف وصل إليه المخطوط الذي يحتوي على مذكرات أبي عبد الله الصغير. **فيقول**: إنه في عام ١٩٣١م كلفت الحكومة الفرنسية عددًا من الخبراء والعلماء بدراسة تاريخ ومعمار مدينة فاس، وإن اثنين منهم عكفا على دراسة وتحقيق كل ما يتعلق بجامع القرويين. وبعد الدراسة والتنقيب، اكتشفا ـ في حجرة سرية ـ مخطوطات وكتبًا لا تقدر قيمتها بمال، من بينها هذا المخطوط القرمزي (وهو نفس لون الورق المستخدم في الكتابة في ديوان الحكم في قصر الحمراء، قبل سقوط غرناطة). تمر السنون ويصل هذا المخطوط الموجود في مكتبة الرباط إلى يد الراوي الذي يستعين بالخبراء المغاربة والأسبان في ترجمته. ويقول: **إنه يتحمل مسؤولية ترجمة المخطوط في شكله الحالي، لأنه أراد أن ينقله إلى «القارئ الغربي» بلغة مفهومة، لذا فقد تكون بالترجمة «بعض التجاوزات» غير المقصودة.**

وأخيرًا، يأمل الراوي ـ مترجم المجلد أن يكون كل من تناول قصة حياة هذا الملك، الحزينة المؤلمة، قد أحبها وتأثر بها كما حدث له بغض النظر عن اعتبارات أخرى كثيرة «لأن التاريخ من آخر الأمر ـ



آخر ملوك غرناطة يروي: وداعًا ذلك العصر الجميل

وحسبما يقرر صاحب المذكرات نفسه ـ ليس سوى سباق تتابع طويل: فنحن نعرف من أين يأتي وأين يحدث لكننا، في النهاية، لا نعلم إلى أين يتجه أو متى ينتهي»؟

ويقسم الكاتب روايته إلى أربعة أجزاء ويحرص في هذا التقسيم على تحقيق توازن بين هذه الأجزاء موزعًا صفحات المجلد بينها بالتساوي تقريبًا وكذلك ـ وهي الأهم بالطبع ـ المادة الروائية الخصبة التي تختص بمراحل حياة البطل المقترنة بأحداث تاريخية ونفسية هامة وفاصلة.

١ ــ ويبدأ الجزء الأول ــ وعنوانه **«في مأمنٍ في الحديقة»** ـ بزواج أبي عبد الله وهو في السابعة عشرة من عمره ويتناول علاقته بأبيه وأمه. فأبوه ــ أبو الحسن ملك غرناطة ـ هو الأب المنشغل عن زوجه وأبنائه بتصريف شؤون البلاط والمنغمس في الملذات وفي حبه لثريا ـ محظيته الكاثوليكية الأصل (إيشابل دي سوليس). . ووالدته عائشة، الملكة سليلة الملوك، هي الأم القاسية المثبطة المنصرفة إلى دس الدسائس والصراع على الحكم والانتقام من أبيه. **هنا تعود المذكرات إلى أيام الطفولة ليحدثنا أبو عبد الله عن هذه الفترة وعن الشخوص والأحداث التي ألمت به وأثرت فيه في مرحلة الصبا.**

ويسترعي الانتباه أن معظم تلك الشخوص أحيطت بغلالة من الغموض والاستسرار والأسطورية، فلا أحد يعلم من أين أتت أغلبها أو كيف اختفت من القصر؟ ونذكر منها: **«فايز»** البستاني ـ المحارب القديم، قبيح الهيئة ـ و**«مولاي»** الزنجي ــ الأمير الحبشي الأصل ـ ونسيم **«الخصي»** وجالب، ثم أخاه **«يوسف»** الذي كان **أبو عبد الله** يحبه حبًا شديدًا ويؤثره على نفسه. وهناك قصة مرضعته **«صبح»** التي أحبها واستعاض بحبها عن حنان أمه المفتقد، وهي قصة مفجعة انتهت بموت «صبح» مقتولة في دارها. والحق أن أنطونيو جالا ربما وجد في رسم هذا العدد الكبير من الشخصيات الثانوية رياضة أثيرة إلى نفسه، ففي جعبته الكثير منها ونحن لم نورد هنا سوى النزر اليسير.

وأروع ما في هذا الجزء هو أن الكاتب يتنقل بنا إلى كل مكان في غرناطة تقريبًا: **حدائق قصر الحمراء وجنة العريف الغناء، بلاط أبيه، الحمامات العربية، مخادع الحريم، أروقة وباحات وجدران وشرفات وأبراج قصر الحمراء، أحياء غرناطة المختلفة، بواباتها، حجرة الكنوز، المروج، أماكن المسامرات واللهو والطرب، مؤكدًا على أن حياة الترف والبذخ لم تكن آنذاك من الحضارة العربية في شيء و إنما كانت نصرانية بحتة.** كما ينقل لنا صورة حية للنسيج الاجتماعي في المملكة في تلك الحقبة وجو القلاقل والفتنة المخيم عليها. ويصف لنا جمال الطبيعة في فصول السنة المختلفة وفي أية ساعة من ساعات النهار أو الليل.

□ □

مناجاة ذاتية تحكي ضياع العصر الذهبي في الأندلس

□ □

ولقد أجاد أنطونيو جالا هذا الوصف (وقد لا يكون ذلك غريبًا فهو بحكم مولده ونشأته وثقافته محب عاشق للأندلس ولطبيعتها ومجدها) ولعله وجد فيه مجالاً رحبًا ومرتعًا لقلمه، وأحبب بذلك لكاتب وجد حقلاً خصبًا لاجترار ذكرياته ـ ذكريات طفولته السعيدة في قرطبة وغرناطة الأندلسيتين ـ **وينتهي هذا الجزء بتنصيبه ملكا ضد أبيه، بإيعاز من أمه وبولاء شقيقه يوسف له.**

٢ ــ **ويتناول الجزء الثاني، وعنوانه «طيور الرحمة»**، فترة أسره لعدة سنوات على أيدي القوات النصرانية الموالية للملكين الكاثوليكيين (فرناندو ملك أرجون و إيزابل ملكة قشتالة) ومعاناته من الأسر وتخلي الجميع عنه. **وهنا يصور الكاتب غطرسة وعنجهية المسيحيين مع بداية سطوع نجم دولة فرناندو و إيزابل كدولة عظمى مقابل انحطاط دولة العرب في أوروبا.** و يرسم أيضًا صورة الملك الصغير وقد فترت همته وامتلأت حياته وفكره بالإحباط والتشاؤم حيال مستقبله ومستقبل دولته. لكنه ـ في الأسر ـ يلتقي بشخصية نصرانية هامة، وهي شخصية القائد الإسباني الشهير **جونثالو فرناندث القرطبي** وتدور بينهم حوارات طويلة (فكلاهما يكن احترامًا وتقديرًا عميقًا للآخر) فيشعر القائد المسيحي «بالأسى» لما آل إليه مصير أبي عبد الله المغلوب على أمره. **ينتهي هذا الجزء وقد أصبح أبو عبد الله في الرابعة والعشرين من عمره، وهي نقطة تحول في حياته، فقد قرر أن يخرج من قوقعته ويتجاوز عدميته ـ بعد فك أسره ـ وأن يمالئ الجميع أو يخدع الجميع (مسلمين ومسيحيين) في سبيل الحفاظ على غرناطة، مهما كلفه ذلك من ثمن.**

٣ ـ **عنوان الجزء الثالث «عالية ومتألقة» ويحكي قصة عودته إلى غرناطة وتوليه مقاليد الحكم في أعقاب وفاة أبيه.** ويبدأ أبو عبد الله في الثلاثين من عمره ويتناول مفاوضاته مع أعدائه وتوقيعه معاهدة استسلام غرناطة (بعد أن أقنعه وزراؤه أن لا مفر من ذلك) وبعد أن تفشت الفوضى في ربوع مملكته وعم الفساد والرشوة بلاطه، أمام تعجل الكاثوليك سقوط غرناطة، وكيف كان سير المفاوضات المزرية المخجلة بين فرناندو الملك الخبيث المخاتل ورسل أبي عبد الله ووزرائه الخونة إبان حصار غرناطة. ويعيب هذا الجزء الإسهاب والتفريع في سرد تفاصيل المفاوضات، وربما طغت على الكاتب هنا (كما أشرنا من قبل) حرفته كمؤرخ على ما كان ينبغي أن يكون سردًا روائيًا دراميًا.

٤ ـ **أما الجزء الرابع، وعنوانه «كل موسيقى تتوقف»، فينتهي بنا إلى قبل أيام من تسليم غرناطة ثم عبور المضيق وإقامة الملك المقهور في فاس.** وهي بكائية مطولة تتخللها لحظات تأمل عن التاريخ والحياة والموت ودولة العرب والحب والأصدقاء. . إلخ.

رواية تاريخية:

والمخطط القرمزي يتخذ شكل الرواية التاريخية من حيث إنها محددة الزمان والمكان وتتناول بالسرد حقبة معينة بشخوصها وأحداثها التاريخية، بل إن لبعض هده الشخوص والأحداث

صبغة التوثيق المحض. وهي رواية تاريخية تقليدية من حيث البنية والحبكة، فكل الذرائع والحيل تقليدية بدءًا بفكرة العثور على مخطوط ثم اكتشاف أهميته ووصولاً إلى الترتيب الزمني للأجزاء وتناول السيرة الذاتية للبطل. لكن نعت هذا المجلد بأنه رواية تاريخية على النسق التقليدي قد يغبنه حقه.

فبعيدًا عن أية لهجة استقرائية تقريرية مباشرة للأحداث، نجد أنها سيرة ذاتية في صيغة المتكلم (Autobiography)، ومن ثم تصطبغ بلون استبطاني شديد لهيمنة المونولوج الداخلي عليها وكذا الشرودات النفسية التلقائية المترددة بين عالم المحسوسات واللاوعي والتأملات الفلسفية والتشبث بالماضي... **وحري بنا عند هذا الحد أن نعرض لذلك على نحو أوضح:** إن أول ما يتبادر للذهن عند الاقتراب من هذه الرواية هو أن اختيار جالا لموضوع روايته لم يكن من قبيل المصادفة ـ قُبيل اقتراب ذكرى مرور خمسمائة عام على نهاية حكم العرب في الأندلس ـ فالتأملات والطروح حول هذا الحادث أو هذا الفصل الهام من فصول تاريخ دولة الإسلام وتاريخ أوروبا وحول مراجعة تاريخ العلاقة بين أسبانيا والعرب معروضة بصراحة ووضوح على صفحات هذه الرواية. الأمر الآخر الذي قد يكون سببا في اختيار أنطونيو جالا لشكل الرواية التاريخية هو ذيوع هذا النوع في أوروبا والغرب عامة وخاصة بعد صدور روايتين هامتين منه أخيرًا، وهما «اسم الوردة» **لأومبرتو إكو (UMBERTO ECO) «ومذكرات أدريانو» لمرجريت يورسنار (M. YOURCENAR)، واللتين يغلب عليهما طابع رواية «تيار الوعي» (STREAM OF CONSCIOUSNESS)** بيد أن ما ينأى بصفة «التقليدية» عن رواية **«المخطوط القرمزي»** ربما غزارة وتلاحق ووضوح الإسقاطات لبعض تفاصيل وملابسات سيرة **أبي عبد الله الصغير** على حياة **أنطونيو جالا** نفسه ومزاجه الشخصي وبعض فصول حياته، وهو ما يضفي على هذا العمل مذاقًا خاصًا يباعد بينه وبين اعتباره رواية تقليدية (أم أن كتابة الرواية التاريخية تختلف في ١٩٩٠م عن ذي قبل، من حيث الرؤية والصياغة؟).

تأثر "جالا" بالتراث الإسلامي ومآثر الحضارة التي أضاءت أوروبا

فالعوالم التي تتحرك فيها شخوص هذه الرواية ذات صلة وثيقة بتلك التي يرتادها أبطال أعماله المسرحية والتي غالبًا ما تبتعد أو تتباعد عن قاع المجتمع. وهو كشاعر، وبحكم نشأته أيضًا، يفضل أجواء تلفها الأبهة وتغلفها شاعرية مركبة. وأسلوبه يمكن أن نطلق عليه «DECADENT» يصور المجتمع الراقي في فترات الاضمحلال، وهو يشبه إلى حد كبير أسلوب المخرج الإيطالي فيسكونتي في السينما. أضف إلى ذلك الكثير من تفاصيل حياة الكاتب الشخصية التي يمكن رصد انعكاسها بسهولة في هذه الرواية:

(١) وصفه الرائع لغرناطة وقرطبة كما يعرفها جالا ويعشقها بوصفه أندلسي المولد.

(٢) تعلق الكاتب بشقيقه وحزنه لوفاته في شبابه المبكر (نرى ذلك في لاارواية عندما يصور أسى أبي عبد الله لوفاة شقيقه يوسف في شبابه المبكر أيضا.

(٣) في الرواية وصف مرهف لحب البطل لكلبيه «دِن» و«إرنان» وكيف أثر موت الأول في حياة الأمير الصغير (من المعروف عن جالا أنه في طفولته كان له كلب صغير مقرب إليه اسمه «ترويْلو» (TROYLO) وأن هذا الكلب مات حين كان المؤلف طفلاً فتألم لذلك شديد الألم إلى حد أنه زهد الطعام أيامًا، كما أن جالا ظل لسنوات يكتب عمودًا أسبوعيًا على شكل محاورات مع «ترويلو»).

(٤) إن تصوير شخصية عائشة والدة أبي عبد الله كامرأة وأم قاسية محبطة متنائية عن أبنائها هو إسقاط واضح أيضًا على حياة المؤلف نفسه، فعندما توفي شقيق أنطونيو جالا الأكبر، الذي كانت تربطه بشقيقيه الأصغرين علاقة حميمة شديدة، لم تستطع والدة الكاتب التغلب على حزنها وفقدها لابنها الأكبر فهجرت رعاية بقية أبنائها واضطلعت بهذه المسؤولية أخته الكبرى فكانت بمثابة الأم للطفلين الصغيرين. وثمة أمثلة أخرى كثيرة لا يتسع هذا المجال لتفصيلها.

فيما عدا هذا، **رسمت أحداث الجو التاريخي للرواية في إحكام، ويدل الجانب التوثيقي فيها على ما بذله أنطونيو جالا من جهد كبير في جمع مادته وصياغتها بهذه الدقة وبهذا التميز:** بين تصوير واعٍ للشخصيات التاريخية العربية أو المسيحية (وهو تصوير متعمق وذكي ومتأنٍ ويجنبه في أغلب الأحيان مواطن الزلل)، وتضمين لأشعار ابن الخطيب وابن زمرق وابن الجياب والصيرفي والمتنبي وابن عربي...، والزجل والأحاديث النبوية والمنظومات الشعبية الرومانسية الشائعة في القرن الخامس عشر، وعرضٍ متأمل للوثائق التاريخية والرسائل المتبادلة بين المسلمين والنصارى في تلك الفترة وانتقاءٍ للمواقف التاريخية الفاصلة والتي صاغها بلغة روائية سليمة وأصيلة.

ولنا هنا أن نتوقف وقفة لا مفر منها. **فهذا العرض التاريخي الشيق وهذا السرد الروائي المحكم يعيبه التطويل في أكثر من موضع، ولعل هذا مؤداه أن هذه هي أول رواية طويلة لجالا ـ كما أوردنا من قبل ـ وهو عيب ربما يتخلص منه هذا الكاتب العملاق في أعماله الروائية القادمة، فينتصر الإيجاز لصالح الحبكة الروائية. على أن لأنطونيو جالا نثرًا جميلاً مصقولاً يأسر القارئ في الحال فهو ـ برغم ما قد يعاب عليه ـ رشيق، ذكي، سريع البديهة، لا يدع مجالاً للملل (ربما اكتسب ذلك من خبرته الطويلة في المقال الصحفي) وهو ينتقل بين ا لفكر في نقاء ومنطقية هما مدعاة للإعجاب والاحترام، ثم إنه ـ حين تتداعى الأفكار والتأملات حول نقطة أو «موتيفة» بعينها ـ يُسهب بعضها ويوجز بعضًا ويهمِّش لآخر بوعي واقتدار. كما أن هذا المجلد ـ إذا ما توخينا شيئًا من التبسيط ـ هو «كجراب الحاوي» الملئ بالحكايات والتفصيلات والشخوص والفكر «والفانتازيا» والمسحات الرقيقة والحيل الدرامية المسرحية وشعر العشق والصور الغزيرة المتلاحقة محكمة الصنعة، دون ذكر ما قلناه من قبل**



آخر ملوك غرناطة يروي:
وداعًا ذلك العصر الجميل

حول مفردات الجو التاريخي المختارة بعناية وذكاء.

زمن بطيء:

يعتمد الإطار الزمني في هذه الرواية على تقنية العودة إلى الوراء (FLASH BACK) ثم يتتابع مرور الزمن طرديًا منذ الطفولة وحتى نهاية المخطوط، تتخلله لحظات معينة يكسر فيها السياق الزمني لسرد أحداث سابقة على لحظة القص. ويرى الراوي مشروعية ذلك من مبدأ أن أية أحداث ليس لها وجود ما لم يعيها البطل (الإنسان) داخليًا، وبما أن الزمن الداخلي النفسي ليس له معيار معروف فإن جميع الأحداث والظواهر - حين تتمثل في الوعي والوجدان - تتوازى.

وعلى الرغم من أن المجلد يتعرض لحياة البطل على مدى ستين عامًا تقريبًا، ثمة لحظات محدودة يكثف فيها الزمن ليس عن طريق تتابع متلاحق للأحداث في وقت قصير نسبيًا وإنما عن طريق التأمل النفس والشرودات الداخلية المشتتة المبهمة ووصف المناخ الدرامي المحيط بالبطل... ومن ثم فزمن هذه الرواية زمن بطيء تتشبث فيه نفس البطل بالطفولة وبالذكريات الحميمة الشجية والأليمة. والإشارة إلى هذا الزمن البطيء تأتي في أكثر من موضع. فالبطل يرى أن الزمن لا يتحرك. ونورد هنا صورتين جاءتا على لسان البطل لتؤكدا هذه الفكرة:

«... الزمن لا يمر إذًا وإنما نحن الذين نتحرك فيه على نحو أخرق.» (ص ١٥٨)

«... الحياة لا تتحرك: تظل ساكنة، تحدها حدود غامضة متاخمة للموت. ونحن نلجها أو نخرج منها - أي أننا موجودون - ما دامت ثمة حياة.» (ص٤٤٨)

البطل: البعد التاريخي - البعد الإنساني.

نعتقد أن أنطونيو جالا عثر في شخصية أبي عبد الله الصغير بمادة جيدة تصلح للتشكيل الروائي، فهي شخصية على الأقل ذات بعدين جليين:

١ - البعد التاريخي: وهو بُعد شائع بين المؤرخين والعوام: الأمير الضعيف المضطر للاضطلاع بأعباء تاريخية جسام، ثم هو الحاكم المتخاذل الخائن الذي سلم غرناطة للأعداء («ابكِ كامرأة ما لم تحافظ عليه كرجل»).

٢ - البعد الإنساني (الداخلي، النفسي): وهو البُعد الذي انصب فيه كل مجهود الكاتب كروائي.

فأبو عبد الله، قبل كل شيء، إنسان، ألمت به ظروف معينة لم يخترها هو. وهو في صغره طفل غير عادي، فقد ولد ليكون ملكًا لذا فقد عاش تجارب لم تتح لطفل في مثل سنه ووصل إلى النضج مبكرًا بحكم نشأته وبحكم تجارب العشق في الطفولة ومساحة التأمل الكبيرة في حياته.، هذا التأمل جعله يعزف عن حياة القصر والصراع على التاج. لقد تمكن من تشكيل عالمه الداخلي القوي المضاد لعالم الواقع وأصبح حبيس هذا العالم في أغلب أوقات حياته.

ولقد استطاع الكاتب أن يصور بدقة وطأة كل تدهورا لعلاقة بين والديه - سيطرة أمه عليه - الهزائم المتلاحقة على أيدي النصارى - شيوع الفوضى والفساد في البلاط وفي أنحاء البلاد - الخطر المسيحي المحدق. ويرى الكاتب أن المخرج الوحيد لمواجهة هذا الرصيد الهائل من الخطوب هو أن يتصنع أبو عبد الله كل شيء. فهو يتصنع الطاعة لوالديه، ويتصنع البطولة أمام شعب غرناطة ويتصنع الخضوع للملكين الكاثوليكيين، يحدوه أمل بعيد في الاحتفاظ بملك غرناطة. والنتيجة المنطقية تكون هزيمته وطرده من أرض أجداده والخروج إلى الأبد من الأندلس. فنجده أخيرًا يعيش وحيدًا في فاس يلعق جراح الماضي وقد نسيه الجميع.

وبرغم إحكام التصوير، نلاحظ أن شخصية أبي عبد الله ينقصها العمق الدرامي، فمع تشكيلية وروعة المشاهد والصور التي «يُركِّب» الكاتب من خلالها شخصية البطل يعترينا إحساس مطرد بثقل الصنعة واللهاث وراء الصورة أو الفكرة على حساب عمق الشخصية أو درامية الحدث.

ونعود فنشير مرة أخرى إلى هذا الاستعراض الهائل من الشخصيات الثانوية وهي في مجملها

الشخصيات التي رُسِمَت للمسلمين بعضها سلبي جدًا.. لماذا ؟!!

من هذين العالمين أو المناخين على نفس البطل، فالصراع بينهما قائم وشديد، ولكل منهما الغلبة أحيانًا. فمن ناحية ينتصر عالمه الخاص الداخلي على حياته العملية فنجد أبا عبد الله وقد تمثل أمامنا كشخصية سلبية عدمية محبطة، ومن ناحية أخرى ينتصر عالم الواقع فنجد البطل وقد نبذ إغراقه في ذاتيته وانتصر على عدميته ونهض ليشارك في مجريات الأمور في المملكة. وتأتي نقطة التحول وهو في الرابعة والعشرين من عمره حين يهجر حياة اللهو وما ترسب بها من نعيم الطفولة ليواجه الحياة بكل صعوباتها وقسوتها، ولكنه يواجهها في تخاذل وفتور وروح انهزامية سلبية. لقد أصبح شيخًا في هذه السن المبكرة. وكما أشرنا، فالإحباطات كثيرة: بديعة الرسم مؤثرة: بعضها سلبي، نفعي، خبيث، وبعضها محبب إلى نفس الكاتب؛ بعضها تحوطه الأسرار والعتامة والبعض الآخر أفردت له ساحات البطولة. وهي في مجموعها تحقق توازنًا مع الخط الدرامي الذي تنتهجه شخصية البطل.

ونلاحظ في هذه الرواية أن الشخصيات المسلمة أغلبها سلبي، تمثل أخلاقيات ومعايير مجد زائل. وأن الشخصيات المسيحية تمثل إرهاصات مُلك في طريقة إلى الوقوف على قدميه، وإن كان ذلك الملك يستند إلى دعائم واهية.

المؤثرات والمصادر:

يمثل الحديث عن المؤثرات والمصادر عند

تناول أي عمل أدبي معضلة بالنسبة للدراس متوخى الدقة، فإذا ما رحبت ثقافة كاتب العمل اشتد لهاث دارسيه وراءه بسبب كثرة وتشعب المؤثرات والمصادر التي نهل منها في تكوين مزاجه الخاص. وسنحاول هنا في إيجاز شديد استعراض بعض مصادر العمل الذي بين أيدينا.

١ ـ قبل أن ندع الحديث عن شخصيات هذه الرواية، تلح علينا الإشارة إلى **تأثر أنطونيو جالا بالأدب الشعبي خاصة** المكتوب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في شبه جزيرة إيبريا ثم بنوع من أنواع القصص الكثيرة التي ذاعت هناك مع مقدم القرن السادس عشر ويسمى بـ «الرواية الموريسكية» وغرضها الأساسي هو الوقعات والمناوشات الحربية بين المسلمين والنصارى على طول الحدود الفاصلة بينهما. وبطلا الرواية الموريسكية أحدهما مسلم والآخر مسيحي غالبًا.

أما البطل المسلم فهو مليح الهيئة، مغوار، مقدام، يصرع الفرسان النصارى ويثبت شجاعة ونبلاً وطيب خلق لا يبزه في ذلك إلا البطل النصراني الذي تجتمع له كافة الفضائل، فهو بطل أسطوري لا يضارعه أحد، وهو أحيانًا ـ عندما تدين له الغلبة ـ لا يجد سوى إرادته ذاتها لينتصر عليها، فهو يتنازل عن مطلبه أو عن هدفه تنازل القوي. مثال ذلك في الرواية هي شخصية القائد النصراني جونثالو فرناندث القرطبي، الفارس الأسطوري.

٢ ـ من أهم من تأثر بهم أنطونيو جالا واستعان بأعمالهم في كتابة هذه الرواية ثلاثة مستعربين كبار هم: **ميجل أسين بلاثيوس (MIGUEL ASIN PALACIOS)** وخاصة في أشعار وفكر المتصوفة الأندلسيين، و **إميليو جارثيا جومث (EMILIO GARCIA GOMEZ)**، وعلى نحو أدق كتابيه الأخيرين: **«أشعار عربية على جدران ونافورات الحمراء»** (منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ـ ١٩٨٥م) و**«أضواء قديمة على قصر الحمراء»** (نفس الناشر ـ ١٩٨٨م)، ثم الفرنسي **ليفي بروفنسال (LEVI PROVENÇAL)**: فكرة العثور على المخطوط.

٣ ـ الشعر العربي من مختلف العصور والتراث الديني الإسلامي «المترجَم» (بعض الأحاديث النبوية، على سبيل المثال).

٤ ـ عيون الأدب العربي: قصة أمين وأمينة، الطفلين اليتيمين اللذين التقى بهما أبو عبد الله في سوق فاس ورباهما في كنفه، هي لوحة تقليدية مستوحاة من «ألف ليلة وليلة».

٥ ـ التراث المسرحي: ألمحنا من قبل إلى تفشي «المناجاة الذاتية» بين دفتي الكتاب، ولكننا يجب أن نحدد هنا نوعًا آخر من «المناجاة» وهو مسرحي بحت لجأ إليه أنطونيو جالا في روايته أكثر من مرة، نقصد بذلك «المناجاة الفردية» (SOLILOQUY) القديمة قدم الدراما نفسها ولكن في شكلها الهاملتي، وهي خطبة طويلة تلقيها شخصية واحدة وتعكس فيها عالمها الداخلي المتأجج بين الأسى والتعاسة والتأمل. وذكر منها فقط على سبيل المثال تلك المناجاة الفردية الرائعة التي قام بها البطل أبو عبد الله أمام أجداث آبائه وأجداده، بعد أن نقل رفاتهم ليلاً يعاونه اثنان من أخلص حاشيته من قصر الحمراء إلى حدائق «موند يخر» خشية أن يقوم الأعداء بنبشها. وفيها يتحدث عن الحياة والموت والمجد والتاريخ والخلود والغرور والضعف البشري.. إلخ.

رحلات جالا إلى الدول الإسلامية أفادته كثيرًا في معرفة التراث الحضاري لهذه الدول..

٦ ـ العمود الصحفي (تأملات ـ حواريات): في مواضع عدة من الرواية، يتناول الكاتب فكرة أو جزئية مستقلة، قد لا تكون لها صلة وثيقة بالسياق، ويفرد لها العديد من الصفحات. وهي تأملات أو خواطر أقرب ما تكون إلى المقال الصحفي منها إلى السرد الروائي؛ وتأثر الكاتب بعطائه الصحفي المتواصل حتى الآن جلي بيّن في هذا الصدد. وأول ما يلفت النظر في هذه التأملات أو الخواطر حداثتها الواضحة وكذا حداثة دلالات اللغة التي صيغت بها والبعيدة قليلاً عن دلالات وفكر قرون خلت. وعند محاولة تفسير هذه الظاهرة ليس لدينا سوى اعتبارها محاولة إسقاط مقصودة على ظواهر فكرية أو حضارية حديثة، أو ربما لم يجد الكاتب حرجًا في الخروج عن السياق الروائي ما دامت تلك التأملات على شيء من العمق والدسامة بحيث تجذب القارئ وتمتعه ولا تبعث في نفسه الملل.

٧ ـ قام أنطونيو جالا بسفرات عدة إلى دول العالم الإسلامي، وخاصة دول المغرب العربي، وأفاد منها ـ في هذه الرواية ـ في وصف الكثير من المظاهر التقليدية والأماكن والمعالم الأثرية (نذكر منها وصفه لسوق فاس وتجولات البطل أبي عبدالله بها والتقائه بأمين وأمينة) وقد يعاب على هذا الوصف غياب ما يشير إلى مناخ العصر الذي تجري فيه أحداث الرواية، كأنما هو وصف لأحد الأسواق التقليدية العربية في أيامنا هذه، إلى جانب افتقاره إلى شيء من الأصالة والعمق، فالقارئ العربي ـ برغم دقة وروعة الوصف ـ ينتابه في الحال انطباع بأن الكاتب سجل هذه الكلمات بعد جولة سياحية لم ير فيها الكثير. ونفس هذا الانطباع ينتاب القارئ أيضًا عندما يتحدث البطل مثلاً في الليل عن غموضٍ ورهبةٍ وشيءٍ من العدائية عند سماعه أذان الفجر، وكلها أماسيس غريبة وغير منطقية في حالة أبي عبد الله، العربي، المسلم، المعتاد سماع الأذان خمس مرات كل يوم.، وهذا ما يقودنا إلى نقطتين أخيرتين: **أولاهما** أن جالا الكاثوليكي الثقافة لم يستطع بحكم الموروث التخلص من الشعور بالغربة إزاء بعض المظاهر الإسلامية، والأخرى أن ثراء جالا ثقافةً واطلاعًا لا يوازيه ثراء في تجربته الشخصية، فكل انطباعاته عن العالم الإسلامي خلال سفراته هي ـ كما أوضحنا ـ هامشية تفتقر إلى التعمق والخوض المباشر في التجربة، الخوض الذي يثريها بالطبع.



آخر ملوك غرناطة يروي:
وداعًا ذلك العصر الجميل

وداعًا غرناطة !

لقد حاول أنطونيو جالا الاقتراب من نفس وفكر بطله فنظم هذه المنظومة الروائية التي تحولت - في الجزء الأخير منها - إلى بكائية في وداع غرناطة على لسان أبي عبد الله الصغير. وحاول التزام حيدة علمية منطقية برغم تعاطفه مع بطله. ولكن يخطئ من قد يتوهم أن جالا متعاطف مع استمرار حكم العرب، فالكاتب مقتنع تمامًا بأن غرناطة كان محتومًا عليها أن تسقط، فقد كانت - قبيل سقوطها - تحيا في غير عصرها؛ وكان لا بد لنجمها أن يخبو فلم يكن قد تبقى من الحضارة الإسلامية الأصيلة سوى القليل. إن ما يبكيه جالا في الواقع هو ضياع مجد رفيع، لحظة حضارية فريدة لن تتكرر.

وأنطونيو جالا - من ناحية أخرى - من أبناء الأندلس المحبين لها والمؤمنين بأن لوطنهم كيانًا وأصالة تمتص كل وافد عليه وتصبغه بصبغتها، فهو مع مرور الوقت يصبح أندلسيًا خالصًا. فكم تناوب ملوك وسلاطين من خارج شبه جزيرة إيبيريا على حكم الأندلس (القوط، العرب أو غيرهم) لكنهم في النهاية انصهروا جميعًا فيها وعلى أرضها - الأم. ورأيه أن أبا عبد الله أندلسي أولاً - بغض النظر عن أصله أو دينه - وهو كسائر أبناء الأندلس ذو أصالة وتفرُّد بحكم المولد!!

وأخيرًا، إن أهم ما شدنا إلى هذا العمل الضخم - برغم مآخذنا عليه - هو نبرته الهادئة المتأملة وبعده عن الحدة واللهجة الخطابية الجوفاء التي غالبًا ما تنتاب كل من يتناول هذا الموضوع. وربما خالجنا في ذات الوقت شيء من «الغيرة» مبعثها قلة الكتابات الأدبية العربية (الروائية) العميقة والمتأملة لهذه الحقبة من تاريخنا، عن الفردوس الموعود بإذن الله.

□ □

غرناطة

شعر: د. نور الدين صمود

غـرنـاطـةٌ لم تـزَلْ مِنْ سـالِفِ الحِقَبِ ... مَنَـارَةَ العِـزِّ والأمجادِ لِلعَـرَبِ

هَلُّوا عَلَى الغَـرْبِ مِثْل الشَّمْسِ إذْ سَطَعَتْ ... وأمْطَـروه بِعَـدْلٍ وَاكِفِ السُّحُبِ

مَـا خَـرَّبُوا، إذْ أَتَـوْا بـالأَمْسِ أَنْـدَلُسًـا، ... بَلْ رَصَّعُـوا الأرضَ مِثْلَ الأُفْـقِ بـالشُّهُبِ

وَرَسَّخُـوا العِلْمَ وَالآدَابَ، فـارتَفَعَتْ ... بِـأَرْضِهَـا رَايَـةٌ للعِلْمِ والأَدَبِ

العِلْمُ يَشْمَخُ في آفـاقِهـا، فَلَـهُ ... جَهَـابِذُ الأَمْسِ من أعـلامِنـا النُّجُبِ

والشِّعْـرُ يَمْرَحُ في أكنـافِهـا، فَلَكَمْ ... غَنَّى فَـأَرْقَصَ كُلَّ النـاسِ مِن طَـرَبِ !

غـرنـاطـةٌ جُـرْحُ أَمْسٍ، مُنْذُ فـارَقَهـا ... أجـدادُنـا بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمُنْتَحِبِ

لَكِنَّهـا الآنَ أَضْحَتْ جَنَّـةً حَفَلَتْ ... بِكُلِّ مـا خَلَّفـوا فِيهـا مِنَ العَجَبِ

وأَصبحتْ مُلْتَقَى الأحبـابِ تَجْمَعُنَـا ... على الحَضـارةِ والتَثْقِيفِ والأَدَبِ

إنَّ القُـرُونَ التي مَـرَّتْ، جَلَتْ صَـدَأً ... وَطَهَّـرَتْ كُلَّ مَـا قَـدْ كَـانَ مِنْ رِيَبِ

وسَيَّرَتْنـا بِـدَرْبٍ كَـانَ مُنْغَلِقًـا ... نَحْـوَ الحضـاراتِ في رَكْضٍ وفي خَبَبِ

يَسِيرُ فيـه إلى الآفـاقِ بَعضُهُمُ ... والبعضُ يَـزْحَفُ كـالمَنْهُوكِ من تَعَبِ

غـرنـاطـةَ الأمسِ أنتِ اليـومَ مـاثلَـةٌ ... بِـرَغْم مـا بَيْننـا من داكنِ الحُجُبِ

مُـدِّي يَـدَيْكِ على دَرْبِ الإخـاءِ، فَكَمْ ... قَـد جَمَّعَتْنـا دَواعي الأَصْلِ والنَّسَبِ

مـا بَيْننـا، مِن قَـديمٍ، لم تَـزَلْ صِلَـةٌ ... هَلْ تُنْكِـرون الـذي قـد خُطَّ في الكُتُبِ ؟!

ألقيت في اختتام المؤتمر الذي أقيم بمناسبة مرور خمسمائة سنة على سقوط غرناطة بتونس والذي نظمته بتونس من ٢٤ إلى ٢٩ من جمادى الأولى ١٤١٢هـ رابطة الجامعات الإسلامية ومركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات

قصة قصيرة

عطلة آخر الأسبوع

للكاتب الأمريكي الساخر: جيمس ثيربر ○ ترجمة: صبري أحمد نصرة

كنت مدعوًا لقضاء عطلة آخر الأسبوع في مسكن أحد الأصدقاء، وما عهدي بمثل هذه العطلة إلا استقبال الصباح الذي يليها بسحنة كئيبة عابسة، وذهن شارد عزوف عن العمل.

وحين أقبل الصباح التالي لهذه العطلة، نهض صديقي وزوجته، ومضى كل منهما إلى عمله. . أما أنا فلم أحذ حذوهما، إذ بقيت مستغرقًا في النوم، ولم أنهض إلا ما بين الثانية والثالثة بعد الظهر. كان أول ما فعلته أن يممت شطر الحمام، ومضيت لحلق لحيتي، فجعلت الصابون يكسو وجهي، ثم أخذت في تحريك الموسى. . وفيما كنت أملأ الحوض بالماء الدافئ، حادت الموسى عن موضعها وجرحت أذني، ولم يلبث الدم أن تدفق حارًا سيالاً، وقد بدا من الصعوبة أن يتوقف، إذ بلغ حدًا فاق الألم نفسه.

دفعت باب خزانة الدواء القابعة أعلى الحوض، بغية البحث عن شيء أوقف به النزف. وفوق الرف العلوي تجلت تسع من الإبر معقودة في لفافة من الورق الأسود، وقد بدا لي أن زوجة صديقي احتفظت بها. وعلى حين غرة، انزلقت اللفافة فوق الصابون الذي يعلو سطح الماء، حتى تشبعت الورقة بالماء، ثم تهدلت تاركة الإبر التسع طليقة. لم يكن من المستطاع أن ألتقط الإبر التسع من الحوض، فليس بوسع امرئ عاقلاً كان أم مجنونًا ـ يكسو الصابون وجهه وينزف الدم من أذنه بغزارة ـ أن يكون في حالة تسمح بأداء أي شيء. . حتى ولو مجرد التقاط تسع إبر من ماء الحوض.

بدا من غير الصواب أن أنتزع السدادة من فوهة الحوض، لئلا أدع الإبر تهبط مع الماء، وتولّد لديَّ خوف باعثه إمكان حدوث دورات صغيرة في الماء. وفي النهاية تحسست برفق حدود الحوض، وتمكنت ـ بعد عناء ـ من التقاط أربع إبر في راحة إحدى اليدين، وثلاث إبر في راحة اليد الأخرى. . أما الاثنتان الأخريان، فلم أتمكن من العثور عليهما، ولو أوتيت حضور البديهة، ما كان ليجري هذا. . (فالمرء الذي يكسو الصابون وجهه، وينزُّ الدم من أذنه بغزارة، ويحوي في إحدى يديه أربع إبر، وفي اليد الأخرى ثلاث إبر ـ لابد أن يبلغ أدنى درجة من الذكاء الإنساني، ولا بد أن يعجز عن أداء شيء. . سوى أن يتسمَّر في مكانه.

حاولت أن أنقل الإبر من راحة اليد اليسرى إلى راحة اليمنى، بيد أنها كانت ملصقة. وفي النهاية، جففت الإبر بمنشفة كانت تتدلى من فوق المشجب المثبت فوق صنبور المياه، وهي المنشفة الوحيدة التي استطعت العثور عليها. حاولت أن أعثر على الإبر في المنشفة، فتبدى لي أن التقاط سبع إبر من ثنايا المنشفة يحتاج إلى بذل وقت أطول من التقاطها من حوض الاغتسال. .

وبعد لأي، تمكنت من العثور على خمس فقط. وبالإضافة إلى الإبرتين الضالَّتين في الحوض، فهذا يعني أن هناك أربع إبر مفقودة: اثنتان مختفيتان في ثنايا المنشفة، واثنتان قابعتان في حوض الاغتسال أو تسربتا إلى مصرف المياه الممتد أسفل المنشفة. . غشيني خوف طاغ، إذ رحت أسائل نفسي: في حالة عدم تمكني من العثور على الإبر. ماذا يحدث لو أن شخصًا استخدم المنشفة، أو غمر وجهه في



★جيمس ثيربر James Thurber★ من أبرز الكتاب الساخرين في الأدب الأمريكي الحديث، ولد في مدينة كولمبس بولاية أوهايو عام ١٨٩٤م، وبعد أن درس في جامعتها، عمل كمحرر في عدة صحف أمريكية، واتسعت شهرته كرسام كاريكاتير، كما زود مؤلفاته برسوماته الخاصة.
ومن أشهر مؤلفاته: هل الجنس ضرورة؟، حياتي والأوقات العصيبة، إنسان منتصف العمر في أرجوحة طائرة، الزهرة الأخيرة.

قصة قصيرة

عطلة آخر الأسبوع

مـــاء الحوض، أو حتـى إذا تسربت الإبر إلى مصرف المياه؟.

حسنـا، بـدا عسيرًا العثـور على الإبـر. وقفت أفكـــر، واعتـزمت في النهايـة أن أطوي المنشفة في جـريدة وأصحبها معي، وتراءى لي أن أخط رسالة لصديقي وزوجته أوضح لهما ـ بقدر ما أستطيع من وضوح ـ الأمر، وأعبر لهما عن مخاوفي في إمكان وجود إبـــرتين في الحوض، أو في مصرف المياه، وأحذرهما من ذلك.

رحت أذرع أرجاء المسكن، ومن ثم شرعت أتفقـــد كل شيء فيـــه، وعبثًا حاولت الاهتداء إلى قلم حبر أو رصـــاص، كما أنني عبثًا حـــاولت العثور على آلـة كـاتبـة.. غير أنني استطعت أن أجـد بضع قصاصـات من الـــورق فقط ليس فيهـا مـــوضع يمكن أن أكتب فيـــه. ولست أدري كيف تـدافعت إلى رأسي فكرة ـــ ربما عن طريق فيلم سبق أن شـاهدته أو قصـة قـرأتها ـــ أن أكتـب الـرسـالـة مستخدمًا طلاء الشفاه، فـلا بد أن الزوجة تحتفظ بأصابع إضافية منه في مكان ما بـالمسكن، وقد حدست أن المكـان هـو خزانـة الـدواء، فـرحت أجيل البصر في أرجـائهـــا، ووقعت نظـراتي على شيء خيـل إليّ أنـه رأس معـــدني لأصبع منـــه، فحـاصرتـــه بأصبعين، ثم بـــدأت في اجتـذابـــه محاولاً تخليصـه من الأشيـاء المكتظة فوقه. وفيما كنت أفعل ذلك، بدأت محتـويـات الخزانـة في الاهتـزاز، ثم أخذت في السقوط على الحوض وفوق الأرض، وتفجـرت سـوائل من شتى الألـوان: سـوداء، بيضـــاء، بنيـة. أعقب ذلك ارتطـــام أشيـــاء من كل الصنـوف: مقصات، مبرد أظـافـر، شفرات حلاقة، قوارير،...

انقضت نصف ســاعـة قبل أن انتهي من التقـاط الأشيـاء المتنـاثـرة وجمعها في وسط الأرضية، ولم أجد بدًا من عـدم محاولـة إعـادة الأشيـاء إلى مـوضعها في خـزانة الـدواء.. فشيء كهـذا يحتـاج إلى شخص أوفى جـرأة وإلى نفس أكثر توازنا.

قبل أن أبرح المسكن.. (جانب واحـد فقط من لحيتي هـو الـذي تم حلقه، وقد لطخه الدم الأحمر القاني) تركت رسالة أعبر فيها عن مخاوفي من تـواجـد إبـر في الحوض أو تسربها إلى مصرف المياه، كما أوضحت فيها أنني اصطحبت معي المنشفة، وأوضحت أيضًا أنني سأبـادر إلى الاتصـال بهما لتـوضيح وقـائع مـا حـدث.. وقـد كتبت ذلك مستخـدمًا محلول اليـود بعـد أن غمست فيـه طرف فـرشـاة الأسنان.

ومن المؤسف أن أقـول إن الأيـام توالت وتتابعت دون أن أتصل بهما.. فلا أنا واجد في نفسي الشجاعة، ولا أنا أستطيع استخـدام الكلمات التي يمكن أن تفسر ما حدث. وأحسب أن فعلتي هـذه قد جعلت صـديقي وزوجتـــه يظنـــان أنني حطمت حـوائجهـم وسطـوت على منشفتهما عمـــدًا.. لست أدري على وجـــه اليقين، ولم يقدر لي أن أدري.. فلا أنا اتصلت بهما، ولا أي منهما اتصل بي حتى الآن!

الطفل العربي والأدب الشعبي



بقلم : عبد التواب يوسف

تتخذ المشاركون في مهرجان الجنادرية هذا العام (١٤١٢هـ -١٩٩٢م) توصية نشرتها المجلات والصحف، بأن يكون محوره في السنة القادمة إن شاء الله موضوع أدب الأطفال وعلاقته بالمأثورات الشعبية . . والذين يقيمون المهرجانات والمؤتمرات الناجحة يحتاجون إلى وقت طويل للتخطيط لعملهم من أجل أن يكون ذا بصمة واضحة ومنعطفَ طريقٍ في تاريخ موضوعهم، وقد يمتد هذا الوقت إلى عامين أو أكثر . .

والموضوع الذي اختير غاية في الأهمية، لأنه يواجه مشكلة لا بد من التصدي لها منذ البداية، نعني بها أن صلة أساتذة الأدب الشعبي وعلمائه وجامعيه ودارسيه متواضعة بأدب الأطفال، الذي ما يزال على مستوى الوطن العربي طفلا . . وكُتَّابه، ومؤلفوه، بل ودارسوه صلتهم بالأدب الشعبي لا تقل تواضعا . . والسؤال: ما السبيل لتحديد أهداف المهرجان المقبل، وإعداد خطط وبرامج تكفل تحقيق أهدافه، فيخرج مزهرا مثمرًا، بعيد الأثر، عميق الصدى، في موضوع جد خطير.

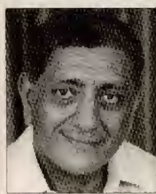
لقد كتب جيل الرواد عن التراث ما أعاده إليها، وما أعادنا إليه . . وأظن أنه يجدر بنا أن نتجاوز مرحلة الإشادة به، وكذلك مرحلة التهوين من شأنه . . إن اعتبار بعضهم أنه ما من شيء بعده، وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، أمر نفضنا أيدينا منه، فنحن نقف على أكتاف من سبقونا، والعالم يتقدم . . كما أن التقليل من قيمته ونعته بأنه «أوراق صفراء» لن يصرفنا عنه بعد أن أدركنا أنها صفرة الذهب وروعته . . وأجدر بنا أن نقبل عليه ونصنع به، ومن أجله، شيئا . .

وليس غريبا ولا جديدا أن يغوص البعض في كتب التراث، بحثا عن اللآلئ، فإن عثروا عليها أزالوا من حولها القشور، ونقَّوها من الشوائب، وجَلَوها لكي تلمع وتتألق . . وهؤلاء لهم فضل أن حبسوا أنفسهم وأنفاسهم قراءةً لهذه الأعمال القديمة التي تراكم من فوقها غبار الزمن، ونحمد لهم أن نفضوه عنها، وقدموه لنا . . والاختيار هنا فنٌ وعليه يتوقف رضا القارئ الصغير عن هذه الاختيارات، وعن إعادة الصياغة إذا قام بها الكاتب .

إن بعض الكتّاب لا يكتفي بهذا، بل هو «يضيف» شيئا من عنده . . وكل ما نرجوه في هذه الحالة أن تكون الإضافة حقيقية، فلا تكون مجرد شرح وتفسير، أو محاولة لاستخراج مغزى أو نصيحة، فيها من التعسف الكثير . . وإذا لم يكن الكاتب - أو الفنان - قادرا على استيعاب هذا التراث، ولم يكن لديه فعلا مايضيفه، فإننا نرجوه أن يبتعد عنه . . وأمثلة الإضافة التي تخل بالعمل الأصليّ أكثر من أن تُحصى، وهي تسيء إليه إساءة بالغة . . خاصة عندما لا يعي الكاتب حقيقة ما بين يديه، وعندما لا يحسن الاختيار، وإذا ما لوى عنق المادة التراثية لتخدم أهدافا محددة، وإذا ما ابتسرها أو اختصرها أو وقف بها عند ﴿ **لاتقربوا الصلاة**﴾ (١).

وهذا هو الذي يدعو المهتمين بالتراث الشعبيّ إلى الصراخ في وجه المتعاملين معه أن يتقوا الله فيه، وتركه على ما هو عليه، وهو ما يدعو أستاذتنا الدكتورة سهير القلماوي للمطالبة بأن يتعامل الأطفال مباشرة مع

من كُتّاب العدد :



● **الأستاذ عبدا لتواب يوسف :**

- من مواليد مصر عام ١٩٢٨م
- تخرّج في جامعة القاهرة (قسم العلوم السياسية - كلية التجارة) عام ١٩٤٩م
- عمل محررا ومترجما بالمجلات والصحف وعُيِّن مشرفا على برامج الإذاعة المدرسية بالتعليم ثم رئيسا لشعبة الثقافة حتى عام ١٩٧٥م ثم تفرغ بعدها للكتابة حتى اليوم . .
- قدّم أول عمل إذاعي للأطفال في ١٩/ ١٢/ ١٩٥٠م ومنذ ذلك الحين قدم مئات البرامج الإذاعية والتليفزيونية للأطفال على مستوى الوطن العربي
- له نحو ٢٠٠ كتاب للأطفال طبع منها حوالي ٢٠ مليون نسخة
- عمل خبيرا ومستشارا لعدة جهات علمية في الوطن العربي
- حصل على عدة جوائز مصرية وعربية؛ منها :

● حصل على جائزة الملك فيصل العالمية .

● جائزة الدولة التشجيعية في أدب الأطفال، مع وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٧٥م (مصر) . .

● جائزة الدولة التشجيعية في ثقافة الأطفال عام ١٩٨١م، مع وسام الجمهورية من الطبقة الثانية (مصر) . .

● جائزة اليونسكو العالمية في محو الأمية عام ١٩٧٥م . .

● الميدالية الذهبية من اتحاد الإذاعات العربية عام ١٩٧٩م . .

● شهادات تقدير وميداليات من [وزارة التربية (مصر) / إذاعة الكويت / إدارة الثقافة بالشارقة . . الخ] . .

التراث دون تدخل من الكبار الذين يختارون فلا يحسنون الاختيار، ويصوغون فيحرفون، ويسيئون أكثر مما يحسنون.

توظيف التراث

إن وعي التراث، والدورَ التاريخيّ له هما القدمان اللتان يمشي بهما هذا التراث واللتان تقودان خطواته وتوجهانه قدما.. ولن يمضي التراث على ساق واحدة، ولن نرتضي أن تبتر ساقان، لذلك لا بد من أن نحسه ونعيه وندرك دوره.. والمثقف حلقة في سلسلة تصل ما قبلها بما بعدها، ولكنه ليس مجرد جسر يعبر من فوقه التراث، بل أشبه بالمصفاة تحجب ما تحجب وتسمح بالمرور لما تسمح به.. وقد تكون المصفاة واسعة الخروق فينفذ منها ما لا نرضاه، أو ضيقة فتحبس عنا الكثير، مثلا: إنّ **(شوقيًّا)** حين يختار **(مجنون ليلى)** يظل مشدودا إلى الوجه التراثي لهذه القصّة الجميلة، ويظل حجم ما يفجّره من دلالات باطنية ضئيلا، فقد حاول أن يعرض بعضا من هموم عصره وهمومه الخاصة.. ومحاولة منه للتوحد مع التراث يضع نفسه دائما في وضع المعارضة.. كما يقول د. **عز الدين إسماعيل** في دراسة موفّقة عن توظيف التراث، وهو يرى أن الاستغراق في النموذج الجمالي القديم يحدّ من فاعلية الوعي بالتراث حين يراد تقديم صياغة جديدة له.

وهناك محاولة أن يقيم المثقف نوعا من التوازن ما بين بعض الإيجابيات من معطيات هذا التراث ومقتضيات العصر، وأن يشجب بعض السلبيات.. إنه الإحساس بتغير الزمن.. ومن الصعوبة أن يصلح التراث لكل زمان ومكان.. إذ الحياة تتطور وتتغير.. والتراث وإن كان من الثوابت داخل إطار الكتب القديمة، إلا أن التغير لا بد وأن يلحق به إذا خرج عنه.. وهناك من يأخذ من النموذج الغربيّ «القالب» فقط، ثم تكون مادته التي يصوغها وثيقة الصلة بتراثه ورصيده الثقافي.. **شوقي في (مجنون ليلى)** رأى أن يعيد للناس الحكاية الطريفة.. **الحكيم في (أهل الكهف)** لا يركز على حكاية النوم الطويل ـ هي معروفة من قصّها مع صلاة الجمعة كل أسبوع ـ لكنه كان يريد أن يجعل منها منطلقا لمناقشة قضية الإنسان والزمن.. لقد فجّر الحكيم هذه المادة من باطنها تفجيرا، وصنع بها ما جعلها معاصرة بكل المقاييس.

وهناك مثل يحلو لي أن أضربه في هذا الشأن، وأعني به ما كتبه **ليوليونيني** الكاتب العالمي للأطفال ـ والذي أقامت له مكتبة الكونجرس في ١٢ مايو ١٩٨٨م بإشراف سابيلا ياكونش ـ احتفالا كبيرا تقديرًا لفنه وأدبه ـ إذ إن قصته (فردريك) تعتبر عملا فريدا في هذا الباب.. لقد قرأ إيسوب في النملة والصرصار كما قرأناها جميعا.. النملة تجمع طعامها خلال شهور الدفء، والصرصار يلهو ويعبث، وعندما جاءت فترة البيات الشتوي ودخلا الجحر عاشت النملة، ومات الصرصار.. وإيسوب ـ تراثيا ـ ليس أسهل من اللجوء إليه للأطفال، إذ قصصه المركزة ذات المغزى الأخلاقي تُغري بتناولها وكتابتها من جديد.. بل إن واحدًا من كتابنا وظفها لمجرد أن يضع كلمات نستخدمها ونظنها عامية بينما هي فصحى!، أي إن التوظيف هنا لغوي لا أكثر ولا أقل.. كما أن مخرجا تليفزيونيا قدم هذه الحكاية، بعد أن استبدل الصرصار ـ الحشرة غير النظيفة! ـ بطائر هو «نقار الخشب» الذي يشاهده في المسلسلات الأمريكية، وبذلك دمر القصة، إذ لا حاجة لنقار الخشب بجمع الطعام، إذ ليس عنده بيات شتوي!.. أما الذي صنعه ليوليونيني في قصة فردريك فقد اختار مجموعة من الفئران تجمع الطعام، بينما فردريك لا يفعل ذلك، إنما هو يمضي بين الحقول، وعلى الشط، متجولا مفكرا، ملتقطا للصور الفنية الجميلة.. وعندما يجيء الشتاء وتدخل الفئران جحرها يتهدد الموت فريدريك، وإذا به يحدث أصحابه عما جمعه من صور خلابة، وأفكار جذابة، وتقرر الفئران أن تمده بالطعام إذ نجح في تحويل الحجر الرمادي إلى جنة خضراء، كما حول الشتاء إلى ربيع بما حدثهم عنه من صور وأفكار جمعها خلال تجواله.. إن ليونيني يريد أن يقول للأطفال: إن هناك «مفكرا» و«فنانا» له مهمة كبرى، وعلى المجتمع أن يطعمه لقاء ذلك.. إنه لم يقلل من قيمة العمل اليدوي، لكنه أضاف إليه العمل العقلي والوجداني، وبذلك قدم لنا قصة لها أبعاد جديدة، ونظرة عميقة.

وفي تقديرنا أن الكاتب المبدع ـ وحده ـ هو القادر على أن يخرج من التراث بمثل هذا العمل الفريد الذي يعتمد على التراث من جانب، وفيه إبداع من جانب آخر، ويؤكد هذا أن التعامل مع التراث فن في حد ذاته.


أحمد شوقي


توفيق الحكيم

ولست أريد أن أعيد ما قرره د. **عز الدين إسماعيل** من توظيف التراث وتفجيره بل ومواجهته، فلكم أن ترجعوا إليه، وأن ترجعوا أيضا إلى كتاب **«ألف ليلة وحكايات الطفولة» الصادر عن دار ثقافة الأطفال في بغداد،** والذي يتحدث عن الفهم العميق لألف ليلة، والاكتشافات الغربية في هذا الكنز التراثي العربيّ الفريد.. إن **برنوبلتهيم** يرى في حكاية **الصياد والعفريت** شيئا يتجاوز ما جمعه الأخوان **جريم**، ويحلل تحليلا رائعا مراحل بقاء الطفل وحيدا في البيت، مع مراحل بقاء العفريت حبيسا في القمقم، ويخرج بنتائج غاية في الأهمية، تكشف لنا سر خلود هذا العمل.. كما أنه يحلل **السندباد البري والبحري** بنفس العمق، ويستدل من حكاية السندباد أننا، نحن العرب، قد عرفنا الأنا والأنا الآخر قبل **فرويد ويونج**.. وفي هذا الكتاب نجد **مصباح علاء الدين** حلما لكل طفل، في أحلام يقظته وأثناء نومه، لذلك أحبها الأطفال من كل عقولهم وقلوبهم.

إن التعامل مع التراث يحتاج إلى حس فني، ودراسة علمية، ولا يمكن أن يترك نهبا لمن لم يقتربوا منه قربا حقيقيا، ومن لم يتعاملوا معه في إجلال واحترام، تعاملا يصل به وبهم إلى بر الأمان. . وقد وجدنا في أساتذة الفنون الشعبية حراسا أشداء لهذا التراث ـ عمليا ـ ويتبقى أن نجد منهم ومن كتاب الأطفال الحقيقيين من يتوفرون على هذا التراث دراسة وتمحيصا، ومن يبذلون جهدا حقيقيا في تناوله بحيث لا نفقده قيمته.

والحق أن تجربة «**فاروق خورشيد**» مع التراث عامة، ومع سيف بن ذي يزن خاصة تستحق منا وقفة طويلة، ولا بد من دراستها. . إذ صاغ السيرة، ثم كتب عملا روائيا رائعا، أبدعه من عنده، عقد بطولته لتلك الشخصية النادرة. . وقد حصل على جائزة الدولة عن هذا العمل، وفي تقديري أن الفكرة ذاتها تستحق ما فوق الجائزة. . أن يستلهم التراث «ويعصره» بهذه الصورة الرائدة.

تجربتي الذاتية في التعامل مع التراث للكتابة للطفل العربي

من الواضح أني قد استفدت من كل ألوان التراث في كتاباتي للأطفال. . ولعل أوضح مثال كتاب (**حياة محمد ﷺ في عشرين قصة**)، وقد تناولت فيه **السيرة النبوية من التراث الديني، وسقتها على** ألسنة (فيل أبرهة، وحمار حليمة السعدية، والبُراق، والناقة التي نقلت الرسول ﷺ إلى المدينة و. . . الخ) مستثمرا تراثنا: كليلة ودمنة من جانب، والأسد والغواص من جانب آخر ـ لكي أيسّر قراءة السيرة لأطفالنا، وكان من ثمرة ذلك نحو ستة ملايين نسخة من هذا الكتاب الذي قرأه أطفالي في الصف السادس الابتدائي.

وكان ذلك في فترة مبكرة من كتاباتي للأطفال، إذ أدركت بحسّي أنني وريث لهذه الكنوز، وأنني أصبح سفيها إذا أنا لم أستفد من هذا التراث الذي خلفه الأجداد. . وعندما أردت أن أقدّم أبطال المسلمين وفرسانهم إلى الأطفال تنبهت إلى أننا قد أعدنا إلى بيوتنا تلك الأسماء العظيمة (خالد، أسامة، طارق، عمر، سعد بن أبي وقاص، و. . .)، وتساءلت في بداية كل موضوع: هل اسمك (فلان)؟ هل تعرف من أين أتوا لك بهذا الاسم الجميل الكريم؟! . . إنه عن جدنا (فلان). . وأقدم العرض مستخدما قيما عصرية في تاريخ البطل. . وأنهي موضوعي بمجموعة أسئلة من بينها: (هل أنت جدير بحمل هذا الاسم؟! . .).

بل إنني في طفولة النبيّ ﷺ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ قد كتبت هذا التاريخ التراثي بأسلوب قصصي رويت في البداية قصة (البحث عن الكنز). . وهو موضوع عشرات من القصص العالمية المعاصرة. . وإذا نحن أمام كنز ثمين من الذهب.

كان الجدود قد طمروه في بئر زمزم، وأخذت قريش غصبًا هذا الكنز، لكن البحث استمر عن كنز أغلى وأثمن، هو «بئر زمزم». . وكان الفصل الثاني عن «**أول غارة جويّة في التاريخ**». . وما أظن أن أحدًا سبق له أن ربط بين الغارات الجوية المعاصرة وما بين الطير الأبابيل التي رمتهم بحجارة من سجيل. . وهكذا، كان التراث ـ والديني منه ـ موحيا بالكثير من الأمور المعاصرة التي تقرب هذه الأعمال إلى الأطفال.

القصص الشعبي تُجمع نصوصه وتُدوَّن كما هي، بلا زيادة أو نقصان، ويحتفظ بها للدراسات العملية، لكنني لا أتصوّر تركها مخزونة مقدسة، لا تمتد إليها يد بالتغيير والصياغة، من أجل الأطفال. . و منذ **وقت بعيد أدركت أن هذا حق لنا جميعا، ويتوقف الأمر على الوعي بأهمية التراث وحسن التعامل معه واحترامه**. . وقد تجاسرت على صياغات جديدة للتراث الشعبيّ القديم، وللتراث التاريخيّ، لا أغير ولا أبدل في الأحداث، وإن أضفيت على العمل بعض جوانب جديدة، لا تخرجه قط من إطاره. .


صلاح عبد الصبور


فاروق خورشيد

وأضرب لذلك مثلا. .

إن **قصة الملك عجيب بن خصيب** واحدة من قصص ألف ليلة وليلة وقد صاغها **كامل كيلاني في** كتاب روى فيه الحكاية مبسطة. . وتناولها **صلاح عبد الصبور** في قصيدة عنوانها «**من مذكرات الملك عجيب بن خصيب**» فيها الكثير من التداعيات التي تتوالى مستثمرة كلمات بذاتها، وكتبتها شخصيا في سياق كتاب يتحدث عن «**بيت الإبرة**» أي البوصلة التي صنعها العرب ـ وليس الصين ـ **ودللت بالحكاية على أن العرب عرفوا قصص الخيال العلميّ**. . إذ تحدثت الحكاية عن جبل المغنطيس الذي يجتذب المسامير من السفن فيغرقها. . ولم يقف العرب عند حد الحكاية الخيالية العلمية، بل استفادوا من معرفتهم بالمغنطيسية في اكتشاف البوصلة، ومن بعدها الاسطرلاب، ـ البوصلة البحرية ـ وما أظنني بذلك إلا محترما للتراث، مشيدا بدوره، عارفا لقدره.

وكنت مع التراث الشعبي أكثر جسارة، فقد اقتربت كثيرا من أستاذتي د. **سهير القلماوي**، وأيضا من د. **عبد الحميد يونس، ود. عز الدين إسماعيل، ود. نبيلة إبراهيم، ومن صفوت كمال وفاروق خورشيد وإبراهيم شعراوي**، وكانت الثمرة عدة أعمال من بينها **خيال المآته** ـ ٣ ملايين نسخة ـ تلك الدمية الشعبية الرائعة التي تقف حارسة لحقولنا. . ثم «**الفلوس والنفوس**» و«**العقل زينة**»، وتضم عددا من القصص الشعبية أعدت صياغتها من جديد، واستقيتها من الحكايات الشعبية العربية التراثية، وقصة (**الزرزور**) رويت لي في الإمارات العربية المتحدة ووجدتها في كتاب بالإنجليزية جمع الأدب الشعبي العربي في المغرب قبل أكثر من مائة

عام، ووجدتها في كتاب «قصص الموصل الشعبية» بالعربية، وجمعها **صفوة كمال من الكويت** . . وتناولتها مع بعض التغيير الذي أزعم أنه كان لصالح العمل . . إن شوكة دخلت في رجل الزرزور وذهب للمرأة التي تخبز، فأخرجت الشوكة من قدمه، وأعطتها له ولكنه ردها إليها، فألقتها في الفرن لتحترق، وإذا بالزرزور يعود ليطلب الشوكة . . وتترك الخبز في حراسته لتأتي له بواحدة بدلها، فيحمل الخبز ويطير به . . ويجد راعيا يأكل التمر واللبن ويعرض عليه الخبز ومشاركته الطعام، ويقبل الراعي على الخبز فيلتهمه ويطالبه الزرزور به فيترك الغنم في حراسته ويذهب ليأتي له بخبز بديل، وإذا بالعصفور يربط القطيع ويطير به . . ويجد حفل زواج، فينزل ليشهده ولا يجد لديهم لحما، ويتبرع بالماشية فيذبحونها ويطالبهم بها الزرزور ويمضي العريس ليأتي ببديل لها، وتبكي العروس . . لذهاب الرجل الذي كان سيعطيها اسمه، وهنا يعرض عليها الزرزور الزواج وأن يعطيها اسمه وهذا التغيير من عندي، إذ جعلت المرأة التي كانت تخبز هي الفتاة العروس، التي تعيد الشوكة إلى قدم الزرزور وهي تقول له :

ـ أتريد أن تعطيني اسمك ثم تطلب استرداده؟! هذه هي الشوكة التي طلبت أن تستعيدها!

وتَخِزُهُ بالشوكة . . ومن يومها نلمح الزرزور يعرج في مشيته!

لقد تجاسرت على تغيير وتبديل لأجعل من القصة حكاية سببية أضمها إلى فيض الحكايات السببية التي نشرت منها كتابين منذ قرابة عشر سنوات بعنوان **(عنق الزرافة وقصص أخرى)** و**(أذان الدين وقصص أخرى)** و هي حكايات شعبية تراثية أغلبها أفريقي . . **نشرتها دار الشعب ١٩٧٩م)** . . ثم صدرت لي **عن دار الفتى العربي «حكاية شعبية أفريقية»** مترجمة، وفي مقدمتها أشرت إلى ما قاله المستشرق **بيرتون** من أن الاستعمار سرق من قارتنا ربع مليون حكاية شعبية ـ بجانب البترول والقطن والسكر و . . . ، وأن طفل النيجر لا يعرف قصص نيجيريا، وطفل غانا لا يعرف حكايات غينيا، والعكس صحيح، بينما أطفال الغرب يتمتعون بحكايات أفريقيا كلها!

وقد تجاسرت على قصة الصياد والعفريت، أكثر من مرة . . آخرها **(عفريت الزجاجة القزم)** ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ وقد جعلت فيه المارد مجرد عقلة إصبع، فأصبحت القصة كوميديا ضاحكة . . وكنت قد تجاسرت عام ١٩٥٧م على القصة، وصغتها في إطار سياسي، وأرى من الضروري أن أثبتها هنا وثيقة تؤكد كيف كان تعاملي مع التراث، وقبل أكثر من ثلاثين عاما . .

محاولة جمع التراث الشعري المدون للأطفال

لفت نظري بذلك الاهتمام الكبير بشعر الأطفال، عالميا . . بينما نحن ـ أصحاب عكاظ والمربد ـ لم نعد نوليه ما هو جدير به من رعاية . . ولا بد من تدريب الصغار على تذوق الشعر منذ نعومة أظافرهم ليشبوا على حبه . . وكانت ذكرى مرور نصف قرن على رحيل أمير الشعراء **أحمد شوقي ـ رائد أدب الطفل العربي ـ** فرصة لتقديم (قصص في قصائد) في ستة كتب للأطفال، قدمت لكل قصيدة بسطور قصيرة من النثر تتيح للقارئ الصغير أن يفهمها . . وأتبعت ذلك بجمع كل شعر شوقي للأطفال بمقدمة ودراسة، تحت عنوان **(ديوان شوقي للأطفال)** . . وأسعدني أن ينقل عنه الكثيرون للمجلات بل وامتد الاهتمام به للمسرح . . وبعدها جمعت شعر **الهراوي في ديوان**، كما نشرت للأطفال من أعماله **(أنباء الرسل)** الذي صاغ فيه قصص الأنبياء شعرًا، وقدمت للقصائد بشرح بسيط . . واكتشفت أن له خمس مسرحيات للأطفال كتبها ما بين ١٩٢٢ ـ ١٩٢٩م، من بينها مسرحيتان شعريتان، واستحق بذلك لقب (رائد مسرح الطفل العربيّ)، وأصدرت كتابا بمقدمة عن مسرح الطفل، وجعلت من هذه العبارة عنوانا للكتاب . . ومن بعد ذلك قدمت ديوان **(معروف الرصافي)** للأطفال، مشروحة قصائده بإيجاز، **و نشرته دار ثقافة الأطفال في بغداد** . . وأخيرًا قدمت **(ديوان كامل كيلاني) من هيئة الكتاب**، واستخرجت منظوماته من كتبه العديدة. وأعدت إصدار ديوان **آداب العرب)** الذي نشره **إبراهيم العربيّ** عام ١٩١١م . . وديوان **(العيون اليواقظ)** لصاحبه **محمد عثمان جلال**، موضع اهتمامي الآن، وسيصدر قريبا بإذن الله .



معروف الرصافي



كامل الكيلاني

كيف تعاملوا مع تراثنا التاريخي والشعبي؟

تعودت أن أعرض بعض الكتب والمراجع في محاضراتي . . واكتشفت أن الذي أفعله تلقائيا واحد من ألزم الأمور العلمية في جامعات أمريكا . . ولاحظت أن جميع الأساتذة في تلك الحلقة الدراسية التدريبية التي أقامتها جامعة رايت ستيت في ديقون بولاية أوهايو حول الأدب الشعبي للطفل، أن الأساتذة يدخلون وكل منهم يدفع عربة محملة بالمراجع . . والنماذج . .

وعندما حل دوري لأتحدث عن تراثنا الشعبي العربي سألني المشرفون عن الحلقة عن المراجع والنماذج التي سوف أصطحبها، وكتبي بالقاهرة، وطلبوا أن أشاهد مكتبتهم، فقد أجد فيها ما يفيدني . . وإذا بي يوم محاضرتي أدفع أكثر العربات حمولة . . مئات ـ بلا أية مبالغة ـ من الكتب من تاريخنا الفرعوني والبابلي والآشوري والفينيقي، بل واليمني صيغت للأطفال . . وأكثر من مائتي كتاب عن ألف ليلة وليلة . . وبقدر ما كنت فخورا بكل هذا الذي أخذوه عنا كنت أشعر بحسرة حقيقية في داخلي، فما أظن أطفالنا قد استمتعوا بألف ليلة كما حدث للطفل في بلادهم، إذ إن

علاء الدين والسندباد وعلي بابا معروفة له بقدر ما يعرف ميكي ودونالد دك واستريكس وساحر أوز وأليس في بلاد العجائب . .

وهم يرون أن التراث الشعبي وراء أكثر من ثلاثة أرباع قصص الأطفال، وأن قرابة عشرين بالمائة مكتوبة بنفس طريقة الأدب الشعبي . . ويرون أن الإبداع الكامل لا يجاوز خمسة بالمائة من كتب الأطفال!

هل نحاول أن نستفيد من تجربتهم وتراثهم؟!

التراث معين لا ينضب، وعلينا التعامل معه بضمير حي..

محاولة تدمير التراث والعبث به في الكتابة للأطفال

يتصور بعضهم أن التراث نهب مباح، وبلا صاحب . . وينسون أنه ملك للإنسانية، والشعوب، وأنها حريصة عليه كل الحرص، وهي بالمرصاد للصوص والعابثين والقاطعين عليه الطريق . . وهؤلاء البعض ممن لا أخلاق لهم، ولا ضمير يقومون حينا بالسطو على التراث، ووضع أسمائهم عليه في صفاقة ليس لها نظير، وهم يعتمدون على اتساع الرقعة الثقافية، وتنوع جهات النشر، وصمت النقد الواعي البناء إزاء أفعالهم المشينة . . هم يسرقون الماضي، والأكفان، ويظنون أن الحاضر غافل عنهم، كما أنهم يتغافلون عن المستقبل واكتشاف جرائمهم، لأن المستقبل ليس في حسابهم، وليس لهم شخصيًا أي مستقبل، إذ سوف تدفن أعمالهم معهم، ولن يبقى منهم شيء للتاريخ . . وهو لا يعنيهم، وهم على يقين أنه لن يذكرهم إلا بكل سوء . . وكثيرا ما نتساءل عن موقف هؤلاء إذا ما قال لهم طفل: لقد قرأنا هذا العمل لكاتب أجنبي!، وفي تقديرنا أنهم، وقد قرروا أن يغطّوا بالصوت العالي على مثل هذه الجرائم، ارتضوا لأنفسهم هذا الحجم الضئيل وذلك الإحساس الفقير في مقابل ما تدره الصفاقة من مال . . لقد تجاوزوا حد البلادة والصفاقة . . وواحد منهم سرق من كتاب المطالعة القديم قصة، نسبها إلى فريقه، مع أن تمثالا شامخا لبطلنا يقوم في أمستردام عاصمة الدولة التي وقعت فيها الحادثة . . وذهب هذا الواحد إلى مدى أبعد حين قدم عمله هذا طالبا منحه عليه جائزة الدولة التشجيعية! . . ولقد وضع اسمه يوما على قصة لتولستوى على أنها من تأليفه، ونقل حرفيا من التراث الصيني المترجم قصصا نسبها لنفسه . . **هم يظنون أن التراث بلا حراس . .**

وهذا نموذج للإساءة البالغة التي يوجهها أمثال هذا الناقل إلى التاريخ والتراث معًا، في أعمال منشورة، لا يرعى ذمة ولا ضميرا، وإنما يشكل مع أمثاله عصابة هي في تقديري أفظع من عصابات سرقة أكفان الموتى . .

قصة **زمار هاملين** أشهر من أن تقدم . . قصة الرجل الذي قرر أن يخلص مدينة من فئرانها، ووعده أهلها بالمكافأة، واستخدم مزماره في جذب الفئران والنزول بها إلى البحر لتغرق . . وعندما أخلف أهل المدينة وعدهم عاتبهم باجتذاب الأطفال بأنغامه! . . لقد وضع هذه القصة الشعبية التراثية في إطار التاريخ الفرعوني وبذلك أساء إلى الأسطورة المعروفة إساءة دمرتها، كما أساء إلى تاريخنا إساءة لا تغتفر!

قصة الحاكم أو السلطان الذي وضع حجرا على الطريق، ومن تحته بعض المال، لكن أحدا من الشعب لم يحاول أن يزيح ذلك الحجر من الطريق . . الشعب سقط في تقدير هذا الناسخ الذي لا يمكن أن يوضع في صف الكتاب! . . الحاكم دائما هو على صواب والشعب هو المخطئ . . إنها القصص التي كانت تدعم حكم الفرد، وتراه أصلح ما يكون، إذ السلطان عبقري والشعوب غبية . .

وحين يتناول قصة علاء الدين يرى أن «الشعب» قد أخطأ حين ابتدع هذه القصة، إذ جعلت من علاء الدين ولدا كسولا، وكان أجدر بها أن تجعله نشيطا وذكيا لكي يحصل على المصباح السحري . . ونضحك من أعماقنا للغباء، فالقصة تعالج كسلا أصيلا في بعض النفوس، وتعالج أحلام اليقظة، وتريد أن تقول: إن كثيرين منا علاء الدين تقبع في داخلهم الرغبة في أن يحقق لهم العفريت أحلامهم!! وعندما يعرض للأطفال السندباد يغفل السندباد البري، لأنه لا يعرف أنه والسندباد البحري شخص واحد، وأنهما الأنا والأنا الآخر عند فرويد ويونج، وتوصلت ألف ليلة قبلهما بمئات السنين إلى ذلك!

وقد يدهش البعض حين نقول إن الذي فعل بالتراث كل هذا: شخص واحد!، فما بالكم إذا جعل هذا الشخص من أسلوبه وطريقته مدرسة؟!، وإذا ما كان له أتباع يقلدونه، ما الذي ينتظر للتراث مسخا وتدميرا على أيديهم؟! . . إن تصور هؤلاء أن هناك من يغفل عن صنيعهم فهم واهمون، وسوف تأتي اللحظة المناسبة للقضاء على هذه الظاهرة التي تستهدف اغتيال كل القيم الجميلة في تراثنا وتاريخنا بواسطة تجار أدب الأطفال، ومتعهدي توريده كالسم الزعاف إليهم!

والسؤال: من يحمينا من هذا الذي أبينا أن نطلق عليه لقب كاتب، وبعضهم يراه كاتبا كبيرا وشهيرا وجهيرا؟! ما الجهة المنوط بها وقف هذا العبث بتراثنا وأدبنا وتاريخنا؟!.

وبعد . .

إن قضية التراث، والتعامل معه كتابةً للأطفال لا يمكن أن تستوعبه هذه الورقة التي أراها نظرة أولية لموضوع يحتاج إلى الدراسة الدائمة الدائبة، ولا بد من محاولات التجريب المستمرة صياغة للتراث، وإعادة النظر فيما بين أيدينا منه حين نصوغه للأطفال. ولا بد لنا من تفجيره واستلهامه، بل ومواجهته فذلك هو السبيل الحقيقي للوصول إلى ثمره.

(١) من قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ (سورة النساء/ ٤٣)

مراثي الطير والحيوان في الشعر العربي

بقلم: د. ناول عبد الهادي

في ديوان الشعر العربي صفحات طويلة لم تقرأ بعد، ولم تجد لها في كتب الدارسين وأبحاثهم مجالا ومتسعًا، على مالها من أهمية في الكشف عن بعض الجوانب الإنسانية الخفية في هذا الشعر، بعد أن طغت عليه الصبغة الرسمية، وما يتصل بها من مذاهب وأغراض في نظر كثير من الباحثين، فبدا الشاعر معها ظلا لغيره، وصار صوته صدى لأصوات الآخرين، وأصبح الشعر سلعة نافقة في أسواق الممدوحين، وكان لارتباط دراسته بالتاريخ أثر كبير في ذلك.

ومن هذه الصفحات المشرقة في الشعر العربي ما قاله الشعراء في مراثي **الطير والحيوان** من قصائد وأشعار كثيرة ذات صبغة إنسانية نادرة قلما نجد لها نظيرًا في أشعار الشعراء، لما اتسمت به من صدق في الشعور، ورقة في العواطف وبراعة في التعبير، وطرافة في الموضوع. وقد كان للطير والحيوان نصيب وافر جدًا من أشعار العرب. وقد عبّر الشعراء من خلال هذه المراثي عن مشاعرهم الصافية تجاه هذه المخلوقات الوديعة بعد موتها، وما يخلفه فقدها من حزن عميق، وأسى بالغ في النفس عامة وفي نفس الشاعر خاصة ولدى أهل بيته وجيرانه، و كانت قصائدهم في ذلك ذات سمات خاصة، قد تتفوق فيها على مراثي بني الإنسان.

ومن أوائل الأشعار التي نجدها في هذا الباب أرجوزة **لأبي نواس** في رثاء كلبه خلاب، بعد أن مات بلسعة حيّة فقال في رثائه(١):

يا بؤس كلبي سيد الكلاب ... قد كان أغناني عن العُقاب
يا عين جودي لي على خلاب ... من للضباء العفر والذئاب
خرجت والدنيا إلى تباب ... به وكان عُدَّتي ونابي
فبينما نحن به في الغاب ... إذ برزت كالحة الأنياب
رشقاء جرداء من الثياب ... لم ترع لي حقًا ولم تحاب
فضرَّ وانصاعت بلا ارتياب ... كأنها تنفخ من جراب
لا أُبتُ إن أُبتِ بلا عقاب ... حتى تذوقي أوجع العذاب



وهي إحدى طردياته الكثيرة، ولم تبلغ ما بلغته مراثي بعض معاصريه ممن برع في هذا الفن، وكانت له بدائع كثيرة فيه، تدل على أنها أبيات صدق وأسى عميق، وقدرة فنية فائقة، كما هو الشأن في مراثي **القاسم بن يوسف** «وكان قد جعل وكده في مدح البهائم ومراثيها، فاستغرق أكثر شعره في ذلك (٢) وقد روى له **الصولي** عدة قصائد طويلة في رثائها وقال: «وهو أشعر في فنه الذي أعجبه من مراثي البهائم من جميع المحدثين، حتى إنه لرأس فيه، متقدم جميع من نحاه، وما ينبغي أن يسقط شيء من شعره، لأن كله مختار، وللناس فيه فائدة، ولا يوجد مجموعًا، وأنا أذكره على القوافي»(٣). وبدأ هذه المراثي بقصيدته التي يرثي فيها عنزًا أسود، ومنها قوله:

يا عين بَكّي لعنزنا السوداء ... كالعروس الأدماء يوم الجلاءِ
ذات لون كالعنبر الورد قد عـ ... ـلَّ بها فاق لون الطلاءِ
أذن سبطية وخد أسيل ... وابتسام عن واضحات نقاءِ
أصبحت في الثرى رهينة رمس ... وثناها حي لدى الأحياء
كيف لي بالعزاء لا كيف عنها ... سلبتني السوداء حسن العزاء
كيف يرجو البقاء سكان دارٍ ... خلق الله أهلها للفناء

وهي قصيدة طويلة، بلغت عدة أبياتها سبعة وأربعين بيتًا، فكانت بذلك أطول من قصيدته في رثاء **العمري** إذ بلغت أبياتها تسعة وثلاثين بيتًا و إن كانت هذه القصيدة تفوقها في حرارة العاطفة وقوة التأثير ومنها قوله(٤):

هل لامرئ من أمان ... من ريب هذا الزمان
أم هل ترى من نجاةٍ ... من طارق الحدثان
ما اثنان يجتمعانِ ... إلا سيفترقان
كان المطوق خدنًا ... من أكرم الأخدان
وصاحبًا خليلاً ... من خالص الخلاّن
وكان طلقًا ضحوكًا ... يجيب كل أوان
فغاله حادث من ... حوادث الأزمان
فالقلب فيه كلوم ... من لاعج الأحزان
وفي الحشا لاذعات ... كمشعل النيران
والمقلتان سجوم ... دمعاهما تَسكفان
وذي سفاه لحاني ... لم يعنه ما عناني
يلومني وهو خلو ... لم يجشه ما جشاني
رددته بصغار ... وذلة وهوان

هيهـــات مـــالـك ثـــان	مقـــارب أو مـــداني
فـــاذهب حميـــدًا فقيرًا	فما خــــلا الله فـــاني

وقد كان هذا الشاعر مرزأً حقًا، إذ غاله الدهر بأحب الخلائق إليه فقضى أخوه **الوزير أحمد بن يوسف وزير المأمون**، ومات عدد من أبنائه، ولم يُبْقِ له على ما كان يؤنس وحدته من الطير والحيوان، حتى فرخ دجاج صغير لم يكد يشب عن الطوق فأرداه الردى صريعًا قبل أن يبيض فرثاه رثاء مؤثرًا أو حكيمًا بقصيدة طويلة يقول فيها(٥):

أوحشت منك أبـــا سعـــ	ــــد عـــراص وديــــارُ
فجعتنـــا بك أقـــدا	ر لها فينـــا الخيـــارُ
عثـــر الـــدهـــر بنـــا فيـــ	ــــك وللـــدهـــر عثـــارُ
وتــــولَّت بـــك أيـــا	م مـن العيشـس قصــــارُ
وبكـى يـــومـك أهلـــو	ن وجــــارات وجـــارُ
يـــا أبـــا سعـد فـــلا تبـــ	ـــــعد وإن شـطّ المزارُ
وسقت حفـــرتـك الغيـــ	ـــث وجـــادتها القطـــارُ
إنما الـــدنيـــا متـــاع	وإلى الله المجــــــارُ
كـــم رأينـــا عـــبرًا فيـــ	ـــها لـــذي اللب اعتبـــارُ

وله في رثاء هرة قصيدة طريفة يقول فيها(٦):

ألا قـل لمضـــة أو مـــا رده	تعـــزوا عن الهرة الصـــائدة
وإن رحلـت عنكـم نعمـــــة	ففي غـــدكم نعمـــة وافـــدة
يقـــولـــون كـــانـت لنـــا هـــرة	مـــربيـــة عنـــدنـــا تـــالـــدة
وكنـــا بصحبتهـــا حامديـــن	وكـــانـت بصحبتنـــا تـــالـــدة
فعَـنَّ لهَا عـــــارض للــــرَّدى	فأجست بتربتهـــا هـــامـــدة
وأصبحـت الفـار في دورنـــا	أوامــن صـــــادرة واردة



ولعل مما لا يخفى مـا في هذه المراثي من كناية وتعـريض، وحكمة وعبرة، وقد استغنى هذا الشـاعر بمدح هذه المخلوقات ورثائهـا عن غيرها من السادة من بني الإنسان ولعلـه وجد فيها ما لم يجد فيهم من رقـة وطيب معشر ووفاء، وإن كانت لـه قصائد رائعة في الـزهد والرثـاء أيضًا(٧) مما قيل في رثـاء الحيوان قصيدة **لأبي الحسن علي بن محمد التهامي** (ت٤١٦هـ) يرثي فيها **قطًا له سقط في بئر فمات فقال**(٨):

ولما طـواك البين واجتـاحك الـرَّدى	بكينـاك مـا لم نبك يـومًـا على قطِ
ولـو كنت أدري أن بشـرًا تغـولني	بمثـواك فيهـا لاحتبستك بـالـربطِ
ولكن أيـــدي الحادثـات بمرصـد	إذا أرسلـت سهم المنيـــة لم تخطِ
فهل نـــافعي أني رثيتـك بعـدمـا	رأيتك تـــوفي لي وتحكـم بـــالقسط
فما أنت إلا مثـل حظي الـــذي نأى	وتصحيفـه بـــاق يصـوّر في الخطّ



على أن أجود ما قيل في رثاء الطير والحيوان من أشعار، قصيدة **أبي الفرج الأصبهاني** التي رثى فيها ديكًا له يدعوهُ «أبا نذير» وهي «من جيـد ما قيل في مـراثي الحيوان، ومن مختـار الشعـر، عذبـة الألفاظ بـديعـة المعاني، مطـردة الأجزاء، منسقة القـوافي» (٩) كما قال **ابن شاكر الكتبي** في تصديره لها، وقد نقلها إلينا كاملة على طولها، ومنها قوله:

خطب طُــرِقْــتُ بــه أمــرَّ طـــروق	فـظّ الحلـــــول عليّ غير شفيــقِ
فكأنّما نـــوب الـــزمـــان محيطـــة	بي راصــــدات لي بكل طــــريقِ
ذهبت بكل مصـاحـب ومنـاسب	ومـــوافـق ومـــرافق وصـــديق
حتى بِـديكٍ كنت آلـف قُـربَـهُ	حسنٍ إليّ مـن الـــديـــوك رشيقِ
لهفي عليك «أبـا النـذيـر» لَـوانَّـهُ	دفع المنـــايـــا عنك لهف شفيقِ
أبكي إذا أبصرت ربعك مـــوحشـا	بتغنـــنٍ وتـــأسّـــفٍ وشهيـــق
ويـزيـدني جزعـا لفقـدك صـادح	في منـــــزل دانٍ إليّ لصيـقِ
صبرًا لفقــــدك لا قِلى لك بـل كما	صبر الأسيرُ لشـــــدة ومضيـقِ
لا تبعـــدنَّ وإن نأت بـك نيّـــة	في منـــزل نـــائي المحل سحيقَ

وهي طـويلة ومـؤثرة، وفيهـا أوصاف بـديعة، ومعـانٍ لطيفة، ومشـاعر رقيقـة، وألـوان زاهيـة، وحكم بليغـة قلما نجـد لها نظيرًا في غيرهـا من مـراثي الإنسان أو الحيوان. ومهما يكن فإن هذا الشعر الفريد يعد بحق من أروع فنون الشعر العربي على اختلاف أغراضه ومذاهبه وأساليبه، لما فيه من روح إنسانية، وحرارة عـاطفية، وصـدق في الشعور، وبـراعة في التعبير، وقـدرة فنية فـائقة، تجعله جديرًا بالدراسة والتقـدير بعد أن طغت على هذا الشعر بعض الصفات التي قد لا تمثله أصدق تمثيل، أو تعبر عنه خير تعبير.

المصادر والمراجع

(١) ديوان أبي نواس ص (٢٦٠)

(٢) الأغاني (٢٣/١١٨).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه

(٧) المصدر نفسه.

(٨) رحلات محمد الجاسر ـ ص (٢٣٥) نسخة من ديوانه الخطية.

(٩) المصدر نفسه (الأغاني).

البصمة

معجزة الله في خلقه

بقلم: الأرمي حميد

يقول الله تبارك وتعالى في سورة النحل ﴿ونـزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة﴾ (النحل ـ ٨٩). فليس المقصود من التبيان صفة خاصة، ولكن على ما يبدو أن المقصود هو شمول القرآن للجوانب الإلهية، والبشرية والمعاشية والأخروية، فالقرآن هو كتاب لكل شيء بما في ذلك قضايا الإنسان وحقائق الكون ونظام الحياة ومصائر البشرية ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام ـ ٣٨).

وقد كان التبيان وما يزال السمة البارزة في القرآن الكريم، إذ ليس ذلك تفصيلاً للأحكام والآيات فحسب، بل هو تفصيل عام شامل في كل منحى من مناحي الحياة الدنيا والآخرة، فالشريعة الإسلامية تسمو، وتستوعب كل حقل من حقول الحياة، ومن ذلك اكتشاف الجريمة. خصوصًا وهي حريصة على تأكيد الحق وإزهاق الباطل، ومعنية بحفظ النفس، متجنبة إهدار دم الإنسان إلاّ بحق، وكثيرة هي الأشياء التي أشار إليها القرآن ولم يتنبه إليها العلماء إلاّ مؤخرًا لتوافر الأدوات المساعدة على إبرازها وتطورها وإدراك حقيقتها. ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾. (الإسراء ـ ٨٥).

ماهية البصمات واكتشافها

قبل التحدث عن البصمات ومن اكتشفها. لابد من الإشارة إلى حقيقة ومعجزة أخرى من معجزات الخالق البارئ المصور في خلقه وهي: التشابه في الخلق والاختلاف في البصمات.

خلق الله الناس جميعًا مشتركين في وحدة الخلق، ووحدة البنيات والتركيب، ووحدة وظائف كيمياء الخلايا.. فالناس جميعًا من دم ولحم وعظم وروح.. أصلهم جميعًا من تراب ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ (الروم ـ ٢٠). ويقول جل وعلا ﴿إنّا خلقناهم من طين لازب﴾ (الصافات ـ ١١).

ومع هذا التشابه في الخلق العام لا يتطابق إنسان مع غيره تطابقًا تامًا في كل التفاصيل الجزئية كالمزاج والطباع ولحن الصوت والقسمات وشكل العظم والرائحة، كما انفرد كل منا في تفاعله الكيماوي مع نفسه، لينفرد ببصماته التي يحملها وحده دون سائر البشر، والصفات الخاصة منها ما هو ظاهر على سطح جسمه، ومنها ما قد يفرزه الجسم.

البصمات في القرآن

الإنسان كله بصمات فلراحة اليد بصمة وللقدم بصمة وللشفتين بصمة وللأذنين بصمة، وللدم بصمة وللعاب بصمة، وللصوت بصمة، وللشعر بصمة، ورائحة العرق بصمة، وللكروموسومات بصمة، وللعيون بصمة، ولأصابع الطيور بصمة، ولأصابع اليد بصمة، وقد وردت الإشارة في القرآن الكريم إلى هذه الأخيرة كما وردت لغيرها من البصمات.

جاء في سورة القيامة (الآيات ١ : ٤) ﴿لا أقسم بيوم القيامة* ولا أقسم بالنفس اللوامة* أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه* بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾.

والبنان هو أطراف الأصابع، لقد أنكر الكفار والمشركون والملحدون الجاهلون إبان البعثة المحمدية وحتى اليوم البعث بعد الموت والغيب جملة، وكيف يجمع الله العظام النخرة البالية الذاهبة في التراب

لإعادة بعث الإنسان حيًا، فأجابهم الخالق إجابات شافية ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ أي بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نعيد أطراف أصابعه التي هي أصغر أعضائه وأدقها أجزاء وألطفها التئامًا، فكيف بكبار العظام؟

ويقول المفسرون: لقد اختار الله أطراف الأصابع لما فيها من غرابة الصنع ودقته، وذلك لأن الخطوط والتجاويف الدقيقة الموجودة في أطراف الأصابع لا يماثلها خطوط أخرى في أصابع شخص آخر على وجه الأرض. ولقد بقيت هذه الآية المعجزة في غيب الله إلى أن أظهرها الله للناس في القرن الماضي.

تعريف البصمات

البصمة هي خطوط بارزة (RIDGES) تحيط بها خطوط أخرى متخفية (FURRAUS) تأخذ أشكالاً مختلفة على جلد أطراف الأصابع والكفين من الداخل، وهذه الخطوط تترك أثرها على كل جسم تلمسه، وخاصة الأسطح الملساء. ويقول العلماء إن البصمة تتكون من بداية الجنين فيما بين الأسبوع الثالث والأسبوع السادس والأسبوع الثالث عشر، وتبقى إلى أن يموت الإنسان، وإذا حفظت الجثة بالتحنيط أو في الأماكن الثلجية تبقى البصمة كما هي لآلاف السنين ولا يتغير شكلها. وحتى إذا ما أزيلت جلدة الأصابع لسبب ما فإن الصفات نفسها تظهر في الجلد الجديد، **كما أن بصمة الرجل تختلف عن بصمة المرأة، ففي الرجل يكون قطر الخطوط أكبر منه عند المرأة بينما تتميز بصمة المرأة بالرقة وعدم وجود تشوهات تقاطعية.**

أنواع البصمات

توصل العلماء إلى تقسيم البصمات رغم اختلافها في التفاصيل فجعلوها أربعة أشكال رئيسة وفق ما بها من خطوط متمازجة على باقة ووفق ما بها من أنشوطة مفتوحة وأخرى متعلقة وهي:

*إحداها على شكل قوس أو دوامات أو دواش متمددة المركز، أو عراو أو مركبات.

* ومن الخبراء من جعل الأشكال الأصلية ثمانية وقسموها إلى عدة أصناف، والأشكال الثمانية هي:

(١) البصمة ذات الأنشوطة الزندبية.

(٢) البصمة ذات الأنشوطة (الكعبرة).

(٣) البصمة ذات الأنشوطة الدوامة البسيطة.

(٤) البصمة ذات الأنشوطة القوس.

(٥) البصمة ذات الأنشوطة العريضة.

(٦) البصمة ذات الأنشوطة الجيبية المركزية.

(٧) البصمة ذات الأنشوطة المزدوجة.

(٨) البصمة ذات الأنشوطة القوس التي لها رأس الخيمة.

يشير بعض العلماء إلى أن البصمات كانت تستخدم قديمًا في التمييز بين الأفراد، وأن قدماء اليونان قد استخدموا البصمة كعلامة مميزة للإنسان **في القرن الثامن قبل الميلاد** وورد وصفها لدى بعض علماء التاريخ مثل العالم الإيطالي **(مارسيليس مليبجي)** (١٦٢٨ ـ ١٦٩٤م) حيث وصف أشكال الأصابع وما تحمله من بصمات، ثم وصف العالم **كريستيان هنتال (Christian Hintal)** خطوط البصمات دون تعمق ودقة.

ومن الذين اهتموا بدراسة البصمات **الباحث الألماني** (ج. س آماير) الذي أعلن أن ترتيب الخطوط البارزة في الكفين والقدمين لا يمكن أن تتطابق عند شخصين مختلفين قطعًا، وأعلن بعد ذلك في سنة ١٨٥٦م أن الخطوط الحليمية أي البارزة في بنان الإنسان تبقى ثابتة لا تتغير ولاتتبدل منذ ولادة الشخص حتى وفاته، ودلل على قوله هذا بتجربة علمية إذ أخذ طبعة بنانه الأيمن، ثم عاد بعد مضي إحدى وأربعين سنة في عام ١٨٩٧م وأخذ طبعة نفس البنان ثانية فوجد أنه لا يزال كما هو ولم يطرأ عليه شيء من التعديل أو التغيير.

مبتدع طريقة وضع البصمة

وأول من ابتدع طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع هو **الطبيب الإنجليزي هنري فولدز (Henry Faulds)** عام ١٨٧٧م، وفي عام ١٨٨٠م. شرح طريقة أخذ البصمات، وأوصى بأخذ البصمات العشر، وفي عام ١٨٨٦ م قام **العالم السير فرانسيس جالتون** بتقسيم البصمات إلى أربعة أنواع، وقال إن هناك أربع مميزات رئيسة للبصمة هي: تفرع خط إلى خطين جزئيين أو أكثر أو انتهاء خط باتجاه الأعلى أو الأسفل. وجود جزيرة أو نقطة ـ أو وجود حلقة وتسمى هذه تفصيلات (جالتون).

وقد كان الاستخدام العلمي للبصمات عام ١٨٥٢م بمقاطعة **البنجاب في الهند** بواسطة الحاكم الإنجليزي **(وليم هرتشل)** عندما أمر بأن يطبع السكان أكفهم في نهاية العقود والعهود، حتى يضمن عدم إنكار أطراف التصادق حين المقاضاة.

البصمات لإثبات الجريمة

قبل أن يستعمل الشرطة البصمات لإثبات مقترف الجريمة وقعت حوادث مفجعة من القتل والاغتصاب.. وكانت الوسيلة لإثبات الجريمة على الجاني هي الشهود، أو الاعتراف من الجاني نفسه وقد يؤخذ هذا الأخير قهرًا لاستجوابه تحت وسائل مختلفة، ومن هذه الطرق التي كانت مستعملة تلك التي كانت متبعة من طرف **محاكم التفتيش في أسبانيا** وتتلخص في إجراء جراحة صغيرة في دماغ المتهم تفعل فيه فعل المخدر فيدلي

تحديد عمر الجاني من بصماته.. ووضع احتمالات الإصابة ببعض الأمراض!

بكل تفاصيل الجريمة، أو ما كان متبعًا في **أثيوبيا** - زمن **أسد يهوذا - هيلا سيلاسي**: العرش الكهربائي: أو في **سجون النازية**. وكلها طرق تمس كرامة الإنسان كإنسان أولاً لا كمجرم مما جعل بعض الكتاب والمحامين ومن لهم ضمائر حية يستنكر هذه الوسائل ويندد بها ومن هؤلاء **(موريس غارسون)** الذي يقول في هذا الصدد: «إن قيود هذه الطريقة تسيء إلى شرف العدالة في البلاد المتمدنة».

وعلى أساس هذه الاختبارات منع **وزير الداخلية البريطاني** استعمال العقاقير المخدرة في الاستنطاق عام ١٩٤٨م، ومنعها **وزير العدل الألماني** عام ١٩٤٩م.

وقبل استعمال البصمات بصفة رسمية كانت شرطة **باريس وإيطاليا وبريطانيا** تأخذ بمقاييس دقيقة للجسم حتى إذا ما عاد المجرم أمكن التعرف عليه، ولكن هذا النظام وجهت إليه عدة انتقادات، مما جعل البعض ينبذه كبريطانيا. وتم الانتقال إلى نظام البصمات، وقد اعتمدته بريطانيا عام ١٩١٠م. أما **أول دولة في العالم أخذت بنظام علم البصمات كشاهد يقيني لكشف شخص الإنسان والدلالة على هويته المميزة هي دولة الأرجنتين وكان ذلك عام ١٨٩١م**. وقد اختلف في عدد العلامات اللازمة التي يجب توافرها للمقارنة بين البصمة المطبوعة والحقيقية من بلد لآخر إلى أن جاء **مؤتمر عام ١٩٦٧م الدولي** الذي عقد في **باريس** في شهر نوفمبر، حيث تم الاتفاق على توحيد عدد العلامات في مختلف دول العالم باثنتي عشرة علامة مميزة حتى لا يتاح للهاربين الإفلات لسبب الاختلاف العددي لأخذ البصمات من دولة لأخرى.

وقد اهتم العلماء الباحثون بمسألة البصمة فطبقوا نظرية حساب الاحتمالات ليعرفوا النسبة الاحتمالية التي يمكن أن تكون إذا ما بحثنا عن وجود نسختين من بصمتين متشابهتين أو متطابقتين بين بني البشر جميعهم، وبعد الحساب المضني وجدوا ما يلي:

إذا بلغ عدد سكان المعمورة ٦٤ مليارًا من البشر فيحتمل أن توجد نسختان متطابقتان لبصمتي شخصين مختلفين أي نسبة (١) على (٦٤) مليارًا.

تشابه في الخلق واختلاف في البصمات

وقد قام بهذا البحث أستاذ العلوم الجنائية في **جامعة كاليفورنيا (بول كيرك)**.. كما قام باحث آخر هو الأستاذ **(و نيوورث)** ببحث توصل في آخره إلى أنه يحتمل وجود بصمتين متشابهتين لشخصين مختلفين إذا بلغ عدد سكان الأرض (ستمليون) نسمة وهو رقم خيالي!!

علم البصمات

نظرًا لازدياد الإجرام والمجرمين وتطور طرق القتل والسرقة والاغتصاب، في عصرنا الحاضر نجد عددًا من العلماء يتابعون البحث عن وسائل أخرى تساعد **القضاء الجنائي** في إثبات الجريمة على مقترفها دون أن يمكنه التهرب من قبضة العدالة مهما حاول تضليلها، خاصة أن الإجرام أصبح علمًا إن صح هذا القول له رواده ومفكروه ووسائله المتطورة جدًا، كما أن القتل يعد مشكلة علمية وقد أدّى البحث ببعض العلماء إلى اكتشاف عدة بصمات سواء للإنسان أو الحيوان.

فكانت بصمة العرق التي أشار لها القرآن في قوله تعالى: **﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾** (يوسف - ٩٣) **﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾** (يوسف الآية ٩٤) فقد عرف الأب ابنه من رائحة عرقه على القميص، طبعًا بإلهام من الله، لأن حاسة الشم عند الإنسان ضعيفة إذا ما قورنت ببعض الحيوانات.

واليوم يستخدم جهاز قياس الرائحة وتسجيل مميزاتها بأشكال بيانية ومخططات علمية لكل شخص، وهي تعتمد على أن لكل شخص رائحته الخاصة به التي لا يتفق معه فيها غيره، والتي تبقى في المكان الذي وُجد فيه حتى بعد مغادرته له، وعليها قامت فكرة الاستفادة من **«الكلاب البوليسية»** المدربة، فالكلب المدرب يستطيع أن يميز بين رائحة توأمين متطابقين تمامًا.

ويقول البروفيسور **(وولتر نويهاوس)** من جامعة «ايرلانجن» بألمانيا: إن كل خطوة قدم عارية لإنسان بالغ تترك على الأرض كمية من العرق تقدر بحوالى أربعة أجزاء من بليون جزء من الجرام (٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٤ جرام) فرغم ضآلتها وعجز أية وسيلة متاحة لاكتشافها، إلا أنها كافية لأنف الكلب المدرب ليتتبع مسارها!!

وإذا كان الإنسان يمشي وهو يتنعل حذاءً فإن كل خطوة تترك على الأرض حوالى ٢٨٠ مليونًا من جزيئات حامض البوتيريك الذي هو أحد العناصر الرئيسية المكونة لرائحة العرق، وتستخدم الكلاب في بعض الدول في مجالات غير بوليسية لكشف تسرب الغازات من الأنابيب المدفونة تحت الأرض وعلى أعماق قد تصل إلى عدة أمتار كما هو الحال في **هولندا والدنمارك**. كما تستعمل الكلاب في ألمانيا للكشف عن خامات بعض المعادن المدفونة في باطن الأرض.

● **أما بصمة الشفاه**: فهي أيضًا إحدى المعجزات الربانية.. فقد توصل العلماء إلى نتائج تؤكد اختلاف بصمة الشفتين وعدم وجود اثنين في العالم يتفقان ويتطابقان في ذلك. ويمكن أخذ بصمات الشفاه والأصابع من على المخدات وغيرها بوسائل خاصة.

● **بصمة الأذن**: **﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾** (الحج آية ٤٦) الأذن هي إحدى الحواس عند الإنسان لم يخلقها الله عبثًا،

هي أيضًا لها بصمتها غير أنها لا تتغير، فبصمة الأصبع قد تزداد خطوطها تبعًا للسن، أما بصمة الأذن فلا تتغير، وقد قسمها العلماء إلى (٨) أجزاء رئيسة، وتطبقها بعض الدول عند التحقيق عن شخصية الإنسان.. ومنها **أمريكا وبلجيكا وألمانيا**.

من البصمات يتعرف رجال الأمن على المجرمين بسرعة فائقة..

● **بصمة الصوت**: إن لكل إنسان نبراته الصوتية المميزة له، وقد استخدمها العلماء للتحقيق الجنائي والتأكد من شخصية المجرم، حتى لو نطق بكلمة واحدة يقوم جهاز خاص بتحويل صوته إلى ذبذبات مرئية. ويدعى هذا الجهاز **(الاسبيكتروكراف)**.

● **بصمة العين**: وهي من أحدث البصمات للإنسان فقد تم في **(بوتلاند)** بولاية أوريجون الأمريكية اختراع جهاز قادر على تصوير وتحليل الأنماط المعقدة للأوعية الدموية الخلفية للعين والتي يقال إن كل نمط منها خاص بكل إنسان فيأخذ الجهاز صورًا للعين بواسطة الأشعة تحت الحمراء التي يصدرها، ويقوم أيضًا بمقارنة الصور التي أخذها مع الصور المختزنة فيه من قبل حتى يعثر على الصورة المطابقة فيتم التعرف على المجرم.

● **بصمة الطيور**: هي أيضًا من البصمات الحديثة اكتشفها الطبيب البيطري **(أريك ستاوبر Erik Stauber)**، وقال إن أصابع الطيور متفاوتة في الحجم والشكل والموضع والتركيب في كل طير، إذ لكل طير مقاسات معينة بين الأصابع التي يتميز بها من غيره من الطيور.

● **أشعة الليزر والبصمات**: من أحدث المبتكرات العلمية في العلم الجنائي استعمال أشعة الليزر لمعرفة البصمات وعينات الدم وإبرازها مهما كانت صغيرة، ويتحدث العلماء عن تخطيط علمي جديد يساعد ضباط الشرطة القضائية على التعرف على المجرم في دقائق محدودة، وفي مكان الجريمة، ويطلق على هذا المخطط «دنا» وكذلك الدم والمني والنسيج يعطي التحديد الخاص والدقيق عن المجرم كبصمات الأصابع وأكثر.

ويعود الفضل في تطور هذا العلم الجديد إلى العالم البريطاني **«أليكس جيفريس»** الذي أطلق عليه مصطلح: **«كشف خصائص (د. ن. أ.)»** والغاية من هذه البحوث هو تأمين الإثبات الذي يعجز معه المحامي والمجرم عن أي إنكار، إن بصمات الأصابع تفعل ذلك بعد أن ثبت أن بصمات الأصابع تختلف كل الاختلاف.

وفي هذا الصدد تقول الكاتبة والقاضية **«بي. دي. جايمس»** في محكمة لندن: «أعتقد أن الاختراعات في **علم الطب الشرعي** ستحدث تغيرًا كبيرًا في جرائم القتل المنزلية العادية، وهي محزنة ومؤسفة وشنيعة حين يفقد الناس الصبر في مواقف لا تطاق فينتضون سكينًا.. مثل هؤلاء لن يأبهوا لما يمكن أن يكون في حوزة رجال الشرطة ومثل هذا الأمر يصح بالنسبة للمجرم الجنسي أو لأي مجرم آخر يجد نفسه في حالة قسرية فهو لن يقول: ينبغي أن لا أترك أية سوائل من الجسم ورائي.. وأهمية هذا العمل تكمن في رأيي بما تقدمه من إثبات في المحكمة. إنه إنجاز قيم أن يستطيع التحقيق أن يقول لمن يدعي البراءة: هذا الدم مطابق لدمك أو هذه القطعة مطابقة لسجادة في أرض منزلك». إنها تقنية هائلة بالفعل تجعل من الجاني يعترف دون وسائل القهر والتعذيب.

البصمة.. والعمر.. والمرض

أصبح من الممكن توقع احتمالات الإصابة ببعض الأمراض، ومن ذلك الإصابة **بمرض البول السكري**، من خلال بصمات الأصابع، هذا ما توصلت إليه دراسة أجريت على مائة مريض بأمريكا نصفهم مصابون بداء البول السكري، وقد أظهرت الدراسة أن هناك خلقات دائرية على أصابع السبابة وأخرى مثلثة على النتوء المستدير عند إبهام الرجل.. ولأن هذا المرض وراثي فإن التوقع من خلال البصمات أمر ممكن، كما أنه **يمكن تحديد عمر الجاني من بصماته** ــ وهذا يذكرني **بالقيافة والعيافة عند العرب**، فعلم القيافة كان على نوعين قيافة البشر وقيافة الأثر، أما قيافة البشر فهي الاستدلال من ملامح الوجه ومظاهر الأعضاء في الإنسان على الخفايا. وأما قيافة الأثر فهي الاستدلال بالأقدام والحوافر والخفاف على حقيقة تارك الأثر.

وقد أتقن العرب ذلك حتى أصبح بعضهم يفرق بين أثر قدم الشاب والشيخ، وقدم الرجل والمرأة، والبكر والثيب، ولا تزال القيافة موجودة إلى اليوم عند بعض الدول العربية حيث يستعينون بها في الصحراء على ملاحقة المهربين والفارين من وجه العدالة.. وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾** (الذاريات ـ ٢١) وقوله أيضًا **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾**.

فكلما ازداد الإنسان فهما لآياته ازداد إيمانًا به وبقدرته تعالى في تنظيم هذا الكون وتركيب هذا الإنسان الجاحد لنعمائه.

وكل يوم يؤكد لنا العلم أن القرآن معجزة خالدة، وما يمكن أن نختم به هذا الموضوع بشأن الإنسان الذي كرمه الله وجعله خليفة في الأرض قوله تعالى: **﴿صُنع الله الذي أتقن كل شيء﴾** (النمل ـ ٨٨). صدق الله العظيم.

المراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) تفسير القرآن الكريم لمحمد علي الصابوني

(٣) مجلة العربي رقم (١١٠)

(٤) مجلة الفيصل العددان ٧٣، ٩٨.

(٥) الموسوعة العربية الميسرة.

(٦) مجلة الإخاء رقم ٩ السنة السادسة عام ١٩٧٦م.

(٧) كتاب العربي رقم (١٠).

(٨) مجلة الصقر رقم (٢١).

(٩) كتاب: الإسلام والنظر في آيات الله الكونية تأليف محمد عبد الله الشرقاوي.

(١٠) مجلة العلم ـ المصرية ـ العددان ١٠٨ و١٠٩ لسنة ١٩٨٥م.

■ ■



إعداد: أ. د. عبد الحميد إبراهيم

قاموس الألوان عند العرب (١)

أ

ـ أدم :

أديم الليل : ظلمته، وأديم النهار: بياضه .

أُدمة : سمرة، آدم: أسمر.

وقيل هو البياض الواضح . وهو في الإبل : البياض مع سواد المقلتين، وهي في الناس : السمرة الشديدة . قال الأصمعي : الآدم من الإبل : الأبيض، فإن خالطته حمرة فهو أصهب . فإن خالطت الحمرة صفاءٌ فهو مدَمَّى .

ـ أرث :

الأُرثَة: سواد وبياض، كبش آرث ونعجة أرثاء :

وهي الرقطاء، فيها سواد وبياض . والأُرثة : الأَكَمَة الحمراء، أي الموضع الذي أشد ارتفاعًا من غيره

ـ أزر :

فرس آزر : أبيض العَجُز، فرس آزر: هو الأبيض الفخذين، ولون مقاديمه أسود أو أي لون كان .

ب

ـ بثع :

شفة كاثعة باثعة : ممتلئة محمرة في الدم، البثَع : ظهور الدم في الشفتين وغيرهما من الجسد . وفي اللثة البثَع : وهو حمرة اللثة وورمها، يقال : رجل أبثع وامرأة بثعاء، ورجل بثِع، ويقال : بَثِع يبثَع بثعًا شديدًا .

ـ بحر :

أبحر الرجل إذا اشتدت حمرة أنفه، الباحر: الأحمر شديد الحمرة، يقال : أحمر باحر وبحراني ويقال أحمر قاني وأحمر باحري وذَربحى بمعنى واحد .

ـ برج :

البرج : سعة العين في شدة بياض صاحبها، وقيل هو نقاء بياضها في صفاء سوادها، وقيل هو أن يكون بياض العين محدقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء .

ـ برش :

البُرشة : لون مختلف، نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك، الأبرش : الذي فيه ألوان وخلط، والبُرشة : هو لون مختلط حمرة وبياضًا أو غيرهما من الألوان، والمدنر: هو الذي يكون فيه نكت فوق البرش .

ـ برص :

البرص : بياض يقع في الجسد، والأنثى برصاء، وحية برصاء، في جلدها لُمَعُ بياض، البُرصة : البلّوقة، وهي أمكنة من الرمل بيض ولا تنبت شيئًا .

ـ برق :

تيس أبرق : فيه سواد وبياض، وهو من الدواب أبلق، ومن الكلاب أبقع، البرقاء شاة في خلال صوفها الأبيض طاقات سود، جبل أبرق : فيه لونان من سواد وبياض .

ويقال للعين برقاء لسواد الحدقة مع بياض الشحمة، البروق : هو ما يكسو الأرض من أول خضرة النبات .

ـ برقع :

والمبرقَعة : الشاة البيضاء الرأس، والمبرقِعة بكسر القاف : غرة الفرس إذا أخذت جميع وجهه غير أنه ينظر في سواد، وقد جاوز بياض الغرة سُفُلا إلى الخدين، من غير أن يصيب العينين .

- بسر :

البُسر: الغض من كل شيء، والبُسر: التمر قبل أن يرطب لغضاضته، واحدته بُسرة، والبسر، ما لون ولم ينضج، وإذا نضج فقد أرطب، إذا اخضر حبه واستدار فهو خلال، فإذا عظم فهو البُسر، فإذا احمرّت فهي شقحة، والبسر أوله طَلْع، ثم خَلال، ثم بلح، ثم بُسر، ثم رُطب، ثم تمر.

- بصر :

البَصْر: الحجارة إلى البياض، فإذا جاء وا بالهمزة قالوا البَصرة. والبَصْرة: حجارة رخوة إلى البياض.

- بغث :

البغَث والبُغثة: بياض يضرب إلى الخضرة، وقيل: بياض يضرب إلى الحمرة، الذكر أبغث والأنثى بغثاء، والبُغاث والأبغث من طير المساء بلون الرماد، والبغثاء من الضأن مثل الرقطاء والتي فيها سواد وبياض، وبياضها أكثر من سوادها.

- بقع :

البقْع تخالف اللون، والأبقع ما خلط بياضه لون آخر، الأبقع من في صدره بياض، البقعاء اختلط بياضها وسوادها، وقيل بل اختلط بياضها بأصفرها، غراب أبقع : فيه بياض وسواد.

- بلج :

قيل الأبلج الأبيض الحسن الواسع الوجه، وفي حديث أم معبد في صفة النبي ﷺ: أبلج الوجه أي مسفره مشرقه، وشيء بليج: مشرق مضئ. والبُلْجة آخر الليل عند انصداع الفجر، يقال: رأيت بُلجة الصبح إذا رأيت ضوءه. وفي الحديث: ليلة القدر بلجة أي مشرقة.

- بلق :

البَلق: سواد وبياض. وكذلك بالضم البُلقة، والبلق والبُلقة مصدر الأبلق ارتفاع التحجيل إلى الفخذين، والعرب تقول للدابة أبلق وللجبل أبرق، فإذا جاوز البياض الركبة في اليد، والعُرقوب في الرِّجل فهو بلق، وفي كل الألوان يكون البلق، فكل لون خالطه بياض فهو أبلق، والبلق هُجنة في الخيل، فإن تجاوز البياض إلى العضدين والفخذين فهو أبلق مسَرول

- بهق :

البَهَق: بياض دون البرص، بياض يعتري الجسد بخلاف لونه، ليس من البرص.

- بهم :

ليل بهيم: لا ضوء فيه إلى الصباح، البهمة السوداء، والبهم: ما كان لوناً واحدًا لا يخالطه غيره، سوادًا كان أو بياضًا. البهم من ألوان الخيل الذي لا شية فيه تخالف معظم لونه، ولون بهم: لا يخالطه غيره، وفي الحديث: في خيل دُهم بُهم، وقيل البهيم الأسود، قال أبو عمرو: البهم واحدها بهيم، وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه من سواد كان أو غيره والبهيم من النِّعاج: السوداء التي لا بياض فيها.

- بيض :

البياض ضد السواد، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبل غيره، البياض: لون الأبيض، والبيضان من الناس: خلاف السودان، وبيّض الشيء: جعله أبيض، والأبيضان: الماء والحنطة.



- جأي :

قال الجوهري: الجُؤْوَة لون من ألوان الخيل والإبل، وهي حمرة تضرب إلى السوادِ. يقال: فرس أجأى والأنثى جأواء، وكتيبة جَأواء: بينة الجأي، وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع.

- جبب :

الجُبَّة: بياض يطأ فيه الدابةُ بحافره حتى يبلغ الأشاعر، والمجبب: الفَرس الذي يبلغ تحجيله إلى ركبتيه، قال أبو عبيدة جُبة الفرس ملتقى الوظيف من أعلى الحَوْشب، وقال مرة: هو ملتقى ساقيه ووظيفَي رجليه، وملتقى كلَّ عَظْمين إلاّ عظم الظهر، وفرس مجبب: ارتفع البياض منه إلى الجُبَب فما فوق ذلك، ما لم يبلغ الركبتين.

- جرش :

الجرشُ : ضرب من العنب، أبيض إلى الخُضرة، وناقة جرشية حمراء.

- جرك :

الجرياك والجريالة: الخمرة الشديدة الحمرة، وقيل هي الحمرة، وقيل جريال الخمر لونها، وسئل الأعشى عن قوله: سلبتُها جريالها. فقال أي شربتها حمراء قلبتها بيضاء، وقال أبو حنيفة: يعني أن حمرتها ظهرت في وجهه وخرجت عنه بيضاء.

- جسد :

قال بعضهم في قوله عز وجل ﴿فأخرج لهم عجلاً جَسَدًا له خُوار﴾ (طه/ ٨٨)، قال أحمر من ذهب. والجَسَد والجَسِدُ والجاسد والجَسيد: الدم اليابس

وقد جَسِدَ، ومنه قيل للثوب تَجسَّد: إذا صبغ بالزعفران، ويقال للزعفران الريْهُقان والجادي والجِساد، الليث: الجساد والزعفران ونحوه من الصبغ الأحمر والأصفر الشديد الصفرة، والثوب المجسّد: وهو المشبع عصفرًا أو زعفرانا. والمجسد الأحمر، ويقال على فلان ثوب مشبع من الصبغ، وعليه ثوب مُفْدم، فإذا قام قياما من الصبغ، قيل قد أجسد ثوب فلان إجسادا فهو مُجسَد، وفي حديث أبي ذر: أن امرأته ليس عليها أثر المُجاسد، وهو جمع مجسد بضم الميم، وهو المصبوغ المشبع بالجسد، وهو الزعفران والعصفر والجسد من الدماء ما قد يبس فهو جامد جاسد، والجسد الدم، السبائب: طرائق الدم، والنجيع: الدم نفسه، الجاسد: اليابس، والمِجْسَد: الثوب الذي يلي جسد المرأة فتعرق فيه.

ـ جعر :

وفي الحديث أنه نهى عن لونين في الصدقة من التمر: الجُعْرور ولون الحُبيق، قال الأصمعي: الجُعرور ضرب من الدَّقَل يحمل رطبًا صغاراً لا خير فيه، ولون الحبيق من أردأ التُمران أيضا.

ـ جمر :

الجمر: النار المتقدة، واحدته جمرة، فإذا برد فهو فحم، والجمرة: الظلمة الشديدة، وابن جمير: الظلمة، وأجمرت الليلة: استتر فيها الهلال، قال الجوهري: وابنا جمير: الليل والنهار، سميا بذلك للاجتماع، كما سميا ابني سمير؛ لأنه يسمر فيهما.

ـ جوز :

شاة جوزاء ومجوزة: سوداء الجسد، وقد ضرب وسطها بياض أعلاها إلى أسفلها، والجوزاء: الشاة يبيض وسطها.

ـ جوف :

فرس أخرج : أبيض البطن والجبين إلى منتهى الظهر ولم يصعد إليه ولون سائره ما كان، والأجوف والمجوّف: الأبيض البطن إلى منتهى الجبين وسائر لونه ما كان، فإن كان أبيض البطن فهو أنبط: وقيل: الأنبط: الذي يكون البياض في أعلى شقَّي بطنه مما يليه في مجرى الحزام، ولا يصعد إلى الخبب.

ـ جون :

هو الأسود اليحمومي، والأسود المشرب حمرة، والنبات الضارب إلى السواد من شدة خضرته، من حمر الوحش ما يوصف بالبياض، وقد يعني الأسود، وقد يعني الأحمر.

ح

ـ حبس :

يكون الجبل خَوْعا، أي أبيض ويكون فيه بقعة سوداء، ويكون الجبل حبسا، أي أسود ويكون فيه بقعة سوداء.

(اللسان).

ـ حبش :

ناقة حبشية: شديدة السواد، والحُبشية: ضرب من النمل سود عظام، لما جعلوا ذلك أسما لها غيروا اللفظ، ليكون فرقًا بين النسبة والاسم، فالاسم حُبْشية والنسب حبشية، وروضة حبشية: خضراء تضرب إلى السواد، والحبشان: الجراد الذي صار كأنه النمل سوادًا.

ـ حتم :

الحاتم: الغراب الأسود، والحاتم: الأسود من كل شيء، وفي حديث الملاعنة: إن جاءت به أسحم أحتم أي أسود، والحتمة بفتح الحاء والتاء: السواد، وقيل سمى الغراب الأسود حاتما؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق إذا نَعَب أي يحكم، والأحتم: الأسود.

ـ حجل :

الأصمعي: إذا كان البياض بموضع الخلاخل من اليدين والرجلين، فهو التحجيل، وإنها لذات أحجال، إذا كان بها تحجيل، الواحد حجْل، فإذا حجلت ثلاث وتركت واحدة، قيل محجَّل ثلاث ومطلق واحدة.

ـ الحرر :

الحُر: سواد في ظاهر أذن الفرس، والحُرّان: السَّودان في أعلى الأذنين، والحرُ: حية رقيقة مثل الجان أبيض، زعموا أنه الأبيض من الحيات.

ـ حرق :

في حديث الفتح: أنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء حرقانية، جاء في التفسير أنها السوداء، ولا يدري ما أصله. قال الزمخشري: هي التي على لون ما أحرقته النار.

ـ حسب :

الحُسبة: سواد يضرب إلى الحمرة: والكُهبة: صفرة تضرب إلى حمرة، والقُهبَة: سواد يضرب إلى خضرة، والشُهبة: سواد وبياض، والحلبة: سواد صرف، والشربة: بياض مشرب بحمرة، واللهبة: بياض ناصع نقي، والنّوبة: لون الخلاس، وهو الذي أخذ من سواد شيئًا، ومن بياض شيئًا،

كأنه ولد من عربي وحبشية.

ـ حضر:

الحضار من الإبل: البيضاء، الواحدة والجمع في ذلك سواء، وفي الصحاح: الحضار من الإبل: الهجان.

ـ حلس:

بعير أحلس: كتفاه سوداوان، وأرضه وذروته أقل سوادا من كتفيه. والحلساء من المعز: التي بين السواد والخضرة، لون بطنها كلون ظهرها، والأحلس الذي لونه بين السواد والحمرة.

ـ حلف:

فرس محلف ومحلفة: وهو الأحم الأحوى؛ لأنهما متدانيان، حتى يشك فيهما البصيران: فيحلف هذا أنه كميت أحوى، ويحلف هذا أنه كميت أحم، وأنشد:

كميت غير محلفة ولكن   كلون الصِّرف عُلّ به الأديم

يعني أنه خالصة اللون لا يشك فيه.

ـ حمر:

القُنوء: شدة الحمرة. والعرب تقول: أحمر قانئ، وقد قنأ يقنأ قنوا. وأحمر ذريحي، وأحمر باحري وبحراني، وقاتم أي شديد الحمرة، وناصع، والناصع: الخالص من كل لون، ويانع، وناكع بين النُّكعة، ويقال أحمر كالنُّكعة، وهو ثمر النُّفاوى، وهو كالنبقة، وأنشد:

إليكم لا تكون لكم خَلاة   ولا نكع النُّقاوى إذ أحالا

وقال أبو عبيدة: قال أعرابي يقال له أبو مرهب لآخر: قبح الله نُكعة أنفك كأنها نكعة الطُّرثُوث يريد حمرة أنفه. ونكعة الطرثوث: رأسه وهو نبت يشبه القثاء. وقال أبو عمرو الشيباني: وأحمر نكع، وهو الذي يخالط حمرته سواد. وقال غيره: وأحمر سِلَّغْد أي أشقر، وأحمر أسلغ، وأحمر أقشر: وهو الشديد الحمرة الذي يتقشر وجهه وأنفه في الحر، وأحمر عاتك، وأحمر غَضْب أي شديد الحمرة... وأحمر أكلف وهو الكدر الحمرة، وأحمر فُقّاعي وهو الذي يخلط حمرته بياض، وأحمد قرف وكالقَرْف وهو الأديم الأحمر... ويقال لأحمر كالصَّربة، والصَّربة الصَّمغة الحمراء، وجمعها صَرْب، وأحمر كالمُصَعة، وهو ثمر العَوْسج.

ـ حمم:

الكُمت: الحم. قال ابن سيده: والحمة لون بين الكُمتة والدُّهمة، يقال: فرس أحم بين الحمة، والأحم الأسود من كل شيء، وفي حديث قس: الوافد في الليل الأحم أي الأسود. وقيل الأحم الأبيض... واليحموم: دخان أسود شديد السواد، والحُمّة دون الحوة، ونبت يحموم: أخضر ريان أسود.

ـ حنأ:

حنأت الأرض: اخضرت واشتد نبتها، وأخضر ناضر وباقل وحانئ: شديد الخضرة، والحِناء بالمد والتشديد معروف، والحِنَّاءة أخص منه، والجمع حنَّان، عن أبي حنيفة وأنشد:

ولقد أروح بلمّة فينانة   سوداء لم تخضب من الحِنَّان

(اللسان).

ـ حنتم:

الحَنْتم: جِرار خضر تضرب إلى الحمرة، والحنتم: سحاب، وقيل سحاب سود، والحناتم: سحائب سود؛ لأن السواد عندهم خضرة، وأصل الحنتم الخضرة، والخضرة قريبة من السواد.

ـ حند:

الحِنْدِس: الظلمة، وقيل الليل الشديد الظلمة.

ـ حور:

الحور: هو أن يشتد بياض بياض العين، وسواد سوادها وتستدير حدقتها، ويرق جفونها، ويبيض ما حوليها.

ـ حول:

الحائل: المتغير اللون، يقال: رماد حائل ونبات حائل و رجل حائل اللون، إذا كان أسود صغيرا، وفي حديث قَباث بن أَشْيمَ: رأيت خَنْق الفيل أحضر مُحيلا أي متغيراً، ومنه الحديث: نهى أن يستنجي بعظم حائل. أي متغير قد غيره البلى، وكل متغير حائل، والحال: الطين الأسود والحمْأة، ورأيت أرضا مثل الحُوَلاء، إذا اخضرت وأظلمت خُضرة، وذلك حين يتفقأ بعضها، وبعضها لم يتفقأ، واحوالّت الأرض إذا اخضرت واشتد نباتها.

ـ حواء:

الحُوَّة: سواد إلى الخضرة، وقيل: حمرة تضرب إلى السواد. والأحوى: كل أسود.



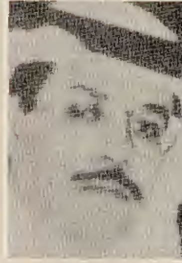
www.ahlaltareekh.com

الصُّورة الغاليَة

شعر: الأمير كمال فرج

بقلب الاطار هنا باديَهْ — من الحسنِ صورتكِ الغاليهْ
مؤطّرةً بعقيقٍ ثمينٍ — يضيءُ على الظلمةِ الداجيهْ
أطلّتْ عليّ بوجهٍ صبوحٍ — وسحرٍ تملّكَ وجدانيهْ
ولحظٍ رنىٰ كابتسامِ النجومِ — باهدابهِ فتنةٌ طاغيهْ
وثغرٍ أنيقٍ كزهرةِ دُفْلىٰ — تغنّىٰ بصحبتها ناديه
وراحت من الرَّسمِ ترنو إليَّ — ببسمتها الغضةِ الصافيه
وطافتْ على ناظريَّ رؤاهَا — كنسمةِ صيفٍ على رابيه
كأنَّ الاطارَ يحيطُ شموساً — تسامت بأضوائها الزاهيه
أهلّتْ على القلبِ طيفاً جميلاً — وترنيمةً حلوةً حانيَهْ
فذابَ على العمرِ نهرُ الجليدِ — وهامتْ على الافقِ أحلاميه
تكلمْ إلى الصبِّ يا رسمَهَا — لتزهرَ في الدربِ أفراحيه
تكلمْ وحاكي الفؤادَ المعنَّى — وروِي المنى الصبةَ الظاميه
حنانيكِ يا ذاتَ أحلى عيونٍ — فبحركِ أمواجهُ عاليه
فقدتُ بإعصارهِ زورقي — وضاعت من الأفقِ شطآنيه
غرامكِ في القلبِ لحنٌ شجيٌ — ومعزوفةٌ للهوى شاديه
وطيفكِ حين يزورُ الليالي — تغنّي العصافيرُ في الباديه
(أحبكِ) وشمٌ على الرابياتِ — ويحفظها النهرُ والساقيَهْ
وتنسجها الريحُ عقداً فريداً — ويعرفها الحرفُ والقافيه
حبيبةَ كل الروابي رحلتِ — لتورقَ في القلبِ أحزانيه
ولكنَّ حسبي منكِ إطارٌ — أراهُ فتنجابُ آلاميه
وحسبي من العشقِ ذكرىٰ غرامٍ — تهادىٰ وغنى بأوتاريه
وتمضي الليالي بطيئاً بنا — ويبقى إطاركِ تذكاريه

حوار العصا ومسافات الوعي



الحوار الواعي المثقف وأيضا المتخصص يتجاوز ـ في رأيي ـ الضرورة إلى الحاجة . . فمن الحوار وتبادل الآراء تنبثق الأفكار . . فهو لا يحقق التواصل بين أصحاب الاهتمامات أو التخصصات المتشابهة أو المتقاربة فقط ولكنه وسيلة فاعلة في تجديد الفكر كما أنه وسيلة لتحفيز الإبداع وتنشيط الساحة الفكرية والعلمية . . ومن الحوار انبثق الكثير من العطاءات والإسهامات الحضارية الجيدة . . بيد أن هناك شروطا لا بد من توافرها للمحاورة الفكرية لكي تمثل ـ فعلاً ـ مصدرًا من مصادر المعرفة . . ولعل من أهم هذه الشروط تحديد الغاية من الحوار بحيث يكون الهدف هو الوصول إلى حقيقة مشتركة تضيف جديدًا أو تصحح خطأً . . فالحديث في حد ذاته ليس مهمًا ولكن الأهم هو ما ينتهي إليه الحديث من فائدة تأخذ سمة العمومية . . وأن تكون لدى المحاور القدرة على الاستماع والاستيعاب تمامًا كالقدرة على مقارعة الحجة بالحجة .

وإذا أدركنا بشكل كامل أن ميادين العلوم والمعرفة لا حدود لها . . وإذا أدركنا أن الإنسان مهما عرف من أشياء لا بد أن تغيب عنه أشياء كثيرة . . يكون ـ في المقابل ـ إدراكنا لمعنى الحوار متكاملاً .

هذه بعض الشروط التي أعتقد بوجوبها فيما إذا أريد للحوار أن يخدم المعارف وقد تكون هناك شروط أخرى . . غير أن الملاحظ فيما نحضر من ندوات . . وفيما نلمس في لقاءات . . ونرى في مؤتمرات أن حواراتنا تخرج إلى النور ملتهبة تحس بحرارتها مثل لهيب قيظ الصحاري . . وأن المحاور لا يتسلم زمام الحديث دون أن تشعر بأن في يده عصا يركض بها إلى ساحة وغى (يا ضارب يا مضروب) . . ليس مهمًا ماذا يقول . . وليس مهمًا أن يكون فيما يقول معنى . . ولكن الأهم بالنسبة لهؤلاء المحاورين هو أن يرتفع الصوت بكلمات كالحجارة لرجم رأي المقابل لأنه لا يتفق مع رأيه . . وآخرون فقط كي يوصلوا أصواتهم إلى آذان المستمعين ـ من الحاضرين والغائبين ـ يعلنون عن حضورهم بشيء من «الضجة» واستقطاب «الوهج» حتى وإن كانوا لا يملكون من المعرفة إلا قبضة هواء . . وفي مثل هذه المواقف كثيرًا ما يلح عليّ السؤال : هل هذا الواقع للحوار العربي في الساحات الفكرية والثقافية وحتى العلمية ناتج عن الضعف المعرفي والفكري وأيضا ضيق في مسافات الوعي؟! خاصة وأن هناك من يقول إن (المظهرية) هي إحدى الأسس التي تقوم عليها الحضارة العربية بعد أن تخلت عن مجدها . . وإن هذه المظهرية في القول والفعل تأصلت منذ بدء ما يسمونه بعصر الانحطاط الأدبي وطغيان الاستعارات الجمالية والمحسنات اللفظية . . على أية حال . . مهما يقل فإن حواراتنا بواقعها الحالي لن تكون أكثر من إضافة (قيمة) في ساحة الضياع . . وإنها بهذا الواقع تفرغ الحوار من كل سبب لوجوده . . وبذلك تفقدنا مصدرًا مهمًا من مصادر المعرفة . . والسلام .

د. ساعد العرابي الحارثي

نصيحة

قال لقمان لابنه :

ـ يا بني ؛ إن الدنيا بحر عميق قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله ، واجعل زادك فيها تقوى الله ، فإن نجوت فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك . .

حسنًا فَعَلْ :

ترك رجل النبيذَ فقال له ماجنٌ :

ـ لِمَ تركته وهو جالب السرور إلى القلب فرد عليه قائلا :

ـ ولكنه بئس الجالب ، ينزل إلى الجوف فيذهب إلى الرأس ويُذهبها .

أيام الإنسان الخمسة !

الأيام خمسة : يوم مفقود ، ويوم مشهود ، ويوم مورود ، ويوم موعود ، ويوم ممدود .

فالمفقود : أَمْسُك الذي فاتك مع ما فرّطت فيه . .

والمشهود : يومك الذي أنت فيه ، فتزوّد فيه من الطاعات . .

والمورود : غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا . .

والموعود : آخر أيامك من الدنيا فاجعله نصب عينيك

والممدود : آخرتك ، وهو يوم لا انقضاء له ، فاهتم له فإنه إما نعيم دائم أو عذابٌ مخلّد . .

ويأتيك بالأمثال:

إيّاكَ وقتيلَ العَصَا

المثل يحذر من الفتنة التي تشق طاعة الجماعة ، والمقصود بالعصا هنا : الجماعة .



أطعمة

شرع الإسلام أنواعا من الأطعمة والولائم في أوقات مخصوصة : وتسمى أيام المناسبات ؛ وهي :

ـ القِرَى : طعام الضيفان

ـ التحفة : طعام الزائر

ـ الخرس : طعام الولادة

ـ المأدبة : طعام الدعوة

ـ الوليمة : طعام العرس

ـ العقيقة : طعام المولود في يومه السابع

ـ الغديرة : طعام الختان

ـ الوضيمة : طعام المأتم

ـ النقيعة : طعام القادم من سفر

ـ الوكيرة : الفراغ من البناء

من اللغات الأجنبية التي تكتب بالحروف العربية



● الأزربيجانية (شمال إيران الغربي)
● الكردية : ولها عدة لهجات (كردستان الواقعة أراضيها في العراق وتركية و إيران) .
● البالوتسية : (بالوتشتان الواقعة في جنوب أفغانستان) . .
● البراهوئية (بالوتشتان الشرقية) . .
● الهندستانية (الهند الشمالية) ويتكلم بها خمسة وعشرون مليونا من المسلمين وعدة ملايين غيرهم بجانب لغاتهم الخاصة . .
● الداخينية : لغة المسلمين في الهند الغربية والجنوبية وهي شديدة الشبه بالهندستانية . .



صورة من القارئ سومع محمد / المغرب

حرب الأفيون

انتشرت عادة تدخين الأفيون بين الشعب الصيني قديما على نطاق واسع حتى بلغ عدد مدمنيه عام ١٨٣٥م نحو مليوني شخص. ففتك ذلك الداء (الأفيون) بصحة عدد كبير من الشعب كما فتك بالاقتصاد الصيني الذي عجزت صادراته كلها - وقتذاك - عن سداد ثمن الأفيون المجلوب على السفن الإنجليزية والأجنبية الأخرى، مما حدى بالصين إلى دفع ثمن الأفيون بالفضة!!

وتحت ضغط من الشعب الصيني أصدر الإمبراطور «تاوكوانغ» عام ١٨٣٩م مرسومًا مشددًا بتحريم تجارة الأفيون.

وفي عام ١٨٤٠م أعلنت بريطانيا الحرب على الصين وادّعت أن سبب الحرب هو وقوف الصين في وجه التجارة الحرّة!! ووقعت «كانتون» في أيدي الانجليز. وسمّيت هذه الحرب باسم حرب الأفيون!!

وحتى الآن لا تزال الحرب ضارية في دول كثيرة من العالم ضد هذا السم الفتّاك . .

□ □

قاب قوسين

نحتاج



إلى سلسلة من التوابل، وليس «توابل هندية» فحسب. فهذا الكتاب الذي ألّفه فاروق لقمان الصحفي المعروف قد قدم الهندَ إلى القراء في صيغة كائن حي تفوح منه العطور الشرقية، ويتحدث بالهندي والأوردو.

ويتميز كتاب «توابل هندية» بالأسلوب اللقماني في تقديم وجبات خفيفة دون أن يتدخل بالرأى والتحليل إلا في حدود ضيقة. فالكتاب معلومات مضغوطة في التاريخ والفن والسياسة والرياضة والاجتماع.

تجد في الكتاب فصولاً عن أنديرا وأبيها نهرو وابنها راجيف وكنّتيها سونيا ومانيكا وفصولاً عن العلامة إقبال والعلامة أبو الكلام أزاد ومحمد علي جناح مؤسس باكستان وأخته فاطمة جناح.

ومع أن فاروق يتفادى التفلسف كما قال إلا أن الاختيار يكشف عن شخصية وذوق المؤلف ونظرته إلى الأمور. فهو مثلاً يذكر أن العسكر قتلوا «ذو الفقار علي بوتو» ولا يذكر أن الإعدام كان نتيجة حكم قضائي؛ لأن بوتو بدوره قد شارك في قضية قتل معروفة، ولم يشر إليها الأخ فاروق. فالاختيار هو نوع من الانتقاء وهو بحد ذاته رأي من الآراء. وهذا الرأي الذي يعتمد على تفسير معين للأحداث المذكورة والأحداث المحذوفة يترك حكمًا في ذهن القارئ ألقاه المؤلف وهو يزعم أنه لا رأي له ولا «فلسفة» يود أن يستعرضها. لكن المؤكد أن الكتاب ممتع بمعنى الكلمة. فبعد مؤتمر مدريد، تتضح الحاجة الأكيدة والملحة لكاتب يكتب عن إسبانيا مثلاً كما كتب فاروق لقمان عن الهند. فبرغم «القوات» الصحفية التي اكتظت بها مدريد في ٣٠/ ١٠/ ١٩٩١م لم نجد من يقدم لنا هذه المدينة كمجتمع إنساني يتنفس همومًا معينة وتاريخًا وثقافة ومناخًا وأشواقًا . . وشوارع وسيارات وشخصيات ورياضة وفنونًا.

لذلك أرى أن يستمر الزميل العزيز فاروق لقمان في كتابة مثل هذا الكتاب عن القاهرة وإسلام أباد وبيروت ومسقط وعدن وغيرها من المدن المهمة في الشرق الأوسط.

إن ما يحدث في الصومال مثلاً يؤكد حاجتنا إلى كتاب مماثل عن مقديشو وجيبوتي، كما أننا نحتاج إلى كتاب عن واشنطون ونيويورك.

وبطبيعة الحال فإن كاتبًا كفاروق هو أفضل ألف مرة من الآلات الإعلامية التي «تنتقي» فقط ما يترك صورة معينة من وجهة نظر واحدة. . ومفروضة . . ومنفرة.

لقد نفذ كتاب «توابل هندية»؛ لأنه بريء من «الآلية». . ولأنه يعطي القارئ فرصة الاستمتاع. . والتقاط الأنفاس بين الكتب الموجهة والزائفة.

ومع أني لا أستطيع قراءة الكتاب مرة ثانية، إلا أنني كلما تأملت المعلومات الواردة فيه أتساءل هل الرسائل التي تتركها هذه المعلومات بريئة فعلاً.

إن فاروق مثلاً يتحدث عن «الطبقية» البغيضة في الهند. لكن الطبقية موجودة في كل جغرافية بشرية. لذلك تجد نفسك تتلفت حتى إذا غابت بعض الأمور «تلفّت القلب».

لقد أضاف فاروق لقمان توابل جيدة إلى المكتبة العربية من المطبخ الهندي، ويا حبذا لو أكمل سلسلة من هذه الكتب على نفس النهج المقروء، الذي أهمله الصحفيون.

محمد علي الجفري

طَبيبُكَ

عيادة

طبية خاصة تقدمها لك مجلتك (الفيصل)، استضافت فيها أطباء واختصاصيي «مستشفى دلة» للإجابة عن أسئلتكم واستفساراتكم.. ويسعد هذا الباب أن يتلقى رسائلكم وإفادتكم بالنتيجة..

الخلع الوركي الولادي.. أسبابه والوقاية منه

القارئ **بوهادي العلاّوي من فاس بالمغرب** أرسل إلينا يقول:

● سعدت جدًا بالاطلاع على بعض الأعداد الأخيرة من مجلة «**الفيصل**»، وكانت سعادتي أكبر عندما قرأت زاوية جديدة بعنوان. «طبيبك»، ولديّ سؤال أود توجيهه إليكم:

طفلي المولود حديثا يشكو من خروج لرأس عظمة الفخذ من مكانها الطبيعي المفصلي في عظمة الحوض فما أسباب هذه الحالة وما علاجها؟

وقد أجاب على هذا السؤال **الدكتور محمّد الحارثي** استشاري العظام؛ قائلا:

ـ تسمّى هذه الحالة بـ «**الخلع الوركي الولادي**».

أسبابه قد تكون على النحو التالي:

١ ـ أسباب وراثية حيث أثبتت الدراسات أنه إذا كان أحد الوالدين عنده خلع وركي ولادي فقد تصل نسبة الخلع عند أولادهما إلى ١٢٪ وإذا كان الخلع موجودا في الوالدين حقا فقد تصل نسبة الخلع عند أطفالهما إلى ٣٦٪.

وقد ثبت أيضًا أن الخلع يصيب، الأنثى أكثر من الذكور بنسبة تصل إلى ٦ : ١ وقد أثبتت الدراسات أن الخلع الوركي الولادي يكثر في الشعوب ذات البشرة البيضاء أكثر منه لدى أصحاب البشرة السوداء. وبالمقارنة بجهة الخلع. لوحظ أن الخلع في الجهتين أي اليمين والشمال أكثر من جهة واحدة نسبة ٢ : ١ والشمال أكثر من اليمين ٤ : ١.

وقد تختلف النسبة من بلد إلى آخر حسب العادات في وضع الطفل بعد الولادة مثلا في أوربا تتراوح نسبة خلع الورك في الأطفال من ٥, ١٪ إلى ٧, ٥٪.

(٢) ارتخاء في أربطة وغشاء المفصل الوركي حيث يسمح لرأس عظمة الفخذ بالانزلاق من مكانها الطبيعي، وهذا احتمال يمكن أن يعود إلى عامل هرموني خاص بالأربطة.

وضع الجنين في بطن أمه وخصوصا في الأشهر الثلاثة الأخيرة على سبيل المثال ـ الوضع المستعرض للجنين في رحم أمه أو أن يكون جالسا في حوض أمه وهذه الوضعية تسمح لأحد أو كلا الوركين بالانزلاق من موضعه الأصلي.

(٣) قلة السائل الأمينوسي أي السائل الذي يسبح فيه الجنين داخل رحم أمه. حيث تعرقل قلة السائل حركة الجنين داخل الرحم ويحدث الخلع ويولد الطفل والوركان أو أحدهما خارج المفصل.

ويحدد الدكتور الحارثي طرائق العلاج؛ قائلا:

ـ الطب في تقدم مستمر وكذلك الوعي الصحي عند الشعوب تقدم كثيرا، وأصبح من النادر جدا أن لا يكتشف الخلع عند الولادة أو في الأسابيع الأولى من حياة الطفل، وأصبح من الطبيعي أن يفحص وركا الطفل إلى جانب الفحوصات الهامة، والتشخص سهل والعلاج أيضا سهل في بدايته، والنتائج ممتازة والتشخيص يكون بالفحص الطبيعي والأجهزة اللازمة، وإذا حصل مجرد شك بسيط في خلع الوركين يعالج كخلع حتى يثبت العكس لإثباته بالمتابعة الطبيعية والأشعة اللازمة بعد ٣ـ٦ شهور.

وعلاجه يعتمد على الحالة إذا كانت خلعًا جزئيًا أو كليًا أو ارتخاء في الأربطة والغشاء الموضعي. وإذا كان الخلع جزئيًا أو ارتخاء في الأربطة يكون العلاج سهلا بسيطا: **وضع الطفل في حفاظتين وترك الطفل على راحته وعدم تربيط الأطراف السفلية، وهذه الوظيفة تجعل الوركين متباعدين والرؤوس في مكانها الطبيعي ومع الوقت يحصل شد الأربطة والغشاء المفصلي وكذلك نمو رأس العظمة في مفصلها نموا طبيعيا وثباتها في مكانها ويحصل الشفاء.**

وإذا كان الخلع كليا عندها يجب رد الخلع إلى مكانه الأصلي وهنا يستعمل الجبس أو الجبيرة الخاصة بالورك، أو جهاز خاص يضع الوركين ويثبتهما في مكانهما الطبيعي، والشفاء من ٣ـ٦ شهور بإذن الله.

ارتخاء في أربطة وغشاء المفصل الوركي حيث يسمح لرأس عظمة الفخذ بالانزلاق من مكانها الطبيعي وهذا احتمال أن يعود إلى عامل هرموني خاص بالأربطة.

وعادة أكثر من ٩٩٪ من الحالات المكتشفة في الأسابيع الأولى يكون الشفاء فيها كاملا. وقليلة هي الحالات التي قد تحتاج إلى عمليات جراحية لرد الخلع.

ارتفاع الكولسترول.. والحِمْية.

بعد أن نشرنا في عددنا رقم (١٨٣) قائمة بالأطعمة المسموحة والممنوعة لمرضى السكّر، وردت إلينا أكثر من مكالمة هاتفية من الإخوة القراء من داخل المملكة وخارجها يطلب أصحابها نشر قائمة مشابهة للمرضى الذين يعانون من ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم.

واستجابة لرغبة قرائنا الكرام نقدم إليهم هذه القائمة التي وضعها إخصائيو مستشفى دلّة.

حمية غذائية متوازنة الدهنيات قليلة الكوليسترول وبدون ملح

عينة لقائمة الطعام

وجبة الفطور:

فول بدون ملح/ موز/ كورنفليكس/ حليب مقشود/ كاس

واحدة/ شريحتا خبز محمصتان/ سمن نباتي خاص مثل"FLORA"/ شاي أو قهوة/ سكر/ .

وجبة الغداء :

لحم ضان محمر/ ٣ أونسات (٩٠غم)/ أرز مع زيت مسموح بتناوله/ فاصوليا خضراء مع زيت مسموح بتناول/ شرائح طماطم/ خبز عربي، سمن نباتي خاص/ تفاح/ شاي أ وقهوة/ سكر.

وجبة العشاء :

دجاج (بدون جلد) ٣ أونسات (٩٠غم)/ بطاطس/ سبانخ مع زيت مسموح بتناوله/ سلطة خضروات ـ ليمون/ خبز مع سمنة نباتية خاصة/ برتقال/ حليب مقشود ــ كاس واحدة/ شاي أو قهوة.

الغرض : يتم استخدام الحمية الغذائية القليلة الكوليسترول والمتوازنة الدهنيات لتقليل مستويات الكوليسترول في الدم.

الوصف : تحتوي الحمية الغذائية على ٣٠٠ مغم كوليسترول وعلى دهنيات تقدر فيها نسبة الأحماض الدهنية العديدة الروابط إلى الأحماض الدهنية أحادية الروابط ٢ : ١ علما بأن ٣٣٪ تقريبا من إجمالي السعرات الحرارية يتم الحصول عليه من المواد الدهنية.

الكفاية : تعتبر هذه الحمية الغذائية كافية في جميع المواد المغذية إذ تم اختيارها وفقا «للبرنامج الغذائي اليومي والأساسي».

المجموعة الغذائية	الأطعمة المسموح بتناولها	الأطعمة المطلوبة تجنبها
الحليب :	حليب مقشود، مشروبات الحليب المقشود، مخيض اللبن المصنوع من اللبن المقشود.	حليب (كامل الدسم)٢٪ حليب، لبن، زبدة بوظة منتجات الحليب الكامل الدسم، مسحوق القهوة مع منتجات زيت جوز الهند، قشدة.
البروتينات : اللحوم، الأسماك، الدواجن، الأجبان، البيض، البقول.	ست أونسات(١٨٠ غراما) يوميا مع خمس حصص فقط (٩٠ غراما للحصة الواحدة) في الأسبوع من لحم البقر، الضان، الوجبات الأخرى تشمل لحوم: الدجاج، الديك الرومي، العجل، الأسماك، وحسب الرغبة يمكن تناول وجبتين من الروبيان في الأسبوع بدلا عن لحم البقر أو الضان، يجب أن تكون جميع اللحوم خالية من الدهون. جبن غير مملح بدلا عن اللحم ثلاث أونسات (٩٠ غراما) ثلاث مرات في الأسبوع، بيضتان كاملتان بحد أقصى في الأسبوع، ولامانع من تناول بياض البيض حسب الرغبة وكذلك البقول.	اللحوم الدهنية، خبيص اللحوم سجق، لحوم عضوية (كبدة، كلية، مخ، قلب، الخ) لحم بط، لحم معلب بملح، سمك معلب بملح، لحم أو سمك مدخن. أي كميات إضافية من صفار البيض، جبن مملح.
الأرز أو بدائله :	أرز، بطاطس بيضاء أو حلوة، أسباغتي، مكرونة، معجنات.	أي أرز مطهى بالزبدة، الجبنة أو الزيوت المطلوب تجنبها، بطاطس مقلية.
الخضروات :	جميع الخضروات الطازجة أو المطهية، المجهزة مع الأغذية المسموح بتناولها.	خضروات معلبة مع ملح، أي خضار مصنعة مع زبدة، أو صلصة إلا إذا تم تجهيزها بالمكونات المسموح بتناولها.
الفواكه :	جميع الفواكه والعصيرات.	لا يوجد
الخبز/ الحبوب :	خبز أبيض، خبز قمح صاف. خبز الجاودار، خبز فرنسي، خبز عربي، خبز عادي، بسكوت غير مملح، جميع الحبوب المطهية أو الجافة، برغل.	زلابية، فطيرة مشوية مع العسل، كعكة القهوة، كعكة بزبدة، كعكة حلوة تقلى بالزيت، خبز محلًى، بسكويت والمعجنات الأخرى التجارية، خبز وبسكويت مملح.
الدهنيات :	الزيوت النباتية ذات الأحماض الدهنية العديدة الروابط الثنائية: زيت العصفر، زيت الذرة الصفراء، مازولا، زيت الزيتون، زيت بذرة القطن، زيت فول الصويا وفقا لما هو مسموح به. سمن نباتي خاص بكميات محدودة. تتبيلة فرنسية أو إيطالية، جوز، جوز أمريكي، لوز.	زبدة، سمن نباتي عادي، سمن المعجنات، زيت جوز الهند، زيت النخيل، قشدة، قشدة حامضة، زيتون. شوكولاتة، جوز الهند، مكسرات مملحة، المرق، إلا إذا تم استخدامه مع المكونات المسموح بها، زبدة فول سوداني.
الشوربة (الحساء) :	شوربة خالية من الدهون ومن الملح مرق اللحم، شوربة الخضار وشوربات يتم تجهيزها بالحليب المقشود.	لحوم أو شوربات دهنية أو شوربات تحتوي على قشدة أو حليب كامل الدسم، معلبة مع ملح، خلطات شوربة جافة.
الحلوى :	فاكهة، حلوى هلامية، كعكة خفية أسفنجية، مهلبية مصنوعة من الحليب المقشود، دون صفار البيض، حلوى الفاكهة مخفوقة ببياض البيض، شراب مرطب، منتجات منزلية مصنوعة من المكونات المسموح بها، سكر، عسل، شراب سكر، ملبس، لبان، حلوى مغلفة بالسكر، حلوى الخطمي.	لبن كامل تحتوي على زبدة، قشدة، بيض، الدسم مثل البوظة كستر، حلوى مجمدة، كعك محلى، المعجنات التجارية أو المجهزة من خلطات جاهزة مختلفة.
المشروبات :	القهوة، قهوة خالية من مادة الكافيين، شاي، مشروبات غازية، عصيرات الفاكهة مشروبات الفاكهة.	عصير الطماطم المعلب
التوابل :	جميع التوابل ما عدا الملح، ٤/١ ملعقة صغيرة ملح فقط للطبخ.	التوابل ذات الملح، صلصة فول الصويا، صلصة شريحة اللحم (ستيك)، صلصة طماطم (كاتشب).

حول ابن سينا

نشرت مجلة **الفيصل** في عددها رقم ١٨١ موضوعًا بعنوان «الأسلوب القصصي في رسائل ابن سينا» بقلم: هشام عدرة، وقد أفادنا الكاتب بموضوعه هذا، غير أنه أضفى على ابن سينا صفة أنكرها علماء الإسلام وفيما يلي نوضح هذه الصفة ورأي علماء الإسلام فيها.

ترجمة ابن سينا

هو: الحسين بن عبد الله بن علي (٣٧٠ : ٤٢٨هـ) عُرف بكونه أحد مشاهير الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، له مؤلفات شهيرة ككتاب «القانون في الطب» الذي يُعد عمدة ما ألفه العرب في الطب وغيره من مؤلفاته الشهيرة التي تناول الكاتب بعضها.

موقف ابن سينا من الأديان:

قال العلامة **ابن قيم الجوزية** في «إغاثة اللهفان» كان ابن سينا كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم. فكان من القرامطة الباطنية، الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا رب ولا خالق، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى[1]»أهـ. وقال **أبو حامد الغزالي** في «المنقذ من الضلال» تحت عنوان «أصناف الفلاسفة وشمول وصمة الكفر كافتهم» قال: «اعلم أنهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: ــ الدهريون والطبيعيون والإلهيون». فذكرهم وآخرهم: «الصنف الثالث الإلهيون: وهم المتأخرون منهم مثل سقراط، وهو أستاذ أفلاطون، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس، وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق، وهذّب لهم العلوم، وحرّر لهم ما لم يكن مُحرّرًا من قبل، وأنضج لهم ما كان فجًا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على المصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم **﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾** (سورة الأحزاب / ٢٥) ثم ردّ أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط، ومن كان قبله من الإلهيين، ردًا لم يقتصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم، إلا أنه استبقى أيضًا من رذائلهم وكفرهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها **فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم** من المتفلسفة الإسلاميين، كابن **سينا والفارابي** وغيرهما. على أنه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من المتفلسفة الإسلاميين كقيام هذين الرجلين. وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم، وما لا يُفهم كيف يُرد أو يُقبل؟». .

ثم قال: «وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم، فما قدروا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوه في المنطق، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها، ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين، على ما نقله الفارابي وابن سينا. ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر. ولإبطال مذاهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب «التهافت». أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين وذلك في قولهم:

١ ــ إن الأجساد لا تحشر، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية: ولقد صدقوا في إثبات الروحانية، فإنها ثابتة أيضًا ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به.

٢ ـ ومن ذلك قولهم: إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات، وهذا أيضًا كفر صريح، بل الحق أنه: **﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾** (سورة سبأ/ ٤).

٣ ـ ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل»[2] انتهى ما نقلناه عنه.

عقيدة أهل السنة في المسائل الثلاث:

ـ المسألة الأولى: هي قول طائفة الفلاسفة ومنهم ابن سينا بنفي وإنكار الحشر للأجسام وهذا كُفر جحود، وأهل السُنة براء من هذا القول بل هم يثبتون الحشر للأجساد قال **الإمام الطحاوي** في «العقيدة الطحاوية»: ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان[3]» قال الشارح **ابن أبي العز الحنفي**: «ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يوضح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا



هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بيّن معاد النفس عند الموت، ومعاد الأبدان عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخيل! وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء وغيرهم عليهم السلام»(٤).

ـ **المسألة الثاني**: وهي إنكار هذه الطائفة من المتفلسفة لعلم الله تعالى بالجزئيات وزعموا أنه يعلم الكليات دون الجزئيات. وهو قول معلوم الفساد بالضرورة لأنه يتضمن وصف الله تعالى بالجهل ـ تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا ـ والجهل صفة نقص وصفات النقص ممتنعة على ربنا جل وعلا.

قال **أبو الحسن الأشعري** في «مقالات أهل السنة»: «وأن الله عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله» (٥)اهـ.

وقال الإمام **الطحاوي** في عقيدته: «وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغيّرولا ناقص ولا زائد من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وبربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرًا**﴾ وقال تعالى: ﴿**وكان أمر الله قدرًا مقدورًا**﴾(٦)... أهـ.

وسوف يأتي ـ بإذن الله ـ كلام جيد لابن تيمية في هذه المسألة، في المسألة الثالثة.

ـ **المسألة الثالثة**: وهي قول هؤلاء الفلاسفة بقدم العالم وأزليته، وهو مردود(٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفرقان»: «وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا إن الأفلاك قديمة أزلية لها علة تتشبه بها ـ كما يقول أرسطو وأتباعه ـ أولها موجب بذاته كما يقول متأخروهم كابن سينا وأمثاله، ولا يقولون إنها لرب خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته، ولا يعلم الجزئيات، بل إما أن ينكروا علمه مطلقًا كقول أرسطو، أو يقولوا إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا. وحقيقة هذا القول إنكار علمه بها، فإن كل موجود في الخارج فهو معين جزئي: الأفلاك كل معين منها جزئي، و كذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها، فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئًا من الموجودات، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان لا في الأعيان والكلام على هذا مبسوط في موضوع آخر في «درء تعارض العقل والنقل».

فإن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى، بل ومشركي العرب، فإن هؤلاء (يعني مشركي العرب) يقولون إن الله خلق السماوات والأرض، وأنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته، وأرسطو ونحوه من المتفلسفة اليونان كانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم لا يعرفون الملائكة والأنبياء، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية، وأما الأمور الإلهية فكل منهم فيها قليل الصواب، كثير الخطأ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالإلهيات منهم بكثير ـ ولكن متأخريهم كابن سينا أرادوا أن يلفقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة، وركبوا مذهبًا قد يعتزي إليه متفلسفة أهل الملل وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا عليه في غير هذا الموضع»(٨)اهـ.

عقيدة أهل السُنة في القدر:

بقي لنا أن نوضح اعتقاد أهل السنة في القدر. قال الإمام أحمد بن حنبل في «أصول السنة»: «ومن السنة اللازمة التي من ترك خصلة منها ـ لم يقبلها ويؤمن بها ـ لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها، لا يقال «لِـمَ» ولا «كيف» إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث، ويبلغه عقله، فقد كُفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم، مثل حديث «الصادق المصدوق»، ومثل ما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها وإن نبت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال. فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه ـ وإن أصاب بكلامه السنة ـ من أهل السنة حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار(٩) اهـ.

وأخيرًا.. فإنّا نظن أنّا بهذا قد أمطنا اللثام عن الوجه الحقيقي **لابن سينا** حتى **لا ينساق أحد خلف كلامه** فتنزلق قدمه عن الصراط، فيغدو موسوسًا تائهًا شاكًا لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

مع العلم بأن بعض أهل العلم ـ ومنهم الحكمي في كتابه «معارج الوصول» ذكروا أن ابن سينا قد تاب قبل وفاته وندم على ما بدر منه، فأمره إلى الله سبحانه، وإنما الأعمال بخواتيمها.

ـ خيري عبد الغني محمود ـ

هوامش

(١) ابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان / ج ٢ ص ٢٦٢ ـ النور الإسلامية.

(٢) أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال / ص ٢٣، ٢٤.

(٣، ٤) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية / ٤٠٤ ـ ط ٨ ـ المكتب الإسلامي.

(٥) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / ج ١ ـ ص ٣٤٩.

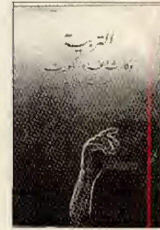
(٦) شرح العقيدة الطحاوية / ص ٢٧٢.

(٧) انظر في إثبات عدم أزلية الكون من الناحية العلمية المحضة: «بداية الكون ونهايته» لنا، في مجلة «العلم» العدد ١٨٢ ـ نوفمبر ١٩٩١م

(٨) شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان / ٦٩ ـ دار المدني.

(٩) الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: أصول السنة لإمام أهل السنة ـ مجلة «المجاهد» (باكستان) العددان ٢٨، ٢٩، شعبان ـ رمضان ١٤١١هـ.

التربية وكارثة غزو الكويت: معالجة إسلامية



يناقش هذا الكتاب علاقة التربية بالمجتمع من خلال رؤية إسلامية ركز فيها مؤلفه الدكتور محمد عبد العليم مرسي على ما حدث مؤخرا في دولنا العربية والإسلامية عندما استباحت دولة (العراق) دولة أخرى (الكويت).. ويناقش أزمة العقل العربي الذي انخدع بعضه بدعاوى كاذبة، ويؤكد أن ما حدث سببه التربية الفاسدة التي فعلت فعلها في النفوس والأشخاص، وأن سنة الله تؤكد أن الإنسان يتغير حينما يتغير ما بداخله، ويطالب المؤلف ببناء سليم للتكوين النفسي حتى لا يحدث مثل ماحدث..

التقرير السنوي



معلومات وإحصاءات عن نشاطات جامعة الملك فهد للبترول والمعادن المختلفة التي تحققت في المجالات جميعا يقدمها هذا الكتاب الذي صدر في طبعة أنيقة وقدم له الدكتور خالد بن محمد العنقري، وزير التعليم العالي، كما كتب مقدمة أخرى الدكتور بكر بن عبد الله بكر مدير الجامعة..

يوضح الكتاب معلومات عن الطلاب والخريجين وأعضاء هيئة التدريس والمبتعثين؛ بالإضافة إلى البحوث الأكاديمية والتطبيقية وبرامج خدمة المجتمع والمختبرات والمعامل والمكتبة المركزية والمراكز المساعدة التي تعين الطالب في حياته الجامعية..

يُعد الملف وثيقة سنوية تصدرها هذه الجامعة المتميزة بتخصصاتها النابعة من البيئة والتي تساهم بشكل فاعل في خدمة مجتمعها..

التربية في مجتمع مُتَغَيِّر



صدر هذا الكتاب عن مكتب التربية العربي لدول الخليج، وقدّم له الدكتور علي بن محمد التويجري المدير العام للمكتب، ويتناول التنمية الشاملة بمراحلها ومستوياتها المختلفة.

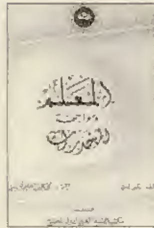
يطرح الكتاب قضية التكامل بين قطاع التربية والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى بما يخدم المخطط التربوي في توسيع عدد المجالات التي يراقبها ويتابعها سواء داخل النظام التربوي أم خارجه قبل أن يقدم على أي تشخيص.

الاستقلال السياسي للإسلام



دراسة علمية كتبها الدكتور محمود يوسف عضو هيئة التدريس في جامعة أم القرى بمكة المكرمة يبدأ بعرض تاريخي للحياة السياسية وعلاقتها بالدين، ثم دراسة واقعية عن استخدام النظام العراقي الدين ستارا لتحقيق أطماع ومكاسب لا يقرها الإسلام، واستنكار المسلمين لهذه المحاولات التي أطلقت على أفعال حكام العراق في الكويت جهادا وما هي من الجهاد في شيء، بل اعتداء سافر على أعراض وحرمات وأرض وأموال..

المعلم ومواجهة المخدرات



هذا الكتاب من تأليف جون إدي وترجمة الدكتور محمد عبد العليم مرسي، وصدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج..

يؤكد المؤلف أن تعاطي المخدرات هو مفتاح هذه التجارة البغيضة؛ وهدف عصابتها العالمية التي تصبو إليه ابتداء من منتجها إلى ممولها ومهربها وموزعها.

الكتاب يمثل تجربة جادة في مواجهة هذا المرض الخطير من خلال المؤسسات التربوية ويؤكد على دور المعلم في ذلك..

ملف نادي الطائف الأدبي



في هذا العدد - السادس عشر لعام ١٤١٢هـ، ١٩٩١م — من ملف نادي الطائف الأدبي خمس قصائد لعدد من الأسماء الشابة في الساحة الأدبية، وخمس قصص قصيرة، وثلاث محاضرات حول الشعر والرواية في الأدب السعودي لكلّ من الدكاترة: علي القرشي، وسعد البازعي، والسيد محمّد الديب، يقع هذا الملف في ١٨١ صفحة من القطع المتوسط.

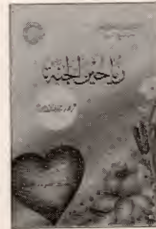
ناندا



في سبع عشرة مقالة تنحو منحى قصصيًا أصدرت مؤسسة العهد للصحافة والنشر هذا الكتاب في طبعته الأولى لعام ١٣٩٨هـ للمؤلف محمد حَمد الصّويغ. يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط. يتناول

فيه المؤلف العديد من القضايا الفكريّة والحياتية ويسردها على شكل خواطر في لغة قريبة من لغة القصة المغلّفة بشيء من النكهة الشاعريّة .

رياحين الجنّة



ضمن إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالميّة صدر هذا الديوان للشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري . . يحتوي على قصائد في الطفولة والأطفال . حيث تبدأ قصائد الديوان منذ رُزق الشاعر بابنه الأوّل ، ثم تتابع مسيرة حياته مع طفولة أولاده وأحفاده وأسباطه .

يُعَدُّ هذاا لكتاب الأثر الثقافي الواحد والثلاثين الذي ينشر للمؤلف وقد نشر قبيل وفاته بأسابيع ، رحمه الله .

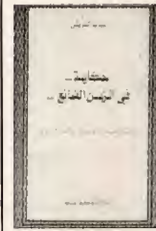
يقع الديوان في ٩٢ صفحة من القطع المتوسط .

هذه بلادنا



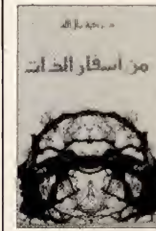
صدر كتاب مصوّر من إعداد الإعلام الخارجي بوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية يحكي مسيرة النهضة السعودية عبر ٣٣٥ صفحة يتناول فيها مناحي التطور الذي تشهده البلاد باطّراد ، وكيف أن التنمية الشاملة أصبحت ملموسة للجميع في المناحي المختلفة : اقتصادية / ثقافية / علمية / صحية وغيرها . .

حكاية . . في الزمن الضائع . .



رواية للكاتب خالد الشريقي صدرت عن الدار التونسية للنشر بتونس ، وفازت بجائزة أبي القاسم الشابي .

من أسفار الذات



ديوان شعري للدكتورة زكية مال الله ، يعتمد على شعر التفعيلة ، تحتوي المجموعة على أكثر من ستين قصيدة معظمها مقطوعات قصيرة تحمل المعاني بتكثيف الشعر الحديث . يقع الكتاب في ثمان وعشرين ومئة صفحة من القطع الصغير وهو من منشورات دار الهجرة / سوريا . وهذه الطبعة هي الأولى . وقد نشرت عام ١٩٩١م .



مواهب أمْ مَنَاقب ؟..



التوراة والتلمود يحرصان على إضفاء كثير من المواهب والمناقب على الأسلاف الأوائل ، لكن بمقاييس أولئك الذين كتبوا هذه السير بعد ألف سنة وأكثر من موت هذا السلف . ومن بين ما أدهشني منها هذه الوقائع مثلاً :

١ ـ أنجب إسحاق بن سيدنا إبراهيم ولدين من زوجته (رفقة) هما عيسو ويعقوب . وكان الأول قويا غزير الشعر ، وأما يعقوب فكان ضعيفا أجرد . فأشفقت أمه عليه ، وأرادت أن يغتصب رئاسة العشيرة من عِيسُو . وكان إسحق قد فقد بصره من الكبر ، فألبست رفقة ابنها يعقوب ملابس عِيسُو ووضعت على رأسه وكتفيه وذراعيه جلد عنز ، فتحسسه إسحق ومنحه بركته بعد أن كذب عليه يعقوب قائلا : أنا عيسو ابنك البكر (التكوين ٢٧ : ١٩) وهكذا اغتصب ميراثه .

٢ ـ ذهب يعقوب إلى العراق ونزل ضيفا على خاله (لابان) . ورأى (راحيل) ابنة خاله ـ وكانت رائعة الجمال ـ فأحبها وأحبته ، وخطبها من أبيها فوافق على الزواج ، على أن يعمل يعقوب راعيا عنده سبع سنين مهرًا لراحيل ، وفي ليلة الزفاف أسكره خاله ، وأدخله إلى عروس أخرى هي (ليا) الأخت الكبرى لراحيل ، وكانت دميمة عمشاء ، ولكنه لم يدرك ذلك إلا في صبيحة العرس ـ أي بعد فوات الأوان ـ وذهب يتشاجر مع خاله بسبب هذا الغش ، فأخبره أن تقاليد العشيرة تمنع من تقديم الصغرى على الكبرى في الزواج ، وأنه مستعدّ أن يزوجه براحيل أيضا لقاء سبع سنين أخرى في رعي الغنم ، فأزعن للشرط . وأعطاه لابان جاريتين من عنده (زلفا) لخدمة (ليا) و(بلها) لخدمة (راحيل) . ويقول رواة التلمود : إنهما . كانتا بنتين للابان أيضا لم يعترف بها لأنهما جاءتا من «علاقات غير شرعية» ! !

٣ ـ لاحظ يعقوب أن لابان قد أوغل في الشيخوخة ، وأن ورثته من أبنائه كثيرون . فطلب منه أن يتفقا على أجر لعمله يعينه على مطالب نسائه الأربع وأولاده منهن وكان عددهم إذ ذاك أحد عشر وبنتًا اسمها (دينا) . فاتفقا على أن تكون المواليد من الغنم التي من لون واحد للابان ، والتي من لونين ـ وهي قليلة ـ من نصيب يعقوب . فكان في وقت عشار الغنم يجمع بين الكبش الأسود والنعجة البيضاء ، ويرعى في مروج متعددة الألوان ، حتى جاء معظم المواليد من النوع الأبقع وأقلها بلون واحد .

٤ ـ غضب لابان ورفض العمل بالعقد الذي بينهما ، فحمل يعقوب نساءه وأولاده وأمتعته وساق الغنم جميعا معه ، وفرّ من العراق إلى سوريا ، فأدركه لابان وأبناؤه وعشيرته وكادوا يفتكون به لولا أن قص عليهم أن الله أمره بتلك الرحلة !

وحدث أن لابان أصابه كابوس في نومه من التعب والتخمة ، فظن أنه الله جاء يدافع عن يعقوب !

ومالا يُحصى من تلك المواهب ـ أو المناقب ـ أتخيّر أطرفها في ما بعد ، إن شاء الله .

أ . د . حسن ظاظا

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز قيمتها ٤٥٠٠ ريال تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة، على النحو التالي :

أ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٥٠ ريالاً
ب ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٣٠٠ ريال
ج ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٥٠ ريالاً
د ـ جائزتان قيمة كل جائزة ٢٠٠ ريال
هـ ـ جائزتان قيمة كل جائزة ١٥٠ ريالاً
و ـ ٢٠ جائزة قدر كل منها ١٠٠ ريال

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب :

الإجابة عن جميع الأسئلة،

وإرفاق الإجابات مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحًا عليها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص . ب ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على الظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

هـ ـ الأسئلة لم تعد مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة وذلك لإفساح مجال البحث لدى القارئ في مصادر معلومات أخرى.

● أجوبة مسابقة العدد (١٨٠) ●

ج ١ : الصورة، لباب **أكناو** أحد الأبواب التاريخية في مدينة **مراكش المغربية**، وقد بناه **يعقوب المنصور** تخليدًا لانتصاره على النصارى في **معركة الأرك** بأسبانيا سنة ٥٩١هـ.

□□□

ج ٢ : يحدث **الهذيان** لدى مريض السرطان من تأثير المرض نفسه على المخ والجهاز العصبي، أو من تأثير أنواع العلاجات الكيماوية التي تعطى للمريض، أو يكون نتيجة تأثير المهدئات والمسكنات على المخ؛ وكذلك التغيرات الاستقلابية في مستوى السكر أو الأملاح وغيرها في الدم.

□□□

ج ٣ : أهم الأنظمة الحديثة في خدمة الاتصالات السلكية واللاسلكية : التيليتكس Teletex، والفيديوفون Videophone، والحاسوب المنزلي Home Computer، والتيليفاكس Telefax، والشبكة الرقمية المتكاملة Integrated Digital Network، والفيديوتيكس Videotex، والتليتكست Teletext، وغيرها، ولكل نظام من هذه الأنظمة وظيفة معينة يقوم بأدائها.

□□□

ج ٤ : الكحول له دور كبير في ٢٠ إلى ٤٠ في المائة من حالات الالتهاب الحاد للبنكرياس. حيث يعمل على تحفيز البنكرياس ويجعله يفرز عصارته بنسبة أكبر من المعتاد، والتي تقوم ـ بدورها ـ بهضم خلايا البنكرياس نفسه، بالإضافة إلى الفعل المعتاد للعصارة. ويعمل الكحول على تحطيم مجموعات الخلايا العنقودية التي تفرز العصارة البنكرياسية، إضافة إلى عمله في تليّف قناة البنكرياس وسدّها فيما بعد، وفي حالات الالتهاب المزمن للبنكرياس؛ يكون للكحول أثر سيىء فعّال ومباشر قد ينتج عنه مرض السكر، أو مرض سوء الامتصاص.

□□□

ج ٥ : مبايض : يوم من أيام شيبان على تميم. ومبايض اسم ماء لبني تميم، وكانت الغلبة فيه لشيبان.

النِّسار : يوم لضبة وتميم على بني عامر. والنسار: جبال صغار، وقال بعضهم: هو ماء لبني عامر.

التحالق: ويقال له أيضًا **يوم تحلاق اللُّمَم** وهو لبكر على تغلب، ويعد من أشهر أيام حرب البسوس. وإنما سُمي بيوم تحلاق اللمم لأن بكرًا حلقت رؤوسها استبسالاً للموت، وقيل ليكون علامة أو تاريخًا لهم.

□□□



● نتائج مسابقة العدد (١٨٠) ●

● فاز بالجائزة الأولى، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ عمر بن محمد السباعي، الدار البيضاء، المغرب.

● وفازت بالجائزة الثانية، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخت دولت حسين عاشور، جدة، المملكة العربية السعودية.

● وفاز بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ عبد الله عمر محمد، بورسودان، السودان.

□ □ □

● وهناك سبع جوائز مالية قدر كل جائزة منها (٢٠٠) مائتا ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من المملكة العربية السعودية، الأحساء، الأخ عبد الله أحمد محمد العلي.

من الأردن، عمّان، الأخت سميحة محمد حسن خليل.

من الهند، دلهي، الأخت طلعت ريحان.

من مصر، الغربية، الأخت قمر السيد الغلبان.

من الباكستان، السند، الأخ أصغر علي آرائين.

من الجمهورية التونسية، تونس، الأخت زهرة بنت عمر الكريمي.

من سورية، دمشق، الأخت كريمة محمد نور ناصر.

□ □ □

● إلى جانب عشر جوائز أخرى كل منها اشتراك مجاني لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، الأخ هاشم محمد باروم.

من تونس، باردو، الأخ فتحي الزياني.

من السودان، ود مدني، الأخت الرسالة محمد محمد سعيد.

من مصر، إسكندرية، الأخ علي محمد سلامة.

من المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، الأخت فاتن عمر عبد الحميد معاجيني.

من المغرب، مراكش، الأخ مولاي عبد الحفيظ رزين.

من الأردن، عمّان، الأخت زانة بركات جبر.

من سورية، دمشق، الأخ محمد رضوان محمد ديب الأنظامي.

من الجزائر، المسيلة، الأخ السعيد سيد علي بن صلاح الدين.

من الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، الأخت هديل مروان موسى

مع تمنياتنا بحظ أوفر للإخوة والأخوات المشاركين في المسابقات القادمة.

أسئلة مسابقة العدد (١٨٧)

● السؤال الأول:

قال الله تعالى: «وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين». من أصحاب الأيكة؟ وفيم كان ظلمهم؟!

□ □ □

● السؤال الثاني:

شرع الإسلام حقوقًا للمرأة على زوجها، وللرجل على زوجته. اذكر - باختصار - بعض حقوق الرجل على زوجته.

□ □ □

● السؤال الثالث:

اذكر من يرث من النساء.

□ □ □

● السؤال الرابع:

عدّد بعض الفوائد الصحية للثوم.

□ □ □

● السؤال الخامس:

من الأجهزة المستعملة في دوائر التحقيق القانونية؛ جهاز كاشف الكذب. من أول من استخدمه؟

□ □ □

متابعة شاملة للحركة الثقافية ومجرياتها في العالم؛ نقدمها لك من خلال هذا الرصد للأحداث والمناسبات والندوات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية والإصدارات الجديدة في مجالات المعرفة



- ☐ معرض «قضايا بيئية» في أبها.
- ☐ مهرجان ثقافي تونسي في الإمارات العربية.
- ☐ مؤتمر في مصر شعاره: «القراءة للجميع»..
- ☐ الايسيسكو تطالب بحماية تراث البوسنة والهرسك.
- ☐ صالون «العقاد» هل يتحول برجا سكنيا؟!!

السعودية

تسليم جوائز علمية ودينية


الأمير محمد بن سعود

شهدت المملكة العربية السعودية خلال شهر ذي القعدة الماضي تسليم عدة جوائز علمية ودينية في مناطق مختلفة في إطار النهضة الثقافية الفكرية التي تتبناها الدولة.


الأمير محمد بن فهد

ففي الباحة جرى تسليم الفائزين بجائزة صاحب السمو الملكي الأمير **محمد بن سعود لتحفيظ القرآن جوائزهم في احتفال كبير رعاه سموه باعتباره أمير المنطقة.**

وفي المنطقة الشرقية أقيم برعاية صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز حفل توزيع **«جائزة الأمير محمد بن فهد للتفوق العلمي»** بحضور نخبة من المسؤولين والمفكرين والعلماء. أما في نجران فجرى الاحتفال تحت رعاية أمير المنطقة بتسليم جائزة **«الأمير السديري للتفوق العلمي للفائزين بها.**

معرض لتراث مكة المكرمة

نظم نادي مكة الثقافي الأدبي معرضًا لتراث مكة المكرمة يوضح إنجازات حكومة خادم الحرمين الشريفين في مكة المكرمة ومناطق المشاعر المقدسة، وصناعة الكسوة للكعبة المشرفة، وطباعة المصحف الشريف، وغير ذلك من الإنجازات.

شارك في المعرض عدد كبير من الجهات ذات العلاقة، واقيمت على هامشه سوق شعبية وعروض لمهنة الزمازمة.

اكتشاف ميناء إقرأ بمدائن صالح


د. علي غبان

اكتشف الدكتور علي إبراهيم حامد غبان الأستاذ المشارك في قسم المتاحف والآثار بكلية الآداب في جامعة الملك سعود ميناء **قديما من العصر النبطي هو ميناء مدائن صالح الذي يعود تاريخه إلى نحو ألفي عام.**

وقالت صحيفة **«رسالة الجامعة»** التي تصدرها جامعة الملك سعود بالرياض: إن الميناء المكتشف يمثل أقرب نقطة تقابل لمدائن صالح على ساحل البحر الأحمر، ويرتبط بها بطريق مباشر يبلغ طوله ١٧٠ كيلومترًا يسمى «الحزار» يسلكه حاليا المسافرون من مدينتي الوجه والعلا وبالعكس.

وأضافت الصحيفة أن الأدلة الأثرية التي جمعها الباحث أثبتت أن هذا الموقع هو **ميناء منطقة الحجر ومدائن صالح الذي ذكر باسم «إقرأ»** في بعض المصادر اليونانية القديمة في القرن الأول الميلادي.

وتضمن الكشف العثور على بناء ضخم وأنيق مبني من الحجر الرخام المشذب، ومبلط ببلاط رخامي، وبه بقايا أعمدة رخامية وتيجان نبطية الطراز، تماثل تلك الأعمدة المنحوتة على واجهات مدائن صالح، وقد نقشت على بعض أحجار المبنى رسوم ونقوش ومخربشات، كما اكتشفت أيضا بعض القطع البرونزية، وكوم كبير من عظام الجمال بحجم تلة صغيرة. فضلاً عن تلول أثرية كثيرة وآبار مطوية وطريق ترابية مردومة عرضها ما بين ١٠ ـ ٢٨ مترًا تربط الموقع بساحل البحر، وتنتشر على سطح الموقع أنواع متعددة من كسرا لفخار النبطي.

ويذكر أن الميناء المكتشف قد قام بدور كبير في الحياة الاقتصادية والحضارية لدول المنطقة، ومنه عادت إلى مصر الفلول المهزومة لجيش القائد الروماني **اليوس غالس الذي غزا الجزيرة العربية عام ٢٤/ ٢٥ قبل الميلاد.**

معرض تجليد الكتب عند المسلمين

أقيم في نادي جدة الأدبي الثقافي ـ مؤخرًا ـ معرض «تجليد الكتب عند المسلمين».

احتوى المعرض على نماذج لفنون التجليد تعود إلى عصور مختلفة بدءًا من القرن الثالث الهجري، ومرورًا بالعصر العباسي ثم العثماني في تركيا وفارس والهند وغيرها من البلدان الإسلامية.

وشملت المعروضات أنواعًا مختلفة من التجليد منها المبطن، ومنها العادي بالمنمنمات، فضلاً عن نحو مائة لوحة منها ٢٤ لوحة تعود إلى العصر العربي، و٢٣ للفرس، و١٥ للأتراك، و١٠ للهند، إضافة إلى بطاقات مختلفة توضح ما توصل إليه المسلمون الأوائل في مجال التجليد.

ويذكر أن المعرض إحدى ثمرات مؤسسة مهرجان العالم الإسلامي الخيرية التي تأسست في لندن عام ١٩٨٣م.

معرض «قضايا بيئية» في أبها


الأمير خالد الفيصل

افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير خالد الفيصل** أمير منطقة عسير في **قرية المفتاحة التشكيلية بمركز الملك فهد الثقافي في أبها** معرض الكتاب الأمريكي «قضايا بيئية».

نظمت المعرض الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها بالتعاون مع إمارة منطقة عسير ومكتب إعلام الولايات المتحدة الأمريكية في جدة.

وضم المعرض أكثر من **أربعمائة عنوان** قدمتها نحو ثمانين دار نشر أمريكية، وتشمل أحدث ما نشر في مجال القضايا البيئية، فضلاً عن جناح خاص بمطبوعات الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها.

معرض: فهد.. العطاء للمسلمين والإسلام

أقام الفنان المصري **مصطفى فتحي إمام** معرضًا في نادي الهلال في الرياض بعنوان «**فهد.. العطاء للمسلمين والإسلام**».

ضم المعرض مجموعة من البورتريهات **لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز** بمناسبة مرور عشر سنوات على توليه الحكم.

معرض للأسلحة الإسلامية


الأمير سعود بن عبد المحسن

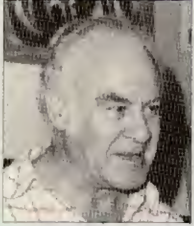
افتتح صاحب السمو الملكي **الأمير سعود بن عبد المحسن** نائب أمير منطقة مكة المكرمة في صالة عرض دار التراث والفنون بجدة **المعرض السنوي السابع للأسلحة الإسلامية**.

ضم المعرض نحو **مائة قطعة** أصلية من مختلف الأسلحة الإسلامية غير النارية مثل السيوف، الخناجر، الرماح، الدروع، إلى جانب مصاحف أثرية ومخطوطات تراثية تغطي زمنيا حقبة كبيرة تصل إلى نحو ٨٠٠ عام أو أكثر، وتغطي مكانيًا مساحة واسعة من العالم الإسلامي.

معرض للفن التشكيلي الإسلامي


عبد الحليم رضوي

أقيم في جدة في منتصف شهر ذي القعدة الماضي ١٤١٢ هـ معرض الفن العربي الإسلامي المعاصر تحت شعار «**الفن يؤلف بين القلوب**».


صلاح طاهر

شارك في المعرض ١٦ **فنانًا** تشكيليًا من البلدان العربية والإسلامية، **قدموا ٦٥ عملاً فنيًا** تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

من بين الفنانين المشاركين أسماء لامعة في مجال الفن التشكيلي منهم: **عبد الحليم رضوي، وعبد الله الشيخ** السعودية)، **صلاح طاهر، أحمد فؤاد نوار، حسين جبالي، صالح رضا، وعبد المنعم عوض** (مصر)ر، **محمد زكريا** (الولايات المتحدة الأمريكية)، **وليد ثرمي، وجيه نخلة، وعثمان وقيع الله** (لبنان).

صيانة معالم الحضارة الإسلامية في الهند

تشكل الآثار الإسلامية جزءا هاما وجانبا مُضيئا من تراث المسلمين في الهند، وأي إهمال في صيانتها أو التفريط في المحافظة عليها ـ وخاصة في ظل الظروف الراهنة ـ يعتبر خطأ لا يمكن تلافيه في المستقبل المنظور. ولذلك أنشئ «مجلس التاريخ والبحث الإسلامي» بمدينة **«حيدر آباد»** بالهند بهدف القيام ببحوث ودراسات وصيانة الآثار والمعالم التاريخية والحضارية ومباني المؤسسات الدينية والثقافية الخاصة بالمسلمين في طول الهند وعرضها.

وسيبدأ هذا المجلس الذي تم تسجيله لدى الجهات الحكومية المختصة، عمله بإجراء مسح شامل لجميع المساجد القديمة والحديثة في الهند. وقد أطلق على هذا المشروع، وهو الأول من نوعه في الهند، **«مشروع إحصاء المساجد بالهند»**. والدافع وراء هذا العمل هو المحافظة على هذه المساجد وقطع الطريق أمام أية محاولة لإثارة النزاع حول ملكيتها من قبل الجهات المعادية للمسلمين في الهند، على غرار ما حدث للمسجد «البابري» المتنازع عليه الآن. وهناك نحو ثلاثة آلاف مسجد يزعم غلاة الهندوس أنها قائمة على أنقاض معابد هندوسية وبالتالي يحق لهم هدم هذه المساجد وإقامة معابد وثنية مكانها. وعلى رأس هذه المساجد المهددة مسجد **«عيدكاه»** بمدينة ماتهورا ومسجد **«غيان وابى»** في مدينة واراناسى وكلاهما من إنشاء الإمبراطور المغولي «أورنغزيب».

وسيتم تنفيذ «مشروع إحصاء المساجد» على مراحل. ففي المرحلة الأولى سيجرى إحصاء ومسح كافة المساجد الواقعة بمدينتي «حيدر آباد» و«سكندر آباد» ثم في بقية المديريات بولاية آندهرابراديش. وهكذا سيجرى إحصاء جميع المساجد بالهند ولايةً بعد أخرى. وقد أعد «أنموذج» لهذا الغرض يقوم بتعبئته المشرفون على إدارة هذه المساجد لتسجيل البيانات اللازمة حول موقع كل مسجد وممتلكاته ومحتوياته والجهة التي تشرف على إدارته إلى غيرها من المعلومات التي ستخزن في العقول الآلية. وستسلم نسخة منها إلى كل من إدارة الآثار الوطنية ومجلس الأوقاف الإسلامية بالهند. كما سيجرى إعداد «دليل المساجد» لكل ولاية هندية ودليل آخر يشمل كافة المساجد بالهند، إلى جانب «ألبوم» يضم صور هذه المساجد. والمتوقع أن إنجاز «مشروع إحصاء مساجد الهند» سيستغرق مدة تتراوح ما بين ثلاث إلى خمس سنوات حسبما جاء في البيان الإعلامي الصادر عن مكتب «مجلس التاريخ والبحث الإسلامي» بحيدر آباد.

الحركة الثقافية

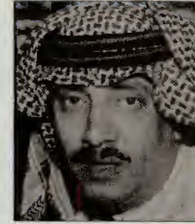
اقتراح بإنشاء مركز للخرائط والأطالس

قدمت كلية الآداب بجامعة الملك سعود في الرياض اقتراحًا بإنشاء مركز **للخرائط والأطالس على مستوى الجامعة.**

لاقت الفكرة قبولاً مبدئيًا، تبدى خلال الاتصالات التي أجرتها الكلية مع الكليات المعنية، بعد أن أعطتها فكرة عن نتائج الدراسة التي قامت بها وانتهت إلى إمكانية الاستفادة من الكوادر المؤهلة في هذا المجال من كل كلية لتطوير الإنتاج العلمي كمًا وكيفًا.

الزيدان: زوربا القرن العشرين

انتهى الأديب **عبد الله جفري** من وضع اللمسات الأخيرة لكتابه **«الزيدان زوربا القرن العشرين»** الذي يحكي رحلته الأدبية والفكرية مع أستاذه الراحل الأديب المؤرخ **محمد حسين زيدان.**



عبد الله جفري



محمد حسين زيدان

يأتي الكتاب عرفانا وتقديرًا للدور الذي قام به **الزيدان في مسيرة الجفري** المعرفية والأدبية.

يصدر الكتاب ضمن سلسلة «الأعلام» عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بجدة.

جائزة جديدة

ينوي مكتب التربية العربي لدول الخليج استحداث **جائزة باسم المكتب لأفضل دراسة بحثية مبتكرة** في مجالات التربية، اللغة العربية، الدراسات الإسلامية، العلوم الاجتماعية والإنسانية، والعلوم التقنية.

ولم يعلن المكتب حتى لحظة كتابة هذه السطور عن موعد تقديم المشاركات أو الموضوعات المقررة.

كتب جديدة

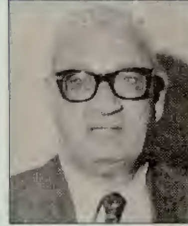
● نصوص مختارة من نار ونور وهمسات قلب، ط٢ قصائد للداعية الشيخ **محمد المجذوب**، صدرت عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

● **ديوان الانتفاضة، قصائد وطنية فلسطينية، جمع** وتقديم الدكتور **أحمد موسى الخطيب**، صدر عن منشورات لجنة الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين التابعة لسفارة دولة فلسطين في الرياض.



د. محمد عبده يماني

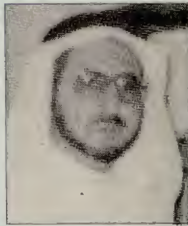
● **صاحب الجنتين، وعمر واليتامى**، تأليف **يحيى الحاج يحيى**، صدرت ضمن سلسلة «مسرحيات شعرية للناشئين».



د. بدوي طبانة

● **على أبواب كابول**، شعر **يحيى الحاج يحيى**، صدرت ضمن سلسلة «من ملاحم الجهاد».

صدر الكتابان السابقان عن دار المطبوعات الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع بجدة.



د. عبد الله أبو داهش

● **التقرير السنوي السادس لعام ١٤١١/ ١٤١٢هـ**، صدر عن الجماعة الخيرية لتحفيظ **القرآن الكريم بجيزان** بإشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

● **علموا أولادكم محبة آل البيت**، تأليف الدكتور **محمد عبده يماني**. صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية في جدة.

● **من أعلام الشعر السعودي**، تأليف الدكتور **بدوي طبانة**، صدر ضمن سلسلة الدراسات الأدبية عن دار الرفاعي بالرياض.

● **بواكير الشعر السياسي الحديث في جزيرة العرب**، تأليف الدكتور **عبد الله أبو داهش**.

● **قصص مؤلمة عن التستر التجاري**، تأليف **محمد ابن عبد الله الطويل**، طبع بمطابع مرامر للطباعة الالكترونية.

البحرين

معرض للسفن التاريخية

نظم المتحف الوطني البحريني ــ مؤخرًا ــ **معرضًا للسفن التاريخية** ضم بعضًا من السفن التي استخدمت في مطلع القرن الميلادي الحالي، وحتى حقبة الثلاثينيات، للشبه بينها وبين السفن التي عرفها الخليج قبل أربعة آلاف عام.

من بين السفن التي عُرضت **«البقارة»** و هي من أصل أفريقي في الغالب، وكانت تستخدم في استخراج اللؤلؤ ونقل البضائع والأسفار البعيدة، وكذلك **«العبرة»** و كانت تستخدم في نقل المسافرين بين جزر الأرخبيل قبل إقامة الجسور، و**«البلم»** وهو قارب صغير جدا كان يستخدم كقارب نجاة.

ويذكر أن تاريخ البحرين ــ كما يقول المؤرخ **علي أكبر بوشهري ــ ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالسفن، خصوصًا عند قيام حضارة دلمون التي اشتهرت بالتجارة.**

من الكتب الجديدة

● **عشب لدم الورقة**، ديوان للشاعر **أحمد مدن**، صدر عن منشورات المطبعة الشرقية.

الإمارات

مهرجان ثقافي فني تونسي

أقيم ــ مؤخرا ــ في أبو ظبي مهرجان **الأسبوع التونسي للثقافة والفنون.**

تضمن المهرجان العديد من العروض الفلكلورية واستمر خمسة أيام.

من الكتب الجديدة

● **المنهج الجديد في شرح جوهرة التوحيد**، تأليف الدكتور **نشأت عبد الجواد ضيف.**

عمان

معجم لشعراء عمان

تقوم لجنة خاصة تتبع المنتدى الأدبي العماني ــ حاليًا ــ بإعداد معجم لشعراء عمان، يتوقع أن يبلغ عدد صفحاته ستمائة صفحة من القطع الكبير.

انتهت اللجنة مبدئيًا من فرز أسماء الشعراء طبقًا للترتيب الهجائي، تمهيدًا لتقديم نماذج من نتاجهم ضمن تراجمهم الشخصية.

قطر

ندوة «دليل المواقع الالكترونية»

نظم مركز نظم المعلومات الجغرافية في الدوحة ندوته الثالثة التي تضمنت **محاضرتين عن «دليل المواقع الالكترونية» ومعرضًا مفتوحا بنفس العنوان.**

ويذكر أن المركز قد حصل مؤخرًا على **جائزة «يوريسا»** الدولية للنظم المعلوماتية النموذجية لعام ١٩٩٢م.

الكويت

من أحدث الكتب

● **الكويت . . حرب في الخليج**، كتاب مصور صدر عن شركة المكتبات الكويتية المحدودة بالتعاون مع وكالة «سيبابرس».

مصر

ترجمة مصرية لمعاني القرآن بالإنجليزية

ينتظر أن تظهر قريبًا أول ترجمة مصرية لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية.

تولى إنجاز هذه الترجمة **المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بالتعاون مع** وزارة الأوقاف المصرية وكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر والهيئة العامة للاستعلامات. ويذكر أن هذه الترجمة بدأ العمل فيها قبل **ثماني سنوات**، وتأخر إنجازها لاختلاف وجهات نظر المختصين على طريقة إعداد الترجمات.

افتتاح مقبرة نفرتاري بعد ترميمها

افتتحت السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس المصري محمد حسني مبارك مقبرة نفرتاري بعد ترميمها الذي تكلف مليوني دولار.

وتعد مقبرة نفرتاري التي تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام من أجمل مقابر وادي الملكات بمدينة الأقصر.

وكانت **عملية الترميم التي استغرقت خمسة أعوام** قد شملت إزالة الترسبات الملحية عن جدار المقبرة وتركيب أحدث الأجهزة العلمية الخاصة بتقدير نسبة الرطوبة وقياس درجة تلوث الهواء، وإعطاء مؤشرات مبكرة للحالة الجوية المحيطة بالمقبرة.

ويذكر أن **معهد بول جيتي** الأمريكي الذي تكفل بعملية الترميم قد وافق على ترميم مقبرة توت عنخ آمون بنفس الطريقة.

من ناحية ثانية تم في جلسة مباحثات عقدها وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** مع نظيره البولندي الاتفاق على قيام الجانب البولندي بترميم **معبد حتشبسوت** (الدير البحري) بالبر الغربي من مدينة الأقصر، والاشتراك في ترميم عدد من المواقع الأثرية الأخرى في مصر.

مؤتمر «القراءة للجميع»

تحت رعاية السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس المصري محمد حسني مبارك تنظم الشعبة المصرية بالمجلس العالمي لكتب الأطفال بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب خلال هذا الشهر **أول مؤتمر دولي يناقش شعار «القراءة للجميع»**.

يشارك في المؤتمر مجموعة من أبرز الخبراء والمتخصصين في هذا المجال من **مصر وأمريكا وأوروبا وأفريقيا**، كما سوف تقام على هامشه عدة ندوات ومحاضرات.

مجلة للشعر الشعبي وعودة «القاهرة»


بيرم التونسي


د. غالي شكري

تُعِدُّ الهيئة المصرية العامة للكتاب لإصدار **مجلة جديدة لشعر العامية**.

«بيرم» هو الاسم الذي اختير ليكون مسمى المجلة الجديدة تقديرًا لأبرز شعراء العامية في العصر الحديث الشاعر الراحل **بيرم التونسي**، و قد تم ترشيح الناقد **رجاء النقاش** لرئاسة تحرير المجلة.

من ناحية ثانية تعاود **مجلة «القاهرة»** صدورها اعتبارًا من شهر تموز (يوليو) الجاري، بعد توقف دام تسعة أشهر نتج عن إقالة رئيس تحريرها السابق **الدكتور إبراهيم حمادة**، وتعيين **الدكتور غالي شكري** رئيسًا للتحرير، الذي وضع عدة شروط لقبوله المنصب وقد استجابت لها وزارة الثقافة التي تتبعها المجلة.

هل يتحول بيت العقاد لبرج سكني؟!


العقاد

يواجه المنزل الذي عاش فيه **الأستاذ عباس محمود العقاد** معظم سني عمره وشهد إبداعاته ومعاركه الأدبية الشهيرة خطر الهدم، حيث يرغب ما لكه في هدمه لتحويله إلى برج سكني، إزاء التصاعد الجنوني في أسعار العقارات، خاصة أنه ـ أي البيت ـ في موقع متميز.

وكان هذا المنزل قد شهد أيضا **صالون العقاد الأسبوعي بما كان** يدور فيه من مناقشات بين الأستاذ ونظرائه وتلاميذه وضيوفه في مجالات الأدب والفلسفة والفكر.

وقد أثار هذا الخبر ضجيجًا في أوساط المثقفين المصريين الذين يأملون أن تقوم وزارة الثقافة بحماية بيت العقاد وشرائه من المالك ليصير **متحفًا** أسوة بما هو متبع في معظم بلدان العالم حيث ترمم بيوت المشاهير وتتحول إلى متاحف تحمل أسماءهم.

ويذكر أن ورثة العقاد قد باعوا **مكتبته الضخمة** إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب مقابل خمسة آلاف جنيه!! وتعاني المكتبة من الإهمال وعدم الاهتمام مثلما يعاني البيت خطر الهدم.

صالون ثقافي بدار الأوبرا


حافظ محمود

في خطوة طيبة نحو إحياء الصالونات الأدبية في قاهرة المعز، أنشأت **دار الأوبرا المصرية صالونا ثقافيا** لفتح نوافذ جديدة للحوار والمناقشة.

واستضافت الدار في مطلع شهر ذي القعدة الماضي شيخ الصحافيين في مصر الأستاذ **حافظ محمود**، حيث روى تجربته في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة وما عاصرها من أحداث.

جائزة الرأي العام لمصطفى أمين


مصطفى أمين

تسلم الصحافي المصري الأستاذ **مصطفى أمين** في حفل كبير حضره العديد من الشخصيات العامة ورجال الإعلام **«جائزة الرأي العام الدولية»** تقديرًا لمواقفه الوطنية والإنسانية واعترافًا بمكانته الصحافية المرموقة، وتاريخه الحافل بالنضال دفاعًا عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فضلاً عن كونه من رواد الصحافة العربية.

قام بتسليم الجائزة **عبد الحميد حجازي** رئيس دار الرأي العام ورئيس اللجنة العليا لجوائز الرأي العام الدولية.

ويذكر أن الجائزة أنشئت عام ١٩٧٩م لتوثيق العلاقات والتعاون الدولي، وتعد من أبرز الجوائز التقديرية وتمنح للقادة والزعماء والشخصيات العالمية البارزة، الذين يقدمون خدمات جليلة للبشرية والحرية والسلام والبارزين من رجال الإعلام والأدب والفكر والفن والاقتصاد والأعمال في مصر والعالم. وقد سبق منح الجائزة للعديد من الشخصيات منهم الرئيس المصري السابق **أنور السادات** والسلطان **قابوس بن**

الحركة الثقافية

سعيد، سلطان عمان، والروائي نجيب محفوظ والمفكر الدكتور مصطفى محمود و غيرهم.

اكتشافات أثرية

تم - مؤخرًا - اكتشاف العديد من الآثار تنتمي إلى عصور متباينة في مناطق مختلفة من جمهورية مصر العربية.

ففي منطقة تل بسطة بجوار مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية عثر على **مجموعة من الآثار يرجع تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف عام من بينها تمثال للملك رمسيس السادس**، وكنز أثري ذهبي يضم ١٢٠ تمثالاً صغيرًا من الذهب، ومجموعة من الحلي، ومجموعة من المقابر الحجرية الصغيرة تعود إلى عصر الدولة الفرعونية القديمة.

كما اكتشفت في **شمال سيناء قناطر مبنية بالطوب الأحمر** بطول ١٦٠٠ متر وعرض ١٠ أمتار، يتوسطها جسران وفتحات ضخمة، ويرجع تاريخها إلى العصر الروماني.

ومن المقرر أن يجري ترميم معماري شامل لهذه القناطر التي تشير الحفائر إلى أنها كانت مقامة على الفرع البيلوزي القديم للنيل ومشيدة بشكل هندسي دقيق.

وعثر في **منطقة تل الفاو** في شمال سيناء على **أكبر مسرح روماني** على شكل نصف دائرة قطرها ٣٤مترًا. وله ثلاثة مداخل ومبني من الحجر والطوب الأحمر.

وقد تقرر تدعيم البعثة التي اكتشفته بمبلغ ٢٠٠ ألف جنيه لاستكمال الكشف وترميم المسرح.

واكتشف في **منطقة هضبة أبو مندور في رشيد مجموعة من الأواني الفخارية ومبان عديدة مطمورة** أسفل التلال ترجع إلى عصر الدولة البيزنطية، وما تزال أعمال التنقيب جارية وصولاً لاكتشاف مدينة «بولبتين» التي يعتقد بوجودها تحت المباني المكتشفة، وتعود إلى عصر الدولة الفرعونية الأولى في عهد الملك مينا نارمر.

وفي **الدير الأبيض بسوهاج**، تم العثور على ١١٨٥ **قطعة عملة ذهبية تعود إلى العصر البيزنطي**، في قدر مصنوع من الطين، على بعد خمسة أمتار من سطح الأرض.

كتاب يكشف مقتل قيصر روسيا

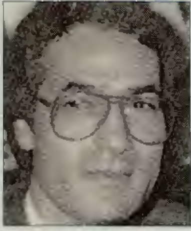
عثر أحد المتخصصين المصريين في علوم المكتبات على كتاب نادر باللغة العربية مؤرخ في ٢٤ حزيران (يونيه) ١٩٢٢م يحكي تفاصيل إعدام **قيصر روسيا نيكولاي رومانوف** و عائلته على أيدي البلاشفة وموقع دفنهم.

الكتاب صدر نقلاً عن كتاب وضع أصلاً بالروسية وأغفل كاتبه عمدًا تسجيل اسمه خوفًا من الشيوعيين، وقام فيه بتدوين وقائع سجلها **بطرس جبار** مدرس أنجال القيصر.

وتضمن الكتاب وصفًا دقيقًا لموضع دفن جثث القيصر وعائلته، وهو نفس الموقع الذي عثر فيه مؤخرًا على جثثهم أي بعد ٧٠ عامًا من تاريخ طباعة الكتاب.

معارض فنية بحرينية لاتينية - فرنسية

استضافت القاهرة - مؤخرًا - مجموعة من المعارض الفنية لعدة بلدان من بينها **معرض لفناني البحرين وآخر لرسامي أمريكا اللاتينية وثالث لفنانين فرنسيين**.


فاروق حسني


طارق المؤيد

ففي **مجمع الفنون** بالزمالك، افتتح وزير الثقافة المصري **فاروق حسني** ووزير الإعلام البحريني **طارق المؤيد معرض جمعية البحرين للفنون التشكيلية**، الذي ضم ٦٠ لوحة لـ ٢٨ فنانًا يمثلون مختلف الاتجاهات الفنية.

وأقيم في **دار الأوبرا معرض للرسم المعاصر لدول أمريكا اللاتينية** شارك فيه فنانون تشكيليون يمثلون ١٣ دولة حيث عرضوا ٥٠ لوحة من مقتنيات سفارات بلدانهم.

وتحت عنوان **«هذه هي فرنسا»** أقيم في فندق الميريديان بالقاهرة معرض فني يتحدث بالرسومات عن فرنسا في الماضي والحاضر.

ضم المعرض الذي استمر ستة أيام أفيشات

محاضرات ونــدوات

● **« معارضو الأدب الإسلامي وشبهاتهم الواهية»** عنوان محاضرة ألقاها في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها الدكتور **عبد القدوس أبو صالح**.

● **«الاستخلاف وأبعاده الفكرية والوطنية»**، عنوان محاضرة ألقاها في نادي المدينة المنورة الأدبي الشيخ **محمود محمد حسين العربي**.

● **«إشكالية المعنى في الترجمة»** عنوان محاضرة ألقاها في معهد اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود في الرياض الدكتور **عبد الرحمن السيد عيطة**.

●نظمت الجمعية المصرية للنقد الأدبي ندوة حول **ديوان «سليمان الملك» للشاعر محمد سليمان**، شارك فيها الدكتور **يحيى الرخاوي**، الدكتور **محمد عبد المطلب**، **ومجدي توفيق**، قدمت الندوة **نجوى وهبي**.

● **أنصفوا الجهاد** «عنوان محاضرة ألقاها في جامع ابن حجر بالثقبة الشيخ **رياض بن عبد الرحمن الحقيل**.

● **«البيت المثالي»** عنوان محاضرة نظمها مركز الدعوة والإرشاد بالدمام، وألقاها الشيخ **محمد بن أحمد الشيخ**.

● **«تأثير أول أكسيد الكربون في الهيدروجين على أداء أقطاب الوقود القاعدية»** موضوع محاضرة ألقاها في قسم الهندسة الكيميائية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران الدكتور **صلاح الدين جلتكن**.

● **«التكامل الاقتصادي لدول الخليج»** عنوان محاضرة ألقاها في كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود في الرياض الدكتور **مساعد المسبحي**.

● **«كتابة التاريخ المعاصر ومحدودية الموارد الإرشيفية»** عنوان ندوة عقدت في معهد همدرد للبحث التاريخي في دلهي، **شارك فيها مؤرخون وصحافيون وخبراء إرشيف**.

● عقدت في دلهي الجديدة **ندوة عالمية عن الشاعر «جوش مليح أبادي»** الملقب بشاعر الثورة، شارك فيها نقاد وباحثون من الهند وباكستان وبنجلاديش وبريطانيا وكندا وأفغانستان وأوزبكستان.

● أقيمت بدار الأوبرا المصرية **أمسية شعرية للشاعر أحمد تيمور**، قام

الرسامين ورسومات كـارتون، ثم انتقل بعدها إلى المركز **الثقافي الفرنسي بمصر الجديدة**.

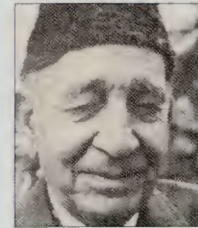
الخياط رئيسًا شرفيًا لرابطة الأدب الحديث


عبد الله عمر خياط

اختار مجلس إدارة رابطة الأدب الحديث بـالقـاهـرة الأديب السعـودي **عبد الله عمر خياط، رئيسًا شرفيًا للرابطة**، تقديرًا لإسهاماته في مجال الكتـابـة والأدب الإسلامي.

ويذكر أن الخياط أختير من قبـل معهد الدراسات التاريخية الأمريكي رجل عام ١٩٩١م.

رحيل العالمين الجليلين د. علام، د. منتصر


د. مهدي علام

فقد مجمع اللغة العربية بـالقـاهـرة علمين من أبـرز أعـلامـه هما نـائب رئيسه **الـدكتـور مهدي عـلام**، والعضو الدكتور **عبد الحليم منتصر**.

تخرج د. **مهدي عـلام** في كلية دار العلوم عـام ١٩٢٢م، واستكمل دراساته العليا في جامعـات بريطانيا اكستر، لـندن، مانشستر، حيث درس هنـاك خمسة علـوم: **اللغة العبريـة، الأدب الإنجليـزي، علم النفس، اللغـة الفـارسيـة، واللغـة الألمانية**. وحصل على دبلومات عالية ثم دكتوراه.

وقد كـان إبان ثـورة الشعب المصري على الاحتلال عـام ١٩١٩م ممثلاً لكلية دار العلـوم في لجنـة المدارس العليـا التي كانت تعمل بسريـة تـامة في تغـذية الـروح الوطنية للشعب، بتـوجيهات من الزعيم المصري **سعد زغلول باشا**.

والدكتور عـلام عضو مؤسس في أكثر مـن مؤسسة علميـة ومجمع أدبي وعلمي، فهـو عضـو **مجمع اللغة العربية** بالقاهرة منـذ عام ١٩٦١م، حتى عام ١٩٨٣م حيث اختير نـائبًا لـرئيس المجمع، كما أسهم عـام ١٩٥٤م في **إنشاء كلية الآداب بجـامعـة عين شمس وعمل عميـدًا لها لمدة سبع سنـوات (من عـام ١٩٥٤ ـ ١٩٦١م) كما شغـل** كرسي الأستـاذية للغتين العـربية والإنجليزية.

واختير عــام ١٩٥٤م **ليمثل الحكـومة السعـودية منتدبًا من حكـومة مصر في أول اجتماع للأمم المتحدة في لنـدن لتأسيس هيئـة اليونسكـو**، كما تـرأس المؤسسـة المصريـة العـامـة للتأليف والترجمة والطبـاعـة والنشر (١٩٥١ ــ ١٩٦٣م)، وانتـدب رئيسًـا لقسم اللغـة الإنجليـزيـة بكليـة الألسن لـدى افتتـاحهـا (١٩٤٨ ـ ١٩٥٠م) وكان مستشارًا لوزارة الثقافة (الإرشاد القومي آنذاك ١٩٦٤ ـ ١٩٦٩م) ومستشـارًا للمؤتمر الإسلامي (١٩٥٦ ــ ١٩٩٢م)، إضافـة إلى ذلك كـان أول رئيس **تحرير لمجلة حوليات كلية الآداب (١٩٥٠ ـ ١٩٦١م)**.

وقد نـال العديد من الأوسمـة والنياشين والجوائز، منهـا جائزة الـدولـة التقـديريـة في الآداب (١٩٧٦م)، **وسام الجمهورية (١٩٥٦م) وسام العلوم و الفنـون** من الطبقـة الأولى (١٩٨٣م) وكـان آخر تكـريم نـالـه من الـرئيس حسني مبـارك خلال الاحتفـال بـالعيد المئـوي لإنشاء كلية دار العلوم قبل فترة.

كذلك أسهم الفقيد في مراجعة ترجمة **دائرة المعارف الإسلامية** والتعليق على آراء المستشرقين في العـديـد من أجزائها، وقدم للمكتبة العربية زخمًا من المؤلفات بأكثر من لغة، نذكر منها: **فلسفة العقوبة، فلسفة الكذب، فلسفـة المتنبي، العفـو في القرآن، نظـريـة الـوسط بين فـلاسفـة اليونـان وفلاسفـة المسلمين، قـواعـد اللغـة العـربية، رفـاعـة الطهطـاوي، بين البراع والقرطـاس، مقصورة حازم القرطاجني، أحمد حسن الزيات، عائشة أم المؤمنين، والروح الثورية لبرنارد شو، وغيرها**.

أما الـدكتور **عبـد الحليم منتصر، فيعـد رائدًا لعلم البيئـة النباتيـة في العالم العربي**، و برز بدعـوته إلى تعريب هذا العلم في الجامعات المصريةو العربية، وقد جمع بين الدراسة العلمية الحديثـة ودراسة التراث العلمي العربي والتعريف به وبعلمائه، ولعطائه المتميز منح **جائزة الدولة التقديرية في العلوم**.

وكان د. منتصر ـ يرحمه الله ــ نقيبًا سابقًا للعلميين وعميدًا سـابقًا لكلية العلوم بجـامعة عين شمس، **كما أسس جـامعـة الكـويت واختير عضـوًا في مجمع اللغـة العربيـة والأكاديمية المصريـة للعلوم، والمجمع العلمي المصري، وجمعية البيئة النباتية البريطـانية، وجمعية البيئة النبـاتيـة الأمـريكيـة، والجمعيــة الـدوليـة لعلم البيئـة الصحـراوية بـالهند، إلى جـانب رئاسته لتحـرير مجلة «رسالة العلم»** المصرية.

بالمشـاركة في إلقـاء القصائد عدد مـن الفنانين من بينهم: **حمدي أحمد، أحمد ماهر، سـامح المصريطي، عبد العزيز مخيـون، د. منى جبر، وجدي العربي، وسوسن بدر**.

- **«البارودي وحـركة التطـور في الشعر الحديث»** عنوان محاضرة ألقاها في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها الدكتور **طه عبد البر عبد الرحيم**.
- **«الدرس الأخير»** عنوان محاضرة ألقاهـا في جامع فقيه بحي العـزيزية في مكة المكرمة الدكتور **ناصر بن سليمان العمر**.
- **«أضرار التـدخين ومضاره على الجهـاز الهضمي»** عنوان نـدوة نظمتها جمعية اليقظة النسائية الخيرية بالطائف بالتعاون مع عيادة مكافحة التدخين، شارك فيها عدد من الاختصاصيين.
- **«المذاهب الأدبيـة في الغرب»** عنوان محاضرة ألقـاها في «أحـدية الشيخ أحمد علي المبارك» بالاحساء الدكتور **محمد الشهال**.
- **«التقوى»** عنوان محاضرة ألقاها في جـامع عثمان بن عفان بمدينة الجبيل الصناعية الدكتور **عبد الله بن عمرو الشنقيطي**.
- **«الصحافة بين الخدمـة والوعي»** عنوان حـوار نظمه نـادي جدة الأدبي


د. هاشم عبده هاشم


د. عبد الله مناع


أسامة السباعي

الثقافي، وشـارك فيه كل من: الـدكتور **هاشم عبده هاشم**، الدكتور **عبد الله مناع**، والأستاذ**أسامة السباعي**.

- **«رحلة الإنسـان إلى الآخرة»** عنوان محاضرة ألقـاها في مبنى إدارة الـدفاع المدني بالعشيباء في جيزان الشيخ **مهدي أحمد حكمي**.
- **« الرمز والحقيقة في الأدب العربي القديم والحديث»** عنوان محاضرة ألقتها في طنجة بالمغرب المستشرقة الألمانية **فيكي فالتر**.
- نظمت جامعة اليرموك في مدينة إربد الأردنية **ندوة نقدية حول شعر عبد الوهاب البياتي**، شارك فيها **عدد من النقاد والباحثين**.

الحركة الثقافية

موسوعة عن الموسيقى

أصدر الموسيقي المعروف **عزيز الشوان أول موسوعة عربية عن الموسيقى.**

شملت الموسوعة كل المصطلحات والمدارس الفنية الموسيقية والتذوق الموسيقي.

كتب جديدة

● **الأسطورة والتراث**، تأليف **سيد القمني**، صدر عن دار سينا للنشر.

● **رائحة البرتقال**، الرواية الثانية للروائي **محمود الورداني**، صدرت عن دار شرقيات بالقاهرة.

● **الوزير والعازفون**، كتاب نقدي للشاعر **حلمي سالم**، صدر عن دار الثقافة الجديدة.

حلمي سالم

● **فن القص في النظرية والتطبيق**، تأليف الدكتورة **نبيلة إبراهيم**، صدر ضمن سلسلة «دراسات نقدية» عن مكتبة غريب بالقاهرة.

● **علم اللغة الاجتماعي**، تأليف الدكتور **كمال بشر**، صدر عن دار الثقافة العربية بالقاهرة.

● **الملف السري لرأفت الهجان**، تأليف **حسني أبو اليزيد**، صدر عن الدار المصرية للنشر والتوزيع.

● **ثلاث وردات وشمعة**، رواية للأديب الدكتور **يوسف عز الدين عيسى**، صدرت ضمن سلسلة «الرواية العربية».

● **إذعان صغير**، مجموعة قصصية للقاص السعودي **فهد العتيق**، صدرت ضمن «مختارات فصول».

● **رأيت النخيل**، مجموعة قصصية للأديبة **رضوى عاشور**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **نقوش على الحجر**، الديوان التاسع للشاعر **محمود مفلح**، صدر ضمن سلسلة «نحو أدب إسلامي» عن دار الوفاء.

محمود مفلح

● **الإنسان بين الغربة والمطاردة**، تأليف **محمد محمود عبد الرازق**، صدر ضمن سلسلة «كتابات نقدية» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

● **الأقباط في السياسة المصرية ط٢**، تأليف الدكتور **مصطفى الفقي**.

● **الخيار شمشون**، تأليف **سيمون هيرش**، ترجمه إلى اللغة العربية حسن صبري.

صدر الكتابان السابقان عن دار الهلال بالقاهرة.

الأردن
اكتشاف ٨٠ موقعًا أثريًا

اكتشف فريق آثاري أمريكي في منطقة الطفيلة بجنوب الأردن **٨٠ موقعًا أثريًا ذات فترات تاريخية مختلفة يرجع أقدمها إلى ما قبل ١٥٠ ألف سنة.**

وقال رئيس الفريق الآثاري **جيفري كلارك**، إن تاريخ تلك المنطقة يمتد من العصر الحجري إلى العصر العثماني في القرن الحالي، وأوضح أن **نحو ٦٠ موقعًا من المواقع المكتشفة تعود إلى العصر الحجري.**

المسرح

هذا هو اسم **أحدث مجلة فصلية ثقافية فنية**، صدرت عن فرقة المسرح الشعبي الأردنية.

يرأس تحرير المجلة الناقد والمخرج **فتحي عبد الرحمن**، وتضمن عددها الأول بعض النصوص المسرحية، ومقالات متخصصة في المسرح الأردني والعربي.

يوم ثقافي

نظم اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين في الشهر الماضي **يومًا ثقافيًا في بلدة أم قيس بمحافظة إربد.**

تضمن اليوم عدة قصائد شعرية، وكلمات، ورمى إلى نقل النشاطات الثقافية للقرى والمدن الصغيرة، توسيعًا لدائرة الثقافة.

لبنان
أسواق الكتب السعودية الأكثر رواجًا عربيًا

في محاضر ألقاها في بيروت عن استهلاك الكتب في الوطن العربي، كشف الناشر اللبناني الدكتور **روحي البعلبكي أن المملكة العربية السعودية تشتري ما يعادل ربع الكتب التي تطبع في العالم العربي.**

جاء لبنان في المركز الثاني بنسبة ٢٠٪، أما مصر فحسب ما أورده المحاضر لا تتجاوز نسبة ما تشتريه ٩٪ فقط وجاءت في المركز الثالث، تلتها **الكويت ٤,٦٪، وسورية ٢,٦٪، والإمارات ١,٥٪، والأردن ٤,٨٪، فالمغرب ٢,٤٪، وتونس ٢,٧٪، وليبيا ٢,٤٪، واليمن ٢,١٪، والعراق ١,٢٪ ثم البحرين ١,١٪، ومثلها قطر**، فيما لا يتجاوز حجم اقتناء الكتب في **السودان وسلطنة عمان عن واحد في المائة.**

أما على صعيد النشر فإن **لبنان** - كما يقول البعلبكي - **ينتج ما بين ٧٠ - ٧٥٪** من الكتب الصادرة في العالم العربي.

وأوضح المحاضر - وهو أستاذ جامعي - أن هذه الإحصاءات ثمرة عمل فريق مكون من ١٢ شخصًا استغرق ثلاث سنوات وشمل بحثه حركة النشر والمبيعات في جميع البلدان العربية.

كتب جديدة

● **بنت الصمت؛ دراسة في الشعر السعودي المعاصر**، تأليف الدكتور **شاكر النابلسي**، صدر عن دار العصر الحديث في بيروت.

● **المرشد إلى الشعر**، تأليف **نك تياب**.

● **المرشد إلى الموسيقى**، تأليف **بيتر أموند**.

● المرشد إلى الخدمات الاستشارية، تأليف **نايجل ثايني**.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة ضمن سلسلة المرشد عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

● **جمال محمد أحمد: رسائل وأوراق خاصة**، عرض وتحليل **عثمان محمد الحسن**.

● **شعر**، ديوان للشاعر **يوسف أبي رزق**

صدر الكتابان السابقان عن دار الجيل في بيروت.

● القوى الخفية في السياسة العالمية: مَنْ يحكم العالم؟، تأليف ل. فراي، ترجمه إلى اللغة العربية **جهاد قدري قلعجي**، صدر عن دار الكاتب العربي في بيروت.

● **أسلحة وتكتيك عاصفة الصحراء**، تأليف **فادي نصار**، صدر عن المركز الثقافي العربي.

● النفط والمجال الاقتصادي العربي، تأليف **نجيب عيسى**، صدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت.

● **نوعية الحياة في الوطن العربي**، تأليف **نادر فرجاني**، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

● **جبران في الميزان**، تأليف **يوحنا قمير**، صدر عن دار المشرق في بيروت.

● **أميرال الطيور**، ديوان جديد للشاعر **محمد علي شمس الدين**، صدر عن دار الآداب في بيروت.

● **النظرية الشعرية عند ت. س. أليوت وأدونيس؛ دراسة مقارنة**، تأليف **د. عاطف فضول**، صدر باللغة الإنجليزية عن دار الحمراء للنشر.

● **بنـاء الجمهوريـة الثانيـة ومشكلات السـلام في لبنان**، تأليف مجموعـة مفكرين، صـدر عن النـادي الثقافي العربي في بيروت.

سورية

عمليات لإنقاذ آثار الفرات

تجري حاليًا في إطار حملة دولية عمليات مكثفة **للتنقيب عن الآثار بمنطقة حلب الواقعة على نهر الفرات خلف سد تشرين**، تحسبًا لغرقها لدى امتلاء السد.

تشـارك في عمليات التنقيب بعثـات سـوريـة وبلجيكية وأسترالية، حيث تختص كل بعثة بمنطقة.

كتب جديدة

●**محاور الـدراسـة الأدبيـة**، تأليـف **حسين علي هنداوي**، صدر في دمشق.

● **قصة الذهب**، تأليف **يوسف البجيرمي**، صدر في دمشق.

فلسطين

انتفاضة أدبية في الأرض المحتلة

تشير إحصـاءات من الأراضي العـربية المحتلـة أن **حركـة الكتابة والإبـداع والنشر تشهد منذ عـامين نهضة كبيرة**، أثمرت عن صدور أكثر من ١٢٠ كتابًا، برغم ما يلاقيه الكُتّاب من اضطهاد سلطات الاحتلال.

وأوضح نقـاد متخصصـون أن القصـة القصيرة والشعر حازا أكبر نصيب من الإبداعات، إلا أن الرواية التي كـانت من قبل نادرة فـرضت نفسهـا على الساحـة بتميزها ورقي مستواها.

وعدَّ بعضهم رواية **أحمد حرب** «الجانب الآخر لأرض الميعـاد» أفضل عمل أدبي صـدر مـؤخـرًا في الأرض المحتلة.

إغلاق مجلة عربية

أغلقت سلطات الاحتـلال الصهيوني مجلة «**الفتح العربي**» الشهرية التي تصـدر في القدس الشرقية بحجة مخالفتها ترخيص الإصدار عبر ارتباطها بحركة «فتح».

وتعد هذه ثـاني مطبوعة **للناشر الصحـافي عطا الله النجار تغلقها سلطات الاحتـلال**، حيث سبق لها في العام الماضي إغلاق إحدى مطبوعاته.

تونس

تظاهرة ثقافية في ذكرى سقوط غرناطة

نظمت «**دار الثقـافـة خير الـدين**» في العاصمة التونسيـة - مؤخـرًا - **تظاهرة ثقـافية حول مدينة غـرناطة بمناسبة مرور خمسة قرون على سقوطها**.

تضمنت التظاهرة **يومًا للشعر** احتوى على قراءات لقصائد تونسية وأسبانية وأندلسية، **ويومًا للسينما الوطنية** احتوى على برمجة ثلاثة أشرطة سينمائية تنطلق من التراث العربي الإسلامي، **ويومًا للطفل** تضمن معرضًا لرسوم الأطفال تحت عنوان «تاريخنا في عيـون أطفالنا»، وعرضًا للموشحات الموسيقية الأندلسية من تقديم كورال أطفال الدار.

دورة عن النهوض بالكتاب الأفريقي

أقيمت ـمؤخرًا ـ في تـونس **دورة «تبادل التجارب حول دور وسائل الإعلام في النهوض بالكتاب في أفريقيا»** بعد أن استمرت خمسة أيام بحضور ٣١ مشاركًا من ١٥ دولة، يمثلون شتى المهن الإعلامية.

وأكـد المشـاركون في ختـام اجتماعـاتهم على أهميـة الكتاب في إذابـة الفوارق الاجتماعيـة والثقافيـة وتطويـر وسائل الاتصـال، وصادقوا على عدة تـوصيات في مجال النشر والإعلام بمختلف أنواعه.

سرقة أدبية

تتحدث الأوساط الثقافية التـونسية هذه الأيام عن **سرقة أدبية قام بها كاتب يدعى الهادي الزريبي**.

حيث انتحل الكـاتب المذكـور لنفسـه كتـابًـا عن البربر، نسخـه كله من خـلال كتابين صدرا في الـرباط والجزائر هما «**قبائل المغرب**» و«**عـروبة الجزائر**» للكاتبين **السيد عبدا لوهاب بن منصور، وعثمان سعدي**.

مهرجان الربيع الأدبي

تحت شعار «**المرأة في الأدب العـربي**» أقيم في تونس خلال شهـر آيار (مـايو) الماضي **مهرجـان الربيع الأدبي السنوي**.

دارت مناقشـات المهرجـان حول محوريـن هما: أثر المرأة في الأدب المغاربي.

كذلك نُوقشت مسألة مكـانة المرأة في كتابات عدد من الأدباء المعـاصرين مثل **نجيب محفوظ، وحنـا مينا، ومحمود المسعدي**، وغيرهم.

الجزائر

ملتقى حول التعريب الجامعي وآخر لتحليل الخطاب الأدبي

احتضنت جامعـة البليدة (على بعـد ٤٠ كيلو مترًا من الجزائر العاصمة) **ملتقى جامعيًا حول تعريب الفروع العلمية في الجامعات الجزائرية**.

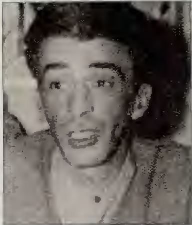
ضم الملتقـى رهطًـا من الأسـاتـذة الجامعيين والإداريين حيث ناقشوا ستة محاور أساسية تتعلق **بتجربة الجزائر في تعريب العلوم الإنسانية والتجريبية والتقنية، إضافة إلى التعريب المدرسي الثانوي** ونتـائجه وتعـريب الكتب العلمية، وتقويم الإنجازات المحققة ـ حتى الآن ـ في مجال نقل عمليـة التعـريب إلى مـرحلـة التطبيق العملي، بعد أن كانت مجرد قرار سياسي.

كما أقيم في **مدينة تيزي وزو** (على بعد ١٠٠ كيلومتر من مـدينة الجزائر) **ملتقى ثقـافي وفكـري تحت عنـوان «تحليل الخطاب الأدبي»**.

احتضن الملتقى **معهد اللغة والأدب العربي بجامعة تيـزي وزو** وشـارك فيـه عـدد من المتخصصين والنقـاد والجامعيين العـرب، حيث تناولـوا بالتحليل والمدارسـة جملة قضـايا تهدف إلى تأصيل مصطلـح الخطاب الأدبي وتحليل مفاهيمه ومدلولاته.

تكريم سبعة من رجال الأدب والفن


أحمد رضا حوحو


كاتب يس

منـح **الـرئيس محمد بوضياف** أوسمة الاستحقاق الـوطني مـن درجـة (عشير) وهـو الوسـام الأعلى للدولة لسبعـة مـن رجـال الأدب والفن ستة منهـم رحلوا عن الـدنيـا تنـويـهًا واعترافًـا بمجهوداتهم وإبداعاتهم.

والمكرمون هم: الأديب والكاتب المسرحي **أحمد رضا حوحو** (١٩١١ ـ ١٩٥٩م) والكاتب المسرحي **مصطفى كاتب** (١٩٢٠ ـ ١٩٨٩م) والأديب الشاعر **كاتب يس** (١٩٢٩ ـ ١٩٨٩م) ورجـال المسرح: **محي الدين باش تـارزي** (١٨٩٧ ـ ١٩٨٦م) **ورشيـد القسنطيني** (ت ١٩٤٤م) **ومحمد القوري** (١٩١٢ ـ ١٩٥٩م).

الـوحيد من بين المكـرمين الـذي لا يـزال حيًا هـو الكاتب والشاعر **محمد بوزيدي** المولود عـام ١٩٣٤م، وهو حاليًا يعاني من مرض عضال.

عودة «البصائر» وصدور «الكلمة»

بعد تـوقف دام نحو خمسـة وثلاثين عـامًا، **عادت جريدة «البصائر»** الناطقة بلسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الصدور تحت شعارهـا التاريخي «الإسلام ديننـا، والعربيـة لغتنـا، والجزائر وطننـا» وهو الشعـار الذي اختاره لها مؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس



لدى صدورها للمرة الأولى عام ١٩٢٥م.

وكانت السلطات الاستعمارية الفرنسية قد أوقفت المجلة مرات عديدة، إلى أن تم إيقافها نهائيًا عام ١٩٥٦م للدور الكبير الذي قامت به في نشر الوعي الديني والتحريري لدى المواطنين إبان الحركة التحريرية الكبرى لنيل الاستقلال.

من ناحية ثانية صدر ـ مؤخرًا ـ عن الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية **مجلة شهرية جديدة حملت اسم «الكلمة»**.

برأس تحرير المجلة الجديدة الدكتور عثمان سعدي، وتهتم بالدفاع العملي والمنهجي عن مُثُل الشعب الجزائري الأساسية المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي.

المغرب

دعوة لحماية التراث الإسلامي في البوسنة


د. عبد العزيز التويجري

دعا **الدكتور عبد العزيز عثمان التويجري** المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الايسيكو) منظمة اليونسكو **للتدخل على مختلف المستويات لوقف أعمال الحرب العدوانية** التي يتعرض لها المسلمون في جمهورية البوسنة والهرسك.

وحذر د. التويجري في رسالته التي بعث بها إلى فيديركو مايور المدير العام لليونسكو من أن تصاعد الأعمال الحربية في جمهورية البوسنة والهرسك **يهدد بالخطر الممتلكات الثقافية والحضارية لهذا الشعب المسلم**.

كتب توثيقية عن قرى فلسطين

تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم **(الايسيسكو)** حاليًا بإنجاز **مجموعة كتب توثيقية حول القرى الفلسطينية التي دمرت خلال الاعتداءات الصهيونية المتواصلة منذ عام ١٩٤٨م**.

يتم العمل في إطار برنامج سبق للمنظمة تبنيه ويهدف لحماية التراث الحضاري والعمراني لفلسطين بالتعاون مع جامعة بيرزيت الفلسطينية.

ويذكر أن القرى المقرر توثيقها يبلغ عددها نحو ألف قرية وقد تم إصدار ١٧ كتابًا حتى لحظة كتابه هذه السطور.

ببليوجرافيا للدراسات العلمية المغاربية

أنجزت مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية في الدار البيضاء بالتعاون مع معهد العالم العربي في باريس **أول محاولة من نوعها لوضع ببليوجرافيا شاملة عن الدراسات العلمية حول المجموعة المغاربية**.

تضمنت المحاولة التي صدرت على هيئة كتاب مرجعي ٦٠٠ صفحة من الحجم الكبير تحت عنوان **«المغرب في ٢٠٠٠ عنوان ـ قراءات وكتابات في المجموعة المغاربية»**.

قاموس «معلمة المغرب»

صدر ـ مؤخرًا ـ الجزءان الثالث والرابع من القاموس الشامل عن المغرب تحت عنوان **«معلمة المغرب»**.

يقع كل جزء في **٣٥٠ صفحة**، ويتضمن معلومات شاملة مبوبة هجائيا حول طبيعة المغرب من حيث أنهاره وتضاريسه وتربته ومدنه وقبائله، وأسماء الأسر والمراكز الحضارية والتاريخية، فضلاً عن تراجم لشخصيات علمية وتربوية وفنية وسياسية وأدبية واجتماعية.

جزر القمر

مؤتمر دولي للثقافة الإسلامية

تستضيف **جزر القمر** في شهر محرم الجاري ١٤١٣هـ **مؤتمرًا دوليًا للثقافة الإسلامية** يشارك فيه العديد من البلدان العربية والإسلامية والمنظمات المتخصصة.

ويهتم المؤتمر بتعريف العالمين العربي والإسلامي بما هو موجود في جزر القمر من مقومات عربية وإسلامية، ومدى ارتباطها القوي بالمنطقة العربية.

وينتظر أن تقام على هامش المؤتمر عدة معارض ثقافية.

تركيا

ندوة عن حكم السلطان عبدا لحميد

تحت عنوان **«السلطان عبد الحميد الثاني وحكمه»** نظم مركز الأبحاث التاريخية التابع لكلية الآداب بجامعة اسطنبول ندوة علمية بمناسبة الذكرى ١٥٠ لميلاد **السلطان الراحل**.

رسائل جامعية

● **«تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ١٣٤٤ ـ ١٣٧٣هـ»**، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها **إبراهيم بن عويض العتيبي**.

● **«دراسة أيكولوجية وبيولوجية على الحشرات التي تصيب التمر الطازج والجاف في المملكة العربية السعودية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات بالرياض، تقدمت بها **البندري فهد اليوسف**.

● **«الظروف الاستثنائية التي تطرأ على العقد بعد إبرامه: دراسة مقارنة»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الحقوق بالجامعة الأردنية في عمان، تقدمت بها **وحي فاروق لقمان**.

● **«فكر مالك بن نبي»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة لندن، تقدم بها **عدنان باشا**.

● **«مجمع البحرين ومطلع النورين، لبدر الدين الكرخي: دراسة وتحقيق»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في جدة، تقدمت بها **مليم بنت عبد الله حمد الحارثي**.

● **«ولاية الشرطة في الإسلام»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء بالرياض التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها **العقيد نمر بن محمد الحميداني**.

● **«السرايا والبيوت النبوية حول المدينة المنورة ومكة المكرمة»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تقدم بها **بريك محمد العمري**.

وتم خلال الندوة إلقاء عدة بحوث علمية تاريخية تدور حول تقويم وعرض فترة حكم السلطان عبد الحميد.

تنزانيا

حظر تداول «آيات شيطانية»

وجهت وزارة الداخلية التنزانية نداء إلى الذين بحوزتهم كتاب «آيات شيطانية» للمرتد سلمان رشدي أو أية كتب أو نشرات أو كاسيت أو أشرطة فيديو تشوه الديانات إلى المبادرة بتسليم ما في حوزتهم خلال أسبوع.

وقررت الوزارة إحالة من يتم ضبطه وبحوزته هذا الكتاب إلى المحاكمة، كما أعلنت عن جائزة لكل من يرشد إلى نسخ من الكتاب قدرها مائة ألف شلن تنزاني (نحو ٣٦٠ دولارًا أمريكيا).

الهند

قلق على اللغتين العربية والفارسية في الهند

أعرب مفكرون ومثقفون هنود عن مخاوفهم لإسقاط الحكومة الهندية اللغتين **العربية والفارسية** من امتحانات الخدمة المدنية، مما يؤثر على أهمية اللغتين داخل البلاد.

وقد أقيمت في دلهي ـ مؤخرًا ـ ندوتان حول اللغة الفارسية شارك فيها أساتذة تلك اللغة بالجامعات الهندية حيث ناقش المؤتمرون بتوسع تلك النقطة وأعربوا عن قلقهم من القرار.

إيقاف مدير معهد لنشاطاته الإسلامية

أوقفت حكومة ولاية راجستهان الهندية **شوكت علي** مدير معهد الأبحاث العربية والفارسية بمدينة تونك عن منصبه **بتهمة** ارتكاب مخالفات مالية وإدارية وممارسة الطائفية (أي محاباة المسلمين) **واستقبال ضيوف عرب وإيرانيين بغير علم السلطات.**

ويذكر أن هذه الولاية يحكمها **حزب بهارتيا جاناتا الهندوسي الفاشي** المتعصب الذي يحارب النشاطات الإسلامية بكل أشكالها، لذا كان طبيعيًا أن يوقف مدير المعهد عن ممارسة عمله لجهوده الكبيرة في تطوير المعهد ونشر الكثير من الأبحاث والكتب الإسلامية.

وفاة ثلاثة رموز فكرية إسلامية

فقدت الدعوة الإسلامية والحركة الثقافية والفكرية في الهند ـ مؤخرًا ـ ثلاثة من أبرز أعلامها هم: البحاثة الشيخ حبيب **الرحمن الأعظمي**، و الخبير التعليمي **إسلام بريمي**، والشاعر قيصر حيدر الدهلوي.

يعد البحاثة الشيخ حبيب **الرحمن الأعظمي**، **المولود عام ١٣١٩هـ**، أحد أبرز علماء الحديث في شبه القارة الهندية، وهو مؤسس المعهد العالي للعلوم الدينية في ماؤ، و رئيس هيئة التدريس بجامعة مفتاح العلوم في نفس المدينة التابعة لولاية أوتار براديس.

وقد درس الفقيد العلوم العربية والإسلامية على أيدي أساتذة أجلاء، وقضى شطر عمره في التدريس والتأليف، كما كان من الناشطين في حركة الاستقلال، ومثّل بلدته ما بين عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٧م في المجلس النيابي المحلي للولاية، ولجهوده البارزة في التعليم والتأليف في مجال اللغة العربية منحته الحكومة الهندية جائزة رئيس الجمهورية التقديرية.

ونشر الفقيد ـ يرحمه الله ـ مخطوطات عديدة بعد تحقيقها، منها باللغة العربية: **مسند الحميدي**، مصنف ابن أبي شيبة، مصنف عبد الرزاق، كتاب السنن للحافظ سعيد بن منصور، كتاب الزهد والرقائق لعبد الله بن مبارك، مجمع بحار الأنوار للملا محمد طاهر الفتني، والحاوي على رجال الطحاوي.

ومن مؤلفاته باللغة الأوردية: أعيان الحجاج (في جزءين)، **نصرة الحديث، الأعلام المرفوعة، وركعات التراويح.**

أما إسلام بريمي، فهو أحد رواد التعليم الإسلامي في الهند، حيث تخرج على يديه أجيال عبر ٣٢ عامًا من العطاء في المدرسة النموذجية التي أنشأتها الجماعة الإسلامية في مدينة رام بور بشمال الهند، كذلك تولى رئاسة تحرير مجلة «إنصاف» التابعة للجماعة.

ويعد الشاعر قيصر حيدر الدهلوي (٦٨ عامًا) **أحد أبرز شعراء الأوردية**، ومن دواوينه المطبوعة: تلافي (التلافي)، موجين (**الأمواج**)، وخط غبار (**خط الغبار**).

دائرة معارف هندوسية

تقوم مؤسسة بحث التراث الهندوسي حاليا بالإعداد لإصدار دائرة معارف هندوسية في ٢٠ مجلدًا.

يحرر الدائرة ك.ل. سيشاغيري، وهو أستاذ بجامعة فرجينيا الأمريكية، وينتظر أن تستوعب تاريخ العقيدة والممارسات الهندوسية عبر خمسة آلاف سنة.

كتب جديدة

- **عزيزي السيد النوّاب**، سيرة ذاتية كتبها هاربيت رونكين لينتون.
- **حياتي وأزمنتي**، سيرة ذاتية لرئيس وزراء كشمير السابق مير قاسم.
- **محمد ﷺ والقرآن**، تأليف رفيق زكريا.

- «**منطق الطير عند الشاعر الإنجليزي تشوسر والشاعر الإسلامي مزيد الدين العطار النيسابوري: دراسة مقارنة**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها **عائشة عفت زكريا.**
- «**تحليل مواقع مدارس البنات في منطقة غرب الرياض التعليمية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الجغرافيا بكلية الآداب في جامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها **ناصر مرشد سعد الزير.**
- « **ضمانات المتهم في إجراءات التوقيف الاحتياطي وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية**» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية التابع للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، تقدم بها **عبد الله بن غازي المريخان.**
- « **عوامل انتشار الإسلام ومعوقاته مع دراسة تطبيقية على جنوب السودان**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها **إبراهيم بن عبد الكريم السنيدي.**
- «**حماد بن سلمة ومروياته في مسند أحمد عن غير ثابت البناني من الأزرق بن قيس إلى علي بن زيد**» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **محمد بن سليمان الفوزان.**
- «**الثروة الحيوانية في الإقليم الغربي من المملكة العربية السعودية دراسة في الجغرافيا الاقتصادية**» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض، تقدمت بها **صباح علي عامر إسماعيل.**
- «**بعض ظواهر علم الدلالة العربي من خلال ديوان حسان بن ثابت**» موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، تقدم بها **عمر صبور.**

الحركة الثقافية

● **مفكرو الهند وباكستان البارزون**، تأليف ب . ب . باروا .

● **بيليوجرافيا الاقتصاد الإسلامي**، إصدار معهد التوحيد بأرياكود بولاية كيرالا .

أسبانيا

الأمير سلمان يفتتح المركز الثقافي الإسلامي


الأمير سلمان بن عبد العزيز

يفتتح صاحب السمو الملكي **الأمير سلمان بن عبد العزيز** أمير منطقة الرياض بحضور ٥٠٠ شخصية إسلامية وعالمية في منتصف شهر أيلول (سبتمبر) المقبل **المركز الثقافي الإسلامي** في مدريد، الذي تكفل خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد ابن عبد العزيز بنفقات بنائه** .

يتكون المركز من ستة طوابق، وملحق به مسجد ضخم يتسع لنحو ألف مصل، كما يحتوي على مكتبة بها أكثر من ٣٠ ألف كتاب، وقاعة للمحاضرات، وأخرى للألعاب، مجهزتين بأحدث الأجهزة، ومدرسة لأبناء المسلمين، ومعمل لغة لتعليم اللغة العربية، إلى جانب حديقة كبيرة ومشتل زراعي، ومساكن للمدير والإمام والمؤذن .

معرض للتراث العلمي الأندلسي

افتتح ــ مؤخرًا ــ في المتحف الوطني للآثار في مدريد معرض **«التراث العلمي الأندلسي»** .

ضم المعرض مواد صلبة ومنسوخة جلبت من متاحف إسبانية ومتاحف رسمية وخاصة في حلب وأكسفورد ولندن وفلورنسا وأثينا وميونيخ، تشمل أدوات الري والزراعة، والطب، والتشريح والفلك التي استعملها العرب في الأندلس، إضافة إلى الكتب والمخطوطات في تلك المجالات .

فرنسا

مركز إسلامي بتمويل سعودي

يقام حاليًا في مدينة إيفري بجنوب فرنسا، **بتمويل من المملكة العربية السعودية، أحدث مركز إسلامي** .

يضم المركز صفوفًا دراسية مختلفة، ومكتبة، وقاعة للمحاضرات، ومسجدًا يتسع لنحو عشرة آلاف مصل، إلى جانب سوق تجارية لخدمة رواد المركز يخصص ريعها لخدمة المركز وصيانته .

ترجمة يهودية محرفة للقرآن

ناشد **المركز الإسلامي** في باريس وزارة الثقافة الفرنسية التدخل **لإجبار دار لافون للطبع والنشر على سحب جميع نسخ ترجمة محرّفة للقرآن الكريم نفذها يهودي يدعى أندريه شوراقي** .

وكان الكاتب اليهودي قد تعمد في ترجمته الإساءة للنصوص القرآنية وتزييف الحقائق الثابتة، بل **والإدعاء أن ألفاظ القرآن الكريم قد اشتقت من اللغة العبرية** .

جائزة أهل الأدب لتوماس

تحصل الكاتب والشاعر **هنري توماس (٧٩ عامًا)** على الجائزة الكبرى لرابطة أهل الأدب عن مجمل أعماله .

وتوماس كاتب متعدد المواهب، فهو شاعر وروائي وقاص وناقد ومترجم، وقد سبق له عام ١٩٦٠م الفوز **بجائزة ميديسيس** عن كتابه **«جون بركينز»** كم حصل عام ١٩٦١م على **جائزة فيمينا** عن كتابه **«الرأس الجبلي»** .

جائزة فرنسية لمحمد ديب

على هامش المعرض الأوروبي ــ العربي للكتاب الذي نظم في معهد العالم العربي بباريس خلال شهر آيار (مايو) الماضي، سلم مسؤولون فرنسيون **جائزة الصداقة الفرنسية العربية للكاتب الجزائري محمد ديب** .

ويذكر أن هذه الجائزة منحت في العامين الماضيين لكل من الأديب المصري العالمي **نجيب محفوظ**، والأديب المغربي **الطاهر بن جلون** .

غادة السمان بالفرنسية

انتهت المستشرقة الفرنسية المعروفة **فرانس ماير** من ترجمة رواية الأديبة السورية **غادة السمان «كوابيس بيروت»** إلى اللغة الفرنسية .

وكانت **فرانس ماير** قد نقلت إلى الفرنسية أعمالاً أدبية عديدة لكبار الأدباء العرب، وفي مقدمتهم **نجيب محفوظ** .

مهرجان دولي للرسوم الساخرة

تستضيف باريس في الرابع والعشرين من تموز (يوليو) الجاري الدورة الثالثة عشرة للمهرجان الدوري للرسوم الساخرة .

يشترط أن يتقدم المشارك للمهرجان بثلاثة رسوم أصلية قياس ٢١ × ٢٩,٧ سم، وسوف تقدم جوائز لأحسن سبعة مشاركين .

روسيا

أكاديمية الملك فهد في موسكو


د. عبد العزيز خوجة

وافق خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز على افتتاح أكاديمية في العاصمة الروسية على غرار أكاديمية الملك فهد في لندن** .

وقال السفير السعودي في موسكو **الدكتور عبد العزيز خوجة** إن العمل يجري على قدم وساق من أجل أن يبدأ نشاط الأكاديمية الجديدة مع بداية العام الدراسي المقبل بحيث تشمل إلى جانب المدارس الإبتدائية والإعدادية والثانوية أجنحة للدراسات الخاصة وتعليم اللغة العربية لأبناء الجاليات الأجنبية .

قبرص

من أحدث الكتب

● **تاريخ الصحافة الفلسطينية**، تأليف **محمد سليمان**، صدر عن دار النهضة برس في نيقوسيا .

سويسرا

رحيل «شرطي التاريخ»

أعلن في جنيف ــ مؤخرًا ــ عن وفاة الكاتب والمؤرخ الأدبي الفرنسي **هنري غييمين** عن عمر يناهز ٨٩ عامًا .

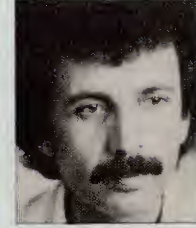
وُلد غييمين عام ١٩٠٣م في مدينة ماكون سورساون شمال ليون، وتخرج في المعهد العالي للمعلمين حاملاً شهادة في الأدب، وعمل **في القاهرة وبوردو وبون وجنيف** .

وله **أكثر من خمسين مؤلفًا نقديًا** معظمها حول تاريخ الأدب تعرض فيها لأسماء بارزة من القرن الميلادي الماضي مثل: **فلوبير، جان جاك روسو، لامارتين، هيجو، زولا، فيني، وغيرهم** من الأسماء الكبيرة، بغية **«إزالة وهم»** الأمجاد الأدبية، غير آبه بما يعرضه نقده لهذه الرموز الفكرية من هجوم، حتى لُقب بـ «شرطي التاريخ» .

وتميز بروحه الساخرة حتى إنه كتب نعيه قبل فترة وقال ناعيا نفسه «هنري غيبمين وُلد عام ١٩٠٣م وتوفي: لا ألقاب جامعية، لا أوسمة؛ فأنا لم أطلبها».

الولايات المتحدة — أحدث الكتب

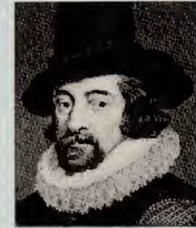
● **براري الحمى**، رواية **إبراهيم نصر الله**، صدرت ترجمتها الإنجليزية عن دار نشر أندرليج في نيويورك.


إبراهيم نصر الله

● **قوافي لك**، ديوان للشاعر **فتحي عبد الله**، صدر بالإنجليزية عن دار فانتاج برس في نيويورك.

بريطانيا — رحيل فرانسيس بيكون

أعلن في العاصمة البريطانية لندن ـ مؤخرًا ـ عن وفاة الفنان التشكيلي البريطاني المعروف **فرانسيس بيكون** عن عمر يناهز ٨٣ عامًا.


فرانسيس بيكون

وُلد **بيكون** في وبلن في ٢٨/١٠/١٩٠٩م، وحين بلغ سن السادسة عشرة ترك أهله ليسوح في أوروبا، حتى استقر عام ١٩٢٩م في مدينة لندن و وبدأ عمله في الرسم بالزيت إلى جانب تصميم الديكورات والأثاث.

وينتمي بيكون إلى ما يسمى بالمدرسة التوحشية، وهو متأثر إلى حد ما بسيريالية **بيكاسو**.

أقدم قصيدة في العالم: فرعونية

اكتشف عالم المصريات البريطاني **ستيفن كيورك** بطريق المصادفة في مخزن المتحف البريطاني **مخطوطًا فرعونيًا قديمًا على شكل قصيدة شعرية يعتقد أنها أقدم عمل أدبي في التاريخ تم اكتشافه حتى الآن**.

ويعتقد خبراء المتحف البريطاني أن **القصيدة قد تم تأليفها عام ١٩٠٠ قبل الميلاد**، وأن الملك المقصود بالمديح فيها هو **الملك سنوسرت** الذي أعاد لمصر دورها كقوة عظمى بعد قرون من الضعف، وجعلها خضراء.

السويد — ترجمة سويدية لمقدمة ابن خلدون

صدرت ـ مؤخرًا ـ أول ترجمة سويدية **لمقدمة ابن خلدون** بترجمة الباحث السويدي **انجفاررود بيرغ**.

لاقت الترجمة التي استغرق العمل فيها عدة سنوات إقبالاً من المثقفين والمفكرين السويديين، وقد نشرتها دار نشر يملكها أحد المهاجرين العرب.

معرض لنماذج السفن الحربية

أقيم مؤخرًا في السويد معرض **لنماذج السفن الحربية السويدية في القرن السابع عشر**.

ضم المعرض نماذج متعددة لهذا النوع من السفن، من أبرزها السفينة **«فاسا»** التي بنيت عام ١٦٢٨، واشترك في بنائها عمال وخبراء سويديون وهولنديون، حيث استخدموا ما يقرب من ألف قطعة من خشب البلوط لهذا الغرض.

إيطاليا — معرضان فنيان لأعمال دافنشي ورافائيل

شهدت مدينتا فينسيا وروما ـ مؤخرًا ـ **معرضين للفنانين الإيطاليين العالميين ليوناردو دافنشي ورافائيل**.

أقيم معرض دافنشي ورافائيل في **بالازو جراسي**، تحت عنوان **«دافنشي وفينسيا»** وضم أعمال الفنان الراحل، إلى جانب فنانين إيطاليين آخرين لم يظفروا بمثل شهرته.

فيما احتضنت **قاعات الأكاديمية الفرنسية** في روما معرضًا لأعمال الفنان رافائيل (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠م) ضمن المعرض أعمالاً له لم يسبق أن عرضت خارج فرنسا منذ ثلاثة قرون، و هي من موجودات متحف اللوفر في باريس التي سبق أن اقتناها **الملك لويس الرابع عشر**.

مهرجان عالمي للشعر

نظمت مدينة سيلارنو الإيطالية ـ مؤخرًا ـ **المهرجان العالمي السنوي للشعر**.

شارك في المهرجان شعراء من مختلف أنحاء العالم، وعقدت على هامشه موائد مستديرة حول الشعر العالمي والغربي، كما قامت اللجنة المنظمة بتوزيع العديد من الجوائز على أصحاب أفضل المقطوعات الشعرية، ومنهم الشاعرة الفلسطينية **فدوى طوقان**، والجزائرية **زينب الأعوج**، والشاعر اليوناني **تيتوباتريكو**، والشاعر الإسباني **سيزار سيمون**، وآخرين.

مشروع اليونيسكو عن تاريخ آسيا الوسطى

دلهي الجديدة: من ظفر الإسلام خان:

عقدت منظمة اليونيسكو ندوة في دلهي الجديدة حول «تاريخ الحضارات بآسيا الوسطى» لتمكين المؤرخين الهنود المهتمين بتاريخ آسيا الوسطى الإسلامية من تبادل الآراء وتقديم الاقتراحات لمكتب اللجنة العلمية الدولية باليونيسكو المكلّف منذ سنة ١٩٨٠م بوضع تاريخ لهذه المنطقة.

وقد عقدت الندوة بإشراف المجلس الهندي للبحث التاريخي، وهدفت إلى وضع المجلد الخامس من هذه السلسلة والاستعداد للمجلد السادس والأخير منها. وسوف يرأس تحرير المجلد الخامس (الذي يتناول الفترة الممتدة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر) المؤرخ البروفيسور نور الحسن الذي يشغل الآن منصب حاكم ولاية البنغال الغربية.

وقال البروفيسور نور الحسن وهو يتحدث في الندوة: إن الفترة التي يتناولها المجلد الخامس شهدت صعود نجم الإمبراطورية الأزبكية، وتنامي الصراع بين المغول والأزبك حول بلخ، وصعود الصفويين في إيران، والصراع بينهم وبين المغول حول قندهار، وتصارع الصفويين والعثمانيين على شرق القفقاز. وكان لكل هذه الأحداث تأثير مباشر على الهند وآسيا الوسطى.

يتناول مشروع اليونيسكو هذا مناطق أفغانستان وشمال إيران وشمال الهند وباكستان وغرب الصين ومنغوليا وجمهوريات آسيا الوسطى التي تحررت مؤخرًا من النير السوفييتي. وسيركز على التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي والفلسفة والحياة البدوية وأسلوب المعيشة والتطور العمراني في هذه البلاد. وسيظهر الجزء الأول من هذا الكتاب عما قريب، بينما يكاد الجزء الثاني منه يكون جاهزًا للطبع.

على موعد



ظاهرة غير صحيّة!

ظاهرة استوقفتني . . ربما لاحظها الكثيرون ولم ينتبه **إليهـا بعضنـا لأنها أصبحت كأنها شيء اعتـاده** النـاس بينما هي في الـواقع تمثل دلالـة على سلـوك خـاطئ يستحق أن يخضع للـدراسة والتصحيـح . . تلك الظاهـرة هي مـا يتم من المحادثـة والتفاهم والمجـادلة وحتى تبـادل السلام وعبارات الود بأصوات مرتفعة ومتشنجة أحيانا . . . تحضر مجلسًا يضم زملاء أو أصدقاء أو أقارب أو خليطًا من أولئك وغيرهم فتجـد أن الأصـوات تتعالى ويطغى بعضهـا على بعض، وتـرتفع درجـات الضغط لـدى المشـاركين في الحديث بينما يكـون الموضـوع المطـروح بسيطًـا وعـاديًـا لا يستـوجب تلك الحدّة، وقس على هـذا كل حـديث سـواء أكان بين شخصين يلتقيان في الطـريق أو بين مجموعة عمل في اجتماع غير منضبط أو بين بائع ومشترٍ، وحتى بين الزوج وزوجته، إن الجميع في الغالب يستخدمون طبقات صوتية عاليـة لا يستدعيهـا موضـوع الحديث، والأعجب أن تبرز الحدّة حتى عند تبـادل عبارات التحيـة والسؤال عن الأولاد والأهل . . . . وعلى جانب آخـر نجد أن هذه الظاهـرة تمتد بصـــورة أخـرى لتتمثل في أسلـــوب المجـادلـــة بين بعض المحسوبين على الثقـافة حين تختفي الروح العلميـة المتجردة للــوصـــول إلى الحقيقـــة، وحين لا يُحصَرُ الجدل في لب الموضوع، وحين يستبدل بدحض الحجـة بالحجة المهاترات **والشتـائم، فترى بعضهم . . يتنـاقـرون تنـاقـر الـديكـة على** صفحات الصحف والمجلات.

لا أكتم القـارئ الكـريم أن هـذه الظـاهـرة لم تلفت انتباهي فحسب وإنما شُغِلتُ بها وبتتبع سلـوك وتصرفات محترفيها محاولا معرفة دوافعها وأسبـابها، ومن وجهة نظري الخاصة فإن ذلك يعود إلى أن بعضنا يضيق صدره من سماع الرأي الآخر فيعمل على وأده في حلق محدثه بمقاطعته ورفع صوته إزاءه، وبعضنا يتقمص دور المنظّر والأعلم ويرى كل صوت غير صوته نشازًا لا داعي له ويحاول فرض ما يعتقده لنفسـه، ولن أسترسل في سرد كل مـا توصلـت إليه لأتـرك للقـارئ الكريـم استنتاج المزيـد من الأسبـاب التي يختفي وراءها الكثير من العقد والرواسب، لكنني أورد هنا شيئا مما قاله بعض السلف رحمهم الله في آداب المحادثة والمناظرة . . قالـوا: إن على كل واحد أن ينتظر صاحبـه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه، وأن يقصد كل طرف ظهورَ الحقّ ولو على يد خصمه، وأن لا يتعرض أحد لكلام الآخـر حتى يفهم مراده من كلامـه، وأن لا يستهزئ أحد بالآخر ويسخر منه، وأن يكون الكلام ملائما للموضوع ليس فيـه خـروج عما هما بصدده، وأن يتحـرزا عن إطالـة الكـلام في غير فـائدة وعن اختصـــاره اختصـارا يخل بفهم المقصـود من الكـلام، وأن لا يحتسب خصمـه حقيرا قليل الشأن.

قلت: إن هـذه الآداب جـديـرة بأن تغـرس في نفـوس الناشئـة وأن يهتم الأبوان بتربيـة أولادهما عليها، وأن يعتني التربويون والقائمون على التعليم ببث هذه المثل وما شابهها في ثنايا المناهج الدراسيـة خاصة في مراحل التعليم الأوليّ، كما أن وسـائل الإعلام مـدعـوة أيضـا إلى الإسهام في هـذا الأمر، والله المستعان.»

عبدالله بن سعد المزروع